الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – الجزائر

جامعة أحمد دراية -أدرار-

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدّين

أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني وأثره في المخاطب

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراة (ل م د)

في العلوم الإسلامية

تخصص: كتاب وسنّة

إعداد الطالب: سمير رقاز

إشراف: أ/ الدكتور بلخير حدبي

الموسم الجامعي: 1445هـ/1446هـ – 2024م/2025م

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – الجزائر –

جامعة أحمد دراية -أدرار-
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدّين

جامعة أحمد دراية أدرار الجزائر
Université Ahmed DRAIA. Adrar-Algé

أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني وأثره في المخاطب

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراة (ل م د) في العلوم الإسلامية
تخصص: كتاب وسنّة

إعداد الطالب: سمير رقاز
إشراف: أ/ الدكتور بلخير حدبي

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
أ/د عبد العزيز ناصري	أستاذ التعليم العالي	كلية العلوم الإسلامية جامعة أدرار	رئيساً
أ/د بلخير حدبي	أستاذ التعليم العالي	كلية العلوم الإسلامية جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
أ/د محمد اسطنبولي	أستاذ التعليم العالي	كلية العلوم الإسلامية جامعة أدرار	مدعواً مناقشاً
د. عبد الرحمن العربي	أستاذ محاضر – أ –	كلّية العلوم الإسلامية جامعة أدرار	مناقشاً
أ/د سلمان نصر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	مناقشاً

الموسم الجامعي: 1445هـ/1446هـ – 2024م/2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كلّ متّبع للحق سائر على منهج الحبيب المصطفى ﷺ

إلى الذي أعطاني الكثير وما زال يواسيني ويشجعني...أبي العزيز.

إلى التي حملت وجعلت من نفسها واحة عطف وحنان...أمي الغالية.

إلى أم عبد الله - زوجتي - وابني اللَّذَين ساندني طيلة كتابتي لهذه الرسالة.

إلى إخوتي وكل من قدّم لي يد العون.

إلى محبّي القرآن الكريم وعلومه.

أهدي هذا الجهد المتواضع حبّا ووفاء، سائلا المولى عزّ وجل أن ينفعني به في الدنيا والآخرة.

آمـــــين.

شكـــر وعرفـــان

أشكر الله سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذا البحث، وأسأله ﷻ أن يكتب له القبول، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

اعتر افاً لذوي الفضل بفضلهم، لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كلّ من كانت له يدٌ في إخراج هذا البحث على هذه الصورة النهائية.

وأخصّ بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور حدبي بلخير الذي تكرّم عليّ بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولم يدَّخر جهداً في تقديم النّصح والتوجيه، وظلَّ ورائي يستحث همتي كلّما هممتُ للركون، فجزاه الله كلّ خير على حلمه وصبره عليّ.

كما أتقدم بخالص شكري وو افر تقديري للأساتذة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا عليّ إذْ قبلوا مناقشة وتقييّم هذا البحث.

والشكر موصولٌ إلى كليّة العلوم الإسلامية بجامعة أدرار مُمثلة في عميدها المحترم، وجميع أساتذتها الأفاضل، وكلّ العاملين بها، فلهم مني خالص الاحترام التقدير.

كما أتقدم بالشكر لأخي وصديقي الشيخ الدكتور محمد أمين قادري على ما قدّمه لي من تشجيع، ومن توجيهات علمية ومنهجية مفيدة.

دون أن أنسى أستاذي الفاضل الشيخ محمد قرومي على ما قام به من مراجعة البحث وتدقيقه، فله مني خالص الوفاء والامتنان.

وإلى كلّ الإخوة والزملاء، وكلّ من أعانني ولو بدعوة صادقة، لهم مني جميعاً خالص الشكر والعرفان.

مقدمة

مقدمة:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤ ﴾ [الكهف: 01-04]. والصلاةُ والسلامُ على نَبيّ الرحمةِ محمدٍ وعلى آلِه وصحبه ومَن اتَّبع هَدْيهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

وبعد:

فإن خير ما أُفنيت فيه الأعمار، وبُذلت فيه الأوقات، واستُفرغت له الجهود والطاقات؛ كتاب الله ﷻ، هذا الكتاب العظيم الذي ما فَتِئ يُخدم من لدن الصحابة – رضوان الله عنهم – إلى زماننا هذا ولا يزال، ولئن كانت هذه الجهود المشكورة قد استفرغَت الوُسع في ذلك، إلاّ أنها لم تَذكُر كلَّ شيءٍ، ولم يُوصد البابُ بعدها للمتأملين والناظرين في كلام ربّ العالمين.

في خِضَمّ انتشار دُعاة التنصير من جهة، وتزايد دُعاة الإلحاد من جهة أُخرى، وأمام تقهقُر المسلمين وضَعفهم، وتركهم المجالَ لهؤلاء وأولئك، حتى أوشك العالَم أن ينقسم إلى:

روحٍ في نظرِ النزعة المسيحية، وإلى مادةٍ من وجهة الفكر الإلحادي، وصار الإنسانُ – إنسانَ اليوم –حائراً ضائعاً وسط طغيانِ المادة والعقل من جانبٍ، وبين الروح والعاطفة من جانبٍ آخر.

وفي ظلِّ الشُبه الباطلة والتُهم الخطيرة والانتقادات الكاذبة التي يتعرض لها الإسلامُ من قِبل المستشرقين وتلاميذهم من الحَداثِيين؛ كاتهامه بأنه دينٌ انتشر بِحدِّ السَّيف، وأن نُصوص القرآن الكريم تُناقضُ العقل وتحجُر عليه، وتدعو إلى الترهيب والعنف، وكَبتِ الحُريات...، فبات من الضروري أن ينهضَ المسلمون دعاةً وعُلماءَ ومُفكّرين، لدَحْضِ الشُبه التي أُلصقت بالإسلام والمسلمين زوراً وعدواناً. غير أنه ينبغي ألاَّ ننطلق من مواقع رُدودِ الفعل، وإنما علينا أن نعمل على أساسِ أن تكُون انطلاقةُ الإسلام هي انطلاقةَ الفعلِ الواعي، من خلال التخطيط المدروس المرتَكِز على قاعدةٍ ثابتةٍ من الفكر والإيمان والواقع.

وفي ضوء هذا الواقع كان لابد أن تكون هذه الانطلاقة، من كتاب الله ﷻ الذي يحتوي بين دفتيه أساليب متنوعة تُخاطب العقول وتُلامسُ القلوب والعواطف؛ ليعيش الناس الإسلام فكراً وعملاً وشعوراً، ويكون القرآن الكريم لديهم قاعدةً للفكر والعاطفة والحياة.

فجاءت هذه الدراسة التي تُعالج موضوع الموازنة بين الخطابين العقلي والعاطفي في القرآن الكريم، لتُشارك تلك الجهود التي تُبذل في سبيل إعادة بعث الإسلام وإعطائه المكانة التي يستحق، وهذا من خلال استنطاق آيات الذكر الحكيم، والنظر في أساليبه لاستخراج دُرَره ولَآلِئِه التي تُخاطب القلب والعقل على حدٍّ سواء.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية موضوع الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني من خلال العناصر الآتية:

- إحساساً من الباحث بضرورة المساهمة في دفع عجلة الدعوة الإسلامية – ولو بالشيء اليسير –، واقتناعاً منه بأهمية هذا الموضوع، وأَمَسِّ الحاجة إليه، ظهرت له فائدةُ البحث في آيات الذكر الحكيم، من خلال التأمل في معانيه، والتفكر في أساليبه ودلالاته، ومحاولة الوقوف على ما كتبه المفسرون، وما أنتجته العقول البشرية المفكّرة.
- كثرة الأساليب التي تخاطب العقل، وتعدد مواضع ورودها في القرآن الكريم، والأمر نفسه بالنسبة للأساليب التي تخاطب العاطفة.
- هذا الموضوع القرآني من المواضيع المتجددة التي مارسها الأنبياء والرسل – عليهم السلام قديماً – ولا يزال الدُّعاة والمصلحون اليوم في حاجة لمثل هذه الأساليب.
- يُعدّ هذا الموضوع دعوياً بامتياز، لأنه يُبيّن الأسلوب المناسب لمخاطبة إنسان اليوم الذي تأثر بالحضارة الغربية، وكاد لا يؤمن إلاّ بالأشياء المادية المحسوسة؛ لذا نحن مطالبون بفهم الخطاب القرآني بوسائل العصر الحالي دون إهمالٍ للتأصيل الشرعي.

أسباب اختيار الموضوع:

كان توفيق الله ﷻ وإرادته، ثم اقتراح الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السنوسي – أَحد الأساتذة الأفاضل في مرحلة الماستر – وراء اختيار هذا الموضوع، فانشرح له الصّدر وتوجهت للكتابة فيه، فكان الموضوع موسوما بـ:

"أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني وأثره في المخاطب".

يُمكن إجمالُ أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

- انطلاقا من تخصص الباحث ورغبته في مواصلة البحث في الدراسات القرآنية، بحيث ينالُ شرف التعامل مع كتاب الله ﷻ، والاطلاع على أمهات كتب التفسير، وغيرها.
- محاولة إبراز عظمة كلام الله ﷻ، عن طريق استجلاء أساليب القرآن الكريم المتنوعة التي جاءت لتخاطب الفطرة البشرية على مستواها الفكري والوجداني.
- أن القرآن الكريم يُولي موضوع الموازنة بين العقل والعاطفة اهتماماً خاصاً؛ يتجلى ذلك من خلال كثرة المواضع والآيات التي استوعبت مختلف الأساليب، الأمر الذي ولَّد لديَّ رغبةً في خوض غمار البحث.
- المشاركة – ولو بجهد المقل – في بيان الأسلوب المناسب لدعوة إنسان اليوم، وطمعاً في أن تكون هذه المشاركة من قبيل صنع منهج علميّ أصيل.
- تشجيع بعض أساتذتي الأفاضل، وزملائي– من طلبة العلم – على هذا البحث كونه يزاوج بين هدايات القرآن الكريم، ومتطلبات الدعوة في عصرنا هذا، فوافق ذلك رغبة في نفسي.

إشكالية البحث:

القرآن الكريم هو كتاب هداية وتشريع وحياة، يتجلى ذلك في ألفاظه وعباراته، وفي أساليبه ومقاصده التي تجذب النفس، وتُحرّك الفطرة، وتُقنع العقل، وتُؤثر في القلب، وهو خطابٌ موجّهٌ إلى كافة الأجيال البشرية – إلى قيام الساعة – وقد حوى هذا الخطاب كلّ الوسائل الفعالة التي تحتاجها النفوس على مرّ الأزمنة والأمكنة؛ فهو يحاور ويجادل، يبرهن ويفحم، يرغّب ويرهّب، في مرونة وشدّة وقوة ورفق. وهذا حتى يتهيأ الإنسان لتلقي مبادئ الإسلام السامية، ولن يتأتى ذلك إلاّ إذا توفرت البيئة المتوازنة التي تراعي الفطرة البشرية ومكوناتها العقلية والعاطفية.

فجاءت هذه الدراسة لتجيب عن هذه الإشكالية: ماذا نعني بأسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني؟ وقد تفرعت عنها التساؤلات التالية:

- ماهي الأساليب القرآنية التي خاطبت عقل الإنسان وعاطفته؟
- وما مدى أهمية كلّ أسلوب من هذه الأساليب؟
- فيما تتجلى طريقة الموازنة بين الخطابين العقلي والعاطفي؟
- وما هو أثر الموازنة بين العقل والعاطفة في المخاطبين، وما هي مجالاتها؟

أهداف الدراسة:

يسعى هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- تجليةُ طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الإنسان، وحظّ كلٍّ من العقل والعاطفة من هذا الخطاب.
- بيانُ كمال الخطاب القرآني الذي أُنزل ليخاطب العقل والعاطفة وبأسلوب متوازنٍ.
- إبرازُ أهمية العقل والعاطفة معاً في تشكيل شخصية الإنسان.
- ترشيدُ عملية التفكُّر، وتجنيبُ العقل اتباع الهوى الذي يُفضي بصاحبه إلى الانحراف عن سواء السبيل.
- بيانُ خطورة وعواقب تغليب كفّة العقل على العاطفة، أو العكس، بحيث ينجذب الإنسان وراء عواطفه، خاصة في مجال الحقوق والشهادات.

- إظهارُ قيمة الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني، وأثرها في المخاطبين.
- المساهمة في إيجاد مناهج تربوية سليمة، ووسائل دعوية ناجعة، تُقوِّم سلوك الفرد، وتُصلح المجتمع.

الدراسات السابقة:

ما من دراسة جديدة إلاّ وتستند إلى بحوث سابقة، يبذل فيها الباحث وُسعه ويستفرغ جُهده في البحث عن مضامين موضوعه في تلك الدراسات، حتى ينطلق منها للاستزادة في بحثه، وتنقيح أفكاره واقتراح الأجوبة المناسبة لإشكاليته، وعليه فالدراسات ذات العلاقة بموضوع الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني – على حسب اطلاعي – هي:

الدراسة الأولى: "منهج القرآن في مخاطبة الإنسان بين العقل والعاطفة والفطرة"، لـ: إبراهيم ابن محمد بن جار الله الغفيص، وهي رسالة تقدّم بها صاحبها لنيل شهادة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام: **1423**هـ/**2003**م. وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة.

تناولت هذه الدراسة قضية مخاطبة القرآن الكريم للإنسان، أي: الأساليب التي استخدمها القرآن في خطابه للناس، وكذلك حظّ العقل والعاطفة والفطرة في أساليب الخطاب القرآني.

تحدّث الباحث في الباب الأول عن المعالم والسمات العامة لمنهج الخطاب في القرآن، فذكر أن من سمات الخطاب العامة: محافظته على كرامة الإنسان حال مخاطبته، وحفاظه على حرية الإرادة الإنسانية، وعن التدرج في الخطاب، وعن طَرْقِ أبواب المعرفة، والتأثير في الإنسان. ثم أشار إلى السمات العائدة إلى الأسلوب، فذكر منها: قضية التكرار في الخطاب القرآني، وتصريف الخطاب وتفصيله، وجرَس الخطاب ووقعه، ومناسبة الخطاب لحال المخاطبين...إلخ.

ثم انتقل في الباب الثاني إلى الحديث عن صيغة الخطاب القرآني وطبيعته، فذكر أن من صيّغه: الحديث المباشر، والقصة، وضرب الأمثال، والحوار والجدل، ثم عند تناوله لطبيعة الخطاب ذكر الترغيب والترهيب، والتنفير، والتبشير والتحبيب، إلى غير ذلك من الأساليب التي يظهر أن فيها وجه تداخل فيما بينها.

ثم تعرض الباحث في البابين الثالث والرابع إلى بلاغة الخطاب القرآني، فذكر التصوير ووقع الخطاب وجرسه في القرآن الكريم. كما تحدث عن الأساليب العائدة إلى المعاني، وأخرى عائدة إلى البيان.

ثم يأتي الباب الخامس والأخير ليتناول فيه الباحث – وفي فصول أربعة – مسالك خطاب القرآن للعقل، ومسالك خطاب العاطفة، والمسالك المشتركة بين العقل والعاطفة، وموقع الفطرة في خطاب القرآن الكريم.

هذا وقد قصر الباحث هذه الدراسة في حدود السور الثلاث الطوال – البقرة وآل عمران والنساء –، حيث قام بتتبع واستقصاء الآيات القرآنية من هذه السور، فيأتي بالشواهد على كلّ جزئية يتناولها، من دون أن يتوسع في الطرح. ويلاحظ على هذه الدراسة ثلاث ملاحظات هي:

الأولى: عدم تعرُّض الباحث لهدايات القرآن في الآيات التي يستشهد بها، فجاء البحث وكأنه جردٌ للآيات ذات الصلة بالموضوع، وفي صورة إحصائية صِرفةٍ.

الثانية: وهي توسعه في بعض التقسيمات، بحيث نلاحظه في عدّة مواضع ما يذكر بعض الجزئيات على أنها أساليب قائمة بذاتها، ولكن يبدو أن فيها تداخلاً بيّناً مع مثيلاتها والله أعلم. فمن ذلك أنه ذكر أسلوب الإشارة إلى القصص – وهو إيرادُ طرفٍ من القصة، أو الإشارةُ إليها بما لا يبلغ حدَّ القصة –؛ فهذا اللّون لا يمكن اعتباره أسلوباً قائماً بذاته، وإنما يندرجُ ضمن أسلوب القصص.

أيضاً عند تطرُّقه لصور الخطاب في القرآن الكريم، اعتبَر الحديثَ المباشر أسلوباً من أساليب الخطاب، مستبعداً العلاقة بينه وبين أساليب أخرى، كأسلوب ضرب الأمثال أو القصص أو الحوار؛ مع أن الواقع يأبى ذلك، والشواهد التي تدلُّ على أنه يدخل ضمن أساليب أخرى كثيرة.

الثالثة: أنه بالرغم من إفراده الباب الخامس لأساليب خطاب العقل وأساليب خطاب العاطفة، وكذا الأساليب المشتركة بينهما، بحيث يُفهم منه أنه أراد أن يكون هذا الباب حوصلةً لما تمَّ ذكره في الأبواب السابقة، إلاّ أنه يلاحظ عليه عدم تعرضه بشكلٍ واضحٍ لوجه الموازنة بين العقل والعاطفة.

وهذا ما سوف يحاول الباحث إبرازه والتركيز عليه في دراسته هذه.

لكن هذه الملاحظات لا تُنقص من قيمة هذه الدراسة؛ فهي جادة وعميقة في الوفاء بعنوانها، غير أنها تختلف عن الدراسة الحالية شكلاً ومضموناً، اللّهم إلاّ في بعض الجزئيات التي أفاد منها الباحث في إعداد خطة بحثه.

الدراسة الثانية: "الموازنة بين العقل والعاطفة في الدعوة إلى الله"، لـ: هديل بنت محسن بن مساعد العلوي العوفي، وهي عبارة عن دراسة تقدمت بها الباحثة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدعوة، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، بالمملكة العربية السعودية، سنة: **2015**م.

تقع هذه الرسالة في مقدمة وأربعة فصول، حيث جعلت الفصل الأول (التمهيدي) للتعريف بمفردات الدراسة وأهميتها، ثم ضمنت الفصل الثاني الموازنة بين العقل والعاطفة عند الدّاعية، من حيث شخصيته، ومهاراته، والآثار التي تُجسدها هذه الموازنة في نفسية الداعية نفسه. ثم انتقلت في الفصل الثالث إلى الحديث عن الموازنة بين العقل والعاطفة في التعامل مع المدعوين، وذلك من حيث أحوالهم، وكيفية التعامل معهم، وعن الآثار المترتبة على الموازنة بين العقل والعاطفة في المدعوين، ثم في الفصل الرابع والأخير تحدثت عن ضوابط الموازنة بين العقل والعاطفة في الدعوة إلى الله تعالى، فقسمتها إلى ضوابط: شرعية، ونفسية، واجتماعية.

ومما يلاحظ على الباحثة في دراستها هذه، عدم إبرازها للأساليب التي تُكَوّن في مجموعها منهج الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني.

وبين هذه الدراسة المذكورة والدراسة الحالية اختلافاً يكمن في كون الدراسة السابقة تناولت موضوع الدعوة إلى الله ﷻ.

والباحثة قد وُفقت في موضوعها هذا، لأنها عالجت إشكاليةً في غاية الأهمية، وهو أسلوب الموازنة في الدعوة إلى الله تعالى، وقد أفاد الباحث من دراستها هذه؛ خاصة في بعض الجزئيات ذات الصلة بموضوع البحث.

الدراسة الثالثة: "الخطاب القرآني بين العقل الصريح، والعاطفة الصادقة" – قراءة في إعجاز القرآن العلمي النفسي **–** لعماد بن عامر، وهذه الدراسة عبارة عن مقال منشور في مجلة الصوتيات

الصادرة عن مخبر اللّغة العربية وآدابها، جامعة البليدة **02** لونيسي علي، الجزائر، بتاريخ: **2017/01/10م**.

بدأ المؤلف في مُستهل دراسته بالحديث عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وأن من أهمها: مزاوجته بين الخطاب العلمي العقلي المؤيد بالحجج والبراهين على صدق دعواه، وبين الخطاب العاطفي الوجداني الذي يملك القلوب ويؤثر في النفوس.

فذكر أن من مميزات الخطاب العقلي في القرآن أنه لا يتعارض مع القواعد العلمية التي تقررها العقول السليمة؛ فلا يمكن أن يصادم أو يناقض النقل الصحيح العقل السليم، ونصّ أيضا على أن القرآن هو دين العلم والمعرفة، بدليل نزول أول سورة في القرآن الكريم يأمر فيها الله تعالى نبيَّه ﷺ بالقراءة وتمجيد القلم والعلم. ثم أشار إلى الكَمِّ الهائل من آيات الذكر الحكيم التي تدعوا إلى التفكر والنظر والاعتبار. إضافة إلى الآيات التي ورد فيها ذكر بعض علوم الطبيعة والأحياء، كتطور الجنين في بطن أمه، والمراحل التي يمرُّ بها إلى أن يولد. كما تعرض في بحثه إلى تلك الإشارات العلمية التي ذكرت الظواهر الجيولوجية من جبال وبحار وكواكب. ثم أشار إلى أساليب القرآن المتنوعة التي تدعو إلى توحيد الله ﷻ ونفي الشركاء مع الله ﷻ، وتؤكد صدق الرسالة وتُثبت البعث. فكلُّ هذه الأساليب والإشارات تهدف إلى مخاطبة العقل البشري.

ثم انتقل للحديث عن الخطاب الوجداني، وكيفية التأثير في النفوس البشرية، وهذا من خلال الإشارة إلى العديد من الأساليب، كأسلوب الترهيب والوعيد للفئة الكافرة، وأسلوب الترغيب والتبشير للفئة المؤمنة. أيضا توظيف القرآن الكريم للأسلوب القصصي، لما فيه من تسلية للقلوب المؤمنة، وتوعد العصاة والكافرين من أن يُصيبهم مصير المكذبين والجاحدين من الأمم الغابرة. كما تحدث المؤلف عن التناغم الصوتي في حروف القرآن الكريم وكلماته وآياته، وعن الأثر الذي يتركه في نفوس من يستمع إلى القرآن الكريم، حتى مع الذين لا يفقهون من اللّغة العربية حرفاً واحداً.

والبحث وإن بَدَا مختصراً حيث لم يتجاوز عددُ صفحاته التسع، إلاّ أنه مفيد في بابه، بحيث يُمكّن القارئَ من تصوّر موضوع التوازن بين الخطاب العقلي والعاطفي في القرآن الكريم، وقد أفاد منه الباحث خاصة في إعداد خطة دراسته.

وهناك دراسات تناولت جانباً واحداً من أساليب الخطاب القرآني، سواء تلك التي تتعلق بمخاطبة الجانب العقلي في القرآن الكريم أو الجانب العاطفي، يمكن إجمالها في هذه الدراسات.

الدراسة الرابعة: "مناهج الجدل في القرآن الكريم"، من تأليف: زاهر عواض الألمعيّ. الكتاب له ثلاث طبعات – في حدود ما اطلع عليه الباحث -: **1399هـ-1400هـ-1404هـ**، وهو في الأصل رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر لعام **1399هـ/1973م**، وقد جاءت الدراسة في خمسة أبواب؛ فجعل الباب الأول مدخلاً إلى علم الجدل، من حيث مفهومه اللّغوي والاصطلاحي، وكذا نشأة علم الجدل وأسباب انتشاره، كما تعرض في هذا الباب إلى الجدال الممدوح والجدال المذموم، فذكر جدال الملائكة وجدال إبليس، والفرق بينهما. أما الباب الثاني فجعله لطُرُق الاستدلال القرآني وعلاقته بالجدل. ثم عَقدَ الباب الثالث للحديث عن الفرق بين الاستدلال القرآني والاستدلال اليوناني، ليُثبت أن لا علاقة بين الاستدلالين، وأن للقرآن الكريم منهجاً فريداً في طُرق الاستدلال. ثم يأتي الباب الرابع ليتكلم فيه عن موضوعات الجدل في القرآن الكريم؛ كالجدل في إثبات وجود الله، والجدل في وحدانية الله، والجدل في إثبات الرسالات السماوية، والجدل في إثبات البعث والجزاء، والجدل في التشريعات، ...إلخ. ثم ينتهي به المقام في الباب الخامس الذي عقده لخصائص الجدل في القرآن الكريم.

والكتاب قيّم في بابه، قد استوعب الباحث أطراف موضوعه، كما تميّز بأسلوبه الجيّد ولغته الرّصينة، وقد أفاد الباحث منه في بعض مواضع دراسته، خاصة عند تناوله لأسلوب الحوار والجدل في الخطاب القرآني.

الدراسة الخامسة: "الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله" لـ: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه، من قسم العقيدة، كلية الدّعوة وأصول الدّين، الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية – على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم –، وقد طُبعت من قبل: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، **1424هـ/2003م**.

جاءت هذه الرسالة في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، فكان الباب الأول للتعريف بمفردات العنوان، ثم في الباب الثاني تطَرق للأمثال المضروبة لاستنارة قلوب المؤمنين، وظلمة قلوب الكافرين، وهذا من

خلال سورة النور، ثم ضِمنَ الباب الثالث تحدّث عن الأمثال المضافة إلى الله تعالى. والدراسة كما هو ظاهر قد ركزت على الجانب العقدي، وهي مفيدة في بابها، وقد أفاد الباحث منها.

الدراسة السادسة: "الأسلوب العاطفي والوجداني في الخطاب القرآني" لعزام فرحان الربيعي، وهو بحث منشور بمجلة الباحث، العدد الثالث والثلاثون، لعام **2019**م.

قام الباحث بدراسة أسلوب الخطاب القرآني المعتمد على إثارة العواطف الإنسانية والمشاعر الوجدانية، فبعد أن عرّف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث، بيّن أن التحبُب والتودد هو الأسلوب الأنفع والأنجع في الدعوة إلى الله ﷻ، وأنّ مسالك الدعوة وتبليغ الأحكام تقوم على تعابير المحبة واللّطف التي تؤثر في المشاعر الإنسانية، وتأسر القلوب، وقد قدّم أدلةً وشواهد أثبت من خلالها، أن هذا الأسلوب قد وظفه القرآن الكريم في خطابه، ويظهر ذلك في طريقة الأنبياء في دعوة أقوامهم. ثم بيّن أن أغلب الخطاب الوارد في القرآن الكريم قد استعمل هذه التعابير المحببة والمرغبة، والتي تدعو إلى الحوار، وتقبلُ الرأي الآخر، مُفندا بالدليل رأيَ من يقول من المستشرقين: إن الخطاب القرآني قد اشتمل على ألفاظ كثيرة فيها الشدّة والغلظة، وتدعو إلى الخشونة والعنف والتهديد والوعيد، فأثبت أن هذا المسلك هو خلاف الأصل، ولم يُستعمل إلاّ نادراً، وفي مواضع مخصوصة، وعند الضرورة القصوى؛ عند اليأس من الكفار والمحاربين للإسلام والمسلمين، أو في الحالات التي تتطلب زجر وردع العصاة من المسلمين، كما أن هذه الألفاظ الداعية إلى الزجر أو الردع عادة ما تكون مسبوقةً أو ملحوقةً بتعابير الرحمة والمحبة والتودد، والهدف من هذه الألفاظ أو تلك هو الهداية والإصلاح.

وبناء عليه فالباحث قد وُفق ومن خلال بحثه هذا إلى إبراز أحد أساليب القرآن الكريم التي خاطبت عاطفة ووجدان الإنسان، والتي تقابل الأساليب العقلية.

وكخلاصة لما تقدّم عرضه من دراسات سابقة، فإن الباحث قد أراد من خلال اطلاعه على هذه الدراسات والاستفادة منها، إلى جمع وترتيب وتهذيب تلك الأساليب الواردة في الخطاب القرآني التي أشار إليها الباحثون، وتكميل مالم يتطرقوا إليه، مع النظر في بعض الآراء التي ظهر للباحث أنها تحتاج إلى إعادة توجيه. وفي هذه الأربعة الأمور تكمن الإضافة العلمية في هذه الدراسة.

المنهج المتبع في هذه الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، والتحليلي، والمقارن. ولتجسيد ذلك قام أولاً:

بالتعريف بالأساليب الواردة في هذه الدراسة، مع بيان أهميتها وخصائصها، ومن ثَمَّ توصيف بعض الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.

وأمّا المنهج التحليلي فيظهر في عرض أقوال المفسرين ودراستها بالبحث في مدلولاتها ومعانيها بالتحليل والتركيب، باعتبارها المصدر الأساسي في هذا النوع من الدراسات.

ثم المنهج المقارن الذي ظهر من خلال دراسة المنهجين العقلي والعاطفي، ومقابلة كلّ منهما، وبيان خصائصهما.

التزامات البحث:

اتبع الباحث في تحقيق هذا العنصر ما يلي:

- الالتزامُ بعزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة ثم رقمها في المتن حتى لا يثقل الهامش، خاصة في مثل هذا النوع من الدراسات القرآنية، وقد اعتمد في كتابة الآيات الكريمة على مصحف ورش للنشر الحاسوبي.
- إيرادُ المعلومات كاملةً عن المصدر أو المرجع الذي يُذكر في الهامش لأول مرة في البحث من حيث: (اسم المؤلف كاملاً، اسم المؤلَّف (الكتاب)، المحقق إن وجد، دار النشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، (الجزء/ الصفحة)، هذه المعلومات تُذكر متى توفَّر المرجع عليها، وإلاّ اقتُصِر على ما ورد فيه، وعند استعمال المرجع مرّة أخرى يكتفي الباحث بذكر: (اسم المؤلِّف مختصرا ثم اسم المؤلَّف (الكتاب) مختصرا، ثم (الجزء والصفحة).
- الاستشهادُ بالسنة النبوية الصحيحة، لتدعيم موضوعات البحث، مع تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفى الباحث بهما، وإن كانت في غيرهما اكتفى بمرجع واحد مع إيراد مرتبة الحديث من خلال حكم أئمة الحديث عليه.

- الاستعانة بما قدَّمه العقل البشري من دراسات نفسية وتربوية إسلامية تخدم مجال البحث، بحكم صلة هذا الموضوع بالمخاطَب (الإنسان).
- أيضا الاستعانة بالكتب والرسائل العلمية ذات العلاقة المباشرة، أو غير المباشرة بموضوع الدراسة.
- ترجمة الأعلام الذين وردت أسماؤهم في هذه الدراسة، مع استثناء الصحابة – رضي الله عنهم – وكذا الأئمة الأربعة – رحمهم الله تعالى – لشهرتهم.
- التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة الواردة في الدراسة.
- وضع النصوص المقتبسة بين مزدوجتين هكذا " "، فإن كان الاقتباس حرفيا يعزو الباحث مباشرة إلى المصدر أو المرجع، وإن كان الاقتباس متصرفا فيه أشار في الهامش إلى المصدر أو المرجع بإيراد كلمة "ينظر".
- إذا زيدت كلمة في النصّ المقتبس يجعل ذلك بين معكوفتين هكذا [...].
- إذا نقل من صفحتين متتاليتين يذكر رقم الصفحة الأولى ويقول "وما بعدها".
- إذا كان الكتاب بدون طبعة، أشار إليه في الهامش بين قوسين كبيرين هكذا (د.ط)، وكذلك إذا لم يُعرف له تاريخ النشر، أشار إليه هكذا (د.ت)، أي بدون تاريخ.
- وضع فهرسة علمية تشمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار الصحابة، والأبيات الشعرية، والأعلام، والمفردات الغريبة، والمصادر والمراجع المعتمدة مرتبة ترتيبا هجائيا.
- أيضا ومما يحسن الإشارة إليه في هذا المقام، أن ثمت أساليب في القرآن الكريم لم يُدرجها الباحث ضمن دراسته؛ إما بسبب تقاربها وتشابهها مع أساليب تمت معالجتها في هذا البحث، كأسلوب الوعد والوعيد، وأسلوب التبشير والتنفير، وأسلوب الجدل في القرآن الكريم، أو بسبب أن هناك أساليب قد تضم في طياتها أكثر من أسلوب، وهذا كأسلوب القصص القرآني، فإنه أسلوب جامع لعدد من الأساليب السالفة الذكر، فهذا يصلح أن يكون دراسة قائمة بذاتها، وبالتالي فهذه الدراسة لا تعبّر عن كلّ الأساليب الواردة في القرآن الكريم.

صعوبات البحث:

ما من عمل يُقدِم عليه الإنسان إلا وتُواجهه صعوبات جمّة لاسيما كتابةُ بحث أكاديميّ، ولعلّ أهم الصعوبات التي اعترت الباحث في دراسته هذه هي:

- تشعب الموضوع وكثرة الأفكار الواردة فيه، وتنوع آراء المفسرين في المسألة الواحدة.
- صعوبة الربط بين المنهجين العقلي والعاطفي للخروج بنتيجة تُظهر وجه الموازنة بين الخطابين.
- حساسيةُ الموضوع وخشية الوقوع في المحظور؛ لأن التعامل مع كتاب الله الكريم يختلف عن غيره من المؤلفات البشرية، فكثيرا ما يجد الباحث نفسه مضطرا إلى الاستغناء عن كلام، وإن كان ظاهره يخدم موضوعه، لأن فيه شبهة الوقوع في الزلل.
- دون أن ننسى الصعوبات التي تواجه كل من سار على درب البحث العلمي، والتي تتمثل في قلّة المكتبات الجامعية التي تُوفر للباحث المادة العلمية الضرورية لدراسته. وكذلك نُدرة مراكز البحث العلمي، التي من شأنها توفير البيئة المناسبة للبحث والتقصي.

مصادر ومراجع البحث:

وفيما يخصّ مصادر ومراجع هذه الدراسة، فقد اعتمد الباحث على أمّهات كتب التفسير، مع محاولة التنويع بين القديم والحديث منها، هذا من جهة، بالإضافة إلى كتب فكرية ودعوية لها علاقة بموضوع الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني، فمثلاً اعتمد فيما يتعلق بكتب التفسير على باقة منها: "جامع البيان في تأويل آي القرآن" لابن جرير الطبري، و"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، وأيضا "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور، و" في ظلال القرآن" لسيّد قطب، وغيرها. وأما فيما يخصّ معاجم اللّغة العربية، فاعتمد على "معجم مقاييس اللّغة" لابن فارس، و"لسان العرب" لابن منظور، وغيرهما، هذا بالإضافة إلى معجم ألفاظ القرآن الكريم.

كما استفاد الباحث من بعض المؤلفات التي تناولت جانباً واحداً من أساليب الخطاب القرآني، ككتاب: "استخراج الجدال من القرآن الكريم"، لأبي الفرج ابن الحنبلي، وكتاب: "الحجاج في القرآن الكريم" لعبد الله صولة. وكتاب "الأمثال القرآنية" لمحمد بكر إسماعيل، و"الحوار في القرآن الكريم"، لفضل الله محمد حسين فضل الله، إلى غير ذلك من الكتب المتنوعة والمفيدة في بابها.

خطة البحث:

انتظمت هذه الدراسة في مقدمة، وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة؛ وفهارس علمية، وهي على النحو الآتي:

فبعد المقدمة ذكرت **فصلاً تمهيدياً** ضمنته التعريف بمفردات الدراسة؛ فتطرقتُ إلى مفهوم الأسلوب والموازنة، ومواردها في القرآن الكريم، ثم عالجت مصطلح العقل، فتناولت مفهومه، ومرادفاته في القرآن الكريم، ثم تكلمت عن العاطفة ومكانتها، وفي الأخير بيّنتُ أهم خصائص الأسلوب القرآني.

ثم جاء **الفصل الأول** ليتناول أهم الأساليب العقلية الواردة في القرآن الكريم، وكان من أبرزها: أسلوب الحجاج، وأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب الحوار.

وأما **الفصل الثاني**: فقد تكفل بعرض أهم الأساليب العاطفية في الخطاب القرآني، فمهدتُ له بمبحث عالجت فيه تأثير القرآن الكريم في المخاطبين، ثم تطرقت إلى أسوب الموعظة الحسنة ومسالكها في القرآن الكريم، وإلى أسلوب القدوة الحسنة في القرآن الكريم.

ثم يأتي **الفصل الثالث** ليعالج أولاً: تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في القرآن الكريم، من مرافقة العقل للعاطفة في مسائل العقيدة، وفي الأحكام التشريعية، ثم تناولت تعارض العقل مع العاطفة في الخطاب القرآني، كصعوبة بعض التكاليف الشرعية على الأنفس، ثم أنهيت الفصل بالحديث عن أثر التوازن بين العقل والعاطفة في المخاطبين.

وأما **الخاتمة** فتحتوي على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، مع ذكر التوصيات التي يقترحها في نهاية دراسته.

الفصل التمهيدي: التعريف بالعقل والعاطفة ومكانتهما وسمات الخطاب القرآني

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم أسلوب الموازنة ومواردها في القرآن الكريم

المبحث الثاني: مفهوم العقل ومكانته في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم العاطفة ومكانتها من الخطاب العقلي

المبحث الرابع: السمات العامة للخطاب القرآني

المبحث الأول: مفهوم أسلوب الموازنة ومواردها في القرآن الكريم

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: تعريف الموازنة لغة واصطلاحا

المطلب الثالث: موارد الموازنة في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: تعريف الأسلوب لغة:

لقد أشارت المعاجم اللّغوية إلى مفهوم الأسلوب في العديد من المواضع، فقالوا: "للسطر من النخيل أسلوب، وكلّ طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب. يقال: أنتم في أسلوب شرّ، ويجمع أساليب."[1]

وفي "أساس البلاغة "مادة (سلب):" سلبه ثوبه وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السلاب وهو الحداد، وتسلّبت وسلبت على ميّتها فهي مسلب، والإحداد على الزوج، والتسليب عام، وسلكت أسلوب فلان طريقته وكلامه على أساليب حسنة[2].

والأسلوب بالضمّ: الفنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه[3]، والسّلب ما يسلب والجمع أسلاب[4].

يظهر مما ذُكر آنفاً أنّ أصحاب المعاجم جعلوا الأسلوب قسمين: قسم حسيّ، وآخر معنويّ، فأما الحسيّ: فمثلوا له بالطريق المسلوك والممتد، وكسطر النخيل المنتظم في صفّ واحد، وأما المعنويّ، فهو عندهم عبارة عن معاني نفسية أو أدبية، فيقولون: أسلوب الكلام، أي فنّ القول، وأسلوب الكتابة، أيّ: الطريقة المتبعة في الكتابة.

---

[1]- الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري(ت:370هـ)، تهذيب اللّغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 01، 2001م، الجزء 12، ص302.

[2]- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد(ت:538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1419هـ- 1998م، الجزء01، ص 468.

[3]- ينظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم(ت:711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة03، 1414هـ، الجزء01، ص473.

[4]- ينظر: الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي(ت:770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، الجزء01، ص284.

الفرع الثاني: تعريف الأسلوب اصطلاحا

ترجع أول إشارة لمصطلح الأسلوب إلى بعض الأعمال العربية القديمة، [كـ]:"الديوان" لابن هانئ الأندلسي،[1]ومقدمة "شرح ديوان الحماسة"[2] للمرزوقي [3]، و"إعجاز القرآن الكريم" للباقلاني [4]، الذي نصّ على أنّ نظم القرآن جنس متميّز وأسلوب متخصّص وقبيل عن النظير متخلّص...ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، كما أوضح أنّ لكلّ شاعر أو كاتب طريقة يعرف بها وتنسب إليه[5].

---

[1]– هو محمد بن هانئ، أبو القاسم الأزدي الأندلسي، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق، ولد بإشبيلية ونشأ بها، له ديوان شعريّ تعدّت شهرته بلاد الأندلس. توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة للهجرة وقد جاوز الأربعين. ينظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت:626هـ)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة01، 1414هـ-1993م، الجزء 6، الصفحة 2667، رقم:1128.

[2] – ينظر: المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت:421هـ)، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة01، 1411هـ- 1991م، الجزء01، ص04.

[3] – هو أحمد بن محمد بن الحسن، أبو علي المرزوقي الأصبهاني، كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج، وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة، من كتبه: "شرح الحماسة لأبي تمام"، مات سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، الجزء02، ص506، رقم:183.

[4]– هو أبو بكر محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر، المعروف بابن الباقلاني، القاضي المالكي، الفقيه الأصولي المتكلّم المشهور، درس على أبي بكر بن مجاهد، وأبي بكر الأبهري، وابن أبي زيد، وأخذ عنه جماعة منهم: أبو ذرّ الهروي، وأبو محمد عبد الوهاب بن نصر، وعلي بن محمد الحربي. من مؤلفاته: "التقريب والإرشاد". توفي سنة ثلاث وأربع مائة. ينظر: أبو بكر، أحمد بن علي، الخطيب البغدادي(463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة01، 1422هـ-2002م، الجزء03، ص364، رقم: 927. ومحمد بن محمد بن سالم مخلوف(1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة01، 1424هـ-2003م، الجزء01، ص139، رقم: 247.

[5]– ينظر: الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيّب(ت:403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة 05، 1997م، ص69، 79، 120.

أما ابن خلدون،[1]فقد تعرّض لتعريف الأسلوب في فصل "**صناعة الشعر ووجه تعلّمه**"، فقال:" الأسلوب عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه...، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كليّة باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك صورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيّرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرُصُّها رصّاً".[2]

فالأسلوب في نظر ابن خلدون، هو ذلك الأداء اللّفظي المطابق للصورة الذهنية، الذي ينجم عن ملكة في اللّسان العربي.

أما الباحثون المعاصرون فقد عرّفوا الأسلوب بأنّه: "طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير".[3]

وقيل: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلّم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام أو فنّه الذي انفرد به المتكلّم.[4]

---

[1]– هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: الإشبيلي أصلاً التونسي مولداً. أخذ عن أعلام منهم والده، وأبي عبد الله محمد بن بدال، وأبي العباس القصار، وأبي عبد الله الشريف التلمساني. وعنه جلّة منهم ابن مرزوق الحفيد، وابن حجر العسقلاني. شرَحَ البُردة، ولخَّص محصل الفخر الرازي وألّف في الحساب وأصول الفقه وألّف تاريخه السير والعبر المشهور، تولى قضاء القضاة بالقاهرة. توفي سنة 807هـ. ينظر: محمد بن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء01، ص327، رقم: 846.

[2]– ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت:807هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدّرويش، الطبعة01، 1425هـ-2004م، دار يعرب، دمشق، الجزء02، ص397.

[3]– أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة 08، 1991م، ص44.

[4]– ينظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة03، (د.ت)، الجزء02، ص303.

فالأسلوب في الاصطلاح يكاد يتفق مع القسم المعنوي للوضع اللّغوي – حين تنتقل الكلمات من معانيها الحسيّة إلى المعاني المعقولة أو الأدبية –، فهو يعني الطريقة في القول أو الكتابة على حدّ الباقلاني، أو القالب والمنوال كما عبّر بذلك ابن خلدون، وهو المذهب نفسه الذي جَنَح إليه المحْدَثُون، وإن تباينت عباراتهم.

هذا وقد قسّم أهل اللّغة والبلاغة الأسلوب إلى قسمين: علميّ وأدبيّ، وذكروا لكلّ نوع منها خصائص تميّز بها عن الآخر يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أولاً: الأسلوب العلمي

الفرق الجوهري الذي يُميز الأسلوب العلمي عن نظيره الأدبي، هو موضوع الحديث، والفكرة التي يكشف عنها، فالأسلوب العلمي: يتناول حقائق ثابتة يُراد شرحها وتلخيصها لتقرّ في الأذهان، والهدف منها هو: إقناع القارئ أو المستمع بالنتائج التي يتوصل إليها[1]، وهو يخاطب العقل البشري بالدرجة الأولى.

ثانياً: الأسلوب الأدبي:

الأسلوب الأدبي كالأسلوب العلمي فيه أفكار وله ألفاظ تحمل تلك الأفكار، والاختلاف بينهما يأتي من حيث نوع الفكرة التي يؤديها كلٌّ منهما، والعبارات الدالة عليها، "فالأسلوب الأدبي لا يتناول الحقائق الثابتة، لكنه يبحث في معان وليدة الإحساس والشعور، وقد تكون الفكرة في الأسلوب الأدبي حقيقة ثابتة لكنّ الأديب لا يعرضها في قوالب جافة وقوانين منطقية بل يعرضها عرضا أدبياً أخاذاً".[2]

---

[1]– ينظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة 01، 1413هـ – 1992م، الجزء 01، ص46.

[2]– المطعني، المرجع نفسه، الجزء01 ص46.

أما المشتغلون بالدعوة فالأسلوب عندهم هو:" عرض ما يُراد عرضه من معان وأفكار وقضايا، في عبارات وجُمل مختارة، لتُناسِب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكلّ مقام من مقال[1]".

وتعود الأساليب الدعوية في مجملها إلى أربع مجموعات، هي:

الأولى: الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان، والتي بمجموعها تمُثل **المنهج العاطفي**، كأسلوب الوعظ والتذكير، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها، وأسلوب الدُّعاء.

الثانية: مجموعة الأساليب التي تدعو إلى التفكُّر والتدبر والاعتبار، والتي بمجموعها تمُثل **المنهج العقلي**، كأسلوب المقارنة بين الحسن والقبيح، وأسلوب التشبيه، وأسلوب الحجاج والمناظرة، وأسلوب التوضيح والتعليل العقلي.

الثالثة: مجموعة الأساليب التي تعتمد على الحسّ والتجارب الانسانية، والتي بمجموعها تمثل **المنهج الحسيّ**، كأسلوب ذكر الداعية تجاربه وما يظهر عليه، وأسلوب تحفيظ المدعو، وأسلوب الإحسان للمدعوين ومساعدتهم.

الرابعة: الأساليب العامة، والتي تشمل الأساليب السابقة، أو بعضها، كأسلوب الخطابة، وأسلوب القصص، وأسلوب التعليم، وأسلوب السؤال والجواب.[2]

---

[1]- أبابطين أحمد بن محمد، المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1409هـ، ص533.

[2]- ناصر بن سعيد السيف، أساليب الدعوة إلى الله تعالى، موقع صيد الفوائد، **www.saaid.net** اطلع عليه بتاريخ:2021/06/19 على الساعة: 16.20.

المطلب الثاني: مفهوم الموازنة في اللّغة والاصطلاح

الفرع الأول: تعريف الموازنة لغة

ورد في "معجم مقاييس اللّغة": "(وزن) الواو والزاء[1] والنون: بناء يدلّ على تعديل واستقامة: وزنت الشيء وزنا، والزنة قدر وزن الشيء، والأصل وزنة. ويقال: قام ميزان النهار، إذا انتصف النهار، وهذا يوازن ذلك، أي محاذيه، ووزين الرأي معتدله، وهو راجح الوزن، إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدّة العقل"[2].

وفي "مختار الصحاح": وزن: (الميزان) معروف، و (وزن) الشّيء من باب وعد و (زنة) أيضا. ويقال: (وزنت) فلانا ووزنت لفلان...، وهذا يزن درهما. قلت: معناه أنّه يساوي درهما في القيمة لا في الثّقل ... ودرهم (وازن)، و (وازن) بين الشّيئين موازنة و (وزانا). وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه. ويقال: (وزن) المعطى (واتّزن) الآخذ كما يقال: نقد المعطى وانتقد الآخذ[3].

أما في "المصباح المنير": " وزنت الشيء لزيد أزنه وزنا من باب وعد...ووزن الشيء نفسه: ثقل فهو وازن، وما أقمت له وزنا: كناية عن الإهمال والإطراح"[4].

---

[1]- يقال لهذا الحرف من حروف الهجاء: زايٌ، وزاءٌ ممدودٌ. ينظر: الأزدي، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي، الملقب بـ «كراع النمل»، (ت: 309هـ)، المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة:01، 1409هـ- 1989م، ص504.

[2]- أحمد ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا(ت:395هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)،1399 هـ- 1979م، الجزء06، ص107، باب الواو والزاي.

[3]- ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت:666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة05، 1420هـ، ص337، مادة: وزن.

[4]- الفيومي، المصباح المنير، الجزء02، ص658، مادة: وزن.

ويقال: وازنت بين الشيئين موازنة ووزانا، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه. ووازنه: عادله وقابله، وهو وزنه وزنته ووزانه وبوزانه، أي: قبالته[1].

وكخلاصة لهذه التعريفات يمكن القول أنّ الموازنة – على زنة المفاعلة – تعني مقابلة شيء بشيء ومعادلته ومحاذاته به، سواء كان الشيء حسيّا أو معنويا، وهذا الأخير(المعنوي) هو الأقرب لموضوع البحث.

الفرع الثاني: تعريف الموازنة اصطلاحا

تناول العلماء مصطلح الموازنة بالبيان والتأصيل، وهذا ضمن دراساتهم لفقه الموازنات، وفي هذا يرى ابن تيمية [2]: "أنّ الشّريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها وأنّها تُرجّح خير الخيرين وشرّ الشّرّين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين

---

[1]– ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء13، ص447 وما بعدها.

[2]– هو أحمد بن عبد الحليم بن محمد بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، تقي الدين أبو العباس شيخ الإسلام، ولد سنة إحدى وستين وستمائة بحرّان. أخذ الفقه والأصول عن والده وبَرز في علوم كثيرة، وتأهل للتدريس والفتوى وهو دون العشرين من عمره. له مؤلفات كثيرة منها: مجموع الفتاوى، درء تعارض العقل والنقل، وكتاب الإيمان، وغيرها. حُبِس في سجن القلعة بدمشق ومات بها سنة 728هـ. ينظر: السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد(ت:795هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة01، 1425هـ-2005م، الجزء04، ص493 وما بعدها.

باحتمال أدناهما".[1] ويلخصّ ابن القيّم [2] ما أورده ابن تيمية بتعبير جامع مانع، فيقول: [هي] "تحرّي خير الخيرين، ودفع شرّ الشرين"[3].

بينما يعتبر العزّ بن عبد السلام [4] الموازنة واختيار الأفضل والأرجح، مسألة فطرية وبدهية في الناس، حيث يقول: "واعلم أنّ تقديم الأصلح فالأصلح ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد نظرا لهم من ربّ الأرباب، ...ولا يُقدِّم الصّالح على الأصلح إلّا جاهل بفضل الأصلح، أو شقيّ متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التّفاوت"[5].

وقد عرَّف المعاصرون الموازنة بمجموعة من التعاريف يمكن ذِكرُ بعضٍ منها:

---

[1]– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (د ط)، 1416هـ-1995م، الجزء20، ص48.

[2]– هو محمّد بن أبي بكر بن أيوب، الدمشقي الفقيه الأصولي، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيّم الجوزية. ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، سمع من الشهاب النابلسي العابر، والقاضي تقي الدين سليمان، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه. له مؤلفات كثيرة منها: " زاد المعاد في هدي خير العباد "، و" إعلام الموقعين عن رب العالمين " وغيرها. توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. ينظر: السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، ذيل طبقات الحنابلة، الجزء05، ص176.

[3]– ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، دار عطاءات العلم، الرياض– دار ابن حزم، بيروت، الطبعة04، 1440هـ-2019م، الجزء02، ص626.

[4]– هو عبد العزيز بن عبد السّلام بن أبي القاسم، أحد الأئمة، ولد سنة سبع أو سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، تفقه على الشّيخ فخر الدّين ابن عساكر، وقرأ الأصول على الشّيخ سيف الدّين الآمديّ وغيرهما. روى عنه ابن دقيق العيد وعلاء الدّين أبو الحسن الباجيّ وخلائق، درّس بدمشق، وولي الخطابة والإمامة بالجامع الأموي. من مؤلفاته: "القواعد الكبرى" وكتاب "مجاز القرآن"، توفّي سنة ستّين وستمائة بالقاهرة. ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة02، 1413هـ، الجزء08، ص248.

[5]– أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ط)، 1414هـ-1991م، الجزء01، ص07.

قال أحمد الريسوني [1]: "حينما نقول الموازنة والترجيح، فمعناه: نوازن لنرى أوزن الأمرين من حيث الصلاح والنفع، ولنرى أوزن الأمرين من حيث فساده وضرره، فيترجّح الراجح، ويظهر المرجوح"[2]. وقال غيره: "فقه الموازنات هو مجموعة الأسس والمعايير التي تضبط عملية الموازنة بين المصالح المتعارضة، أو المفاسد المتعارضة، أو المفاسد المتعارضة مع المصالح، ليتبين بذلك أيّ المصلحتين أرجح فتقدّم على غيرها وأيّ المفسدتين أعظم خطرا فيقدّم درؤها".[3]

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الباب أن الموازنة تقتضي اعتبار الشرع في التمييز بين المصالح والمفاسد؛ فلا يعتبر العقل وحده، لأن هذا الأخير قد يخطئ في التمييز بين المصلحة والمفسدة.

وبناءً على ما سبق نستخلص أن الموازنة تعني الاعتدال والتوسط وتقديم الأولى من الأمور، رجاء تحقيق مصلحة، أو دفع مفسدة.

ولا يزال الإنسان يعيش في سعادة ما دام محافظاً على التوازن بين أمور حياته المختلفة، أما إن غلَّب كفةً على كفة، فهنا يقع في الاضطراب ويحصل له الخلل؛ فلا إفراط ولا تفريط سواء تعلَّق الأمر بأمور دنياه أو دينه.

---

[1]- هو أحمد بن عبد السلام بن محمد الرّيسوني، من مواليد 1953م بقرية أولاد سلطان بإقليم العرائش بشمال المملكة المغربية، التحق بجامعة القرويين بفاس وحصل منها على الإجازة في الشريعة سنة 1978م، ثم بعدها نال شهادة الدكتوراه في أصول الفقه عام 1992م. اشتغل بالتدريس، وله العديد من المؤلفات والمشاركات العلمية من أهمها: "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي". ينظر: الموقع الرسمي للأستاذ أحمد الرّيسوني، السيرة الذاتية، اطلع عليه بتاريخ 19يونيو 2021. **https://raissouni.net**

[2]- أحمد الرّيسوني، محاضرات في مقاصد الشريعة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة03، 1435هـ-2014م، ص202.

[3]- السّوسوة، عبد المجيد محمد، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة01، 1425هـ-2004م، ص13.

المطلب الثالث: موارد الموازنة في القرآن الكريم

وردت لفظةُ الوزن ومرادفاتها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم[1]، ما يدلّ على أهمية الوزن والموازنة في الخطاب القرآني، فمن هذه الألفاظ التي تفيد معنى الموازنة:

الفرع الأول: الوزن والميزان:[2]قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝7 أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝8 وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾[سورة الرحمن:**7-9**]

الميزان: أصله اسم آلة الوزن، والوزن: تقدير تعادل الأشياء، وضبط مقادير ثقلها.[3]

قال الطبري[4]: "(وضع الميزان) أي وضع العدل بين خلقه في الأرض، ثم حذّرهم من أن يظلموا ويبخسوا في الوزن"[5]. وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ

---

(1) ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1364هـ، ص 750.

(2)- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المرجع نفسه، ص 750.

(3)- ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد(ت:1393هـ)، "التحرير والتنوير"، المسمى: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984م، الجزء27، ص237.

(4)- هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أحد الأئمة، وُلد بآمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين. سمع من أحمد بن منيع، وأبي كريب، وهناد بن السري، وخلائق. روى عنه الطبراني وأحمد ابن كامل وطائفة. من مصنفاته: "تاريخ الرسل والملوك". توفي سنة عشر وثلاثمائة. ينظر: السيوطي، جلال الدين(ت:911هـ)، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة01، 1396هـ، ص97.

(5)- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت:310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة01، 1422هـ-2001م، الجزء22، ص177.

﴾ [سورة الحديد:**25**] أي: وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وهذا للآخرة، والميزان بالعدل للدنيا.[1]

وقد توعد الله سبحانه من يخل بالوزن والميزان، فقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ ﴾[سورة المطففين:**1-2**]

الفرع الثاني: العدل والاعتدال:[2]قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿115﴾ ﴾[سورة الأنعام:**115**]، فكلمة عدل من الألفاظ المرادفة للموازنة، أي: صدقاً فيما وعد وعدلاً فيما حكم، وقيل صدقاً فيما أخبر عن القرون الماضية والأمم الخالية، وعما هو كائن إلى قيام الساعة، وعدلاً فيما حكم من الأمر والنهي والحلال والحرام وسائر الأحكام،[3]وهذا من التوازن الذي جاء به الشرع الحنيف. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ⑦ ﴾ [سورة الانفطار:**7**]، أي: جعلك قائما معتدلا حسن الصّورة، وقيل: سواك أي: سوى بين يديك ورجليك وعينيك وأذنيك، ووضع كلّ شيء موضعه[4].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، الجزء22، ص424.

[2]- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص448.

[3]- القنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان(ت:1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1412هـ-1992م، الجزء04، ص226.

[4]- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد(ت:489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة01، 1418هـ-1997م، الجزء06، ص174.

الفرع الثالث: التقدير:[1] التقدير يعني القياس الذي ينطوي على المساواة والموازنة، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝2﴾[سورة الفرقان:2]، "فقدّره تقديرا" أي: سواه وهيأه لما يصلح له، لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قَدَّر كلّ شيء تقديرا من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق"[2].

الفرع الرابع: التسوية:[3] وهي بمعنى المساواة والعدل والموازنة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝38﴾[سورة القيامة: 38]، وقوله سبحانه:﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝2﴾[سورة الأعلى: 3] ، أي: الذي خلق الأشياء فسوى خلقها وعدلها؛ {والتسوية: التعديل}[4]، وبيّن مقادير الأشياء ومنافعها، ومقدار لبثها ووقت فنائها[5].

فيتجلى لكلّ من أُوتي عقلاً يتفكر به ويتدبر في آيات الله الكونية والشرعية، المساواة والتوازن في حكمه ﷻ، وفي خلقه جلّ جلاله؛ فكلّ هذه الألفاظ تُؤدي إلى حقيقة الموازنة، والتي تعني المعادلة والتقدير والمساواة والمحاذاة. قال صاحب التفسير الكبير: "يقول الناس في كلّ أمر محكم، هو معمول على تقدير".[6]

---

[1]- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص537.

[2]- أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت:741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1415هـ، الجزء03، ص308.

[3]- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، مرجع سابق، ص372.

[4]- ينظر: الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، الجزء24، ص311.

[5]- ينظر: السمعاني، مصدر سابق، الجزء04، ص05.

[6]- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن(ت:606هـ)، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة03، 1420هـ، الجزء04، ص153.

المبحث الثاني: مفهوم العقل ومكانته في القرآن الكريم

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العقل لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: مرادفات العقل في القرآن الكريم

المطلب الثالث: مكانة العقل في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف العقل لغة واصطلاحا

الفرع الأول: تعريف العقل لغة

قال الخليل بن أحمد،[1]: " العقلُ نقيض الجهل. يقال: عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول، ورجل عاقل وقوم عُقلاء وعاقلون، ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل"[2].

ويقال عقَل الرجل يعقلُ عقلاً، إذا كان عاقلاً. وقيل: سُمِّي عقل الإنسان – وهو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان – عقلاً، لأنّه يعقله، أي يمنعه من التورّط في الهلكة، كما يعقل العِقال البعير عن ركوب رأسه؛ وقيل إنّ الديّة سُمِّيت عقلا لأنّها إذا وصلت إلى وليِّ المقتول عقلته عن قتل الجاني الذي أدّاها، أي منعته... وعقل الدّواء بطنه يعقله عقلا، إذا أمسكه بعد استطلاقه ويقال: أعطني عقلا، فيعطيه دواء يمسك بطنه[3].

وفي مقاييس اللّغة: "(عقل) العين والقاف واللام أصلٌ واحدٌ منقاسٌ مطّردٌ، يدلّ عظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"[4].

---

[1]– هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ، مُنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام، حدّث عن: أيوب السّختيانيّ، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب. وعنه: سيبويه والنضر بن شميل والأصمعي وآخرون. له (كتاب العين) الذي جمع فيه أصول الكلام للعرب كلّها. توفي سنة سبعين ومائة. ينظر: الزبيدي، أبو بكر محمد ابن الحسن الإشبيلي(ت:379هـ)، طبقات النّحويين واللّغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة02، (د.ت)، ص47، رقم:15.

[2]– الفراهيدي، الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن (ت:170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، الجزء01، ص159.

[3]– ينظر: أبو منصور، الأزهري، تهذيب اللّغة، الجزء01، ص160.

[4]– ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء04، ص69، باب العين والقاف.

وقيل: إنّ العرب إنما سمت الفهم عقلا، لأن ما فهمته فقد قيّدته بالعقل وضبطته، كما يعقل البعير. أي: مثلما يقيّد ساقه إلى فخذيه.[1]

وكخلاصة لمدلول كلمة "عقل"، فإن معانيها تتراوح بين الحبس والتقييد والمنع، وأيضا الفهم.

الفرع الثاني: تعريف العقل اصطلاحا.

لقد تعرَّض العلماء إلى تعريف العقل في مؤلفاتهم، حيث قالوا: هو "العلم بصفات الأشياء وقبحها وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشرّ الشرين، أو مطلق الأمور، أو القوة التي بها يكون التمييز بين القبح والحسن، وتُدرِك به النفسُ العلوم الضرورية والفطرية"[2].

ومنهم من وصفه بأنه: " جوهر مجرَّد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كلُّ أحدٍ بقوله: أنا، وقيل: العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلّقا ببدن الإنسان، وقيل: العقل: نور في القلب يعرِف الحقّ والباطل، وقيل: العقل: جوهرٌ مجردٌ عن المادة يتعلق بالبدن تعلّق التدبير والتصرف"[3].

ويعبّر الحارث المحاسبي [4] عن ماهية العقل بقوله: "العقل غريزةٌ جعلها الله عزّ وجلّ في الممتحنين من عباده، أقام به على البالغين للحُلُم الحجّة، وأنه خاطبهم من جهة عقولهم، ووعد وتوعّد، وأمر ونهى،

---

[1] – المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد، العقل وفهم القرآن، تحقيق: أبو بكر محمود عبد الهادي، المكتبة الأزهرية للتراث، 1437هـ-2016م، ص209.

[2]– الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت:817هـ)، القاموس المحيط والقابوس الوسيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة06، 1419هـ، ص1033، مادة: عقل.

[3]– الجرجاني، علي بن محمد بن علي(ت:816هـ)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1403هـ، ص151.

[4]– الحارث بن أسد أبو عبد الله المحاسبي شيخ الجُنيد، وأحد العلماء الزهاد، عدَّه أبو منصور التّميمي في الطّبقة الاولى من الشّافعيّة فيمن صحب الشّافعي. روى عنه أبو العبّاس ابن مسروق الطوسي وغيره، وللحارث كُتب كثيرةٌ في الزّهد، وفي أصول الديانات، والرّدّ

وحضّ وندب، فهو غريزة لا يُعرف إلاَّ بفعاله في القلب والجوارح، لا يقدر أحدٌ أن يصفه في نفسه، ولا في غيره بغير أفعاله..."[1].

يُفهم من كلام المحاسبي أنّ العقل هو ميزةٌ اختص الله ﷻ بها المكلّفين من النّاس فقط، حيث يسقط التكليف بزوال العقل، ويُعرف بآثاره لا بكنهه.

وقد عرَّف ابن القيّم العقل بقوله: هو" صحة الفهم، وهو نُورٌ يقذفه الله في قلب العبد يميّز به بين الصحيح والفاسد، وبين الهدى والضلال، والغيّ والرشاد، ويمدّه حسن القصد وتحريّ الحق، وتقوى الربّ في السرّ والعلانية ويقطع مادته: اتباع الهوى، وإيثار الدنيا[2]".

فمن خلال هذين التعريفين الأخيرين – للمحاسبي وابن القيّم – يمكن تعريف العقل بأنه: "غريزةٌ وضعها الله في قلوب عباده الراشدين، يُميّزون به بين الحقّ والباطل، يَصلُح بصدق النية وتحري الحقّ، ويَفسُد باتباع الهوى وإيثار الدنيا".

شرح التعريف:

فالمقصود بـ: (غريزة): أي: هو شيء طُبع في الإنسان، وكأنه غُرز فيه غرزاً، وهذا اجتناباً لمصطلحات الفلاسفة والمناطقة الذين تباينت آراؤهم حول العقل هل هو جوهرٌ أم عَرَض؟ وأما قوله: (وضعها في قلوب عباده): لأن القلب هو وعاء العقل والعاطفة. ويقصد بقوله: (الراشدين): أي: البالغين الذين تقوم عليهم الحجّة، وهذا احترازا من الصبيان الذين هم دون سنّ التكليف. وقوله: (يميزون به بين الحقّ والباطل): إشارةٌ إلى عقل الهداية، ذلك أن من الناس من أُوتي عقلاً، لكنه لا يميّز به بين

على المخالفين، والمعتزلة، والرافضة، وغيرهم. توفي سنة ثلاث وأربعين ومئتين. ينظر: ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت:643هـ)، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة01، 1992م، الجزء01، ص439.

[1] – المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ص12.

[2]– ابن قيّم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ت:751هـ)، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، دار ابن الجوزي، المملكة السعودية، الطبعة01، 1423هـ، الجزء01، ص69.

الخير والشرّ ولا بين النافع والضار، فقد يخترع به أسلحةً يأتي بها على الحرث والنسل. وقوله: (يصلح بصدق النية وتحري الحق، ويفسد باتباع الهوى وإيثار الدنيا): هذا تبعٌ لما قبله، فمن صلح عقلُه وصدقت نيته وتحرَى الحقَّ، فقد أُوتي عقلَ الهداية، والعكس بالعكس.

المطلب الثاني: مرادفات العقل في القرآن الكريم

إذا كان القرآن الكريم لم يستعمل العقل كمصدر، فقد عبّر عنه بمرادفات عدَّة، وباستقراء آيات القرآن الكريم يمكن حصرُ هذه المرادفات في ستة، وهي: اللبّ، الحجر، النهى، الحلم، القلب والفؤاد[1].

الفرع الأول: اللُبُّ:

" اللّب معروفٌ من كلّ شيء، وهو خالصه وما يُنتقى منه، ولذلك سُمِّي العقل لُبّاً، ورجل لبيب، أي عاقل، وقد لبَّ يلبُّ، وخالص كلّ شيء لُبابه[2]".

وقال صاحب المفردات:" اللبّ العقل الخالص من الشوائب، وسميّ بذلك لكونه خالصُ ما في الإنسان من معانيه، كاللُّباب واللُبُّ من الشيء، وقيل هو ما زكى من العقل، فكلّ لبٍّ عقل وليس كلّ عقل لبّاً، ولهذا علّق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلاّ العقول الزكية بأولي الألباب، نحو قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿269﴾﴾ [سورة البقرة:**269**]، ونحو ذلك من الآيات، ولبّ فلان يلبّ صار ذا لبّ[3]".

---

[1]- ينظر: معاني مرادفات العقل عند: الباهلي الإشبيلي، أبو الحسن سلام ابن عبد الله(ت:544هـ)، الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، اعتناء: إحسان دنّون الثامري، دار صادر، بيروت، الطبعة01، 1432هـ-2011م، ص23.

[2]- أحمد ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء05، ص200.

[3]- الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة01، 1412هـ، ص733.

وباستقراء القرآن الكريم يُلاحَظ أنه لم يرد استعمال "اللبّ" كمفرد، وإنما استعمل جمع التكسير منه ﴿الألباب﴾، يقول السيوطي [1]:" ومن ذلك (الألباب) لم يقع إلا مجموعاً، لأن مفرده ثقيلٌ لفظاً[2]".

الفرع الثاني: الحِجرُ:

من مرادفات العقل في القرآن الكريم (الحِجر)، وقد قيل للعقل حجرٌ لكون الإنسان في مَنعٍ منه مما تدعو إليه نفسه[3]،والعرب تقول: إنه لذو حجر: إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها[4].

يقول الألوسي [5]:" والحجر العقل، لأنه يحجُر صاحبَه، أي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي، كما سمي عقلاً ونُهيه"[6].

---

[1]– هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، السيوطي، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة، نشأ يتيما، وحفظ القرآن الكريم وهو دون الثامنة من عمره. أخذ عن البُلقيني، وشرف الدين المناوي، ومحيي الدين الكافيجي. من مصنفاته: الإتقان في علوم القرآن، والدر المنثور في التفسير بالمأثور. توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة. ينظر: السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، الطبعة01، 1387هـ-1967م، مقدمة المحقق، ص07 وما بعدها.

[2]– السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ-1974م، الجزء02، ص358.

[3]– ينظر: الراغب، المفردات في غريب القرآن، الجزء01، ص220.

[4]– ينظر: الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد(ت:207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة01، الجزء03، ص260.

[5]– هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسّر ومحدّث وأديب، ولد ببغداد، سنة 1217هـ. من كتبه: (روح المعاني في التفسير، ونشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول). توفي سنة 1270هـ. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود(ت:1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة15، 2002م، الجزء07، ص176.

[6]– الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1415هـ، الجزء15، ص337.

وقد وردت كلمة " حِجر " في القرآن الكريم بمعنى العقل في موضع واحد[1]، في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝5 ﴾[سورة الفجر:5]، يقول ابن كثير [2]:" وقوله: ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴾ أي: لذي عقلٍ ولُبٍّ وحِجا ودين، وإنما سُمِّيّ العقل حِجرا، لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليقُ به من الأفعال والأقوال"[3].

الفرع الثالث: النُّهى:

قال في "مقاييس اللّغة":" النون والهاء والياء أصلٌ صحيح يدل على غاية وبلوغ، ومنه أَنهيتُ إليه الخبرَ: بلَّغتُه إياه، ونهايةُ كلّ شيء: غايته، ومنه نَهيتُه عنه، وذلك لأمر يفعله. فإذا نهيته فانتهى عنه فتلك غاية ما كان وآخره... والنُّهية: العقل، لأنه يَنهى عن قبيح الفعل، والجمع نُهى"[4].

وقد ورد لفظ النُّهى في آيتين من القرآن الكريم كلاهما في سورة طه[5]، قال تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝54 ﴾ [سورة طه:54]، وقال جلّ وعلا: ﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝128 ﴾[سورة طه:128]، يقول

---

[1]- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص194.

[2]- هو إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي الشافعي، فقيه ومحدّث ومفسّر وناقد، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعمائة، من أبرز شيوخه: ابن تيمية وأبو الحجاج المزّي، له مصنفات جليلة أهمها: البداية والنهاية، وطبقات الشافعية، وتفسير القرآن العظيم، تُوفي يوم الخميس 26 شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة. ينظر: الداوودي، محمد بن علي بن أحمد (ت:945هـ)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء01، ص111 وما بعدها.

[3]- ينظر: الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت:774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة02، 1420هـ، 1999م، الجزء08، ص394.

[4]- ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء05، ص359.

[5]- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس، ص722.

الطبري:" لأولي النُّهى " يعني: أهل الحِجا والعقول، والنُّهى: جمع نُهية ...، وخَصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النّهى، لأنّهم أهل التفكّر والاعتبار، وأهل التدبّر والاتعاظ".[1]

الفرع الرابع: الحِلْمُ:

أيضاً مما اعتُبر مرادفاً للعقل في الاستعمال القرآني "الحِلْمُ"، وقد ورد هذا اللّفظ في موضعٍ واحدٍ من القرآن الكريم،[2] وذلك في سورة الطور، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿32﴾﴾[سورة الطور:32]، فقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾: عُقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنّها كذب وزُور.[3]، وفي الكشاف: " أحلامهم عقولهم وألبابهم، "[4].

وعن عبد الله – ابن مسعود رضي الله عنه –، قال رسول الله ﷺ: "لِيَلِيَنِي منكم أُولو الأحلام والنُّهى، ثمّ الذين يلُونهم (ثلاثاً) وإيّاكم وهيشات[5] الأسواق"[6].

---

(1)– ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء16، ص86.

(2)– ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، مرجع سابق، ص216.

(3)– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء07، ص436.

(4)– الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد(ت:538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة03، 1407هـ، الجزء04، ص413.

(5)– هيشات الأسواق وهوشاتها: اختلاطها، ومنه قولهم: هوش القوم، إذا اختلطوا وخلطوا، وهذا تحذير من الفتنة وأسبابها. ينظر: الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح، تفسير ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تح: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، مصر، الطبعة: 01، ص68.

(6) – الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، ينظر: مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د، ط)، (د، ت)، رقم: 432، الجزء01، ص323.

والحِلْمُ من الصفات الحميدة؛ ومن مظاهره الكريمة، الصمتُ في المجالس من غير بلادة، ويدلّ على حكمة صاحبه، وهو نقيض الجهل والسفه.

قال حسان بن ثابت – رضي الله عنه –

لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْماً وعِلْماً ورَحْمَةً عَشِيَّةَ عَلُّوهُ الثَرَى لاَ يُوَسَّدُ.[1]

الفرع الخامس: القَلْبُ:

ورد ذكر القلب في القرآن الكريم في مائة واثنتين وثلاثين موضعاً،[2] بصيغة الإفراد والجمع والتثنية، وبالجمع أكثر. ففي مقاييس اللّغة: " قَلَبَ: القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على خالص شيء وشريفه، والآخر على ردّ شيء من جهة إلى جهة؛ فالأول القلب: قلب الإنسان وغيره، سُمّي لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه. وخالص كلّ شيء وأشرفه قلبه"[3]. وقيل: سُمّي القلب قلباً، لكثرة تقلُّبه[4]، قال الشاعر: ما سُمِّي القلبُ إلاّ من تقلُّبه... والرأيُّ يصرفُ بالإنسان أطواراً"[5].

وقد يأتي القلب بمعنى العقل، يقول صاحب اللّسان:" وقد يعبّر بالقلب عن العقل... وهذا جائز في العربية، تقول: ما لك قلب، وما قلبك معك، وأين ذهب قلبك؟ تريد العقل لكل ذلك"[6].

---

[1] – الأنصاري، حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: عَبداَ مهَنَّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة02، 1414هـ-1994م، ص61.

[2]– ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص54، وما بعدها.

[3]– ابن فارس، مقاييس اللغة، الجزء05، ص17.

[4] – ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص581.

[5]– الأنصاري، الأحوص بن محمد، شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، قدَّم له: شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة:02، 1411هـ-1990م، ص148.

[6]– ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء01، ص687.

وقد يراد بالقلب – في القرآن الكريم – موضعُ العواطف المختلفة، كالحبّ والكره، والغضب والرأفة، ...إلخ[1]، ولا يعني به العضو الصنوبري الموجود داخل الصدر، المسؤول عن عملية ضخ الدّم للجسم.

قَالَ تَعَالَى:﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ﴾ [سورة آل عمران: **151**]. وقال سبحانه: قَالَ تَعَالَى:﴿ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾ [سورة آل عمران: **156**]. وقال جلّ ذكره: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾ [سورة الحديد: **27**].

ومن المواضع أيضا التي جاء فيها ذكر كلمة "القلب"[2] قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾[سورة الحج:**46**]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾ [سورة الأعراف:**179**]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ ﴾ [سورة ق: **37**]، يقول ابن كثير:" أي: لبّ يعي به. وقال مجاهد:[3] "عقل ﴿أو ألقى السّمع وهو شهيد﴾ أي: استمع الكلام فوعاه، وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه".[4]

---

[1] – ينظر: مال الله عبد الرحمن مال الله الجابر، المنهاج القرآني في تقويم العاطفة تجاه الأهل والعشيرة، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 1438هـ-2017م، ص24.

[2] – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس، ص54، وما بعدها.

[3]– هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، الإمام المقرئ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، وُلد سنة إحدى وعشرين، روى عن ابن عباس، وجمع من الصحابة رضي الله عنهم، وحدّث عنه جماعة منهم: عكرمة وطاووس وعمرو بن دينار، وهم من أقرانه، تُوفي سنة أربع ومائة. ينظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ)، سيّر أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة03، 1405هـ-1985م، الجزء04، ص453.

[4]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء07، ص409.

الفرع السادس: الفُؤادُ:

ومن مرادفات العقل في القرآن الكريم لفظ "الفؤاد"، وقد ورد مفردا في خمسة مواضع وجمعا في إحدى عشر موضعا[1]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿36﴾ ﴾ [سورة الإسراء: **36**]؛ أي: "إنّك أيُّها الإنسان تُسأل عما تُسنِدُه إلى سمعك وبصرك وعقلك".[2]

يقول ابن فارس[3]:" الفاء والألف والدال، هذا أصل صحيح يدلّ على حمّى وشدّة حرارة. من ذلك: فأدت اللّحم: شويته. وهذا فئيد، أي مشويّ...، والفأد: مصدر فأدته، إذا أصبت فؤاده"[4].

---

[1]- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس، ص510.

[2]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص101.

[3]- هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، أبو الحسين الرازي، من أئمة العربية على مذهب الكوفيين في النحو، وكان فقيها شافعيا، أخذ عن أحمد بن طاهر بن المنجّم وغيره، ومن تلاميذه: بديع الزمان الهمذاني وجماعة، توفي بالريّ سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. ينظر: القفطي، جمال الدين، أبو الحسين علي بن يوسف(ت:646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة01، 1406هـ-1982م، الجزء01، ص129.

[4]- ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء04، ص469.

المطلب الثالث: مكانة العقل في القرآن ومحلّ وجوده في الإنسان

الفرع الأول: مكانة العقل في القرآن الكريم

إنّ أعظم ما تشرف به آدم – عليه السلام – بعد أن خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه، هو تلك الغريزة التي أودعها الله ﷻ فيه، والتي تسمى بالعقل، ليطّلع بها عن مكنونات الأشياء، ويكتشف أسرار الخلق.

ولقد خصّ الله جلّ وعلا آدم وذريته، بما غرز فيهم من العقول والألباب، ليفقهوا بها أحكام الشريعة وينظروا في شواهد الكون التي تدلّ على وحدانية الله وعظيم قدرته سبحانه، فالعقل هو هبة الله ﷻ لهذا المخلوق الذي فضله على كثير ممن خلق تفضيلا.

وإنما كرم الإسلام الإنسان بالعقل، لأنه مناط التكليف، فالواجبات الشرعية لا تترتب إلاّ على العقلاء. يقول الشاطبي [1] إنّ:"مورد التّكليف هو العقل، وذلك ثابتٌ قطعا بالاستقراء التامّ؛ حتى إذا فُقِدَ، ارتفع التكليفُ رأساً، وعُدَّ فاقدُه كالبهيمة المهملة، ..."[2]؛ فهو أحد مقاصد الشريعة الخمسة التي أوجب الشرع الحفاظ عليها.[3]

وإن المتأمل في سور القرآن الكريم لا يكاد يجد سورةً من سوره تخلو من الدعوة إلى التدبر والتفكر والتعقل والنظر في آيات الله التي تدل على حقيقة وجود الله تبارك وتعالى، إيقاظا للقلب حتى يلج بنظره

---

[1]– هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبيّ: أحدُ العلماء الأثبات، الفقيه الأصولي المفسّر المحدّث، أخذ عن: ابن الفخار وأبي القاسم الشريف السبتي وأبي عبد الله الشريف التلمساني وغيرهم، وعنه: أبو بكر بن عاصم وأخوه أبو يحي محمد، وعبد الله البياني وخلق. له مصنفات نفيسة منها: شرح على الخلاصة، والموافقات في الفقه، وله غير ذلك. توفي سنة 790 هـ/1388م. ينظر: محمد بن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء01، ص332، وما بعدها.

[2]– ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة01، 1417هـ–1997م، الجزء03، ص209.

[3]– ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (د، ط)، 1425هـ–2004م، الجزء02، ص127.

داخل هذا الكون. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿164﴾ ﴾ [سورة البقرة:**164**].

يقول الطاهر ابن عاشور [1]:" فوجه دلالة هذه الآيات على الوحدانية، أن هذا النظام البديع في الأشياء المذكورة، وذلك التدبير في تكوينها وتفاعلها وذهابها وعودها ومواقيتها، كلّ ذلك دليلٌ على أنّ لها صانعاً حكيماً متصفاً بتمام العلم والقدرة والحكمة، وهي الصفات التي تقتضيها الألوهية[2].

إن المساحة التي شغلها الحديث في القرآن الكريم عن العقل ومرادفاته ووظائفه، لها دلالتها الواضحة الجلية على المنزلة العظيمة التي بوأها القرآن للعقل، والمكانة السامية التي أحلّها لأهله، والباحث– في هذا الفصل التمهيدي – ليس بصدد الحديث عن جميع الآيات التي أشارت إلى العقل، لكنه يستعرض بعضها ليُظهر المكانة التي أحلها القرآن للعقل، وحثه أهله على التفكر والتدبر، في كل آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء القرآن في مواضع شتى منه يستحث العقل ويستثيره، ويُلحُ عليه أشدَّ الإلحاح بالنظر العقلي " قل انظروا "، ويأمره بالتفكر والتدبر والتذكر " أفلا تتفكرون "، " أفلا يتدبرون "، " أفلا يذكرون "، فلا تكاد تَمُرُّ بسورة منه إلا ويعرض عليك مجموعةً من الظواهر الكونية يأمرك بالتأمل فيها

---

[1]– هو محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، شيخ الإسلام المالكي ورئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، وهو من أعضاء المجْمَعين العربيين في دمشق والقاهرة، ولد سنة 1879م بتونس، له مصنفات عديدة أهمها: تفسيره المشهور ب "التحرير والتنوير"، و"مقاصد الشريعة الإسلامية" وغيرها، توفي سنة1973م. ينظر: الزركلي، الأعلام، الجزء06، ص174.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء02، ص88.

وسبر غورها واكتشاف سرّها للوقوف على كُنهها والاستدلال بها على حقائق الغيب التي أطلعنا الله تعالى عليها[1].

ولقد أثنى الله سبحانه على عباده المؤمنين العالمين بأنهم وحدهم الذين ينتفعون بأمثاله التي يضربها وتوجيهاته في النظر الكوني، فقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿43﴾ ﴾ [سورة العنكبوت43]. قال السعدي [2] في تفسيره: "وهذا مدحٌ للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعُلِمَ أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أَهمُّ من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جُهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم..."[3].

الفرع الثاني: مكان وجود العقل:

تباينت أراء العلماء حول مكان وجود العقل، أهو القلب أم الدماغ؟ على مذهبين:

المذهب الأول: قالوا: إن محلَّه الدماغ، واستدلوا لقولهم: أنه إذا ضُرب الرأسُ ضربةً قويةً زال معها العقل، وقالوا أيضا: إنّ العقل قوةٌ مدركةٌ، ومحلُّ القوى المدركة كلّها الرأس: الظاهرة منها، كالسمع والبصر والشمّ والذوق واللّمس، وإن اشترك في اللّمس جميع البدن، والباطنة كالمخيّلة والذاكرة والمفكرة

---

[1]– ينظر: مجاهد محمود أحمد ناصر، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، (د.ط)، 1424هـ-2003م، ص24.

[2]– هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السّعدي التميمي، مفسرٌ من علماء الحنابلة، من أهل نجد. ولد سنة 1890م بالعنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية، له نحو ثلاثون كتابا، منها: (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن)، و(القواعد الحسان في تفسير القرآن) و (طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول)، توفي بالقصيم سنة 1956م. ينظر: الزركلي، الأعلام، الجزء03، ص340.

[3]– السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللّويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة01، 1420هـ-2000م، ص631.

والوهم والحسّ المشترك؛ فنظام الحكمة في الوجود أن تكون تلك القوّة بين تلك القوى.[1] قال الله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) ﴾ [سورة الأعراف: **179**]. كما أنّ العرب تقول للعاقل: وافر الدماغ ولضعيف العقل: خفيف الدماغ، وهو محل الإحساس[2]".

المذهب الثاني: قالوا: إن مكان العقل القلب، واستدلوا بأدلة من الكتاب العزيز، منها قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [سورة الأعراف: **179**]. ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [سورة الحج: **46**]. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) ﴾ [سورة ق: **37**]. ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46) ﴾ [سورة الحج: **46**].

ونحوها من الآيات التي يضاف فيها العقل أو أثره كلّه، ومن السنة قوله ﷺ: " ألا وإنّ في الجسد مُضغة: إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب "[3]. والجسد يفسد بفساد العقل؛ فدلّ على أنّه في القلب،[4]كما قالوا: إن العقل أنفس ما في الإنسان، والقلب أوثق محلّ فيه. ولذلك جُعل في الصدر، لما دونه من الوقايات، فاقتضت الحكمة جعل الأنفس في المكان الأوثق، كما توضع الجواهر النفيسة في الأماكن الحريزة[5].

---

[1]– ينظر: الصرصري، أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح، تحقيق: أيمن محمود شحادة: الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة01، 1426هـ، ص74.

[2]– الفتوحي، محمد بن أحمد، شرح الكوكب المنير (بمختصر التحرير)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، الطبعة01، 1372هـ، ص2524.

[3]– الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من رواية النعمان بن بشير – رضي الله عنه –، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ينظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت:256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة01، 1422هـ، رقم:52، الجزء01، ص20.

[4]– ينظر: أبو الربيع سليمان الصرصري، درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح، ص76.

[5]– ينظر: سليمان الصرصري، المرجع نفسه، ص74.

إنّ العقل والقلب، مع اختلاف مكانهما من الإنسان، يتعاونان على صلاح البدن والنفس؛ إذ نسبة العقل إلى القلب نسبة ضوء الشمس ونحوها إلى العين، وكما لا إدراك للبصر بدون واسطة الضوء، فلا إدراك للقلب ولا اهتداء بدون العقل. إذ نور العقل مشرق على القلب، فيه يهتدي ويدرك ما يحتاج إليه؛ فلمّا كان بينهما هذا التعاضد، كانا كالشيء الواحد المركب من جزأين. فصحّ أن يتجوّز بأحدهما عن الآخر ويضاف أحدهما إلى الآخر، على مذهب العرب في تجوّزها عن الشيء بغيره، من لازم، أو علّة، أو سبب، أو مجاور، أو مقارن، ونحو ذلك.[1]

والذي يظهر – والعلم عند الله ﷻ – في هذه المسألة هو ما ذكره ابن تيمية، حيث قرر أن العقل له تعلق بالدّماغ والقلب معاً، حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ[2]؛ لأن القلب موطن الهداية، والدماغ موطن الفكر، ولذا قد يوجد في الناس من فقد عقل الهداية الذي محلّه القلب، مع اكتسابه عقل الفكر الذي محلّه الدّماغ، كما قد يوجد العكس.[3] ولعلّ خير دليل على هذا الأمر أولئك الذين يتسابقون إلى اختراع وتصنيع أسلحة الدّمار الشامل التي تقضي على الحرث والنسل، فهؤلاء قد اكتسبوا عقل الفكر الذي مكّنهم من اختراع هذا النوع من السلاح، لكنهم فقدوا عقل الهداية الذي به يهتدون إلى الحقّ ﷻ، والذي يميّزون به بين الضّار والنّافع.

---

[1]– ينظر: المقدسي، تقي الدين أبو بكر بن زايد الجراعي، شرح مختصر أصول الفقه، تحقيق: عبد العزيز محمد عيسى، وآخرون، لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الشامية، الكويت، الطبعة01، 1433هـ-2012م، الجزء01، ص123.

[2]– ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء09، ص303 وما بعدها.

[3]– حسن عثمان علي، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة04، 1418هـ، الجزء01، ص163.

المبحث الثالث: مفهوم العاطفة ومكانتها من الخطاب العقلي

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العاطفة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: موارد العاطفة في القرآن الكريم

المطلب الثالث: مكانة العاطفة وعلاقتها بالعقل

المطلب الأول: تعريف العاطفة لغة واصطلاحا

الفرع الأول: تعريف العاطفة لغة

جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد: " عطف"، عطفت الشيء: أملته. وانعطف الشيء انعاج. وعطفت عليه: انصرفت. وعطفتُ رأسَ الخشبة، أي: لَويتُ...، وتعطّف على ذي رحم، في الصّلة والبرّ. وعطف الله فلانا على فلان عطفا. والعطّاف: الرّجل العطيف على غيره بفضله، الحسن الخلق، البارّ الليّن الجانب[1]. وعطفت الشيء أعطفه عطفا، إذا ثنيته ورددته عن جهته. وفلان ينظر في عِطفيه، إذا كان معجبا بنفسه. وما تثنيني عليك عاطفة، أي رحم أو رحمة. والعطف: الناحية من الإنسان والدوابّ، وتعوّج الرجل في عِطفيه، إذا تثنّى يمَنة ويسرة...[2].

وفي تهذيب اللّغة: عطف: قال الله جلّ وعزّ: ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[سورة الحج: 9]، جاء في التّفسير أن معناه: لاوياً عُنُقه[3]. وهذا يوصف به المتكبّر. وعطفا الرجل: ناحيتاه عن يمين وشمال. ومنكب الرجل: عطفه وإبطه عطفه، والعطاف: الرّداء...، وسمّي الرّداء عطافا لوقوعه على عطفي الرجل وهما ناحيتا عنقه. فهذا معنى تعطّفه العزّ. ويجمع العطاف عطفا وأعطفة. والمعطف: الرّداء وجمعه المعاطف[4].

ويقول ابن فارس: (عطف) العين والطاء والفاء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على انثناء وعياج. يقال: عطفت الشيء، إذا أملته. وانعطف، إذا انعاج، ومصدر عطف العطوف. وتعطف بالرحمة تعطفا.

---

(1)- ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، الجزء02، ص17.

(2)- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (321هـ)، جمهرة اللّغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة01، 1987م، الجزء02، ص914.

(3)- قال مجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم: (ثَانِيَ عِطْفِهِ) أي: لاوي عُنُقَه، وهي رقبته. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء05، ص399.

(4)- ينظر: الأزهري، تهذيب اللّغة، الجزء2، ص106.

وفلان يتعاطف في مشيته، إذا تمايل. والإنسان يتعطّف بثوبه، وهو شبه التوشح. والرّداء نفسه عطاف، لأنه يعطف. ثم يتسعون في ذلك فيسمون السيف عطافا لأنه يكون موضع الرّداء[1].

الفرع الثاني: تعريف العاطفة اصطلاحا

لم يعرّف عُلماء الإسلام – في حدود ما اطلعت عليه – العاطفة بمفهومها الاصطلاحي كما هو الحال في المعاجم اللّغوية، لكنّهم أطلقوا ألفاظا أخرى– استنبطوا أغلبها من كتاب الله ﷻ – تدلّ على الجانب العاطفي، كالحبّ، والبغض، والميل، والهوى، والعشق...

أولاً: الميل: الميل إلى الشيء هو الرغبة فيه، وقد ورد في القرآن الكريم بمعان مختلفة، منها:[2]

1. الانحراف والضلال والانجراف: قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿27﴾ ﴾ [سورة النساء:**27**].
2. التطرف أو الإفراط: قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [سورة النساء:**129**].
3. السيطرة والغلبة: قال تعالى: ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة النساء:**102**].

---

[1]– ينظر: ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء04، ص351.

[2]– ينظر: معروف زريق، علم النفس الإسلامي، دار المعرفة، دمشق، الطبعة01، 1408هـ-1989م، ص60.

4. الحبّ: وهو استحسان الشيء، والرغبة فيه، وإظهار الوداد له. وقد عرّفه أبو حامد الغزالي [1] بقوله:" إذ المحبّة عبارةٌ عن ميل النفس إلى الشيء الموافق"[2].

وقد ذُكر في القرآن الكريم أن طبيعة النفس الإنسانية تُحبّ أشياء متنوعة منها:

أ- حبّ الطعام: قال الله ﷻ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿8﴾ ﴾ [سورة الإنسان:8].

ب- حبّ النساء والبنين: قال الله عزّ وجلّ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿14﴾ ﴾ [سورة آل عمران:14].

ت- حبّ المال: قال الله تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿20﴾ ﴾ [سورة الفجر:20].

ث- عدم حبّهم للنصيحة: قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿79﴾ ﴾ [سورة الأعراف:79].

ثانيا: العشق:

---

[1]- هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسيّ، أبو حامد الإمام الفقيه المتكلم، قَدِم نيسابور ولازَم الجُوَيني حتى برعَ في المذهب والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، ومصنفاته كثيرة من أهمها: "إحياء علوم الدين" و "المستصفى في أصول الفقه" و "جواهر القرآن" وغيرها. توفيّ – رحمه الله – سنة خمس وخمس مائة. ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين(ت:771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة02، 1413هـ، الجزء06، ص191، رقم:694.

[2]- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، الجزء04، ص327.

وقد عرّفه الغزالي بقوله: "عبارة عن الميل الغالب المفرط"[1]، وهو ميل النفس، وتعلّق القلب بالشيء لدرجة الإفراط في محبته، ويكون ممدوحاً أو مذموماً، و"لم يرد العشقُ في القرآن الكريم لا اسماً ولا فعلاً"[2].

فمن ذلك ما ورد في قصة نبيّ الله يوسف – عليه السلام – حين راودته امرأة العزيز عن نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿30﴾﴾ [سورة يوسف: 30]. فقولُهُ: {**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**} أي: قَد وَصَلَ حُبُّ يُوسُفَ إِلَى شَغَافِ قَلبِهَا، فدَخَلَ تَحتَهُ حَتَّى غَلَبَ عَلَى قَلبِها.[3] أو قَدِ اخْتَرَقَ حُبُّهُ شَغَافَ قَلبِهَا، وهو غِلَافَهُ المحِيط بِهِ، وَغَاصَ فِي سُوَيْدَائِهِ، فَملكَ عَلَيهَا أَمرَها، حَتَّى إِنَّهَا لَا تُبَالِي مَا يَكُونُ مِن عَاقِبَةِ تَهَتُّكِهَا، وَاللَّائِقُ بِمَقَامِهَا الكِتمَانُ وَمُكَابَرَةُ الوِجْدَانِ[4].

ثالثا: الهَوى:

عرَّفَ ابنُ الجوزي [5]الهوى بقوله: "اعلم أن الهوى ميلُ الطّبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خُلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنّه لولا ميلُه إلى المطعم ما أكل وإلى المشرب ما شرب وإلى المنكح ما نكح،

---

[1]– الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، الجزء04، ص327.

[2]– معروف زريق، علم النفس الإسلامي، ص62.

[3] – ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء13، ص115.

[4] – ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء12، ص240.

[5]– هو جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، البغدادي الحنبلي، ولد سنة عشر وخمس مئة، سمع أبا القاسم بن الحصين وعليّ بن عبد الواحد الدّينوري وغيرهما، وحدَّث عنه: ابنه الصّاحب محيّ الدين، والحافظ عبد الغني المقدسي وخَلقٌ سِواهم، وكان له في كل علم مشاركة، توفي سنة سبع وتسعين وخمس مئة. ينظر: الصالحي الدمشقي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، (ت:744هـ)، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة02، 1417هـ-1996م، الجزء04، ص122، رقم:1076.

وكذلك كلّ ما يشتهيه، فالهوى مُستجلبٌ له ما يفيد، كما أنّ الغضب دافعٌ عنه ما يؤذي..."[1]لكن قد تطغى العاطفة على جميع شؤون الإنسان، فلا تترك مجالا لغيرها، وهذا من الهوى المذموم الذي يُوقع صاحبَه في مفاسد خطيرة لا تحمد عواقبها.

فالهوى هو ميلانُ النفس بإرادتها إلى ما تستلذ، والتصاقها به، بحيث لا تستطيع التخلّص منه، فالهوى إذن عاطفةٌ جامحةٌ، أَوغلت في تمركزها في النفس، وانفردت وحدها بساحة الحياة النفسية[2].

وقد ورد الهوى في القرآن الكريم خمس مرات بمعان مختلفة، وهي:[3]

أ – بمعنى الانحراف عن جادة الحقّ: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿135﴾ ﴾[سورة النساء:135].

ب – بمعنى رغبات النفوس: قال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [سورة النجم:23].

ت – بمعنى مُراد الشيطان: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾[سورة الأنعام:71].

ث– بمعنى الخطأ والانحراف: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿4﴾ ﴾ [سورة النجم:3-4]

ج– بمعنى الضلال: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿16﴾ ﴾ [سورة طه:16].

---

[1]– الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، (د.ط)، (د.ت)، ص12.

[2]– ينظر: معروف زريق، علم النفس الإسلامي، ص62.

[3]– ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص740.

أما علماء علم النفس والتربية فقد عرّفوا العاطفة بتعاريف متقاربة من حيث المدلول، فقالوا هي: "استعدادُ الشعور بتجربةٍ وجدانيةٍ خاصةٍ، والقيامُ بسلوكٍ معيّنٍ إزاء شيءٍ أو شخصٍ أو جماعةٍ أو فكرةٍ مجردةٍ، كعاطفة الحبّ والكره..."[1].

وقيل: هي "شعور أليم أو سار، ثابتٌ مستقرٌ في أعماق النفس حول شيء معين، كلّما رأته العين أو سمعت به الأذن أو خطر على البال، صاحبه ذلك الشعور السّار أو المؤلم."[2]

أو: "هي كلّ ما يعطف بالمرء ويميله إلى عمل فيه بُلغةٌ لما تنزعُ إليه نفسه، كعاطفة الغضب والكرم وغير ذلك"،[3]وهي ذات أثر بالغٍ في حياة المرء، وقد تتحكم فيه بالكلية وتجرّه إلى ما لا يحمد عقباه، ما لم يضبطها بضابط الشرع.

ومما سبق ذكره يمكن القول: بأن العاطفة هي: انفعالٌ نفسيٌّ ينجمُ بسبب مُثيرات ودوافعَ معينةٍ تؤدي إلى حدوث سلوكٍ معينٍ.

المطلب الثاني: موارد العاطفة في القرآن الكريم

لم يردْ ذكر لفظ العاطفة وما تصرف عن الجذر اللّغوي (ع-ط-ف) في القرآن الكريم، إلاّ في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الحج: 9][4]، أي: لاوياً عُنُقَه[5]، قال ابن عاشور: "﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾، تمثيلٌ للتكبّر والخيلاء. ويقال: لَوَى جِيدَه، إذا أعرض

---

[1]- مجمع اللّغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية، (د.ط)، 1403هـ-1983م، ص115.

[2]- ينظر: محمد موسى الشريف، العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1422هـ-2001م، ص15.

[3]- أحمد رضا، معجم متن اللّغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، 1377هـ-1958م، الجزء04، ص137.

[4] - ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص446.

[5]- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء05، ص399.

تكبُّراً[1] ، وأما عدا ذلك فقد وردت معاني أخرى تدلّ على الجانب العاطفي، مثل: الخوف، الخشية، الحبّ، الكُره، البغض، الفرح، الحزن، الحسد، الغيرة، والندم. أما لفظ النفس والقلب فقد وردا في القرآن الكريم متضمنان للجوانب العاطفية والوجدانية المختلفة، باعتبار أنّ النفس والقلب هما الوعاءان اللّذان يحتويان العاطفة بمختلف أشكالها، وقد جاء ذكر الجوانب العاطفية في مواطن متعددة من الذكر الحكيم، مثل:[2]

أولاً: الخوف: ورد ذكر الخوف في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿67﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿68﴾ ﴾ [سورة طه:67-68].

وأيضا ورد ذكر الخوف في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿116﴾ ﴾ [سورة الأعراف:**116**]. يقول الطاهر ابن عاشور: "والاسترهاب: طلبُ الرّهب أي الخوف، وذلك أنّهم عزّزوا تخيّلات السّحر بأمور أخرى تثير خوف الناظرين، ...ولك أن تجعل السّين والتّاء في ﴿واسترهبوهم﴾ للتّأكيد، أي: أرهبوهم رهباً شديداً، كما يقال استكبر واستجاب".[3]

وكذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿2﴾ ﴾ [سورة الأنفال:2]

ثانياً: الحزن: قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿6﴾ ﴾ [سورة الكهف:6]. قال ابن كثير: "يقول تعالى مُسليّاً رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبُعدهم عنه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿8﴾ ﴾ [سورة

---

[1]- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء17، ص208.

[2]- ينظر: أبو مصطفى، علاء الدين موسى إبراهيم، معالم التربية الوجدانية في القرآن الكريم والسنة النبوية، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزّة، ص26.

[3]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء9، ص48.

فاطر:8][1]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿65﴾ ﴾[سورة يونس: 65].

وفي موضع آخر حيث اقترن الخوف مع الحزن، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿112﴾ ﴾ [سورة البقرة:112].

ثالثاً: الحسد والغيرة: ورد في مثل قول الحق جلّ وعلا: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [سورة البقرة:109]. وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿8﴾ ﴾[سورة يوسف:8].

قال صاحب التفسير الكبير: "ذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف وعبّر عما في قلوبهم بقوله: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿8﴾ ﴾[سورة يوسف: 8، 9]، فبيَّن تعالى أن حسدَهم له عبارةٌ عن كراهتهم حصول تلك النعمة له"[2]. وفي موضع آخر في معرض الأمر بالاستعاذة من شرّ الحسد، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿5﴾ ﴾ [سورة الفلق:5].

رابعاً: الحب: إنّ الآيات الواردة الدّالة على عاطفة الحبّ كثيرة في كتاب الله تعالى،[3]ليس هذا موضع بسطها، ولكن يكتفي الباحث بمثال واحد وهو قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿31﴾ ﴾[سورة آل عمران:31].

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء5، ص137.

[2]- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمرو، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة03، 1420هـ، الجزء03، ص646.

[3]- ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص191، وما بعدها.

خامساً: الكره: قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ [سورة البقرة:216][1].

سادساً: البغض: في مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [سورة آل عمران: 118].

سابعاً: الفرح: قال تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:170].

ثامناً: الغضب: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[سورة الأعراف:154].

تاسعاً: الندم: قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة المائدة:31].

عاشراً: الاستبشار: كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة آل عمران:171].

أحد عشر: الإشمئزاز: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ [سورة الزمر:45].[2]

---

[1]- ينظر: علاء الدين موسى إبراهيم، معالم التربية الوجدانية في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ص16.

[2]- ينظر: مال الله عبد الرحمن مال الله الجابر، المنهاج القرآني في تقويم العاطفة تجاه الأهل والعشيرة، ص25.

المطلب الثالث: مكانة العاطفة وعلاقتها بالخطاب العقلي.

الفرع الأول: مكانة العاطفة

العاطفة هي جزء من الحياة الوجدانية لدى الإنسان، وعنصر أساسيّ في تكوين شخصيته، ومكوّن هام للتحصيل العلمي للإنسان، فرغم أنّ العاطفة ليست بناء معرفيا بذاتها، إلاّ أنها المسؤولة على نقل وقيادة الانفعالات التي توصل إلى المعرفة، فالعاطفة تفتح الطريق أمام العقل الذي يقوم بتحصيل العلوم والمعارف[1].

إنّ الإسلام لم يصادر العواطف الإنسانية النبيلة التي تكون لله وفي الله، ولم يعمل على قمعها، بل اعتبرها من الفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة:165].

فديننا يعرف العاطفة ويعترف بها، ويوجهها الوجهة الصالحة والصحيحة، حبّا لله تعالى ولرسوله ﷺ ولدينه وللمؤمنين، وبغضا وكرها للكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [سورة الحجرات:7]. ففي الآية الكريمة بيان القرآن الكريم ما في العاطفة من تأثير في تحديد اتجاه الإنسان وسلوكه ومعتقداته[2].

ويُثمّن ابن القيّم دور عواطف الحبّ والإرادة والبغض والكراهية في حياة المرء، فيقول: "أصل كلّ فعل وحركة في العالم: من الحبّ والإرادة، فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات، كما أنّ البغض والكراهية

---

[1]– ينظر: الغزالي، صخر، الخطاب الديني بين العقل والعاطفة، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ: 2016/08/22م. **https://www.aljazeera.net/author/bnyaansakhar**

[2] – ينظر: العامري، حامد بن أحمد بن علي، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، رسالة دكتوراه في الدعوة والاحتساب، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/1423هـ، الجزء01، ص54.

مبدأ كلّ ترك وكفّ"[1]؛ ذلك أنّ الناس يحتاجون إلى منبهات ومحفزات تثير فيهم مواطن الدافعية والتأثير والرغبة، وهذا ما يتميّز به الخطاب العاطفي الذي يتسرب إلى أعماق الوجدان الإنساني، فيحدث انفعالا يدفع إلى الفعل أو الترك.

ويرشدنا الرسول ﷺ إلى أعلى مراتب الإيمان، فيقول: "إنّ أوثق عُرى الإيمان أن تحبَّ في الله وتُبغض في الله".[2]يقول ابن القيّم معلّقا على هذا الحديث: " فإن الإيمان علمٌ وعملٌ، والعمل ثمرةُ العلم، وهو نوعان: عمل القلب حباً وبغضاً، ويترتب عليهما عمل الجوارح، فعلاً وتركاً، وهما العطاء والمنع. فإذا كانت هذه الأصول الأربعة لله تعالى، كان صاحبها مستكملَ الإيمان، وما نقص منها فكان لغير الله، نقص من إيمانه بحسَبه"[3].

فالإنسان ليس عقلاً مجرداً، ولا كائناً جامداً يخضع لقانون أو إرادة قاصرة، ولا جهازاً حديدياً يتحرك ويسير تحت قانون معلوم، أو على خطّ مرسوم؛ إن الإنسان عقلٌ وقلبٌ، وإيمانٌ وعاطفةٌ، وطاعةٌ وخضوعٌ، وهيامٌ وولعٌ، وحبٌّ وحنانٌ، وفي ذلك سرُّ عظمته وشرفه وكرامته...[4].

إنّ صلة العبد بالله جلّ وعلا تكون بالإيمان الذي يقترن بالحب والحنان ويرافقه الهيام والشوق، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة:**165**].

---

[1] – ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت:751هـ)، إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت)، الجزء02، ص123.

[2] – أخرجه الإمام أحمد. ينظر: الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الكُوفيين، حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه –، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة01، 1421هـ-2001م. حديث رقم: 18524، الجزء30، ص488. إسناده ضعيف لضعف ليث، وهو ابن أبي سليم، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، إلاّ أن الحديث حسن بشواهده كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في: (حاشية المسند: 488/30).

[3]– ابن القيم، إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، الجزء 02، ص124.

[4]– ينظر: الشريف، محمد موسى، العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية، ص31 وما بعدها.

"فلابد أن تُسند الدّين وتغذيه عاطفةٌ قويةٌ وحبٌّ منبعه قلب المؤمن الحنون، فإذا تجرد الدّين عن العاطفة والحبّ أصبح مجموعةً من طقوس وأوضاع لا حياة فيها ولا روح، ولا حماسة فيها ولا قوة..."[1].

فلأجل أهمية العواطف لدى الإنسان، كان من حكمة الله تبارك وتعالى أن أنزل في كتابه العزيز آيات الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والتبشير والإنذار، التي تستثير العواطف وتسمو بها إلى أعلى المنازل، وتدفع العبد دفعاً إلى الطاعة والكفّ عن المعصية، في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿102﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ۖ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿103﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿104﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿105﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿106﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿107﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿108﴾﴾ [سورة هود: **102-108**].

الفرع الثاني: علاقة العاطفة بالخطاب العقلي.

الإنسان ليس عاطفة فحسب بل حياته متعلقة بنعمة العقل الذي يجعله يدرك الخير والشر والصحيح والسقيم، وأساس تعاملاته يقوم على هذا الميزان العدل بين العاطفة والعقل، وإعطاء كل خطاب مكانته وموضعه وأهميته؛ فالإغراق في خطاب العاطفة يُوَلِّد خطاباً مندفعاً فاقداً للوعي بتبعات الأفعال والسلوكيات ومآلاتها، والإغراق في خطاب العقل يُولِّد وعياً جافاً مغرقاً بالتكاليف والأعباء مُنفّرا للنفوس.[2]

فالمسلم في هذه الحياة لابد له أن يسير بجناحي العقل والعاطفة، يوازن بينهما، وقد يغلّب أحد الجانبين على الآخر كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك؛ يُلجم لهيب العاطفة بنظرات العقل، فلا إلغاء للعقل ولا للعاطفة، وإنما يضبطهما ويتحكم فيهما بضابط الشرع.

---

[1]- الشريف، محمد موسى، المرجع نفسه، ص35.

[2]- ينظر: الغزالي، صخر، الخطاب الديني بين العقل والعاطفة، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ: 2016/08/22م **https://www.aljazeera.net/author/bnyaansakhar**

فالعاطفة تحتاج إلى عقل راجح حتى يضبطها، وإلاّ طغت وجرّت صاحبها إلى ما لا يُحمد عُقباه؛ فالعقل إذن هو لجام للعاطفة، والعاطفة بدورها تقوم بتخفيف سلطة العقل وسطوته.[1]

والإنسان إذا اعتمد في حياته منهجاً عقلياً صرفاً صار كقالب جامد لا يتأثر بشيءٍ ولا يحرّك قلبَه واعظٌ ولا يخشى زاجراً، كذلك الذي يسير بمنهج عاطفي صرف، يعطلّ عقله ولا يحكّمه في أمور حياته، يصبح فريسةً لرغباته وأهوائه، ولا يأمن عواقب أفعاله وقراراته.

إنّ منهج التوازن هو المنهج الذي سار عليه الخطاب القرآني، فالله تعالى يقول: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[سورة النحل:**125**]، فوضع الشيء في موضعه الصحيح هو الحكمة وهو خطاب العقل، ولن تجد قبولاً وترحيباً بها حتى يأتي خطاب العاطفة ممُثلاً في الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وهذا في الوضع الطبيعي عند تقديم الخطاب العام؛ أما في وضع العلاج للانحراف، فيغّلب خطاب دون آخر ليتم تدارك الانحراف الذي وقع في بنية الخطاب الواعي المتوازن[2].

فالقرآن الكريم يُناجي العقول البشرية ويفتح أمامها مجال البحث والتحري، ويدعوها إلى التدبر والتفكر في آيات الله تعالى معتمدا في ذلك أدلته العقلية وبراهينه المنطقية، ويُناجي العاطفة ويهزّ المشاعر ويستهوي العواطف ويُثير فيها دوافع الرغبة والرهبة، مستخدماً سحر البيان وأساليب الترغيب والترهيب.

---

[1]- ينظر: الشريف، محمد موسى، العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1422هـ-2001م، ص101.

[2]- ينظر: الغزالي، صخر، الخطاب الديني بين العقل والعاطفة، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ: 2016/08/22م **https://www.aljazeera.net/author/bnyaansakhar**

المبحث الرابع: السمات العامة للخطاب القرآني

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم أسلوب الخطاب القرآني

المطلب الثاني: خصائص الأسلوب القرآني اللّفظية

المطلب الثالث: خصائص الأسلوب القرآني المعنوية

المطلب الأول: مفهوم أسلوب الخطاب القرآني.

الخطاب القرآني هو كلام الله ﷻ، توجّه به إلى فئة المكلّفين لتفهيمهم ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، مما يعود بالمصلحة عليهم في حياتهم وفي أخراهم، وهذا يستلزم تنزله واضحاً بيّناً لا اشتباه فيه، ولو كان خلاف ذلك، لناقض المقصود من الخطاب، ولم تحصل به فائدة.

وقد تقدم أنّ لكلّ كلام بشري أسلوبه الخاص به، فأساليب المتكلّمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها؛ فكذلك أسلوب القرآن الكريم- ولله المثل الأعلى- هو "طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوبٌ خاصٌ به"[1]، ويصفه صاحب النبأ العظيم بأنه: "أسلوبٌ معجزٌ في وصفه، كما هو معجزٌ في نفسه، تلتقي عنده نهاياتُ الفضيلة كلّها على تباعد ما بين أطرافها"[2].

فمحمد عبد الله دراز[3] يرى أنّ الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في أسلوبه المتميّز، فهو فريدٌ في وصفه، سواء تعلّق بالمفاهيم التي يأتي بها أو بالأحداث التي يقصها، وكذلك هو معجز من حيث بِنيته اللّغوية؛ فهو يتمتع بقدرة فائقة على التعبير والتصوير تجاوزت كلّ قدرات البشر العادية. كما أنه

---

[1]- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء02، ص303.

[2]- دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، قطر، (د.ط)، 1405هـ-1985م، ص108.

[3] - هو محمد بن عبد الله دراز، عالم أزهري مصري، ولد عام 1894م في محلة دياي بمحافظة كفر الشيخ، نشأ في بيت علم وصلاح، فوالده شيخ علماء دمياط، حفظ القرآن، ولما لم يبلغ العاشرة من عمره، والتحق بالمعهد الديني في الإسكندرية، ثم بالأزهر، وقد حصل على شهادة العالمية عام 1916م. سافر إلى فرنسا ضمن بعثة علمية من الأزهر، وحصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام 1947م عن رسالته (دستور الأخلاق في القرآن). من أشهر مؤلفاته: النبأ العظيم، دستور الأخلاق، تُوفي في لاهور بباكستان عام 1958م. ينظر: محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سيّر أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، الطبعة01، 1415هـ-1995م، الجزء02، ص242، وما بعدها بتصرف.

قد اجتمعت فيه جميع الفضائل والخصال الحميدة، مما يدلّ على أنّ هذا الخطاب ليس من نسج أحدٍ من البشر.

المطلب الثاني: خصائص الأسلوب القرآني

انفرد القرآن الكريم بطريقة رائعة في تأدية المعاني وإبرازها في قوالب لغوية لا تنافر بين ألفاظها ولا بين حروفها. إنها طريقة مستقيمة لا عوج فيها، ولا تناقض ولا اختلاف، تسلُك بالناس مسالك الهدى من غير تكلّف ولا اعتساف، وتأخذ بتلابيب عقولهم إلى التأمّل والنظر في الحجج الساطعة التي يأتي بها الواقع المشاهد، بحيث لا يسع أحدٌ إنكاره أو المراء فيه، إلّا من سفه نفسه، وألغى عقله، وتخلى عن فطرته التي فطره الله تعالى عليها[1].

فأسلوب القرآن في الإقناع ممتعٌ، يملك على المؤمنين أفئدتهم، فتلِينُ وتخشعُ قلوبهم من خشية الله، وتستنيرُ بنور الإيمان الذي يزداد كلما تُليت آياتُه بتدبّر وتبصّر. قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿1﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿2﴾﴾ [سورة الجن: 1-2].

ولهذا كان للأسلوب القرآني خصائصُه الفنية، وسماتُه البلاغية، ولطائفُه اللّغوية، وسوانُحه العقلية، وتأثيرُه الخاص في النفوس السوية، وفي النفوس الجامحة أيضاً. هذه الخصائص أسمى وأرفع من أن تُحيط بكنهها العقول، أو تعبّرُ عنها ألسنة المتكلّمين أو أقلام الكاتبين[2].

وبعد أن خاض علماء التفسير والبلاغة والأدب غمار البحث والتدبر في كتاب الله العظيم وعكفوا على دراسة علومه وفنونه، بُغية الوقوف على أهم الخصائص والسمات التي تميّز بها أسلوب القرآن عن غيره من كلام الناس، فجعلته معجزا في بيانه وتشريعه. فكانوا بين مُقلّ في سردها ومُكثر، ولكن لم يدَّعِ أحدٌ منهم استقصاءها، أو الإحاطة بها على وجه الاستيعاب، بل إنّهم جميعاً لم يقدّموا لنا من هذه

---

[1]- ينظر: إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، الطبعة02، 1419هـ-1999م، ص327.بتصرف.

[2]- ينظر: إسماعيل، محمد بكر، المرجع نفسه، ص327.

الخصائص إلا قطرةً من بحر، ذلك أن هذه الخصائص مما استأثر الله ﷻ بعلمه، ويبقى القرآن العظيم أبداً هو المعجزة الخالدة إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

والباحث إذ يتكلّم عن بعض هذه الخصائص القرآنية، فإنما يذكرها –كذلك– على وجه التمثيل والتقريب.

لقد تميّز أسلوب القرآن الكريم بخصائص معنوية، وأخرى لفظية، يمكن إيجازها في هذه العناصر:

الفرع الأول: الخصائص اللّفظية:

أولا: مسحة القرآن اللّفظية:

اصطفى الله تعالى من ألفاظ اللّغة العربية أفصحها وأيسرها على اللّسان، وأسهلها على الأفهام، وأقواها تأثيرا على القلوب، وأوفاها تأدية للمعاني، ثم ركّبها تركيباً محكماً، لا يُدانيه في نَسجه كلام بشر.

يقول سيد قطب [1]: "إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز عن الأداء البشري أنّ له سلطانا عجيبا على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلُغُ أحيانا أن يؤثر بتلاوته المجرّدة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً"[2].

فلألفاظ القرآن الكريم جانبٌ كبيرٌ في سُمُوه فوق أنماط التعبير الأخرى، وتقوم هذه الألفاظ القرآنية على اعتبارات لم تتحقق لغيرها، كما أنّ له مسحةً خلابةً عجيبةً تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللّغوي.[3]

---

[1]– هو سيّد قطب إبراهيم بن حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد سنة 1906م بأسيوط في مصر، عمل في جريدة "الأهرام" وكتب في مجلتي "الرسالة" و"الثقافة"، كما عُيّن مُدرسا للعربية، من أهم مؤلفاته: "في ظلال القرآن" وهو تفسيره المشهور، و"التصوير الفني في القرآن". أُدخل السجن، ثم صدر الحكم بإعدامه سنة 1967م. ينظر: الزركلي، الأعلام، الجزء03، ص147 وما بعدها.

[2]– سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة32، 1423هـ-2003م، الجزء03، ص1786.

[3]– ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء02، ص309.

والمراد بنظام القرآن الكريم الصوتي، هو اتساق وائتلاف حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته، اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كلام آخر من منظوم أو منثور[1]. يقول عبد الله دراز:" أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصيةُ تأليفه الصوتي في شكله وجوهره..."[2]، ويظهر ذلك، لو أن أحدا ألقى سمعه إلى هذه المجموعة الصوتية التي تتكون من ألفاظ القرآن الكريم، وهي مُرسلة في الهواء ساذجة مجردة من هيكل الحروف والكلمات يشعر من نفسه ولو كان أعجميا لا يعرف العربية بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كلّ ما عَرَف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر[3].

فإذا كان هذا الجمال الصوتي – للقرآن الكريم – لا يُفوّت تأثيره على أَحد ممن يقرعُ أسماعهم، حتى وإن كانوا لا يفقهون اللّغة العربية، فكيف بالعرب أنفسهم؟

ومعنى جمال القرآن اللّغوي تلك السمة الرائعة التي امتاز بها القرآن الكريم في نظم حروفه ورصفها، وترتيب كلماته ترتيبا بديعا، وانسجاما وثيقا بين ألفاظه، فقد جاء رصفُ المباني وفق رصف المعاني، فاستساغته جميع القبائل على اختلاف لهجاتها قراءة وسماعا[4]؛ ذلك أنّك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذّة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات، هذا يَنقُر وذاك يُصفر وهذا يُخفي وذاك يُظهر وهذا يَهمس وذاك يَجهر، وهلمّ جرّا[5]. فمن هنا يتجلى للإنسان جمالُ لغة القرآن حين يخرجُ إلى الناس في هذه المجموعة المختلفة المؤتلفة الجامعة بين اللّين والشدّة والخشونة والرّقة والجهر والخفية على وجه دقيق مُحكم، وضعَ كُلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه الملائم، حتى تُألُف من المجموع قالب لفظيّ مدهش وقشرة سطحية أخاذة

---

[1]– ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء 02، ص309 بتصرف.

[2]– ينظر: دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، ص101.

[3]– ينظر: الزرقاني، المرجع السابق، الجزء02، ص310. بتصرف.

[4]– ينظر: محمد إسماعيل بكر، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص328 بتصرف.

[5]– ينظر: دراز، النبأ العظيم، ص104.بتصرف.

امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غير مُيوعة وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة[1].

ثانيا: قصد القرآن في اللّفظ مع وفائه بالمعنى:

اللّفظ والمعنى طرفان متقابلان، إن ذهب أحدهم إلى تلخيص اللّفظ وتنقيته من كلّ زيادة وحشو، قَصَّر في حق المعنى ولم يُوفِّه حقَّه، وإن هو اتجه بذهنه إلى المعنى بُغية إظهاره جليّاً لا غموض فيه ولا إبهام، لم يجد سبيلاً إلى ذلك إلاّ باللّجوء إلى الإسهاب والإطناب. "وكلّ ذلك يدركه المرء من نفسه أو من غيره، ما كَتبَ كاتبٌ شيئاً وتعقب نفسَه إلاّ وقال: لو قُلت كذا لكان أفضل، ولو أضفتُ كذا لكان أوفى، ولو حذفتُ كذا لكان أجمل، ولو عاد سبعين مرة لوجد في كلّ مرة ما يحتاج لمحوٍ أو إثبات أو تهذيب أو تبديل..."،[2] وهاتين الغايتين في منتهى البلاغة؛ فقد يعجز الإنسان في الجمع بين هاتين الغايتين، أي أن يكونَ كلامُه كلُّه على منوال واحد، وإلاّ فقد عرفت العربُ الإيجاز مع الوفاء بالمعنى.

أما كلام الله العليم الحكيم، فقد تنزّه عما يعتري البشر من الكلل أو الملل، فإنّ فيه بياناً مُقدَّراً بحسب حاجة النفوس إلى الهداية الربانية، "ومع هذا القصد اللّفظي البريء من الإسراف والتقتير تجدُه قد جلَّى لنا المعنى في صورة كاملة لا تُنقص شيئاً يُعتبر عنصراً أصلياً فيها أو حِليةً مكملةً لها، كما أنها لا تزيد شيئاً يُعتبر دخيلاً فيها وغريباً عنها"[3]، قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[سورة هود:1].

---

[1]- ينظر: الزرقاني، مرجع سابق، الجزء02، ص312.

[2]- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، خصائص القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة 10، 1440هـ - 2000م، ص47.

[3]- الزرقاني، مناهل العرفان، الجزء02، ص324.

أي أنه لو قَرأ الإنسان فقرةً أو جملةً من كتاب الله تعالى، وأحصى عدد آياتها ومفرداتها، ثم أراد استبدال كلماتها بكلمات أخرى من وضعِ البشر تدلُّ على المعنى ذاته، وقارن بين السياقين القرآني والبشري، أيُّهما أقدر على إعطاء المعنى حقَّه؟

إنه حتما سيصل إلى نتيجةٍ حتميةٍ، وهي استحالة حذفِ كلمة من القرآن واستبدالها بأخرى من كلام البشر، وهي الحقيقة التي نَصَّ عليها السيوطيّ حين قال: " ترى البليغَ يُنقّحُ القصيدةَ أو الخُطبةَ حولاً ثمّ ينظر فيها فيغيّرُ فيها وهلمّ جرّا، وكتاب الله تعالى لو نزعتَ منه لفظةً ثمّ أُديرَ لسانُ العرب على لفظة أحسنَ منها لم يُوجد "[1].

ثالثا: روعة اللّفظ القرآني:

تميّز الخطاب القرآني بانتقاء ألفاظه، بحيث تُستخدم كلّ لفظة حيث تؤدي معناها في دقة فائقة، لأن عبارات القرآن لا ترادفَ فيها، بل كلُّ كلمة فيه تحمل معنى جديدا، "فالألفاظ فيه قويةٌ عنيفةٌ في مقام التهديد والوعيد، رقيقةٌ عذبةٌ في مجال الترغيب والتهذيب، وهادئةٌ حسنةٌ في مقام التشريع والتفريع"[2]، ولهذا فإننا لو ذهبنا نبحث في المصحف الشريف من أوله إلى آخر آية فيه، لما ظفرنا على كلمة مَعيبة من حيث الصورة أو الاستعمال، ولما وجدنا فيه لفظاً مُضطرباً أو نَابياً في موضعه، إلى آخر تلك العيوب التي يتتبعها نُقاد الشعر وخبراء الأساليب[3]، وكيف لا تكون كذلك والقرآن العظيم كلام الحكيم العليم ﷻ؟

ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم لكلمة "ضيزى" مُوبخا أهْلَ الشرك، قال سبحانه: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾[سورة النجم، 21-22]، ولحسن هذه الكلمة في هذا الموضع عدَّة اعتبارات لعلّ من أهمها: أن السورة التي وردت فيها فاصلةً لإحدى آيّها ألفيّةُ الفواصل،

---

[1]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء04، ص10.

[2]- المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الجزء01، ص245.

[3]- ينظر: المطعني، المرجع نفسه، الجزء01، ص245 بتصرف.

فجاءت الكلمة ذات نغَم صوتي مُلتَئِم مع فواصل الآي الأخرى، ولو وُضِع موضعَها " جائرةٌ "، أو "ظالمةٌ"، وهي قسيمتها في الدّلالة لجارت على الموضع وفاتت المناسبةُ وحُسْنُ الجوار، فجيء بها – أي ضِيزى – لذلك الالتئام والتناسق الصوتي الذي لا يخفى أثره[1].

رابعا: براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام:

القرآن الكريم غنيٌّ بألفاظه، يُوردُ المعنى الواحد بعبارات وبطرق مختلفة وبمَقْدرة فائقة خارقة تنقطع في حلبتها أنفاسُ الفصحاء والبلغاء. والأمثلة في هذا الباب كثيرة ومتعددة، يقتصر الباحث على نوعٍ واحدٍ منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية[2]:

1- الإتيان بصريح مادة الأمر نحو قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [سورة النساء:**58**].

2- الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين نحو: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [سورة البقرة:**183**].

3- الإخبار بكونه على الناس نحو: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ﴾ [سورة آل عمران:**97**].

4- والإخبار عن المكلّفين بالفعل المطلوب منه نحو: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ [سورة البقرة:**228**]، قروء أي: مطلوب منهن أن يتربصن[3].

---

[1]- ينظر: المطعني، المرجع نفسه، الجزء01، ص248.

[2]- الزرقاني، مناهل العرفان، الجزء02، ص319.

[3] - ينظر: الزرقاني، المرجع نفسه، الجزء02، ص319.

5- والإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره نحو: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[سورة آل عمران:**97**]، أي: مطلوب من المخاطبين تأمين من دخل الحرم.

6- وطلب الفعل بصيغة فعل الأمر نحو: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿238﴾ ﴾[سورة البقرة:**238**] أو بلام الأمر نحو: ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿29﴾ ﴾[سورة الحج:**29**] .

7- والإخبار عن الفعل بأنه خير: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ ﴾[سورة البقرة:**220**]

8- ووصف الفعل بالفريضة نحو: ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾[سورة الأحزاب:**50**] أي: من بذل المهور والنفقة.

9- وترتيب الوعد والثواب على الفعل نحو: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿11﴾ ﴾[سورة الحديد:**11**].

10- ووصف الفعل وصفا عنوانيا بأنه برّ نحو: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[سورة البقرة:**189**].

هذا مثال واحد من أمثلة تصريف القول في القرآن الكريم جاء الأمر فيه بهذه الأساليب المتعددة.

الفرع الثاني: الخصائص المعنوية:

أولاً: إرضاؤه العامة والخاصة

الخطاب القرآني لا يعلو عن أفهام العامة ولا يقصر عن مطالب الخاصة، فهو كلام واحد يخاطَبُ به العلماءُ والعامةُ، والملوكُ والسوقةُ، والأذكياءُ ومَن دُونهم، والصغيرُ والكبيرُ، والذكرُ والأُنثى، ويرى فيه كلٌّ منهم مطلبَه ويُدرك من معانيه ما يكفيه، وهذا ما لا نجده على أتمه وأكمله إلا في القرآن الكريم[1]، فهو الذي يقتحم بجلاله أعماقَ القلوب من غير حاجز أو مؤثر خارجي.

---

[1]- ينظر: الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص34.

معنى هذا أنه إذا قرأَتْهُ العامة، أو قُرئ عليهم أحسُّوا بجلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يُرضي عقولَهم وعواطفَهم، وكذلك الخاصةُ إذا قرؤُوه أو قُرِئ عليهم أحسُّوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثرَ مما يفهمُ العامة، ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام، لا في إشراق ديباجته ولا في امتلائه وثروته[1]. فخطاب القرآن الكريم ميسّر لكلّ من أراد فهمه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿17﴾ ﴾ [سورة القمر: 17].

ثانياً: إقناع العقل وإمتاع العاطفة

حين خلق الله تعالى الإنسان زوّده بقوتين، قوة تفكير وقوة وجدان، وحاجة كلِّ واحدة منهما غير حاجة الأخرى[2]، ولا تجد بليغاً يفي لك بحاجة القوتين في عبارة واحدة، ولكنك تجد ذلك في القرآن الكريم في أجمل صورة وأوضح بيان.

ومعنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معاً، ويجمع الحقّ والجمال معاً، "فأما الأولى، فقوةٌ تغوصُ باحثةً عن الحقائق المستترة والمعاني الباطنة. وأما الثانية فتطفو تبحث عن الجمال الظاهر في القِشرة البادية"[3]، وهاتان القوتان لا يمكن أن تعملا إلاّ مناوبةً، كلّما قَويت واحدةٌ اضمحلت الأخرى، فعندما تستولي قوة التفكير تتناقص قوة العاطفة، وحين تظهر قوة الوجدان تضعف قوة التفكير[4]؛ لكن القرآن الكريم يخاطب العقل والعاطفة معاً، ولا يخاطب العقل وحده؛ لأنه ليس كتاب فلسفة يقف عند حدود سرد المقدّمات، واستنتاج النتائج، في أسلوب متقعّر أو جافّ متحجّر.

ولا يخاطب القلب وحده، لأنه ليس كتاب أدب يعذُب فيه الكذبُ، ويَروق فيه الخيال المفرط، وإنما هو كتاب هداية، ومنهجُ حياة، يهدي الناس إلى ما فيه صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، ويقودُهم

---

[1]- ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، الجزء02، ص313.

[2]- ينظر: دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، مرجع سابق، ص113.

[3]- ينظر: الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص35.

[4]- ينظر: الرومي، المرجع نفسه، ص36.

إلى ساحات الخير والفضل الإلهي، فيدعوهم إلى الإيمان بخالقهم -عزّ وجلّ- في سلاسة أسلوبٍ، وعذوبة منطقٍ، وقوة حجّةٍ لا تدع لهم مجالا للشّك والارتياب[1].

القرآن الكريم يُراوح في خطاباته؛ يخاطب العقل والضمير، لا هو بالأدبي الذي ينساق وراء العاطفة والوجدان، ولا هو بالعلمي أو الفلسفي الذي يهتم بالعقل وحده.

ثالثا: جودة سبك القرآن وإحكام سرده:

القرآن الكريم "تقرؤُه من أوّله إلى آخره، فإذا هو محكمُ السرد، دقيقُ السّبك، متينُ الأسلوب، قويُّ الاتصال، آخذٌ بعضَه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دمُ الإعجاز فيه كلّه من ألفِه إلى يائِه، كأنّه سبيكةٌ واحدةٌ"[2] تأخذ بالأبصار وتلعب بالعقول والأفكار، على حين أنّها مؤلفة من حلقات، لكلّ حلقة منها وحدة مستقلة في نفسها ذات أجزاء، ولكلّ جزء موضع خاص من الحلقة، ولكلّ حلقة وضع خاص من السبيكة، لكن على وجه من جودة السبك وإحكام السرد جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرّقة وحدة بديعة متآلفة[3]، ذلك أن الكلام هو مرآة المعاني، فإذا اتسق واتحد وترابطت أجزاؤه، وتلاحمت أفراده، وأُحكم سرده، صَفَت معانيه وانجلت، وإلاّ يكن الكلام كذلك، فإن المعنى حتما سيتبدد وستتفرق أجزاؤه كما تتبدد الصورة على المرآة المشروخة[4].

رابعا: جمع القرآن بين الإجمال والبيان:

وهذه أيضا من معجزات القرآن — البيانية -لا تتوفر في كلام آخر من غير القرآن، ذلك أن الإجمال والبيان أسلوبان متقابلان لا يجتمعان في كلام واحد للناس بل كلامهم إما مجمل وإما مبيَّن،

---

[1]- ينظر: إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، ص39.

[2]- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء**01**، ص20.

[3]- ينظر: الزرقاني، المرجع نفسه، الجزء02، ص316، بتصرف.

[4] - ينظر: الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص39.

لأن الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بيان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بيان[1]، أما " القرآن فإنه يستثمر دائما برفق أقلّ ما يمكن من اللّفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، أجل تلك ظاهرة بارزة فيه كلّه، يستوي فيها مواضع إجماله...ومواضع تفصيله"[2].

ولهذا السرّ وسع كتاب الله جميع أصحاب المذاهب الفقهية والطوائف المتعددة يقرؤون الآية من القرآن فيستدلون بها – على اختلاف آرائهم – على ما ذهبوا إليه، والآية هي نفسها. يقول محمد عبد الله دراز–رحمه الله–: "ألم تر كيف وسع الفرق الإسلامية على اختلاف منازعها في الأصول والفروع؟ ... يحتج به كلّ فريق لرأيه، ويدّعيه لنفسه، وهو في سمّوه فوق الجميع يُطلّ على معاركهم حوله".[3]

ولا يزال القارئ المتدبر لكتاب الله تعالى يُلامسُ بأم عينيه تلك الأساليب المتنوعة التي تؤدي المعنى الواحد بألفاظ مختلفة، "بين إنشاء وإخبار وإظهار وإضمار، وتكلم وغيبة وخطاب، ومضي وحضور واستقبال، وإسمية وفعلية، واستفهام، وامتنان، ووصف، ووعد ووعيد"[4]، إلى غير ذلك من فنون القول المتعددة.

---

[1]– ينظر: الزرقاني، مرجع سابق، الجزء02، ص323.

[2]– دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، ص127.

[3]– دراز، النبأ العظيم، ص118.

[4]– الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص44.

الفصل الأول: الأساليب العقلية وتجلياتها في الخطاب القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الحجاج في الخطاب القرآني

المبحث الثاني: أسلوب ضرب الأمثال في الخطاب القرآني

المبحث الثالث: أسلوب الحوار والجدل في الخطاب القرآني

مدخل:

خلق الله ﷻ الإنسان، وفضله على جميع المخلوقات بالعقل الذي يُميّز به بين الحقّ والباطل، والصحيح والسقيم، وجعله مناط التكليف، والسبيل الذي يدلّه على خالقه ﷻ، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿70﴾ ﴾[سورة الإسراء: 70].

وكتاب الله تعالى ذكره حافلٌ بالآيات التي تأمر الإنسان بتفعيل هذه الآلة التي زوده بها، وتدعوه إلى النظر والتدبر والتفكر. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿24﴾ ﴾[سورة عبس: 24]. وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة البقرة: 219]. وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿242﴾ ﴾[سورة البقرة: 242].

وقد فسح القرآن الكريم المجال للعقل ولم يحجر عليه، فدعاه إلى مناقشة قضايا في غاية الأهمية والخطورة، كقضية الربوبية، والبعث والنشور؛ وذلك حتى يصل به إلى قناعة لا تحتمل الشك. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾ ﴾[سورة سبأ: 24].

كما قارعَ القرآن العظيم مُنكري رُبوبية الله تعالى وتفرده بالألوهية، والمشككين في الرسالة، والبعث، بمختلف الحجج والبراهين، مستعملاً في ذلك أساليب عقلية وأقيسة منطقيه، من أجل إثبات صدق ما يدعو إليه. فقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿35﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿36﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿37﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿38﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿39﴾ ﴾ [سورة الطور: 35-39].

وفي هذا الموضع من الدراسة سوف يعرض الباحث ثلاثة أساليب قرآنية، يأمل من خلالها تقديم تصورٍ عامٍ حول المنهج العقلي في الخطاب القرآني.

المبحث الأول: أسلوب الحجاج في الخطاب القرآني

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الحجاج في اللّغة والاصطلاح

المطلب الثاني: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم وأهم خصائصه:

المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في الحجاج القرآني

تمهيد:

حين خلق الله تبارك وتعالى الإنسان، خلقه على درجات مختلفة في الفهم، ومستويات متفاوتة في العلم، وخصّه بإدراك العلوم المادية والفكرية دون الحقائق الغيبية؛ فمن أجل ذلك أرسل الله تعالى الرسل وأنزل معهم الكتب، ليرشدوا الناس إلى الحقائق الإيمانية الغيبية، وقد تضمنت هذه الرسالات حُججا وبراهين قطعية مُلزمة للإيمان بها، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ ﴾ [سورة النساء:**165**]. فدلت الآية بمنطوقها على أنه لا تكليف إلاّ بعد إرسال الرسل وإقامة الحجّة الواضحة البيّنة. قال ابن جرير: "فقطع [الله ﷻ] حجّة كلّ مُبطل أَلْحَدَ في توحيده وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إعذارا منه بذلك إليهم، لتكون لله الحجّة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه"[(1)].

وبما أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، الذي ختم الله تعالى به جميع الرسالات، فقد حمل بين دفتيه أرقى الأساليب الحجاجية المقنعة، وأبلغ الصور البيانية المؤثرة، فخاطب الله عزّ وجلّ به الناس جميعا، على اختلاف عقائدهم وتباين طبقاتهم وتفاوت مستوياتهم، فكلّ من يقرأ القرآن أو يستمع إليه يشعر أنه هو المعني بالخطاب. "فحاجج العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة، وحاجج أهل الكتاب بما يجدونه مكتوبا في كتبهم، وحاجج الفلاسفة، ببرهنة الحقائق الإيمانية بحجج جدلية عقلية وأقيسة منطقية ملزمة لهم، وحاجج الكهان والعرافين بأخبار غيبية غائبة عنهم، ولا زالت حججه تتجدد يوما بعد يوم"[(2)]. وفي هذا دليل على إعجاز القرآن الكريم، وأنه ليس من وضع أحد، حتى ولو كان نبيّا مُرسلا.

فمن خلال هذا المبحث سوف يتناول الباحث هذا الأسلوب القرآني بالدراسة، من حيث تعريفه في اللّغة والاصطلاح، ثم يعرّج على دلالة مصطلح الحجاج في الاستعمال القرآني الكريم وأهم خصائصه، ليصل إلى بيان مظاهر الحجاج العقلي في الخطاب القرآني.

---

(1)- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، الجزء07، ص693.

(2)- البرواري، آماد كاظم، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن، إصدار مؤسسة السبيل، (د.ط)، (د.ت)، ص24.

المطلب الأول: مفهوم الحجاج في اللّغة والاصطلاح

الفرع الأول: تعريف الحجاج لغة

لمعرفة الدّلالة اللّغوية للفظة الحجاج يجدر بالباحث أن يغوص- ولو قليلا – في أمهات الكتب ومعاجم اللّغة العربية حتى يتعرف على الأصول الأولى للجذر الثلاثي (ح.ج.ج).

يرجع أصل مادة الحجاج في المعاجم العربية إلى الجذر اللّغوي (ح.ج.ج) حيث اشتقت منه (الحجّة، والحجاج، والتحاج، والمحاجّة، والمحاججة)، وهي كلُّها ألفاظٌ متقاربةٌ من حيث الدّلالة، والحجاج مصدر حاجّه محاجّة وحجاجا.[1]

وقد ورد في "مقاييس اللّغة" قول صاحبه: "(حجّ) الحاء والجيم أصولٌ أربعةٌ. فالأوّل: القصدُ، وكلُّ قصد حجٌّ ... ثم اختص بهذا الاسم القصدُ إلى البيت الحرام للنُّسك. والحجيج: الحاج ... ومن الباب المِحَجَّة، وهي جادةُ الطريق. وممكن أن يكون الحُجَّةُ مُشتقةً من هذا، لأنها تُقصد، أو بها يُقصد الحقُّ المطلوبُ. يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجَّة، وذلك الظَفَر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج...والأصل الآخر: الحِجَّةُ وهي السنة. وقد يمكن أن يُجمعَ هذا إلى الأصل الأول، لأن الحجَّ في السنة لا يكون إلّا مرةً واحدةً، فكأن العام سُمِّيَ بما فيه من الحَجِّ حِجَّةً ... والأصل الثالث: الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين. يقال للعظيم الحجاج أحجّ، جمع الحجاج أحجّة. والأصل الرابع: الحجحجة النكوص. يقال: حملوا علينا ثم حجحجوا، والمحجحج: العاجز...."[2].

وقال صاحب "أساس البلاغة" في مادة (ح ج ج): " إحتج على خصمه بحُجّة شهباء، وبحجج شُهب، وحاج خصمه فحجَّه، وفلان خصمه محجُوجٌ، وكانت بينهما مُحاجة ومُلاجة"[3].

---

[1]- ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، الجزء03، ص10.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء02، ص29، 30، وما بعدها.

[3]- الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء01، ص169.

وجاء أيضا في "لسان العرب": "حاججته أحاجّه حجاجا ومحجّة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها...، والحجّة الدليل والبرهان، وقيل: الحجّة ما دُفِع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، ورجلٌ محجاج أي: جدِل، والتحاجُّ: التخاصم. وجمع الحُجَّة: حُجج وحِجاج...".[1]

كما ورد مشتق لفظة الحجاج في السنّة النبوية، وذلك في حديث الدَّجال الذي رواه النواس بن سمعان – رضي الله عنه –، أن النبيّ ﷺ قال: إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حَجِيجُه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حَجيجُ نفسه، والله خليفتي على كلّ مسلم..."[2].

قال القرطبيّ[3] في شرحه على «مسلم»: "(حجيجه) أي: محاجّه ومخاصمه، وقاطعه بالحجة بإظهار كذبه وإفساد قوله. وقوله: (فامرؤ حجيج نفسه) أي: ليحتج كلّ امرئ عن نفسه بما أعلمته من صفته، وبما يدلّ العقل عليه من كذبه في دعوى الإلهية، وهو خبر بمعنى الأمر، وفيه التنبيه على النظر عند المشكلات، والتمسك بالأدلة الواضحات"[4].

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، الجزء02، ص228.

[2]– الحديث أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" من رواية النواس بن سمعان – رضي الله عنه –، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدّجال وصفته وما معه، رقم: 2937، الجزء04، ص2250.

[3]– هو أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبيّ، يُعرف بابن المزين الإمام الفقيه المحدّث – وهو غير أبي عبد الله القرطبي صاحب الجامع لأحكام القرآن –. سمع من أبي القاسم بن عبد الرحمن بن ملجوم وعبد الحق الإشبيلي وغيرهما. وعنه أخذ أئمة منهم: الحافظ أبو الحسن بن يحي القرشي وأبو عبد الله بن فرح القرطبي صاحب التذكرة وشرف الدين الدمياطي، من مؤلفاته: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم". تُوفي بالإسكندرية سنة 656 هـ – 1258م. ينظر: محمد بن محمد ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء01، ص278، رقم: 688.

[4]– القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محي الدين ديب ميستو، وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة01، 1417هـ-1996م، الجزء07، ص276.

وورد عن الحافظ ابن حجر [1] في "فتح الباري" قوله: "... تحاجّت أصله تحاججت وهو مفاعلة من الحجاج وهو الخصام وزنه ومعناه يقال حَاجَجْتُه مُحاجَجَةً ومُحاجَّةً حِجاجاً أي غالبته بالحجّة ومنه «فحجّ آدم موسى»[2]"[3].أي: غلبه بالحجّة، أو "دفع حجّته التي ألزمه اللّوم بها"[4].

ويؤكد هذا المعنى الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [سورة البقرة آية :258] قال: "معنى حاجَّ خاصم، وهو فعلٌ جاء على زنة المفاعلة ولا يُعرف لحاجَّ في الاستعمال فعلٌ مجردٌ دالٌّ على وقوع الخصام ولا تُعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أنّ الحجّة في كلام العرب البرهان المصدِّق للدَّعوى، مع أنّ حاجَّ لا يُستعمل غالبا إلاّ في معنى المخاصمة... وأنّ الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل".[5]

---

[1] – هو شيخ الإسلام وحافظ الديار المصرية قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر بن محمد بن محمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي: ولد سنة 773هـ، رحل في طلب الحديث، ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي وبرع في الحديث وتقدّم في جميع فنونه، من مؤلفاته: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، و"تعليق التعليق"، و"تهذيب التهذيب"، و"الإصابة في الصحابة"، و"نكت ابن الصلاح"، توفي سنة 852هـ. ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ذيل طبقات الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ص251.

[2]– الحديث أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: «فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى» [طه: 117]، رقم: 4738. الجزء06، ص96. وتمامه: "عن النّبيّ ﷺ قال: " حاجّ موسى آدم، فقال له: أنت الّذي أخرجت النّاس من الجنّة بذنبك وأشقيتهم، قال: قال آدم: يا موسى، أنت الّذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني – أو قدّره عليّ قبل أن يخلقني – " قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «فحجّ آدم موسى».

[3]– العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379هـ، الجزء13، ص436.

[4]– العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، المرجع نفسه، الجزء11، ص510.

[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء03، ص32.

والملاحظ في أصل هذا الوضع اللّغوي الأخير، أنّ صاحبه قد وقف على مَلمَح هام، وهو مُراعاة السياق القرآني، فذكر أنّ كلمة حاجَّ لا تأتي في السياق القرآني الكريم إلاّ بمعنى المخاصمة.

جماع القول: هو أنّ الدّلالة اللّغوية للفظة الحجاج تعني الجدال والنزاع والخصومة وإفحام الخصم وإقناعه باستعمال الأدلة والبراهين والحجج، فيكون مرادفا للجدل بحسب ابن منظور الذي عرَّفَ الجدل بأنه: "مقابلة الحجة بالحجة"[1].

الفرع الثاني: تعريف الحجاج اصطلاحا

يعتبر الحجاج من المصطلحات القديمة التي تداولتها كتب التراث الإسلامي، فلا تكاد تخلو هذه المصنفات من استخدام مصطلح الحجاج ومشتقاته (الاحتجاج، والمحاججة، والمحاجّة، والحجّة)، أو مضامينها (المجادلة، والمناظرة)، خصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري أو العقدي التي كثيرا ما يعتريها الخلاف، وكذلك المجال اللّغوي بصفته الوسيلة الموصلة لإقناع الخصم أو التغلب عليه.[2]

وقبل البدء في تعريف مصطلح الحجاج يَحسُن بالباحث أن يتطرق أولاً إلى تعريف «الحجّة»، لارتباط لفظة الحجاج بمشتق الحجّة كما سبق بيانه.

فقالوا: "الحُجّة هي اسمٌ مُضعّفٌ على زنة (فعلة) لبرهان أهل الحقّ والدلالة البيّنة للمحجّة أي المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين"،[3]أو هي "ما دلّ على صحة الدّعوى، وقيل

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، الجزء11، ص105.

[2] – ينظر: ميّارة، لمهابة محفوظ، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللّغة العربية، دمشق، المجلد (81)، الجزء 03، ص507.

[3] – الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، الجزء02، ص431.

الحجة والدليل واحد"[1]، أو "هي عبارة عن دليل الدّعوى، وقد تطلق على الشبهة أيضا، لأنها مستند المخالفة، ... فهي حقيقة في الدليل مجاز في الشبهة"[2].

وكخلاصة لهذه التعريفات يمكننا القول: إنّ الحجّة هي الدليل أو البرهان الذي يُثبت به أهل الصلاح صحة قضيتهم أو دعواهم؛ فهي غالباً ما تكون وسيلةَ أهل الاستقامة في بيان الحقّ. ولذلك نُسبت إلى الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [سورة الأنعام:**149**].

أما مصطلح الحجاج، فقد ذهب عددٌ من العلماء إلى اعتباره مرادفا للجدال، ومن أشهرهم ابن سينا الفيلسوف،[3] الذي عرّف الجدل بأنه: "مخالفةٌ تبغي إلزام الخصم بطريق مقبولٍ محمودٍ بين الجمهور".[4]

فمن خلال تعريف ابن سينا للجدال، يتبيّن أنه يراه مرادفاً للحجاج – الذي هو التغلّب والتفوق على الخصم عن طريق الحجج والبراهين –، وقد سبق إيراد نصّ ابن منظور: "... رجل محجاج أي: جدل، والتحاج التخاصم"[5]. كما يُفهم أيضا من تعريف ابن سينا للجدل أنه أسلوبٌ محمودٌ، الغاية منه الوصولُ إلى الحقّ ودحضُ شُبهِ الخصم.

---

[1] – الجرجاني، التعريفات، ص 82.

[2] – ابن الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري، استخراج الجدال من القرآن الكريم، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة 02، 1401هـ، ص62.

[3]– هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور، أحد فلاسفة المسلمين، دَأَبَ على تحصيل العلوم، وكان نادرة عصره في علمه وذكائه، صنَّف كتاب " الشفاء " في الحكمة، و " النجاة " و " الإشارات " و " القانون " وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى. توفي بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، ودفن بها. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء02، ص157 وما بعدها.

[4]– ابن سينا، الشفا، كتاب الجدل، تصدير ومراجعة: إبراهيم مدكور، تحقيق: أبو العلا عفيفي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1375هـ/1956م، الجزء03، ص23.

[5]– ابن منظور، لسان العرب، الجزء02، ص228.

كما أشار القاضي أبو الوليد الباجي [1] إلى أهمية الحجاج وذلك في قوله: "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحقّ من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتضحت محجّة ولا عُلِم الصحيحُ من السقيمِ ولا المعوجُ من المستقيمِ"[2].

والذي يترجح في نظر الباحث – والعلم عند الله تعالى – هو القول بأن الحجاج والجدال بمعنىً واحدٍ، وهو الذي ذهب إليه الزركشيّ [3] والسيوطيّ؛ فهما وإن كانا قد "وَسِما الفصل الذي عقداه لهذا العلم (بجدل القرآن)[4] إلا أنهما قد أكثرا من استخدام ألفاظ المحاجّة والحجاج والاحتجاج، على أنها مرادفة للفظ الجدل وتسدّ مسدّه"[5].

---

[1]– هو: القاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف التميمي: الفقيه الحافظ. أخذ عن أبي الأصبغ بن شاكر ومحمد بن إسماعيل وأبي محمد مكيّ والقاضي يونس بن عبد الله بن مغيث وغيرهم، صنف كُتبا كثيرة نافعة منها: التسديد إلى معرفة التوحيد، والمنهاج في ترتيب الحجاج، وأحكام الفصول في أحكام الأصول، والتعديل والتجريح لما خرج عنه البخاري في الصحيح، وشرح الموطأ. وغير ذلك. مولده سنة 403 هـ، وتوفي سنة 474 هـ. ينظر: محمد بن محمد بن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الجزء01، ص178.

[2]– الباجي، أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، المغرب، الطبعة02، 1987م، ص8.

[3]– هو أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله بدر الدين الزركشي المصري، مولده سنة خمس وأربعين، أخذ عن جمال الدين الإسنوي وسراج الدين البُلقيني، كان فقيها أصوليا وأديبا فاضلا، من مؤلفاته: شرح جمع الجوامع للسبكي، وتخريج أحاديث الرافعي، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة. ينظر: الشهبي، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت:851هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة01، 1407هـ، رقم:700، الجزء03، ص167.

[4]– ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر (ت:794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركائه، الطبعة1، 1376هـ-1957م، الجزء2، ص24، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء4، ص60.

[5]– صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة01، 2001م، ص13.

يقول الزركشيّ: "اعلم أنّ القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليّات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [سورة إبراهيم:4].

والثّاني: أنّ المائل إلى دقيق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجّة بالجليل من الكلام، فإنّ مَن استطاع أن يُفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزا فأخرج تعالى مخاطباته في محاجّة خلقه في أجلّ صورة تشتمل على أدقّ دقيق لتَفهمَ العامةُ من جليلها ما يُقنعُهم ويُلزمُهم الحجّة وتَفهمَ الخواصُ من أثنائها ما يُوفّى على ما أدركه فهم الخطباء"[1].

وقد عرَّف الزركشيّ الحِجاج بقوله: هو "الجام الخصم بالحجّة، وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه"[2].

ونقل السيوطيّ تعريفا قريبا من تعريف الزركشيّ، غير أنه التفت إلى مَلمح مُفيد، وهو أن من الحجاج ما يكون على طريقة المناطقة الذين ينطلقون من مقدمة صادقة للوصول إلى نتيجة صحيحة. فقال: "وتعريفه – المذهب الكلامي – أنّه احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوعٌ منطقيٌّ تُستنتجُ منه النتائجُ الصحيحةُ من المقدِّمات الصادقة.[3]

كما تكلم ابن قيم الجوزية على الحجاج وأطلق عليه اسم الاحتجاج النظري، يقول: "وبعضُ أهل هذا الشأن يسميه المذهبَ الكلاميَّ...وهو أن يذكُر المتكلّمُ معنىً يستدلُ عليه بضربٍ من المعقول، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، الجزء02، ص24.

[2]- الزركشي، المرجع نفسه، الجزء03، ص468.

[3]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء04، ص60.

ٱلۡعَلِيمُ ﴿81﴾ ﴾ [سورة يس:81]. وقال تعالى:﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿22﴾ ﴾ [سورة الأنبياء:22]. وكذلك قوله سبحانه: ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿78﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿79﴾ ﴾ [سورة يس:79] .... وقيل: إن الحجاج أن يخرج الكلام على طريق الجدل".[1]

فيظهر من التعاريف السالفة الذكر – التي أوردها الزركشي والسيوطي، ومن كلام ابن القيّم أيضاً – أن الحجاج يُقصد منه الغلبة والظفر على الخصم بواسطة الأدلة العقلية والأقيسة المنطقية، وقد يكون مرادفا للجدال.

ورغم تداول هذا المصطلح عند المتقدّمين، إلا أن المعاجم الاصطلاحية لا تُسعف الباحثين بتعريف وافٍ شافٍ لمصطلح الحجاج – في حدود ما اطلع عليه الباحث – إلاَّ ما ورد عن الراغب الأصفهاني في مفرداته، قوله: "والمحاجّة: أن يطلب كلّ واحد أن يردّ الآخر عن حجّته ومحجّته"[2].

أما الباحثون المعاصرون فيرون ألا ترادف بين الحجاج والجدل، وأن أوجُهَ الصلة بينهما يكمن في المنازعة والمخاصمة فحسب، مؤكدين أن الحجاج أوسعُ من الجدل، إذ أن كلّ جدل حجاج، وليس كل حجاج جدل، وعَدُّوا الحجاج قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة.[3]

---

[1]– ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص136 وما بعدها.

[2] – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص219.

[3] – ينظر: صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص17.

يرى طه عبد الرحمن [1] أنّ الحجاج هو: "كلّ منطوق مُوجَّهٍ إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"[2].

يظهر من هذا التعريف أن صاحبه يَقصُر الحجاج في الكلام المنطوق فقط، فهو لا يعتبر الكلمة المكتوبة التي يراد بها إقناع المخاطب بقضية ما من الحجاج.

وقال صاحب كتاب "أسس الفلسفة" "الحجاج هو: فن ترتيب الأفكار ترتيبا دقيقا بحيث يؤدي إلى الكشف عن حقيقة مجهولة، أو إلى البرهنة على صحة حقيقة معلومة"[3]، وقيل: هو "مراجعة الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة".[4]

"فالحجاج الجدلي هو الحجاج القائم على الحجج العقلية الملزمة، ويقصد منه إفحام الخصم والغلبة عليه، في حين الحجاج الخطابي، فهو مبنيّ غالبا على الوسائل العاطفية، ويقصد منه إقناع المخاطب واستمالة قلبه".[5]

نستنتج مما سبق ذكره – من تعريفات – أن الحجاج أعمّ من الجدل؛ لأنه يشمل الخطاب أيضا، ويتحقق عبر استخدام وسائل الإقناع والتأثير سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، وبتوظيف مختلف الحجج

---

[1]– طه عبد الرحمن: فيلسوف ومفكر مغربي يُلقب بـ "فيلسوف الأخلاق". حصل على دكتوراه الدولة عام 1985 بأطروحة تحت عنوان "رسالة في الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه. وهو عضو في "الجمعية العالمية للدراسات الحجاجية" وممثلها في المغرب، سعى لتجديد الفكر الديني الإسلامي لمواجهة التحديات الفكرية التي تطرحها الحضارة الحديثة، وتنوعت موضوعات كتبه بين المنطق والفلسفة وتجديد العقل ونقد الحداثة، منها: "اللّغة والفلسفة". و"المنطق والنحو الصوري". ينظر: موقع الجزيرة الإعلامية، اطلع عليه يوم:2021/10/02 على الساعة: **11.00 /http://www.aljazeera.net**

[2] – طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، (د ط)، (د ت)، ص226.

[3] – توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، 1979م، ص140.

[4] – أبحاث ووقائع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإسلام والحضارة ودور الشباب الإسلامي، الطبعة03، الرياض، الجزء01، ص562.

[5] – البرواري، آماد كاظم، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن، ص12.

والبراهين؛ ومعنى هذا أن هناك حجاج جدلي يقوم على الحجج العقلية، وحجاج خطابي يستخدم الوسائل العاطفية والغرض منه استمالة قلوب المخاطبين.

وعلى ضوء ما سبق ذكره حول مفهوم الحجاج يمكن استخلاص ما يلي:

1. إنّ الحجاج يقوم على وجود اختلاف في الرأي بين طرفين، ومحاولة الطرف الأول التدليل على صحة رأيه بالحجّة، لاستدراج الثاني وإقناعه.
2. إنّ الإقناع أو الغلبة هما الغاية من أية عملية حِجاجية، وأن الوسيلة التي يعتمد عليها الخصمان هي قوة الحجة والتفوق في الاستدلال.
3. إنّ مدار الحجاج أو ميدانه وحدوده هو الاحتمال والنظر، وليس الحقائق البديهية المطلقة، فهو قائم على البرهان والاستدلال قصد تحقيق مصداقية لدى المخاطب، وبالتالي إقناعه والتأثير فيه.

وبعد الاطلاع على أهم المفاهيم اللّغوية والاصطلاحية للفظة الحجاج في نظر المتقدمين والمتأخرين – والتي تعني محاولة إقناع الخصم باستخدام وسائل الإقناع والتأثير، ويصحبه – غالباً – الخصام والنزاع ويكون مرادفا للجدال عند بعضهم – يأتي سؤال ليطرح نفسه: هل تحمل دلالة الحجاج في الاستعمال القرآني المعنى نفسه عند اللّغويين والمتكلّمين والفقهاء، أم لها مفهوماً آخر يميّزها عن بقية المفاهيم الوضعية؟ هذا ما سيتكفل به المطلب الثاني – بحول الله تعالى –.

المطلب الثاني: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم وأهم خصائصه:

الفرع الأول: مفهوم الحجاج في الاستعمال القرآني:

لا شك أنّ لكلّ مصطلح قرآنيّ ما يُميّزه عن غيره من المصطلحات المتداولة في كتب التراث، وهذا بسبب خصوصية الخطاب القرآني وسُموّه على كلّ خطاب بشري، ضِف إلى ذلك لغة النصّ القرآنيّ الذي أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين، وبالتالي فمصطلح الحجاج في القرآن يختلف اختلافاً بيّناً عما هو عليه عند الفلاسفة والمتكلّمين، ولعلّ هذا الذي أشار إليه السيوطيّ في كتابه "صون المنطق والكلام"، حيث قال: "لم ينزل القرآن ولا أتت السنّة إلاّ على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال، لا على مصطلح اليونان، ولكلّ قوم لغة واصطلاح، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ

أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [سورة إبراهيم:4]، فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره، وخرّج الوارد من نصوص الشرع عليه، جهل وضلّ ولم يصب القصد"[1].

إنّ كلام السيوطي هذا يُشير- ولو من طرف خفيّ - إلى أنّ لغة كتب التراث الإسلامي لم تعدّ رصينةً أصيلةً كما كانت عليه زمن التنزيل، بسبب ما طرأ عليها من مصطلحات دخيلة، خاصة بعد ترجمة كتب الفلاسفة والمناطقة اليونان.

ويؤكد ابن قيّم الجوزية في كتابه "مفتاح دار السعادة" احتواء الخطاب القرآني على أسلوب الحجاج، وذلك من خلال تفنيده للآراء القائلة بخلو القرآن من الحجج والبراهين، يقول: "وقد يقع في وَهْمٍ كثيرٌ من الجهال أن الشريعة لا احتجاج فيها، وأن المرسل بها صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يحتج على خصومه ولا يجادلهم...وأنّ الشريعة خطابٌ للجمهور ولا احتجاجَ فيها، وأنّ الأنبياءَ دَعَوا الجمهور بطريق الخطابة، والحُجج للخواص، وهم أهل البرهان يَعنُون أنفسَهم ومن سلك طريقهم، وكلّ هذا من جهلهم بالشريعة والقرآن، فإن القرآن مملوءٌ بالحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل..."[2].

إنّ هذا النصّ الذي أورده ابن قيّم الجوزية، يؤكد القول بوجود التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني.

إذا تقرر هذا، فسينتقل الباحث إلى بيان دلالة الحجاج الاصطلاحية كما وردت في القرآن الكريم.

إن الناظر في أصل مادة (ح-ج-ج) وما تصرف عنها في القرآن الكريم يجد أنها قد ذُكرت في ثلاثة وثلاثين موضعا وفي سياقات متعددة،[3] ثم إن هذا الجذر اللّغوي تتولد عنه ثلاثة مفاهيم رئيسة:

---

[1]- السيوطي، جلال الدين، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق: علي سامي النشار، وسعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية، (د ط)، (دت)، ص16.

[2]- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، الجزء01، ص145.

[3]- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص193، وما بعدها.

الأول: مشتق "الحَجّ" الدال على الشعيرة المعروفة، وقد ورد في اثنتي عشر موضعا[1]، في مثل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [سورة البقرة:**189**]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[سورة البقرة:**158**]، وقوله سبحانه: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [سورة التوبة:**19**].

الثاني: مشتق "الحِجَج" أي: السنوات، وقد ورد في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ [سورة القصص:**27**].

الثالث: مشتق "الحُجَّة" وتعني الدليل والبرهان،[2]وهو المفهوم الذي يتوافق مع مصطلح الحجاج والمقصود بهذا المبحث، وقد ورد في عشرين موضعا وبصيغ مختلفة،[3]كما هو مُبيّنٌ في الجدول التالي:

أولاً: مشتقات الحجاج في القرآن الكريم:

الترقيم	الآية	رقمها	اسم السورة
01	﴿ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾	**76**	**البقرة** (م)
02	﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾	**139**	**البقرة** (م)

---

[1]- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المرجع نفسه، ص193.

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء02، ص228.

[3]- ينظر: مجمع اللّغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، جمهورية مصر العربية، الإدارة العامة للبحوث وإحياء التراث، (د.ط)، 1409هـ-1989م، ص269 وما بعدها.

03	﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾	150	البقرة (م)
04	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾	258	البقرة (م)
05	﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾	20	آل عمران (م)
06	﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	61	آل عمران (م)
07	﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	65	آل عمران (م)
08	﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	66	آل عمران (م)
09	﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِىتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾	73	آل عمران (م)

10	﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	165	النساء (م)
11	﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾	80	الأنعام (ك)
12	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾	83	الأنعام (ك)
13	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) ﴾	149	الأنعام (ك)
14	﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾	47	غافر (ك)
15	﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾	15	الشورى (ك)
16	﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾	16	الشورى (ك)
17	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا ﴾	25	الجاثية (ك)

ثانياً. توصيف الجدول:

كان هذا التتبع بالاعتماد على "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد فؤاد عبد الباقي،[1] و"معجم ألفاظ القرآن الكريم" الذي وضعه مجمع اللّغة العربية، وقد سلك الباحث في معرفة المكيّ والمدني على ما ورد في كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن"، ذلك أن صاحبه يضبط كل سورة بذكر اسمها ورقم ترتيبها في المصحف، ثم المرحلة التي نزلت فيها، فيرمز للمكي بـ (ك)، والمدني بـ (م)، ثم رقم الآية داخل السورة. هذا مع التأكد منها من خلال كتاب "الإتقان في علوم القرآن"[2] والذي ابتدأ السيوطيّ به النوع الأول: في معرفة المكي والمدني.

وسيقدّم الباحث قراءة مجملة وموجزة حول هذه الآيات، لإبراز مظاهر الحجاج ودلالاته القرآنية، من خلال المواضع التي وردت فيها مادة الحجّة وما تصرف عنها.

أ- من خلال إمعان النظر في هذه الآيات التي تضمنت الجذر اللّغوي (ح.ج.ج) ومشتقاته الواردة في القرآن الكريم – والتي تدلّ على المحاجة –، يُلاحَظ ورود مادة المحاجة أو الحجاج وما تصرف عنها في عشرين موضعاً – كما سبق ذكره[3] – مُوزعةً على سبع عشرة آية، وتنتمي إلى سبع سور، منها أربع سور مكيّة وثلاث مدنية.

ب- تقاربُ عدد المواضع التي ورد بها مُشتقُ الحجّة وما تصرف منها، فيُلاحظ أنها قد وردت في تسعة مواضع من القرآن المكيّ، في مقابل أَحدَ عشر موضعاً من القرآن المدني؛ ولعلّ هذا التقارب في التوزيع يُوحي – والعلم عند الله تعالى – إلى الوضع الفكري والعقدي الذي رافق تنزل القرآن الكريم

---

[1]- هو محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد، عالم بتنسيق الأحاديث النبويّة ووضع الفهارس لها، ولآيات القرآن الكريم. مصريّ الأبوين، وُلد عام 1299هـ/1882م، ونشأ في القاهرة، ودرّس في بعض مدارسها ثم عمل مترجما عن الفرنسية في= =البنك الزراعي، ثم انقطع إلى التأليف حيث ترجم: (مفتاح كنوز السنة) عن الإنكليزية، و(تفصيل آيات القرآن الحكيم) عن الفرنسية. ومن مصنفاته: (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، و(اللُؤلُؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان). توفي بالقاهرة سنة: 1388هـ/1968م. ينظر: الزركلي، الأعلام، الجزء06، ص333.

[2]- ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء01، ص39، وما بعدها.

[3]- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص193.

في المرحلتين المكيّة والمدنية، "لأن الحجاج مُعبّرٌ بصيغة الفعلية عن سلوك متمكّنٍ في نفوس هؤلاء، ونزعةٍ طاغية عليهم، مستوليةٍ على عقولهم وقلوبهم، ألا وهي الجدل المذموم والشقاق"[1].

ت- سورة الأنعام من بين السور المكية الواردة في الجدول هي أكثرها ورودا (أربع مرات)، وأن سورة آل عمران من بين السور المدنية فيه أيضا هي أكثرها ورودا (ست مرات)، ثم تليها سورة البقرة (أربع مرات)، وهذه السور الثلاث هي من السبع الطوال قد استوعبت مقالات جميع الطوائف المخالفة حينئذ، وهم المشركون واليهود والنصارى.

ث- كما يظهر بروز مفهوم المحاجّة والحجاج، فحجم ورود هذه المادة وإن كان يبدو قليلاً مقارنة بمفاهيم أخرى، مثل: الصدق والصلاة، أو الإيمان والكفر، وغيرها، "فإنه وعلى الخصوص بالنسبة إلى مشتق "الحجّة" منه قويٌّ في دلالته، غنيٌّ في معانيه، واسعٌ في مظاهره وآفاقه؛ ولذلك صحّ إسناده إلى الله في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ [سورة الأنعام: **149**]"[2].

ج- إن الصيّغ الصرفية التي ورد بها مفهوم الحجاج – بلفظه – في القرآن الكريم قد جاء متنوعا ما بين الماضي في مثل: (حاجّ-حاجّك-حاجّه-حاجّوك-حاججتم-...)، والفعل المضارع في مثل: (يحاجّوكم-أتحاجّوني- يتحاجّون...)، والاسم: (حُجّة)، بيد أن الصيّغ الفعلية هي الأكثر ورودا، وأن الفعل الماضي: (حاجّ) من فاعل، والمضارع: (يحاجّ) من يفاعل يدلان على المشاركة، ولكن دلالتيهما ليستا في قوة دلالة صيغة: (يتحاجّ) من يتفاعل الدَّالة على المشاركة المصحوبة بالمنازعة والمخاصمة[3]، قال في اللّسان: "والتحاجّ: التخاصم"[4]، ولعلّ السرّ في ذلك – والله تعالى أعلم – أنّ (حاجّ) تدل على المحاجّة، وهو معنى مذموم، لأن مبناه على العناد والمراوغة والتكبر، ولذلك لم يُسند إلاّ إلى الأشخاص أو الطوائف المنحرفة التي أصرت على التكذيب والمخالفة[5].

---

(1) – لمهابة محفوظ، مفهوم الحجاج في القرآن، ص514.

(2) – لمهابة محفوظ، مفهوم الحجاج في القرآن، ص513.

(3) – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء03، ص32.

(4) – ابن منظور، لسان العرب، الجزء02، ص228.

(5) – ينظر: لمهابة محفوظ، مرجع سابق، ص517.

ثالثاً. بيان دلالة الحجاج والمحاجّة في الخطاب القرآني

بعد هذه القراءة المجملة في هذه الآيات الكريمات يظهر أن السياق القرآني يتماشى والمدلول اللّغوي للمحاجّة التي هي على زنة (مفاعلة)، أي: فيها معنى التفاعل، وهي تدلّ على المنازعة والمخاصمة بقصد الظفر[1].

فبالرغم من ورود لفظتي "الحجاج" و"المحاجة" في بعض المعاجم اللّغوية على أنهما لفظان لمعنى واحد، وكلاهما مصدر، غير أن الدّلالة القرآنية للفظة (المحاجة) تختلف عن الدلالة الاصطلاحية لـ(الحجاج)، ذلك أنّ المحاجّة وردت حاملة معاني مذمومة، كالمراوغة والتكبر والتعنت، وقد ظهر ذلك بوضوح في إسنادها إلى الكفار في أغلب المواطن[2]، في مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾[سورة البقرة:**258**].

فيمكن الاستنتاج مما سبق أن المحاجّة في الاستعمال القرآني: "تدلّ على المخالفة الناشئة عن الخصومة بقصد العناد، وهذا المعنى واضح من إسنادها في أغلب المواضع إلى الكفار".[3] أما الطرف الآخر الذي يمثله الأنبياء – عليهم السلام – والمؤمنون، فإنهم وإن كانوا طرفا مشاركا لم يُسند إليهم فعل المحاجّة؛ وذلك لكي ينحصر ما فيه من معنى العناد في المعاندين والمنحرفين عن صراط الله ﷻ.

وهذا يعني أن حجاج هؤلاء المعرضين يأتي بعد تقديم الحقائق وتفصيل الأدلة والبراهين وعرض المعجزات، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[سورة الحديد:**24**]، فوصف الله تعالى فعل أنبياءه ورسله – عليهم السلام – بالبيّنات لا بالاحتجاج، فيكون حِجاجُ الرسل – عليهم السلام – في القرآن الكريم بمعنى عرض حُجة الله تعالى

---

[1] – ينظر: مجمع اللّغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الجزء01، ص269 وما بعدها. والطاهر بن عاشور، مرجع سابق، الجزء03، ص32.

[2] – ينظر: البرواري، آماد كاظم، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن، ص26.

[3] – لمهابة محفوظ، مفهوم الحجاج في القرآن، ص532.

على العباد المتضمنة في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾[سورة الأنعام:**149**]، وهو مفهوم مُعبَّرٌ عنه بأشكال من العبارات التي تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع بالأدلة العقلية والبراهين الفطرية، والتذكير بالمشاهد الكونية التي ترمي إلى هداية الناس واستمالة قلوبهم إلى طريق الحق صراط الله المستقيم.

فمصطلح الحجاج في القرآن الكريم يختلف عن غيره من المصطلحات القريبة منه، فلا هو بالمنطقي الصرف الذي يستخدم الجدل والمناظرة والبرهان والاستدلال، ولا هو بالعاطفي الذي يعتمد على إثارة المشاعر وتحريك الوجدان والانفعالات العاطفية، بل هذه كلّها آليات تؤدي في النهاية إلى ما يسمى بالحجاج.[1]

الفرع الثاني: خصائص الحجاج في الخطاب القرآني

سبق وأن تعرض الباحث لخصائص الأسلوب القرآني – على وجه العموم – في الفصل التمهيدي[2]، وفي هذا الموضع من الدراسة سيتحدث عن خصائص الحجاج في الخطاب القرآني، والتي يُمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً. مخاطبة النّاس حسب مداركهم: أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليخاطب به الناس أجمعين، باختلاف مداركهم وتفاوت مستوياتهم وتعدد نزعاتهم ومشاربهم، ولم يقتصر على جيل معيّن ولا زمن محدد، ولذلك فهو مُيسّرٌ للجميع يتسرب إلى عقولهم، فينتفعون به، بما فيه من الحجج والمناهج العقلية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿17﴾ ﴾[سورة القمر:17]. وفي هذا يرى أبو حامد

---

[1] – ينظر: سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبيّ إبراهيم – عليه السلام – رسالة ماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزّو، 2012م، ص16 بتصرف.

[2] – ينظر: الفصل التمهيدي، خصائص الأسلوب القرآني، ص 61 وما بعدها.

الغزالي أنّ أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبيُّ والرضيع والرجل القويّ، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرّةً ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً [1].

ثانياً. متانة وإحكام حججه: قامت حججُ القرآن الكريم وبراهينُه "على أُسس متينةٍ من الجودة والإحكام، سواء أكان ذلك في نظمها وتراكيبها أم في صحة مقدماتها ونتائجها وبُعدِ مراميها في معالجة أَدْواء القلوب، وإصلاح المجتمعات الإنسانية". [2]

ثالثاً. مخاطبة العقل والعاطفة والحسّ: انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿125﴾ ﴾ [سورة النحل:**125**]، فقد تفاوتت فِطرُ الناس واختلفت مشاربُهم، الأمر الذي أدى إلى تنوع وسائل الخطاب، وسُبل الإقناع في القرآن الكريم.

فمنهم من هو سهل القبول والاقتناع، "فهذا يخاطَب بأسلوب سلِسٍ يُغذي الفطرة ويشدُّ الوجدان ويأخذ الألباب بأسلوب التقت فيه سياسة البيان وبلاغته بقوة الحقّ، وليس من الحكمة أن يخاطب بتفكير فلسفيٍّ ولا بأسلوب علميّ جافٍ"[3]، فهذا الصنف من النّاس يتأثر بالأسلوب العاطفي أكثر من الأسلوب العقلي.

ومنهم من نزع إلى مذهب دينيّ أو تعصب إلى مبدأ إيديولوجي، والتعصب "يُعمي ويَصمُّ، ويجعل النفس ملتويةً ومتشعبةً ولا تستسيغ الحقّ إلاّ بعد جهدٍ وعلاجٍ عسيرٍ، ولا يمكن إزالةُ ما عنده من

---

[1] – ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (ت:1394هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص279.

[2] – زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، الطبعة 03، 1404هـ، ص89، وعمر لعساكر، الجدل في القرآن، ص80.

[3] – التومي، محمد، الجدل في القرآن الكريم فعالية في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص241.

ملابسات والتواءات إلاّ باستخدام جدلٍ قويّ، فيه الدليل القاطع والحجّة الصادقةُ..."[1]. وهذا يُجدي معه الخطاب العقلي.

رابعاً. الحجاج بعلم: إن خطاب القرآن الكريم هو دعوة لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، ودعوةٌ هذا سبيلها، لا تكون إلاّ بالعلم، وهذا مصداقا لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿36﴾ ﴾ [سورة الإسراء:**36**]. وقال جلّ وعلا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿3﴾ ﴾ [سورة الحج:**3**]. وقال سبحانه: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿66﴾ ﴾ [سورة آل عمران:**66**].

خامساً. فتح باب الحوار والمناقشة: لقد توجه القرآن الكريم إلى العقل البشري، ففتح له باب التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وأتاح له فرصة المناقشة والتحاور في أمور عقيدته، وهذا حتى يترسخ إيمانُه ويعبد ربه عن قناعة وبصيرة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [سورة الأعراف:**143**].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿260﴾ ﴾ [سورة البقرة:**260**].

وكما حاور موسى – عليه السلام – فرعون حين ادّعى الربوبية وأجابه عن أسئلته، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿49﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿50﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿51﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿52﴾ ﴾ [سورة طه:**49-52**].

---

[1] – ينظر: سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبيّ إبراهيم – عليه السلام –، ص51.

إنّ الذي يُمعن النظر في هذه النصوص الكريمة – وفي غيرها – تتجلى له حقيقة المنهج القرآني في مناقشة ومجادلة الطرف الآخر، حتى يتخذ منه أُنموذجاً يقتدي به في حجاج من يريد إقناعه بدعوته، فالقرآن الحكيم هو: "وثيقة رائعة من وثائق الحوار الدّيني[1] الذي يتعلّق بكلّ قضايا العقيدة ابتداءً من فكرة وجود الله ووحدانيته إلى الأحكام الشرعية".[2]

المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في الحجاج القرآني

لقد خاطب الله تعالى عباده من خلال كتابه المبين، وتوجه بخطابه إلى العقل البشري يدعوه إلى عقيدة التوحيد بأسلوب ميسَّر يفهمه الناس جميعُهم، عامتُهم وخاصتُهم، المتعلّم وغير المتعلّم، الذكيّ والبليد، خاطب الإنسان على اختلاف مداركه ومستوياته، ومع ذلك فإن خطابه قد حوى مختلف أنواع الحجج والبراهين العقلية، فحضّه على إعمال عقله، وتسخير جميع طاقاته الحسيّة والإدراكية.

ولتحقيق هذا الهدف، سَلكَ القرآن الكريم طُرقاً إقناعيةً وتأثيريةً متنوعةً، منها طريقة المناظرة والجدل، وطريقة الحوار، وطريقة القصة. فجاءت حُججُه تارةً (بُرهانية منطقية، وتارة جدلية ملزمة، وأخرى خَطابية مؤَثرة)[3]، وقد " تميزت به أدلته النقلية بسهولة الفهم، وحُججه العقلية بالوضوح، وبراهينه بإلزام الخصم، وأقيّسته المنطقية قليلة المقدّمات، صائبة النتائج، وقاطعة للشكوك"[4].

---

[1] – القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز المنزّل على رسوله محمد ﷺ، وهو خطاب الله ﷻ للعالمين؛ وعليه فوصف بعض الكتّاب القرآن العظيم، بأنه نصٌّ دينيٌّ، أو وثيقةٌ دينيةٌ، أو غير ذلك من الأوصاف، ينزع عنه قدسيتَه، ويجعله في مرتبة واحدةٍ مع النصوص الأخرى التي هي من وضع البشر، كما يفتحُ المجال للقائلين بجواز نقد القرآن الكريم، لأنهم يعتبرونه نصّاً – دينيا – مثله مثل بقية النصوص بغض النظر عن واضعه ﷻ.

[2]– محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده – أساليبه – معطياته، دار الملاك، الطبعة05، 1417هـ-1996م، ص10.

[3]– الحجة البرهانية: هي الحجة القائمة على الاستدلال المباشر والقياس الصحيح، وهي تُفيد اليقين الجازم، وتتألف من مقدّمات يقينية تُؤدي إلى نتيجة يقينية. وأما الحُجة الجدلية: فهي الحجّة المؤلفة من مقدّمات مشهورة مسلَّمة عند التخاطب، مُلزِمة للخصم، ومرتبتها دون اليقين وفوق الظنّ الراجح، وتسمى بالقياس الجدلي. بينما الحجة الخطابية: هي الحجة التي لا تلزم الطرف الآخر بالأخذ بها، ولكنها تفيده ظنا راجحا مقبولا، أو هي تعتمد على مقدمات ظنية غير ملزمة للخصم. ينظر: الميداني، ضوابط المعرفة، ص300.

1. [4]– البرواري، آماد كاظم، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن، ص28.

وضمن هذا المطلب سيقدّم الباحث بعض الشواهد القرآنية التي تبيّن حضور الحجاج العقلي في الخطاب القرآني، وهذا من خلال العناصر التالية:

الفرع الأول: حجاج إبراهيم عليه السلام

لقد حبا الله ﷻ أنبياءه ورسله – عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم –بالذكاء وقوة الإقناع، وذلك حتى يتسنى لهم طرح الحجج وتقديم الأدلة على صدق رسالاتهم، ومن هؤلاء الأنبياء الذين كان لهم الشأن العظيم في حجاج المشركين، خليل الرحمن وأبو الأنبياء إبراهيم – عليه الصلاة والسلام –، فقد كانت له محاوراتٌ ومناظراتٌ مع قومه، بَدءًا بأبيه آزر الذي كان مشركاً، ثم مناظرته للملك الظالم، والتي كان يهدف من وراء كلّ ذلك إلى بيان دعوة الحقّ، ودحض شبهات المشركين.

أولاً: حجاج إبراهيم – عليه السلام – للملك الظالم:

الشاهد الأول: يقول الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿258﴾ ﴾ [سورة البقرة:**258**].

ذكر ابن كثير أن الذي حاجّ إبراهيم – عليه السلام – هو النمرود بن كنعان[1] ملك بابل، الذي أنكر أن يكون ثمَّةَ إلهٌ غيرُه، – مثلما قال فرعون لملئه: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [سورة القصص:**38**]. وكان النمرود قد طلب من إبراهيم – عليه السلام – دليلاً على وجود الربّ الذي يدعو إليه، فأجابه إبراهيم – عليه السلام –: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، أي: وجودُ الموت والحياة في الكائنات عموماً وفي البشر خصوصاً، دليلٌ على وجود المحييّ والمميتِ، بمعنى أنّ الدليل على وجود الله هو حدوث الأشياء المشاهدَة بعد عدمِها، وعدمُها بعد وجودِها، وهذا دليلٌ على وجود الفاعل المختار ضرورةً،

---

[1]– نَمْرُود بن كنعان من ملوك النَبط الأوائل، مَلَكَ نحو ثمانمائة سنة، عاش نمرود زمن نبيّ الله إبراهيم –عليه السلام– وهو من أَلقاه في النار. فأمر الله بعوضةً دخلت منخره ووصلت إلى دماغه، فأقام أربعمائة سنة، لا يستريح حتى يضرب رأسه بالمطارق حتى هَلك. ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت: 1067هـ)، سُلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إريسكا، إستانبول، تركيا، 2010م، الجزء03، ص373.

لأنها لم تَحدُث بنفسها، فلا بد لها من مُوجدٍ أوجدها، وهو الربّ ﷻ الذي أدعو إلى عبادته، وحده لا شريك له[1]. فكان هذا ردُّ الملك على إبراهيم – عليه السلام –: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾. فزعم أنّ رقاب الناس في يده وتحت تصرفه، يقتل من يشاء، ويعفو عمن يشاء، ظنّا منه أن هذا هو معنى الإحياء والإماتة الذي قصده إبراهيم – عليه السلام –، وهذا دليلٌ على سخافة تفكيره وبلادة عقله، وهروبه من الإقرار بالحقيقة؛ فعندئذ ما كان من نبيّ الله إبراهيم – عليه السلام – إلاّ أن انتقل في محاجّته إلى مقام أعلى لا يمُكِن المكابرة فيه: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾.

يقول الواحدي [2] في "البسيط": "إنما انتقل إبراهيم من الحجّة الأولى مع إمكانه أن يناقضه بأن يقول له: أَحييّ مَن قتلتَه إن كنت صادقاً، قطعاً للخصومة وتركاً للإطالة واحتجاجاً بالحجّة المسكتِة، لأن عدوَّ الله لما لبَّس في الحجّة بأن قال: أنا أفعل ذلك، احتج عليه إبراهيم [عليه السلام] بحجّة لا يمكنه فيه أن يقول: أنا أفعل ذلك، ولو قال ذلك بَانَ عجزُه وافتضاحُه، ولزِمَه من الحجّة ما لا سبيل إلى التدليس فيه، وصار كلامُ إبراهيم – عليه السلام – قدوةً للمجادل إذا تمرّد الخصمُ وقصدَ التلبيسَ بالمحال، وكان الإدلاءُ في الحجّة الأخرى مما يقطعه ويُفحِمُه، فالصواب ذكرها، ولا يكون ترك الأولى انتقالاً لعجزٍ، ولكنه تنبيهٌ على قلّة عقلِ الخصم، أو على تعسفه في الكلام"[3].

---

[1]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء01، ص686.

[2]– هو علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، لازم أبا إسحاق الثعلبي، وأخذ العربية عن أبي الحسن القهندزي وآخرون، وروى عنه: أحمد بن عمر الأرغياني، وعبد الجبار بن محمد الخواري، وطائفة، صنّف التفاسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز، وأسباب النزول، وغيرها كثير. مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة. ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص79.

[3]– الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري(ت:468)، التفسير البسيط، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة01، 1430هـ، الجزء04، ص337.

يقول الطاهر ابن عاشور: "...والمقصود من هذا تمثيلُ حال المشركين في مجادلتهم النبيء ﷺ في البعث بحال الذي حَاجَ إبراهيم في ربه، ...وهذا استدلالٌ مسوقٌ لإثبات الوحدانية لله تعالى وإبطالِ إلاهيةِ غيرِه، لانفراده بالإحياء والإماتة، وانفرادِه بخلق العوالم المشهودةِ للناس...، فمعنى الذي حَاجَ إبراهيم أنه خاصمه خصاما باطلا في شأن صفات الله رب إبراهيم [عليه السلام] ..."[1].

يظهر من خلال هذا السياق القرآني الكريم أن إبراهيم – عليه السلام – قابل حُجّة الملك – الواهية – بحجّة لا يستطيع مُقارعتها، حيث احتج عليه بما هو مُعاينٌ لديه ولدى قومه، ذلك أن الله تعالى ذكره يأتي بالشمس من المشرق قانوناً كونياً لا يقدِرُ بشرٌ أيّاً كان معارضته أو نقضه، فتحداه أن ينقض هذا الناموس الرباني ويأتي بها من المغرب.

ثانياً: حِجاج إبراهيم – عليه السلام – لقومه

الشاهد الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾ [سورة الأنعام: **75 - 83**].

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء03، ص31.

هذا مثالٌ آخر من الأمثلة الحِجاجية التي أوردها الله ﷻ في كتابه الكريم، يُبيّنُ من خلاله دعوةَ إبراهيم – عليه السلام – قومَه، وكأنه يتمثل قول الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿125﴾ ﴾ [سورة النحل: **125**].

فكلُّ الرسالات التي جاء بها المرسلون – عليهم وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم – قامت على الدعوة بالحكمة، وهو الدليل الموضّح للحقّ المزيل للشُّبهة، والموعظةِ الحسنةِ التي تتميز بالمواعظ والعبر والقول الرقيق، وعلى اختيار أحسن الطرق وأيسر الوجوه وأشهر المقدّمات لمجادلة المعاندين، فإن ذلك أَنفعُ في تسكينِ ثورتهم وتبييّن شغبِهم.[1]

لقد اعتمد إبراهيم – عليه السلام – في دعوته قومَه أساليبَ متنوعة تراوحت بين التودد والتخويف، وبين الحوار والمناظرة، مُراعيا في ذلك أحوالَ وظروفَ المخاطَبين، وشُخوصَهم المختلفة.

وقد اختلف المفسّرون فيما إذا كان إبراهيم – عليه السلام– في مقام نظرٍ أم في مقام مناظرةٍ؟ فذهب أبو جعفر الطبري فيما رواه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2] – رضي الله عنهما – ما يقتضي أنه كان في مقام نظر، واستدل بقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿77﴾ ﴾، بينما ذهب آخرون وعلى رأسهم ابن كثير إلى القول: إنّ إبراهيم – عليه السلام – كان مُناظراً لقومه، مُبيّناً لهم بُطلان ما كانوا عليه من عبادة الكواكب والأصنام[3]. والدليل على ما ذهبوا إليه قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ أي: جادله قومُه وخاصمُوه بسبب ما ذهب إليه من توحيد الله ﷻ، وناظروه بشُبَهٍ باطلةٍ من القول.

---

(1) – ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة01، 1411هـ – 1991م، الجزء14، ص267.

(2) – ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء09، ص356.

(3) – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء03، ص292.

فبعد أن بَيّنَ في المقام الأول وهو يدعو أباه فسادَ عبادتهم للأصنام الأرضية، وأنها لا تضرُّ ولا تنفع، بَيّنَ في هذا المقام خطأَ قومِه وضلالهم في عبادتهم للكواكب السيارة.

وقد ناظر إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – الفريقين، فبادر بكسر عقيدة عبادة الأصنام، وقد تجلى ذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿95﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿96﴾﴾ [سورة الصافات: **95-96**].

ولما كان أبوه آزر هو أعلم القوم بصناعة الأصنام، كانت أكثر الحجج، وأقوى الإلزامات عليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿74﴾﴾. فيؤخذ من هذه الآيات أنهم لما لم يجدوا حُجّةً عقليةً على شركهم بالله ﷻ خوَّفوه من أن تمسه آلهتهم بسُوء.[1] أي: أتُجادلونني مجادلة صاحب الحجّة في شأن الله تعالى وما يجب في الإيمان به – والحال أنه قد فضلني عليكم بما هداني إلى التوحيد الخالص والحنيفية السمحة التي أقمت بها الحجة عليكم، وأنتم ضالون بإصراركم على شِرككم، وتقليدِكم به مَن قَبلكم؟[2]

فقد أبرزت الآيات الكريمة الأسلوب الذي انتهجه إبراهيم – عليه السلام — في دعوة قومه، حيث جاءهم بالحقّ، وأورد البيّنات من الحجج الدامغة والدِلالات القاطعة، وتمشى معهم، وتَنزَّل إلى مستواهم، وفي النهاية أثبتَ أن الذي فطر السماوات والأرض هو الله المعبود بحق لا إله غيره. فما كان منهم إلاّ أن عارضوه بحجج واهية، وقابلوه بشبهات باطلة لا تَنهضُ دليلاً إلا عند من: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[3]، فادَّعوا أنهم يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زُلفى، ولتشفَع لهم عند الله تعالى.

---

[1] – ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء07، ص478.

[2] – ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء07، ص478.

[3] – [سورة البقرة: 07].

–وكذلك مُشركو قريش احتجوا بنفس الحُجّة عندما نهاهم الله ﷻ عن عبادة الأصنام، فقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر:03]. –

والمحاجّة التي أقامها قومُ إبراهيم– عليه السلام –كانت محاجةً بين فريقين أحدهما اعتمد على الهداية والعقل، والثاني اعتمد على الخرافة والوهم، ولكنه – عليه السلام – اعتصم بالله تعالى، وهو يرى أنّها لا تضرُّ ولا تنفع.

وهكذا نجد العقل والهداية في صدام مع الوهم والضلال؛ ولذلك قال لهم في إدراك عقليّ مستقيم: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾. أي: إنني لم يستول عليّ الوهم كاستيلائه عليكم، فأخاف مما تُشركون عبادته مع الله تعالى، فأنا أعلم أنها لا تضر ولا تنفع، وهي أحجارٌ صماءٌ، تُنقل من مكان إلى مكان، فكيف أخاف منها، كيف أخاف من حجر لا يسمع ولا يبصر، تصنعونها بأيديكم وتعبدونها بأوهامكم؟[1]

الفرع الثاني: حجاج القرآن الكريم للمشركين ونفي الشركاء مع الله ﷻ

لقد أولى القرآن الكريم أهميةً كبيرةً لتقرير وإثبات توحيد الألوهية لله وحده ونفي الشركاء له سبحانه، وظهر ذلك جليّا من خلال المساحة الكبيرة التي شغلها هذا الموضوع في كتابه الكريم، وهذا بالبرهنة عليه بشتى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية، وبأساليب مختلفة، تتنوع حسب المقام وبحسب طبيعة ونوعية المخاطَب. فالقارئ للقرآن الكريم – قراءةَ تدبرٍ– يجد أن أقوى الحجج والبراهين والأدلة التي قدّمها القرآن لإبطال الشرك، هي نفيُّ تعدد الشركاء مع الله ﷻ، وذلك من خلال بيان عجز الشركاء عن الخلق والتدبير والنفع والضر، إلى غير ذلك مما هو من اختصاص الله وحده دون سواه[2].

---

[1] – ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت)، الجزء05، ص2567.

[2]– ينظر: آمنة عوض الكريم محمد، أساليب الحجاج في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، كلية أصول الدّين، جامعة أم درمان الإسلامية، 1433هـ–2012م، ص15.

أولاً: دليل انتظام الكون وعدم فساده يدل على وحدانية الله ﷻ

الشاهد الثالث: قال الله ﷻ: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿22﴾ ﴾ [سورة الأنبياء:**22**].

هذه الآية الكريمة – وغيرها كثيرٌ في القرآن الكريم – تدلُّ على تفرد الله جلّ وعلا بالخلق والتصرف والتدبير، فعلى الرغم من مرور آلاف السنين على خلق الله تعالى لهذا الكون، فقد بقِيَ منتظماً ولم يحصل له خلل ولم يتطرق إليه فساد، ما يدلّ دلالةً قاطعةً على وحدانية الله ﷻ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الأنعام: **14**].[(1)]

يقوم الدليل في هذه الآية على: أنه لو كان في السماوات والأرض آلهةً أخرى مع الله تصلح للعبادة، لتطرّق الخلل والفساد إليهما، ولما انتظم أمرُهما. وهذا ما يؤكده ابن القيّم حيث يرى أنّ: "انتظامَ أَمرَ العالمِ العُلويّ والسُفليّ، وارتباطَ بعضِه ببعض، وجريانَه على نظامٍ مُحكمٍ، لا يختلف ولا يفسد، من أدلّ دليل على أنّ مدبّرَه واحدٌ، لا إله غيره"[(2)]. فدلّ دليلُ التمانع على أن خالق هذا الكون واحدٌ لا ربّ غيره، فذاك تمانعٌ في الفعل والإيجاد، أي: في الخلق، وهذا يلزم منه التمانعُ في العبادة والألوهية، وذلك أنه كما يستحيل أن يكون للعالَم ربَّان خالقان متكافئان، يستحيل أن يكون له إلهان معبودان.[(3)]

---

(1) – ينظر: عبيدات، عبد الكريم نوفان، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة01، 1420هـ-2000م، ص311.

(2) – ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت:751هـ)، الصواعق المرسلة في الردّ على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1408هـ، الجزء02، ص464.

(3)– ينظر: ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الردّ على الجهمية والمعطلة، الجزء02، ص464 بتصرف يسير.

و(لو) –كما يقول علماء النحو – حرف امتناع لامتناع، أي: يمتنع بها الشّيء لامتناع غيره، كقولك لو جاء زيد لأكرمته، معناه امتنعت الكرامة لامتناع المجيء، [1]وهي في الآية تدلّ على امتناع حصول جوابها لأجل امتناع وقوع شرطها،[2]والشرط هنا هو: "تعدد الآلهة"، ودخول (لو) عليه يدلّ على انتفائه وامتناعه جزما، والجواب: "لفسدتا".

فالآية تُبيّنُ امتناعَ الأُلوهيةِ من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوى الله تعالى، فالفسادُ لازمٌ لتولي أَمرَ السماوات والأرض وما فيهما آلهةٌ شتى، وإذا تأملنا الكون وجدنا أنه منتظمٌ غايةَ الانتظام، فدلّ هذا الانتظامُ عقلاً على أنّ الإله المتصرفَ في الكون واحدٌ، ليس معه من إلهٍ أو أكثر كما يزعم المشركون[3].

وهكذا فإن دليل انتظام الكون وعدم فساده دليلٌ عقليٌّ قويٌّ على وحدانية الله ﷻ، لا تملك العقولُ السويّةُ ردَّه أو إنكارَه، وهي ترى انتظامَ أمرِ السماوات والأرض وما فيهن، مما يدلّ على وجود إله واحدٍ متفرّدٍ بالخلق والتدبير، وهذا يستوجب صرفَ العبادة له دون سواه.

ثانياً: عدم منازعة الله ﷻ في ملكه دليلٌ على انتفاء الشركاء مع الله

الشاهد الرابع: قال الله تعالى :﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا تَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ [سورة الإسراء:**42**].

---

[1]– ينظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي (ت:337هـ)، حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة01، 1984م، ص3.

[2]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص111.

[3]– ينظر: عبيدات، عبد الكريم نوفان، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ص312.

نزلت الآية الكريمة تخاطب الرسولَ ﷺ، وتدعوه أن يردَّ على عَبَدة الأصنام الذين نَسبُوا لله سبحانه الشركاء.[1] وقد ذهب "صاحب أضواء البيان" إلى: أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله آلهةٌ أخرى كما يزعم الكفّار لطلبوا إلى ذي العرش (أي إلى الله) سبيلاً؛ أي إلى مُغالبته وإزالة مُلكِه، لأنّهم إذاً يكونون شُركاءَه كما يفعل الملوك بعضُهم مع بعض، وذكر أنّ في الآية فرضُ المحال، والمحال المفروض الذي هو وجود آلهة مع الله مشاركة له، تنازعه لو كانت موجودةً، ولكنها معدومةٌ مستحيلةُ الوجودِ، وقد ذكر شواهد لهذا المعنى من القرآن كقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿91﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿92﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: **91-92**][2]، وهذا أحدُ القولين في تفسير هذه الآية الكريمة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير.[3]

ووجه الاستدلال: أنه إذا تقرر امتناع استقلال كل من الإلهين بالفعل، وامتناع ذلك أيضا عند الاجتماع والاتفاق، فلا بد حينئذ من تقدير إلهين، يكون أحدُهما أقدرَ من الآخر، والأقدر – عندئذ – عالٍ على مَن دُونه، ولا ستقل بالفعل على مَن هو دونَه، ولكان المقهورُ محتاجاً في فعله إلى إعانة الأول، ومَن تكون هذه حالتُه لا يمكن أن يكون إلهً قائماً بذاته.

---

[1]– القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة02، 1384هـ-1964م، الجزء10، ص265.

[2]– ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1415هـ – 1995م، الجزء03، ص158.

[3]– الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة03، 1419هـ، رقم: 13295، الجزء7، ص2332.

وذِكرُ العرش في قوله تعالى: ﴿ لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾، ومِثلُه في سورة الأنبياء: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿22﴾ ﴾[سورة الأنبياء:**22**] يُوحي إلى القُدرة والارتفاع والتسامي على هذه الخلائق التي يدَّعون – زُوراً – أنها آلهةٌ مع الله سبحانه، وهي تحت عرشه وليست معه.[1]

فبيّن الله جلّ وعلا استحالة تعدُد الآلهة بأسلوب عقليٍّ سَلِسٍ، ينفُذ إلى العقول الراشدة والفطر السليمة، وفي الوقت نفسه يَدحَضُ شُبه المبطلين وافتراءات المكذّبين.

الشاهد الخامس: قوله تعالى: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿191﴾ ﴾ [سورة الأعراف:**191**].

ومن الأدلة العقلية التي قدّمها القرآن الكريم على إبطال الشركاء مع الله تعالى، عجز هؤلاء الشركاء عن الخلق الذي هو من اختصاص الربّ جلّ جلاله دون غيره، وذلك في مواضع متعددة من القرآن الكريم. يقول صاحب المنار في تفسير هذه الآية: "بيّن الله تعالى سخافةَ عُقولهم وأَفَنَ آرائهم بهذا الشرك، فقال: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾، [و]الاستفهام للإنكار والتجهيل، أي يُشركون به سبحانه وتعالى، وهو الخالق لهم ولأولادهم ولكلّ شيء، ما لا يَخلق شيئاً من الأشياء مهما يكن حقيراً، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ [سورة الحج:**73**]، وليس قصارى أَمرِهم أنَّ الخلقَ لا يقعُ منهم، بل هو يقع عليهم، فهم يُخلقُون آنا بعد آن، ولا يليقُ بسليم العقل أن يجعل المخلوقَ العاجزَ شريكاً للخالق القادر"[2].

فدلَّت الآية بمفهومها على قُبح هؤلاء القوم الذين عبدُوا آلهةً من دون الله، لا تملكُ لنفسها ضرّاً ولا نفعاً، وقد حمل هذا الخطابُ الموجهُ للمشركين بُعداً حِجاجياً قوياً، ابتدأَه باستفهامٍ إنكاريٍّ تضمَّن توبيخاً وتقريعاً لعبَدة الأصنام، وفي الوقت نفسه فيه تنبيهٌ للعقول حتى يتفطن أصحابُها لعجز تلك الآلهة المزعومة عن خلق أَحْقر شيءٍ، لأنها مخلوقةٌ مثلُها مثل أولئك القوم، والنتيجة هي أن المخلوق لا يَخلق لأنه عاجزٌ، والعاجز لا يكون إلهً، وهذا ما قصد القرآن الكريمَ لَفتَ أنظارهم إليه.

---

[1]– ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة32، 1423هـ–2003م، ص2230.

[2]– محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، (المسمى بتفسير المنار)، الجزء09، ص438.

الشاهد السادس: قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿10﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿11﴾ ﴾ [سورة لقمان:**10-11**].

يقول الطاهر بن عاشور: [هذا]"استئنافٌ للاستدلال على الذين دَأْبُهم الإعراض عن آيات الله بأن الله هو خالقُ المخلوقات، فلا يستحق غيرُه أن تُثبَت له الإلهية، فكان ادعاء الإلهية لغير الله هو العلّة للإعراض عن آيات الكتاب الحكيم، فهم لما أثبتُوا الإلهية لما لا يخلق شيئاً كانوا كمن يزعم أن الأصنام مُماثلةٌ لله تعالى في أوصافه، فذلك يقتضي انتفاء وصفِ الحكمة عنه كما هو منتفٍ عنها، ولذا فإن موقع هذه الآيات موقعُ دليل الدليل، وهو المقام المعبّر عنه في علم الاستدلال بالتَدقيق، فهو ذكر الشيء بدليله ودليل دليله...وجملة (**هَذَا خَلْقُ اللهِ**...) إلى آخرها نتيجة الاستدلال بخلق السماء والأرض والجبال والدّواب وإنزال المطر"[1].

إنّ القرآن يخاطب البديهة الإنسانية؛ يقول لهم: بما أن هذه الأشياء المزعومة آلهةٌ، وبَدْهيّ أنّ لكلّ إلهٍ مخلوقات على وجه الأرض وفي السماء، فأين هي مخلوقاته؟

فالقضية تحتمل فرضيتين لا ثالث لهما. إما سلبا وهو انتفاء هذه المخلوقات، والنتيجة بطلان الدَّعوى، وإما إيجابا وهنا نحتاج إلى برهان يدلُّ على صدق هذه القضية، ولكن الواقع يأبى هذا الأمر، فلا يوجدُ دليلٌ نقليٌّ ولا عقليٌّ ولا حسيٌّ يدعُم هذه القضية، ولم يبق لهم إلاّ الظن الذي لا يُغني من الحقّ شيئاً.

﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾، فما أَقوى هذا اللّفظ وأوجزه وأدلّه على بطلان الشرك، فإنهم إن زعموا أن آلهتهم خَلقت شيئاً مع الله ﷻ طُولبُوا بأن يُظهروه، وإن اعترفوا بأنها أعجز وأضعف وأقل من ذلك كانت إلاهيّتُها باطلاً ومحالاً. وقد عَرَّى الله ﷻ هذه الآلهة المزعومة من

---

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء21، ص145-147.

كلّ صفات الربوبية، والألوهية، لأنهم: ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾.

فالآية تدلّ بمفهومها على حقارة ومهانة الآلهة المزعومة، وفيها تقريعٌ شديدٌ لأولئك المشركين الذين ضلّوا طريق الحق تعالى، كما أنها تُلزم المشركين بما يعترفون به مما هو مُشاهدٌ محسوسٌ عندهم، وهذا تحدٍّ قويّ لهم لعلّهم يرجعون.

وفي الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "قال الله عزّ وجلّ: ومَنْ أَظلمُ ممن ذهبَ يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرّةً، أو ليخلقوا حبّةً أو شعيرةً".[1]

الشاهد السابع: قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿35﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿36﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿37﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿38﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿39﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿40﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿41﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿42﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿43﴾ ﴾ [سورة الطور: **35-43**].

لقد بيّنت هذه الآيات بُطلان دَعوى مُنكري البعث، فهم لم يَخلُقوا أَنفسَهم ولا أولادَهم ولا السماوات والأرض، ولم يُخلَقُوا مِن غير شيءٍ، فكانت – هذه الآيات – دليلاً على أن ما خَلقه الله من بدء الخلق أعظمُ من إعادة خلق الإنسان.[2]

---

[1]– الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96]، برقم:7559، الجزء09، ص161.

[2]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء27، ص67.

والقرآن الكريم من أجل إثبات الإيمان بالله تعالى يطرح الفكرة المضادة إلى جانب فكرة الإيمان بالله بأسلوب عقلي يُقدّم كلَّ الفروض المحتملة، ثم تبدأ عملية النفي والإثبات؛ ليصل في الأخير إلى النتيجة الصحيحة التي لا تقبل المعارضة، وهي تفرد الله تعالى بالخلق والتصرف والتدبير[1].

فهذه الآيات الكريمة جاءت لتقرير ربوبية الله وألوهيته، وأنه خالق السماوات والأرض وما بينهما، فإن زعم الإنسان أنه خُلق من غير شيء، كان ذلك مناقضةً لقانون السببية، الذي يربط بين المسببات وأسبابها، والنتائج بمقدماتها، والظواهر بعللها، ويستحيل وفقا لهذا القانون أن يوجد أثرٌ بلا مُؤثر، وخَلقٌ بلا خالق، بل لابد لكل مخلوق من خالق أوجده[2].

فمن خلال هذه النصوص الكريمة التي تنصّ على تقرير وإثبات توحيد الألوهية ونفي الشركاء، يظهر أسلوب الخطاب القرآني في الاستدلال وتوجيه العقول لإدراك الحقائق وفهمها بأيسر سبيل وأقوم طريق، ذلك أن القرآن الكريم أُنزل على ما هو مُتعارفٌ عليه من أساليب العرب في الكلام، التي جمعت بين عُمق المعنى ودقةِ التصوير ووضوحِ التعبير.

---

[1]- ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص113.

[2]- ينظر: عبيدات، عبد الكريم نوفان، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ص263.

الخلاصة:

إن الخطاب القرآني هو خطاب حجاجي، يدلّ على هذا أنه أولاً خطاب، والخطاب يستلزم الإقناع والتأثير.

ومما تجدر الإشارة إليه – في هذا المقام – أن القرآن الكريم قد جاء لتصحيح سلوكيّات منحرفة وإبطال عقائد منحرفة ليس من السهل أن تعود عما كانت عليه من عبادات وعادات توارثها الأبناء عن الآباء، إلاّ بتقديم الحجج والبراهين على صحة ما يدعو إليه وفساد ما هم عليه. وفي هذا يرى الطاهر بن عاشور أن: "الغرضَ الأكبرَ للقرآن الكريم هو إصلاحُ الأمة بأسرها، فإصلاح كفّارها بدعوتهم إلى الإيمان ونبذ العبادة الضّالة واتّباع الإيمان والإسلام، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طريق النّجاح وتزكية نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطةً بأحوال المجتمع في مُدَّة الدَّعوة..."[1].

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء01، ص81.

المبحث الثاني: أسلوب ضرب الأمثال في الخطاب القرآني

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الأمثال في اللّغة والاصطلاح

المطلب الثاني: مفهوم الأمثال القرآنية وبيان أهميتها

المطلب الثالث: تجليّات الخطاب العقلي في المثل القرآني

مدخل:

تعتبر الأمثال وعاء حكمة الأمم وخزّان تجاربها، ووسيلة من أهم وسائل حفظ تلك التجارب والحِكَم، وتناقلها بين الأجيال، وهي في كلّ أُمة خلاصةُ ومحصولُ خبرتها، والمرآة التي تنعكس على صفحاتها عاداتُ الأمم وأخلاقُها وأفكُارها، وسائرُ مظاهر حياتها في كل شأن من شؤونها، وهي قبل ذلك وبعده من أدقّ أساليب التعبير وأوجزِها وأبلغِها تأثيراً في النفوس.[1]

ولقد أولى العرب اهتماماً بالغاً بهذا النمط التعبيري، حيث أخذت الأمثال حيّزا كبيرا من لغتهم، وكانت جزءا هاما من ثقافتهم، ولما نزل القرآن الكريم خاطب الناس بلسان عربيّ مُبين، ليعقلَه العربُ قبل غيرهم، وسَلك مسالكَ شتَّى في تبليغ الدعوة بما يُوصلها إلى العقل البشري على اختلاف أجناسه وتباين فُهومه، وكان ضربُ الأمثال أَحدَ هذه المسالكِ الهامةِ التي اتخذها القرآن العظيم وسيلةً لتوضيح ما قد يخفى على العقول، أو قد يكون بعيداً عن مجال تصوراتِهم ومداركِهم[2].

إن أمثال القرآن تُصور النفوس والقلوب، وتُلقح الأفكار والعقول، ولذلك عُدَّتْ من أبرز وسائل التوضيح والتشخيص؛ فبواسطة الأمثال يتمّ "إخراجُ ما لا يقع عليه الحسُّ إلى مستوى المحسوس، وإخراج ما لا يُعلمُ بِبديهة العقل إلى ما يُعلم بالبَديهة، وإخراج ما لم تجرِّبه العادة إلى الأمر المعتاد، وإخراج ما لا تأثيرَ له من الصفات إلى ما له كامل التأثير"[3]، كما أنها من أفضل وسائل البيان والتعليم، بفضل ما تتميز به من إيجاز اللّفظ وإصابة المعنى، وجمال التصوير[4].

---

[1]- ينظر: الفياض، محمد جابر، الأمثال في القرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة01، 1433هـ-2012م، ص7.

[2]- ينظر: ضمرة، معن محمود عثمان، الحوار في القرآن الكريم، ماجستير، قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005م، ص19.

[3]- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، الجزء01، ص486.

[4]- ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطاش، دار المأمون، دمشق، الطبعة01، 1400هـ-1980م، ص34.

وضمن هذا المبحث سوف يُعالج الباحث الأمثال القرآنية، وهذا من خلال بيان دلالتها اللّغوية والاصطلاحية، ثم يعرّج على مفهوم ضرب الأمثال في القرآن الكريم وأهميتها، ليصل إلى دور الأمثال القرآنية في الاستدلال العقلي.

المطلب الأول: مفهوم الأمثال لغة واصطلاحا

ليس شيء أصعب من اعتقاد سهولة بيان معاني بعض الكلمات، خاصة إذا كثر تداولها بين الناس[1]، وهذا كلفظة (مثل) التي تعدُّ –بصيّغها المختلفة – من أكثر الألفاظ تداولاً وشيوعاً، فقد تداولتها العامةُ والخاصةُ على حدٍّ سواء، فصار من الضروري أن يقف الباحث على مختلف الجهود التي بُذلت في سبيل الكشف عن معناها في المعاجم اللّغوية العربية، أو التي نصت على دلالتها الاصطلاحية، سواء في كتب البلاغة والأمثال أو في كتب التفسير التي أبانت عن معاني هذه اللفظة فيما وردت فيه من آيات.

الفرع الأول: تعريف المثل لغة

يرى صاحب كتاب "الصّحاح تاج اللّغة" أنّ (مثل): "كلمة تسوية، يُقال: هذا مِثْلُه ومَثَلُه كما يقال: شِبْهه وشَبَهه بمعنى... والمثل: ما يُضرب به من الأمثال، ومَثلُ الشيء أيضا: صِفته"[2]. أي هو من المماثلة والمشابهة.

وورد عن ابن فارس قوله: "(مثل) الميم والثّاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدلّ على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمِثلُ والمثال في معنى واحدٍ. وربما قالُوا مَثيل كشبيه. تقول العرب: أَمثلَ

---

[1]– ينظر: مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص151.

[2]– ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة04، 1407هـ-1987م، الجزء05، ص1816.

السلطانُ فلاناً: قَتله قَوَداً، والمعنى أنه فعل به مثل ما كان فعله. والمِثْلُ: المَثَلُ أيضاً، كشِبْه وشَبَه. والمَثَلُ المضروبُ مأخوذٌ من هذا، لأنه يُذكر مُوَرًّى به عن مِثْله في المعنى"[1].

وقد ذكر الراغب [2] معنىً بديعاً لمشتق المثل، فقال: "أصلُ المثول: الانتصابُ، والمِمَثّل: المصوَّر على مثال غيرِه، يقال: مَثُلَ الشيءُ، أي: انتصبَ وتصوَّرَ، ومنه قوله ﷺ: «من أحبَّ أن يمثُلَ له الرّجال[قياماً][3] فليتبوّأ مقعده من النّار»[4]. والتمثال: الشيء المصوّر، وتمثّل كذا: تصوّر"[5]، ثم عرّف المثل، بأنه: "قولٌ في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهةٌ ليبيّن أحدهما الآخر نحو قولهم: (الصيف ضيّعت اللبن)، فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك، وعلى هذا ما ضرب الله تعالى من الأمثال...، قال بعضهم: وقد يُعبّر بهما عن وصف الشيء أيضا، نحو قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ

---

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، الجزء05، ص296.

[2]– هو أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضّل الأصبهاني، الملقّب بالرّاغب، صاحب التّصانيف كان من أذكياء المتكلّمين وأحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل متحقق، ولد سنة 343هـ. له تصانيف كثيرة: كتاب تفسير القرآن، كتاب أحداق عيون الشعر. كتاب المحاضرات، كتاب الذريعة إلى معالم الشريعة، وكتاب المفردات من تفسير القرآن، توفي سنة 502هـ. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، رقم: 402، الجزء03، ص1156.

[3] – أُسقطت هذه اللّفظة من الحديث الذي استشهد به الراغب، مع العلم أن أغلب من خرّج الحديث – في حدود ما اطلع عليه الباحث – أورده مقروناً بكلمة (قياماً)، فلعلّ السقط قد حصل من النساخ.

[4]– الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، عن معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنهما– برقم: 16830، الجزء28، ص40. وأبو داود، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل، رقم: 5229. ينظر: السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة01، 1430هـ – 2009م، الجزء 07، ص516. والترمذي في "الجامع الكبير"، أبواب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، رقم: 2755. –كلّهم بألفاظ متقاربة –، قال الترمذي: (هذا حديث حسن). وقد صحح الألباني الحديث، وقال: رجال إسناده ثقات رجال الشيخين. ينظر: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق: محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة 01، 1998م، الجزء04، ص467. والألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 357، الجزء01، ص694.

[5]– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص758.

﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[سورة محمد:15]، قيل: المثل ههنا بمعنى الصفة"[1]. وأما صاحب اللّسان، فيرى أن: "مَثَل كلمةُ تسويةٍ يقال هذا مَثَله، كما يقال شَبَهه بمعنى".[2]

وأضاف الفيروز آبادي [3]معاني أخرى للمثل، فقال: " المثل بالكسر والتحريك، والمثيل كأمير: الشبه.. والمثل- محركة - الحُجّة، والحديث... والصفة"[4].

نستخلص مما سبق: أن أصحاب المعاجم اللّغوية قد أجمعوا - أو كادوا يُجمعون - على أن المثل يعني: الشبه، وربط أكثرُهم بين المثَل والمِثْل. وأنّ أصل المثول هو الانتصاب، والمثل: الشيء المنتصب، كما أوضح الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن الكريم.

الفرع الثاني: تعريف المثل اصطلاحاً

أولاً. مفهوم المثل عند المفسرين:

---

[1]- المصدر نفسه، مادة: (مثل)، ص759.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، الجزء11، ص610.

[3]- هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، مجد الدين، أبو الطاهر الفيروز آبادي، كان يُرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه، ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكازرون وتفقه ببلاده، وسمع بها من محمد بن يوسف الزرندي المدني صحيح البخاري، وعلى بعض أصحاب الرشيد بن أبي القاسم. مات سنة 817هـ. وقد ناهز التسعين. ينظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، (ت:852هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ-1969م، الجزء03، ص50.

[4]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1056.

ذهب أكثر المفسرين القدامى ممن كانت لهم عناية خاصة بالمعاني اللّغوية لمفردات الذكر الحكيم، إلى تفسير "المثل" بالتشبيه؛ فذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى [1] في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [سورة الرعد:6] إلى القول: "واحدتها مَثُلَة، ومجازها مجاز الأمثال"[2]. وقال في تفسير قول الحقّ سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [سورة العنكبوت:43]: "مجازها: هذه الأشباه والنظائر نحتجّ بها، يقال اضرب لي مثلا"[3]. فالمثل في نظر أبي عُبيدة: التشبيه، والأمثال هي –كذلك –: النظائر والأشباه.

وفسّر الفراء [4]في كتابه: "معاني القرآن" المثل بالتشبيه، فقال في تفسير الآية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[سورة البقرة:17]: فإنما ضُرب المثل– والله أعلم– للفعل لا لأعيان الرجال، وإنما هو مثَلٌ للنفاق، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، ولم يقل: "الذين استوقدوا..."، ... "ولو كان التشبيه للرجال، لكان مجموعاً".[5]وفي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا

---

[1]– هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى التّيميّ، تيم قريش مولى لهم، وكان من أجمع الناس للعلم وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية، وكان يقال: إنه خارجيّ. قال أبو حاتم: ما زال أبو عبيدة يصنّف حتى مات، وبلغ ثلاثا وتسعين سنة، ومات سنة تسع ومئتين. ينظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله (ت:379هـ)، طبقات النحويين واللّغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة02، (د ت)، رقم: 92، ص175.

[2]– أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة:1381هـ، الجزء01، ص323.

[3]– أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، الجزء02، ص116.

[4]– هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منصور الدّيلميّ الفراء. كان أبرع الكوفيين في علمهم. قال أبو العباس أحمد بن يحي: لولا الفرّاء ما كانت عربية؛ لأنه حصّنها وضبطها، ... قال أبو العباس: كُتبُ الفرّاء لا يُوازى بها كتاب. تُوفي الفراء في طريق مكّة سنة سبع ومئتين. ينظر: الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللّغويين، رقم: 61، ص133.

[5]– ينظر: الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة01، الجزء01، ص15.

يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗ ﴾[سورة البقرة:**171**]: قال: "فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى- والله أعلم- في المرعّي.[1]

وزاد ابن قتيبة [2] معاني أخرى للمثل، إضافة إلى معنى الشبه، حيث قال: "...والمثل: العبرة، كقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦ ﴾[سورة الزخرف:**56**]، أي: عبرة لمن بعدهم. وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[سورة الزخرف:**59**]، أي عبرة. المثل: الصورة والصفة، كقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[سورة محمد:**15**]. أي صفة الجنة"[3].

وهكذا يؤكد ابن قتيبة معنى الشبه، وعدَّه أصلاً للمثل، كما أكد مجيء المثل بمعنى الصفة والعبرة.

وأما أبو جعفر الطبري، فقد نصّ هو أيضاً على أن المثل: الشّبه، فقال: "المثل الشبه، يقال: هذا مثل هذا، ومثله، كما يقال شبهه وشبهه. ومنه قول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده إلاّ الأباطيل".[4] يعني: شبهه.

---

[1]- المرجع نفسه، الجزء01، ص99.

[2]- هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النّحوي اللّغوي، كان فاضلا ثقة، سكن بغداد وحدَّث بها عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني. وروى عنه ابنه أحمد، وتصانيفه كلّها مفيدة، منها: " غريب القرآن الكريم"، و " غريب الحديث "، و " مشكل القرآن "، و " مشكل الحديث"، تُوفي سنة ست وسبعين ومائتين. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، رقم: 328، الجزء03، ص42 وما بعدها.

[3]- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص270.

[4]- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، الجزء01، ص139 وما بعدها. وينظر: ديوان كعب بن زهير، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ط)، 1417هـ-1997م، ص62.

وفسر المثل بهذا المعنى في أكثر ما ورد فيه من آيات، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾[سورة البقرة:**26**]، حيث قال: "إن الله لا يخشى أن يصف شبها لما شبّه به"[1]، ويؤكد هذا المعنى عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُم ﴾ [سورة البقرة:**214**]. فقال: "يعني شبّه الذين خلوا فمضوا قبلكم.."[2]، غير أنه فسَّره بغير الشبه في بعض ما ورد فيه من آيات، ففسره بالعبرة والعظة[3]في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦ ﴾[سورة الزخرف:**56**]. وبالآية والحجة[4]في قول الحق ﷻ: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ ﴾[سورة الزخرف:**59**]. وبالصفة وذات الشيء أو الشيء ذاته[5] في الآية: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[سورة الرعد:**35**].

وورد عن أبي حيان الأندلسيّ [6] قوله في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗ ﴾ [سورة البقرة:**171**]: " ذكر هذا التّشبيه العجيب في هذه الآية

---

[1]– المصدر نفسه، الجزء20، ص98.

[2]– المصدر نفسه، الجزء25، ص51.

[3]– المصدر نفسه، الجزء25، ص53.

[4]– المصدر نفسه، الجزء13، ص109.

[5]– الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، الجزء14، ص84 وما بعدها.

[6]– هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسّره ... ولد سنة أربع وخمسين وستمائة. أخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبّذيّ، وأبي جعفر بن الزبير، وتقدم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وله من التصانيف: "البحر المحيط في التفسير"، "إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب". مات بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ينظر: الداودي، طبقات المفسرين للداودي، الجزء02، ص291.

منبّها على حالة الكافر في تقليده أباه ومحقّرا نفسه، إذ صار هو في رتبة البهيمة، أو في رتبة داعيها، ..."[1].

ثانياً. مفهوم المثل عند البلاغيين:

لقد نحا البلاغيون المنحى نفسه، وساروا على المنوال ذاته الذي سار عليه المفسرون، فهذا أبو عثمان الجاحظ [2] يُورد كثيرا من الأمثال في كتابه "الحيوان". ومع أنه لم يحاول تحديد مدلول للمثل، إلاّ أنّ بعض ما عقَّب به على تلك الأمثال، يشيرُ إلى أنه كان يَفهم من المثل: التمثل والتشبه بواقع تجارب الحياة، ومحاكاتها[3]، فمن ذلك قوله: "والمثل الذي يتمثل به الناس: فلانٌ لا يستطيع أن يُجيب خُصومَه، لأن فاه ملآن ماء، وإنما جعلوا ذلك مثلا، حين وجدوا الإنسان إذا كان في فمه ماءٌ على الحقيقة، لم يستطع الكلام"[4].

---

[1]- الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: 1420هـ، الجزء2، ص104.

[2]- هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي أحد النسّاء. سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه، وأخذ الكلام عن النّظام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاها. من مصنفاته: البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والرسائل. مات سنة خمس وخمسين ومائتين وقد جاوز التسعين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء5، ص2101.

[3]- الفياض، محمد جابر، الأمثال في القرآن الكريم، ص36.

[4]- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة02، 1424هـ، الجزء03، ص129.

وعرّف الحكيم الترمذي [1] الأمثال بأنها: "نموذجاتُ الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهتدي النفوس بما أدركت عيانا"[2]. فهو يرى في الأمثال وسائل وأدوات لإيضاح وتبيان الأمور الخفية.

ثم يواصل قوله: "وما غاب عن أسماع الرؤوس وأبصاره، وجاءت أخبارها عن الله تعالى- وتلك أشياء مكنونة – أيقن القلب بذلك، وتحيّرت النفس، وتذبذبت، ...فإذا ضربت لها الأمثال، صار ذلك الأمر لها بذلك المثل كالمعاينة، كالذي ينظر في المرآة، فيبصر بها وجهه، ويبصر بها مَن خلفه"[3].

فقد التفت الحكيم الترمذي إلى أهم ميزة في الأمثال وأبرزها، فالمثل – في نظره – هو وسيلة إدراك ما لا يمكن إدراكه، من الأمور الخفية إلاّ عن طريقه، وهي التفاتة رائعة؛ فمن خلال تشبيهه للمثل بالمرآة وقد استوعبت صورة من ينظر فيها، استيعابها لمن شابهه في الوقوف أمامها، فقد أبان لنا عن قدرة الأمثال لاستيعاب التجارب المماثلة لتلك التي قيلت فيها.

بينما ذهب آخرون إلى القول بأن الأمثال هي من القول الوجيز المرسل[4].

---

[1]- هو محمّد بن على بن الحسن بن بشر المحدث الزّاهد أبو عبد الله الحكيم الترمذي الصوفي صاحب التصانيف. سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق، وحدّث عن أبيه وعن قتيبة بن سعيد وصالح بن عبد الله وغيرهم. روى عنه يحي بن منصور القاضي وغيره من علماء نيسابور. من تصانيفه: كتاب الفروق، وله أيضا: كتاب غرس الموحّدين، توفي سنة 320هـ. ينظر: السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، رقم: 56، الجزء02، ص246.

[2]- الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ص14.

[3]- المرجع نفسه، ص16.

[4]- ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الجزء01، ص55.

أما المثل في نظر المعاصرين فهو: " قولٌ محكيٌّ سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده، مثل: "رُبَّ رَمْيةٍ مِن غَير رامٍ" أي رُبَّ رميةٍ مُصيبةٍ حصلت من رامٍ شأنه أن يخطئ. "[1]، فهذا المثل يُضرب للمخطئ غالبا يصيب أحيانا.

يتضح مما سبق عرضه من تعريفات المتقدمين، كأبي عبيدة وأبي زكريا الفراء وأبي جعفر الطبري أنّ لفظة المثل كان يراد بها – في أغلب المواضع – التشبيه، وإن كان الجاحظ قد ذهب إلى اعتبار المثل تجربة واقعية مستوحاة من حياة الناس.

المطلب الثاني: مفهوم الأمثال القرآنية وبيان أهميتها

الفرع الأول: مفهوم المثل القرآني:

لا يمكن حمل المثل القرآني دائماً على أصل المعنى اللّغوي الذي هو الشبيه والنظير، كما إنه ليس كلّه أقوالاً استعملت على وجهِ تشبيهِ مضربِها بمورِدِها؛ فالمثل القرآني لا يُشترط أن يكون له مَوردٌ مما أَلِفَهُ الناس،[2]بل إن الحكمة الربانية هي الأصل في إيراد تلك الأمثال القرآنية وإظهارها بهذه الصورة الرائعة التي نراها، وبناء على ذلك فالمثل القرآني هو: "تشبيه شيء بشيء في حُكمه أو أَحدِ المحسوسَين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر"[3].

أي: هو تشبيهُ شيءٍ محسوسٍ بشيءٍ محسوسٍ مثلِهِ يشتركان في الحكم، وهذا هو المثل القياسي، أو تشبيهُ شيءٍ معقولٍ لا يُدرك معناه بآخر محسوس يُقاس عليه، ليُقرِّب المعنى إلى الذهن ويُعتبَرُ به.

وقيل: إن المثل القرآني هو: "نظمٌ من التنزيل يَعرِضُ نَمَطاً واضحاً معروفاً من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضاً لافتاً للأنظار، ليُشبّه أو يُقارن به سلوكاً بشريّاً، أو فكرةً مجرّدةً، أو أي معنىً

---

[1]– القطان، مناع ابن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة03، 1421هـ-2000م.، ص291.

[2]– ينظر: مناع القطان، المرجع نفسه، ص292.

[3]– ابن قيّم الجوزية (ت:751هـ)، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1981م، ص15.

من المعاني، بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير، أو لمجرد الاقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه؛ أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر، أو للبرهان على صحة أحدهما، وبطلان الآخر"[1].

يظهر من هذا التعريف أنه تعريفٌ واسعٌ ومفصّلٌ شمل كلّ أنواع المثل القرآني ومعانيه، وأساليب القرآن في ضرب الأمثال، كأسلوب التشبيه، وأسلوب المقارنة، وأسلوب ضرب المثل للقدوة، وأسلوب الوصف أو التوضيح والتقريب للأذهان.

أما قوله: "نظم من التنزيل": يَقصد به أسلوب من أساليب القرآن الكريم، كأسلوب القصص، وأسلوب الحوار، وأسلوب الموعظة الحسنة، وأسلوب القسم، إلى غير ذلك من أساليب القرآن الكريم التي جاءت لتخاطب الإنسان.

وأما قوله: " يَعرض نمطا واضحا معروفا من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضا لافتا للأنظار" أي: يعرض أشياء معروفة معلومة عند الناس لغرض التشبيه أو المقارنة بأمور مكنونة لا تُدركها عُقولهم، كالتشبيه بالإنسان، كأصحاب الكهف[2]، وكمثل الرجل الذي يملكه شركاء،[3] أو بالحيوانات،

---

[1]– النحلاوي، عبد الرحمن، التربية بضرب الأمثال، دار الفكر، دمشق، الطبعة01، 1419هـ-1998م، ص19.

[2] – ينظر قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [سورة الكهف: 09].

[3] – ينظر قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [سورة الزمر: 29].

كالحمار[1]، والكلب،[2] أو بالحشرات كالعنكبوت[3] والذباب[4]، أو بالحوادث الكونية، كالتشبيه بالبرق[5]، والمطر[6]، والسراب[7]..، أو الأخبار التاريخية كأصحاب القرية[8].

قوله: " ليشبّه أو يقارن به، سلوكا بشريّا، أو فكرة مجرّدة، أو أي معنىً من المعاني" أي: قد يكون المشبه به سلوكا بشريا، كسلوك النفاق والبخل والغرور والعجب بالنفس، أو الإنفاق ...

قوله: "بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير، أو لمجرد الاقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه؛ أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر، أو للبرهان على صحة أحدهما، وبطلان الآخر" أي: يكون الغرض من ضرب المثل إما توضيح فكرة مبهمة، أو التدليل على شيء، أو الترغيب في أمر أو التنفير منه، أو المقارنة بين أمرين ليُظهر الأصلح منهما فيُؤخذُ به، والأفسد فيُتجنَب.

الفرع الثاني: المراد بضرب المثل في القرآن الكريم

---

(1) – ينظر قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [سورة الجمعة: 05].

(2) – ينظر: قوله تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ﴾ [سورة الأعراف: 176].

(3)– ينظر: قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ ﴾ [سورة العنكبوت: 41].

(4) – ينظر: قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا ﴾ [سورة الحج: 73].

(5) – ينظر: قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾ [سورة البقرة: 20].

(6) – ينظر: قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۖ ﴾ [سورة الفرقان: 40].

(7) – ينظر: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾ [سورة النور: 39].

(8) – ينظر: قوله تعالى:﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِۘ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا ﴾ [سورة الأعراف: 163].

كثيرٌ من الأمثال القرآنية صُدِّرت بلفظٍ من فعل (ضرب) وهو على الأغلب يأتي فعلاً ماضياً أو بصيغة الأمر، كقول الله ﷻ: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿32﴾ ﴾ [سورة الكهف: **32**]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [سورة الروم: **28**]، أو قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [سورة الروم: **58**]، وضربُ المثلِ هو مِن ضَرب الدَّراهم، وهو ذِكرُ شيءٍ أَثَرُه يظهر في غيره[1].

أي أنه استُعير ضربُ المثل من ضرب النُّقود، فشُبّه ضرب المثل بالقالب الذي تُصَكُّ فيه النقود حين يُصبُّ فيه المعدن المذاب، بحيث إذا وُضع على قطعة معدنية وفي درجة حرارة عالية؛ ظهرت آثاره أرقاماً ورسوماً، فكذلك المثلُ إذا طُبِّق على الممثل له وبُيّن وَجهُ الشبه بينهما ظهر أثرُه في سلوك الإنسان، وفي انفعالاته، وهذه هي الغاية المرجوة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

قال في "الجامع لأحكام القرآن": ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ﴾ [سورة آل عمران: **112**]، أي: أُلزِمُوهُما وقُضي عليهم بهما، مأخوذٌ من ضرب القِباب.[2]

وقد أحصى أحدُ المعاصرين في كتابه: "الأمثال في القرآن الكريم" ما يزيدُ على عشرة معان لضرب المثل في الكتاب الحكيم، – أوردها المفسّرون في تفاسيرهم – منها: التبيّين، التمثيل، والجَعل، والوصف، والذّكر، والوَضع، والاعتمال، والاتخاذ، والإيراد، ...[3]. يُورد الباحث بعض الشواهد منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

---

[1]– ينظر: النحلاوي، التربية بضرب الأمثال، ص15.

[2] – ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء01، ص430.

[3]– ينظر: الفياض، الأمثال في القرآن الكريم، ص57.

ذهب ابن جرير الطبري إلى تفسير الضرب، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [سورة الحج:**73**]. بالجَعل: "من قولهم: ضربَ السلطانُ على الناس البَعثَ[1]، بمعنى: جَعل، وضَربَ الجِزية على النّصارى: جَعلَ ذلك عليهم"[2].

وقال الزمخشريّ:[3] إنّ ضربَ المثل هو: "اعتمادُه وصُنعه، من ضَرْب اللَّبِنِ، وضربِ الخاتَم، وفي الحديث «اضطرب رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب»[4] "[5]. فاعتمادُ المثلِ وصُنعه على مذهب الزمخشريّ هو تمثيلُه.

بينما اختار الألوسيّ التفصيل، حين قال في معنى الضرب المتعلّق بالمثل: "وضربُ المثل يُستعمل تارةً في تطبيق حالة غريبة بأخرى مثلِها، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ [سورة التحريم:**10**]، وأُخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس، من غير قصدٍ إلى تطبيقها

---

[1]– البَعثُ: بمعنى: الجهاد، وضربُ البعث على الجند إذا بعثوا، وكلّ قوم بُعثوا في أمر أو في وجه، فهم بَعثٌ. ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، الجزء02، ص112.

[2]– الطبري، جامع البيان، الجزء18، ص685.

[3] – هو محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الزمخشريّ جار الله: كان إماما في التفسير والنحو واللّغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل مُتفننا في علوم شتى، مُعتزليّ المذهب مجاهرا بذلك. له: الكشاف في تفسير القرآن، والفائق في غريب الحديث، ونكت الاعراب في غريب الاعراب، وكتاب متشابه أسماء الرواة، وغيرها. توفي أبو القاسم الزمخشري بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، رقم: 1142، الجزء06، ص2689.

[4]– قال جمال الدين الزيلعي معقبا على هذا الحديث، "قُلت: غريب، وفي البخاريّ عن عبد العزيز عن أنس قال: اصطنع ﷺ خاتما نَقَش فيه، وفي مسلم عن الزّهريّ عن أنس أنه رأى في يد النّبي ﷺ خاتما من ورِق يوما واحدا ثمّ إن النّاس اضطربوا الخواتم من ورق فلبسوها". ينظر: الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت: 762هـ)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة01، 1414هـ، الجزء01، ص57.

[5]– الزمخشري، الكشاف، الجزء01، ص114.

بنظيرة لها، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿45﴾﴾ [سورة إبراهيم:45]، في وجه، أي: بَيَّنَا لكم أحوالاً بديعةً، هي في الغرابة كالأمثال".[1]

وأما محمد عبده [2]فقد ذهب إلى تعليل إطلاق الضرب على المثَل، لما يَنتُجُ عنه من تأثيرٍ على نَفْسِ المخاطَب، فقال: "وضربُه عبارةٌ عن إيقاعِه وبيانِه، وهو في الكلام أن يَذكُر لحالٍ من الأحوال ما يُناسبها ويُشابهها ويَظهرُ من حُسنها أو قُبحها ما كان خفيّاً، ...واختِير لفظُ الضربِ له، لأنه يأتي عند إرادة التأثير، وهَيجِ الانفعال، كأنَ ضاربَ المثلِ يَقرَعُ به أُذُن السامع قرعاً، يَنفُذ أثرُه إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه، ولكن في الكلام قلباً، حيث جعل المثل هو المضروب، وإنما هو مضروب به"[3].

إنّ كلام محمد عبده – هذا – يقودُ إلى القول بأن للمثل جانبان أحدُهما فكريٌّ، يتمثل في تشبيه شيءٍ بشيءٍ آخر بِغرض توضيحِ أَمرٍ مَكْنُون أَو تقريب فكرةٍ للأذهان، وآخر وجداني يتمثل في تأثير المثل ووقعِه في النفس، بغرض تَحبِيبه أو التنفير منه.

الفرع الثالث: أهمية ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

إن الله ﷻ الذي خلق الإنسان يعلمُ أن هذا الأخير يملكُ استعدادات فكرية محدودةٍ، وقُدرات عقلية قاصرةٍ، لا تمكنه من فهم وإدراك كثير من الأمور المجردةِ، كالغيبيات والمعقولات والأشياء الوجدانيةِ، ولذلك استخدم القرآنُ وسيلةَ الأمثال كأسلوبٍ لتقريب المعاني الغامضة وتصويرِ ما هو معقول، بما هو

---

[1]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن، الجزء11، ص392.

[2]– محمد عبده بن حسن من آل التركماني، مُفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الاسلام. وُلد في شنرا من قرى الغربية بمصر. تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم الأزهر، وقد تقلّب في شتى الشئون والوظائف والبلدان. من تصانيفه: تفسير القرآن الكريم لم يتمه، رسالة التوحيد، الاسلام والرد على منتقديه، الاسلام والنصرانية. توفى سنة 1905م. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، الجزء10، ص273.

[3]– محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء01، ص197.

محسوس ملموس في مُتناول إدراك كلّ إنسان،[1]وذلك "أنّ المعاني الكُلّيّةَ تَعْرِضُ للذِّهن مُجملةً مُبهمةً فيصعُبُ عليه أن يُحيط بها ويَنفُذَ فيها فيستخرجَ سرّها، والمثلُ هو الذي يُفصِّلُ إجمالها ويُوضِّحُ إبهامها".[2]

ولقد حظيّت الأمثال منذ القدم بعناية العلماء والأدباء والبلغاء، فذكروا مكانتها، وأوضحوا دورها في إبراز المعاني المعقولة في صورٍ مُجسَّمةٍ، مما يَنتُج عنه تلقيحٌ في الأفكار وسرعةٌ في الفهم، ويُعينُ على التذكّر والاعتبار، ولعلّ من أجمع ما قيل في الثناء عليها ما رُويّ عن إبراهيم النّظام،[3]قوله: "يجتمع في الأمثال أربعةٌ لا تجتمع في غيرها من الكلام: إيجازُ اللّفظ وإصابةُ المعنى وحسنُ التشبيه وجودةُ الكناية..."[4].

كما تحدث الماوردي[5] في: "أدب الدنيا والدّين" عن دور الأمثال ومنزلتها، يقول: "وللأمثال من الكلام موقعٌ في الأسماع وتأثيرٌ في القلوب لا يكاد الكلام المرسلُ يبلغ مبلغَها، ولا يُؤثِّر تأثيرَها، لأن

---

[1]– ينظر: حمزاوي يزيد، دور المثل في استثارة العمليات العقلية لدى المتعلم، دراسة تحليلية كيفية للأمثال القرآنية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 02، المجلد 07، العدد 01، ص 10.

[2]– محمد رشيد رضا، المرجع السابق، الجزء01، ص199.

[3]– هو إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق النّظام، ورد بغداد، وكان أحدُ فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة، وله في ذلك تصانيف عدّة، وله شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين. توفي ما بين سنة: 221-223هـ. ينظر: البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، (ت:463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة01، 1422هـ- 2002م، رقم: 3084، الجزء06، ص623.

[4]– الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 518هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، الجزء01، ص1.

[5]– هو عليّ بن محمّد ابن حبيب، قاضي القضاة، أبو الحسن الماورديّ البصريّ، صاحب " الحاوي "، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصّيمريّ، قال الخطيب أبو بكر البغداديّ في " التّاريخ ": كان من وجوه الفقهاء الشافعيين، وله تصانيف عدّة في أصول الفقه، وفروعه، وغير ذلك. من أشهر مصنفاته: "الأحكام السلطانية"، "أدب الدنيا والدين"، وغيرها. توفّي ببغداد سنة خمسين وأربع مئة. ينظر: أبو عمرو بن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، رقم: 242، الجزء02، ص637.

المعاني بها لائحةٌ والشواهدَ بها واضحةٌ، والنفوسَ بها وامقة [1]، والقلوبَ بها واثقةٌ، والعقولَ لها موافقةٌ، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجّة على خلقه، لأنها في العقول معقولةٌ، وفي القلوب مقبولةٌ". [2]

إن الممثل له أو المشبَّه قد يكون معنىً أو ذاتاً يجهلها المخاطَب، ويتعذر إحضارُها إليه لمشاهدتِها، وقد يكون في التعريف بها مباشرةً بذكر أوصافها إطالةً قد تُؤدي إلى تشْتيتِ ذِهن المخاطَب، أو التباس الأمر عليه، فيَحسُنُ عند ذلك ضربُ المثلِ له، لتقريب المعاني الوجدانية أو الأفكار أو الذوات المحسوسة الغائبة إلى ذهن المخاطَب بمثالٍ محسوسٍ له إحساساً مادياً أو إحساساً وجدانياً. [3]

إنّ القرآن الكريم من خلال ضربه للأمثال يشحَذُ عقول المخاطَبين، ويدفعُهم إلى التفكير والتأمل والقياس؛ ويُقصد بالقياس باعتباره عملية عقلية، التقدير: يقال قاس الشيء إذا قدّره، ويُستعمل أيضا في التشبيه، أي في تشبيه الشيء بالشيء، يقال هذا قياس ذاك، إذا كان بينهما تشابه. والقياس اللّغوي ردُّ الشيء إلى نظيره. [4]

فأمثال القرآن الكريم تُفيد في تربية الإنسان على القياس المنطقي السليم، لأن معظم الأمثال تنطوي على قياسٍ تُذكر مُقدماتُه، ويُطلب من العقل أن يَتوصلَ إلى النتيجة، التي لا يُصَرَح بها في كثير من الأحيان. [5]

---

[1] – يقال: ومَقْتُ فلاناً أمُقُه وأنا وامِقٌ، وهو مَومُوقٌ، وأنا لك ذو مِقَة، وبك ذو ثقة. وقال أبو عبيد عن أبي عمرو: في باب فعل يفعل، ومق يمق، ووثق يثق. والتَوَمُّقُ: التودد. ينظر: الأزهري، تهذيب اللّغة، الجزء9، ص273.

[2]– الماوردي، أدب الدنيا والدّين، ص286 وما بعدها.

[3]– ينظر: الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1424هـ- 2003م، الجزء01، ص156.

[4]– ينظر: الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، الجزء01، ص94.

[5]– ينظر: النحلاوي، التربية بضرب الأمثال، ص204.

ولقد ضرب الله ﷻ الأمثال، وأكثر من ضربها، ونسب هذا الضرب إليه، فقال ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ [سورة النحل:**112**]. وقال سبحانه: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ [سورة التحريم:**10**]، فنسبة ضرب الأمثال لله جلّ وعلا هي نسبةُ تشريفٍ تدلّ على عِظم شأنها ودورها في ترسيخ المعاني وتقريبها.

يقول عبد الرحمن السعدي في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿43﴾ ﴾ [سورة العنكبوت:**43**]: "وهذا مدحٌ للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبّرها وتعقلها، ومدحٌ لمن يعقلها، وأنه عنوانٌ على أنه من أهل العلم، فعُلِم أنَ مَن لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، ... ولهذا أكثر ما يَضربُ الله الأمثال في أصول الدين ونحوها"[(1)].

فإذا كانت هذه أهمية الأمثال كما بيّنها الله ﷻ في كتابه الكريم، فلا غرابة في أن يعدُّها الشافعيّ من أهم العلوم التي يجب تعلّمها لفهم خطاب الله تعالى، فقال: "ثمّ معرفةُ ما ضُرِب فيه من الأمثال الدَّوال على طاعته المبيّنة لاجتناب معصيته"[(2)].

ويقول الزمخشري عن الحكمة في إيراد الأمثال في القرآن: "إن الأمثال لها شأنٌ كبيرٌ في إبراز خَبيئاتِ المعاني ورفعِ الأستار عن الحقائق حتى تُريك المتخيَّل في صورة المتحقِق والمتوهَم في مَعرَض المتيقَن والغائبَ كأنه مشاهدٌ، ... وفيه تبكيتٌ للخصم الألدِّ وقمعٌ لسَوْرةِ الجامح الأَبِيّ"[(3)].

[(1)]- ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص631.

[(2)]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء04، ص44.

[(3)]- ينظر: الزمخشري، الكشاف، الجزء01، ص72.

ويضيف ابن القيم قائلاً: "وقد أخبر سبحانه أنه ضربَ الأمثالَ لعباده في غير موضعٍ من كتابه، وأمر باستماع أمثاله، ودعا عبادَه إلى تعقُّلها، والتفكير فيها والاعتبار بها".[1]

فقد يجهل الإنسان حقيقة أمر ما، أو يلتبس عليه ذلك الأمر، فيلجأُ المخاطِبُ الفصيحُ إلى ضرب المثل لتَبيِّين ما يريد وصفَه، خاصةً إذا تعذر إحضار الممثل له، أو إحضار صورته أمام ذلك الشخص الذي يريد رفعَ الجهالة عنه، كأن يكون "أمرا فكريا ذهنيا، أو أمرا وجدانيا"[2]معنويا، لا يمكن الوقوف على ماهيته وحقيقته بحواسنا الظاهرة، فيلجأ إلى هذا الأسلوب الذي "يُبرز المعقولَ في صورة المحسوس الذي يلمسُه الناس، فيتقبله العقل، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلاّ إذا صيغت في صورة حسيّة قريبة الفهم"[3].

وضربُ الأمثال في القرآن العظيم يدور حول مقصد أساسي، هو البيان والإيضاح لمراد الله عزّ وجل، وتبليغ دينه، وكلّ ما يحتاجه البشر للتعرّف على حقِّ الله تعالى على العباد[4].

وقد جَمعَ المقاصدَ – أو الأغراض – التي ضُربت لأجلها أمثال القرآن الكريم الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" فقال: "وضَربُ الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمورٌ كثيرةٌ: التذكيرُ، والوعظُ، والحثُّ، والزّجرُ، والاعتبارُ، والتقريرُ وترتيبُ المرادِ للعقل، وتصويرهُ في صورة المحسوس ...، وعلى المدحِ والذّمِ، وعلى الثوابِ والعقابِ، وعلى تفخيمِ الأمرِ أو تحقِيره، وعلى تحقيق أمرٍ أو إبطال أمرٍ، ... "[5].

المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في المثل القرآني

الفرع الأول: علاقة ضرب الأمثال بالاستدلال العقلي في القرآن الكريم:

---

[1]– ابن القيّم، إعلام الموقعين، الجزء01، ص149.

[2]– الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرّفيع، ص61.

[3]– القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، ص298.

[4]– ينظر: الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية، الجزء01، ص154.

[5]– الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، الجزء01، ص486.

تعدُّ الأمثال المضروبة في القرآن الكريم من أهم المسالك، وأوسع المجالات التي كان من خلالها عرض الأدلة العقلية النقلية، وذلك أن ضرب المثل هو القياس العقلي، فإن المثل مأخوذٌ من المثال، وهو النموذج الذي يقاس عليه، لوجود المماثلة والمشابهة بينه وبين ما يقاس عليه[1]، فيُطلقُ المثل في القرآن ويُراد به ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع، أو عمل من الأعمال، أو سنة من سنن الله ﷻ، نظرا إلى التشابه الموجود بين أفراد النوع الواحد، أو نظرا إلى اطراد سنن الله تعالى وأعماله الحكيمة[2].

وضربُ المثل هو تقدُيره وصياغتُه وجمعُه في القلب واللّسان[3]، يقول ابن تيمية: "القياس هو ضرب المثل، وأصله تقديره، فضرب المثل للشيء: تقديره له، كما أن القياس أصله تقدير الشيء بالشيء، ومنه ضرب الدِرهم وهو تقديره..."[4].

فقد نصَّ ابنُ تيمية على أن الله تعالى بيَّنَ الحقائق عن طريق الأقيسة العقلية والأمثال المضروبة، وبَيّنَ سُبل التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين، وأن الرسل – عليهم السلام – خاطبت الناس بما يفقهونه، ودلّت على ما يفهمونه بفطرتهم التي خلقهم الله ﷻ بها، وأظهرت العلوم العقلية التي بها يتمُّ دينُ الناس علماً وعملاً، وضَربت الأمثال، وذلك حتى يَظهر دَورُ الرسل الذين جاؤوا بتكميل الفطرة وإصلاحها[5].

---

[1]– ينظر: الفياض، محمد جابر، الأمثال في القرآن الكريم، ص25 وما بعدها، والعريفي، سعود بن عبد العزيز، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1419هـ، ص116.

[2]– الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص24.

[3]– ينظر: الميداني، المرجع نفسه، ص77.

[4]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء14، ص55.

[5]– ينظر: ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الردّ على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص382. ومجموع الفتاوى، الجزء09، ص243.

يأتي القياس المستند إلى مبدأ شمول الأحكام للمتماثلات الذي تقضي به أصول الحقائق، أو تقضي به حكمةُ الخالق في خَلقِه، وفي تصاريف عدله، وفي ثبات سُنته، فيُنتِجُ أحكاماً عامّةً تشمل سائر الأفراد المماثلة لما جاء في المثل[1].

فمبدأ شمول الأحكام للمتماثلات، هو قانونٌ أساسيٌّ يستندُ إلى إقرار الأحكام بناءً على الحقائق الأساسية، أو الحكمة الإلهية التي يقضي بها الله ﷻ، وفي تقدير عدله بين خلقه، وفي ثبات سننه الكونية أو الشرعية.

ووفقاً لهذا المبدأ يتمُّ استنباط أحكامٍ عامةٍ مطابقةٍ لجميع الحالات المماثلة لتلك التي ذُكرت في المثال الأول، وهذا هو الذي اصطُلح على تسميته بالقياس، وهو طريقةٌ من طرائق استنباط الأحكام الشرعية.

أي أن ضرب الأمثال هي عبارة عن قياس – تمثيل – يُستنبط منه حكمُ الممثلِ من الممثل به، أو بتعبير آخر: إلحاقُ الفرع بالأصل لعلّة جامعة بينهما.

وهو المراد من قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿27﴾ ﴾ [سورة الزمر: 27].

فهذا التعميم الموجود في هذه الآية إنما ينطبق على ذكر النماذج لكلّ نوع، ليُقاسَ عليها سائر الأفراد المشابهة[2].

---

[1]- ينظر: الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص24.

[2]- ينظر: الميداني، المرجع نفسه، ص24.

ويرى ابن تيمية أن كلّ واحد من نوعيّ ضرب المثل – وهو القياس – تارةً يُراد به التصوير وتفهيم المعنى، وتارةً يُراد به الدِّلالة على ثبوته والتصديق به، فقياسُ تصَوُّرٍ وقياسُ تصديقٍ، وكثيراً ما يُقصد كلاهما، فإنّ ضرب المثل يُوضِّحُ صورةَ المقصود وحكمَه[1].

وضربُ الأمثال في المعاني نوعان هما نوعا القياس:

أحدهما: الأمثال المعيّنَة، وهي التي يُقاس فيها الفرع بأصلٍ مُعيَّنٍ موجودٍ أو مقدَّرٍ، وهي من جنس قياس التمثيل، حيث يُجمع بين المتماثلَيْن بالصفات المعتبرة في الحكم المقصود إثباته أو نفيه[2].

والقرآن الكريم سَلكَ هذا النوع من القياس– قياس التمثيل ويُسمى كذلك قياس الدِّلالة – على أَدقِّ وَجْه وأَحكمِه، مُقرّباً ما بين الحقائق القرآنية والبديهيات العقلية[3].

فقد ورد كثيرا في القرآن في الاستدلال على البعث، وذلك من خلال الجمع بين الأصل وهو البعث الذي سبق الدليل من أجله، وبين الفرع وهو آياته سبحانه التي بَثَّها في الكون من حولنا[4].

يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿39﴾ ﴾ [سورة فصلت:**39**]. ﴿خَٰشِعَةً﴾ أي: هامدةً مُتهَشِمةً ميّتةً لَيسَ عَلَيهَا شَيءٌ[5].

---

[1]– ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء14، ص55.

[2]– ينظر: العريفي، سعود بن عبد العزيز، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، ص117.

[3]– أبو زهرة، محمد بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ص274.

[4]– ينظر: عبيدات، عبد الكريم نوفان، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ص464.

[5] – ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، الجزء05، ص54.

يقول ابن القيم: "فدلَّ سبحانه عبادَه بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعَدُوه، وذلك قياسُ إحياءٍ على إحياء، واعتبارُ الشيء بنظيره، والعلّة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه، وكمالُ حِكمتِه، وإحياءُ الأرض دليلُ العلّة"[1].

وقد كرر سبحانه أمثال هذا الدليل في كتابه مرارا، وذلك لصحة مُقدّماته، ووضوحِ دلالاته، وقُربِ تناولِه، وبُعدِه من كل معارضةٍ وشُبهةٍ، وجَعلَهُ تبصرةً وذكرى[2].

الثاني: الأمثال الكليّة: قال ابن تيمية: "وهذه التي أُشكل تسميتُها أمثالاً كما أُشكل تسميتُها قياساً، حتى اعترض بعضُهم قولَه [تعالى]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ [سورة الحج:**73**]، فقال: أين المثل المضروب؟ وكذلك قوله جلّ وعلا:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[سورة الروم:**58**]، فيقولون: أين المثل المضروب؟

وهذه الأمثال تارةً تكون صفاتٍ، وتارةً تكون أقيسةً، فإذا كانت أقيسةً فلا بد فيها من خبرين هما قضيتان وحكمان، وأنّه لا بد أن يكون أحدهما كليّا؛ لأن الأخبار التي هي القضايا لما انقسمت إلى معيّنة ومطلقة وكُليّة وجُزئية، وكلٌّ من ذلك انقسم إلى خبرٍ عن إثبات وخبرٍ عن نفيّ، فضَربُ المثل الذي هو القياس، لا بد أن يشتمل على خبر عامٍ وقضية كليّةٍ، وذلك هو المثل الثابت في العقل الذي تُقاس به الأعيان المقصود حكمها، فلولا عمومه لما أمكن الاعتبار لجواز أن يكون المقصود حكمه خارجا عن العموم؛ ولهذا يقال: لا قياس عن قضيتين جزئيتين بل لا بد أن تكون إحداهما كلية، ولا قياس أيضا عن سالبتين؛ بل لا بد أن تكون إحداهما موجبة، وإلا فالسالبان لا يدخل أحدهما في الآخر فلا بد فيه من خبر يعمّ[3] . فإنّ الشيء كلّما كان أعم كان أعرف في العقل لكثرة مرور مفرداته في العقل.

---

[1]- ابن قيّم الجوزية، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، الجزء01، ص107.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، الجزء01، ص112.

[3]- ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء14، ص59.

وينص ابن تيمية على أن من كمال بلاغة القرآن العظيم تركه في أمثاله المضروبة وأقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الواضحة المعلومة، ثمّ يتبع ذلك بالإخبار عن النتيجة التي قصد الوصول إليها؛ لأن الهدف من ضرب المثل هو تحقيق المعرفة والاستفادة بما يتم ذكره، فذلك هو البيان وهو البرهان[1].

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿59﴾ ﴾[سورة آل عمران:59].

وقد بيّن الرازي [2] وجه المقايسة في الآية قائلا: "وإذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب، فَلِمَ لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل، فإنَّ تولدَ الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقربُ من تولّده من التراب اليابس"[3].

إنّ الدليل السابق لم تُذكر فيه إلاّ مقدمةٌ واحدةٌ، وهي إثبات مماثلة آدم لعيسى في الآدمية، وطوى ما عداها من الأوصاف، وفحوى الدليل: إذا كان آدم ليس ابناً باعترافكم، فعيسى ليس ابناً كذلك[4].

والحذف في الآية قد أكسبها رونقاً وجمالاً، وجعلها مثلاً مأثوراً، يعطي حُجّةً في الردّ على النّصارى، لا يُوجَدُ له نظيرٌ في الأقيسة التي يسوقها البشر.

---

[1]- ينظر: ابن تيمية، المصدر نفسه، الجزء14، ص62.

[2]- هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، الشافعي المفسّر المتكلّم. ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة. كان من تلامذة محيي السنة البغوي. قال ابن خلكان فيه: فريد عصره، ونسيج وحده، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة، وله التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه، وشرح وجيز الغزالي، ومناقب الشافعي وغير ذلك. توفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، سنة ست وستمائة بمدينة هراة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء04، ص252. والسيوطي، طبقات المفسرين العشرين، ص116.

[3]- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة3، 1420هـ، الجزء8، ص243.

[4]- ينظر: أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى، ص398.

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [سورة الحديد:**25**].

"**﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾**أي: بالمعجزات، والحُجج الباهرات، والدلائل القاطعات، و ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: هو النقل الصادق، و﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾: هو العدل الذي تَشهد به العقول الصحيحة المستقيمة، المخالفة للآراء السقيمة".[1]

وأمثال القرآن الكريم تدخل ضمن هذا الميزان العظيم الذي وضعه الله تبارك وتعالى لعباده، ليُنبِه بها عقولهم ويعرفوا بها التماثل والاختلاف، فيُسووا بين المتماثلات ويفرّقوا بين المختلفات،[2] **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ ﴾ [سورة الرحمن:**7-9**].

وهذه العلاقة بين الأمثال القرآنية والميزان هي من أعظم مزايا الأمثال القرآنية وأهمها، وهذا معنى دقيق جليل، تنبه إليه ابن تيمية، حين قال: "والميزان التي أنزلها الله مع الكتاب ميزان عادلة تتضمن اعتبار الشيء بمثله، وخلافه، فتسوى بين المتماثلين وتفرق بين المختلفين بما جعله الله في فِطر عباده وعقولهم من معرفة التماثل والاختلاف.[3]

فالحاصل أن الأمثال القرآنية، ما كان منها أمثالاً تمثيليةً تشبيهيةً تقوم على قياس التمثيل أو كان أمثالا أنموذجية تقوم على أساس قياس الشمول، هي موازينَ عقلية ضمنها الله ﷻ كتابه، لتُوزن بها القضايا التي قد يحصل الخلاف والجدال حولها بين الناس، فتأتي الأمثال القائمة على مقايسة تلك

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء08، ص27.

[2]- ينظر: الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية، الجزء01، ص147، بتصرف.

[3]- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء09، ص242.

الأمور على ما يشابهها لإيضاح حُكمِها وإلحاقها بها، أو مقايستها على ما يخالفها لبيان بُعدِها عنها وإزالة الشبه التي أوهمت قُربَها منها[1].

فما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم من أقيسة عقلية، فلأجل بيان الحقّ وهداية الناس إلى الإيمان، وذلك بتقريب الأمور المعقولة غير المحسوسة بالحقائق المحسوسة والمشاهدة، من خلال لَفتِ العقول إلى ما بينهما من أوجُه التماثل، حتى تكون الحقائق الغائبة واضحةً في العقول وضوحَ الحقائق المحسوسة.

الفرع الثاني: شواهد من الأمثال القرآنية على الاستدلال العقلي في الخطاب القرآني

سبقت الإشارة إلى أن القياس هو من أهم العمليات العقلية التي يستثيرها المثل القرآني، ويُقصد بالقياس باعتباره عملية عقلية، مقارنةُ موقف أو شيءٍ بموقف معلوم يُماثله في جانب أو أكثر، أو محاولةُ فهمه في ضوء مبدأ أو قاعدة عامة تنطبق عليه، ويُسمى في حال الأمثال القرآنية قياس التماثل[2].

قال عزّ من قائل سبحانه وتعالى مُبيّنا أن ما قصَّه في كتابه من أخبار المؤمنين وأخبار الكافرين إنما هي أمثالٌ ضُربت للآخرين ليعتبرُوا بها، ويقيسُوا عليها أحوالهَم المستجدة بأحوال الأقوام الغابرة ليتّعظوا ويرتدعُوا.

﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤ ﴾ [سورة النور:**34**]. فقصص القرآن الكريم إنما هي أمثالٌ ضُربت للناس ليتأملوها ويستخلصوا منها العِبرَ. قال ابن تيمية: "ونظيرُ ذلك ذِكرُ القَصص فإنّها كلُّها أمثالٌ هي أصولُ قياسٍ واعتبارٍ"[3].

---

[1] – ينظر: الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية، الجزء01، ص150.

[2] – ينظر: حمزاوي يزيد، دور المثل في استثارة العمليات العقلية لدى المتعلم، ص20.

[3] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء14، ص57.

فمن أنواع الأمثال في القرآن الكريم، الأمثال الأنموذجية، وهي التي يُذكر فيها نموذجٌ أو أكثر لنوع من الأنواع، أو عمل من الأعمال، أو سنّة من سنن الله تعالى، لوجود تشابه بين هذه العناصر[1].

وقد ذكر الحقّ تبارك وتعالى في كتابه الحكيم آيات بيّنات هي بمثابة قواعد عامة، يستطيع الباحث – المتخصص والمتدبر – في كتاب الله أن يحتذي بها ويقيس عليها كلّ ما يماثلها من الأمثال المضروبة والنماذج البشرية، ومن الشواهد القرآنية لهذا الضرب من الأمثال نذكر ما يلي:

الشاهد الأول: قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ ﴾ [سورة التحريم: **10-11**].

إنّ هاتين الآيتين تتضمنان مثلين لفئتين من الناس، الأولى: مَثَّلَ الله ﷻ للذين كفروا عن تصميم وعنادٍ بامرأة نُوح وامرأة لوط – عليهما السلام –، وأما المثل الثاني: فقد ضُرب لفئةٍ آمنت في بيئةٍ كافرةٍ، وقد مَثَّلَ لها الله ﷻ بامرأة فرعون[2].

فيأتي القياس الذي يستمد مشروعِيتَه من حكمة الله وعدله وثوابتِ سُننه، فيُصدرُ أحكاما عامةً على سائر أفراد هذا النوع، بحكم التماثل والتشابه بين أفراد هذا النوع، فكلُّ مَن ماثلَ امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لوطٍ ينطبقُ عليهن مِثل ما انطبق عليهما، وكلُّ اللّواتي يماثلن امرأة فرعون ينطبق عليهن مِثل ما انطبق عليها، ويعمُّ القياس الرجالَ أيضاً[3].

---

[1]– ينظر: الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، الجزء01، ص84.

[2]– ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء18، ص202.

[3]– ينظر: الميداني، أمثال القرآن، ص25.

الشاهد الثاني: قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿59﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **59**].

ومن الأمثلة القياسية في القرآن، تمثيلُ خَلْقِ عيسى – عليه السلام – من غيرِ أَبٍ بِخَلقِ آدم – عليه السلام – من دُون أبٍ ولا أمٍ.

فلقد احتوى هذا المثل حُجّةً قياسيةً، تردُّ على مزاعم النّصارى الذين قالوا: إنّ عيسى – عليه السلام – هو الله، أو ابن الله، أو هو ثالث ثلاثة – على اختلاف مذاهبهم في ذلك – مستدلين في ذلك أنه – عليه السلام – قد وُلِد من أُمٍّ بلا أب، وأنّه كان يُحي الموتى، وغَلَوا في المسيح عيسى غُلُوّاً كبيرا[1]." فأخبر تعالى أنّ عيسى نظيرُ آدم في التكوين بجامعِ ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلَّق به وُجودُ سائر المخلوقات، وهو مَجيئُها طوعاً لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكرُ وجودَ عيسى من غير أبٍ مَن يُقرُّ بوجود آدم من غير أب ولا أمّ؟ ووجودُ حواء من غير أم؟ فآدم وعيسى نظيران يجمعهما المعنى الذي يصحُّ تعليقُ الإيجاد والخلق به"[2].

يخاطب الله تعالى النصارى ليفنِّد شُبهتهم حيث استندوا في دعواهم أنه وُلد من أم بلا أب، فقال: إنّ آدم أَحرى بذلك، فقد خلقه الله من تراب من غير أب ولا أُمّ، فإذا كان المسيح إلهاً بزعمكم، فما يكون آدم؟ مع أنهم مُقِرون جميعُهم أنّ آدم ليس إلهاً وإنما هو عبد الله ﷻ.

إنّ هذا القياس يدعو النّصارى إلى التأمل في معتقدهم الباطل، وكلُّ من يقيسُ من النصارى على خلق آدم، ويُعمِل عقلَه ولا يُعطِّله يكتشف فسادَ معتقدِه في المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام –

الشاهد الثالث: قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿51﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿52﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ

---

[1]- ينظر: الميداني، المرجع نفسه، ص26.

[2]- ابن القيّم، إعلام الموقعين، الجزء01، ص104.

أَسَوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿53﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿54﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿55﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿56﴾ ﴾ [سورة الزخرف: **51-56**].

لقد عرض الله تعالى عاقبة الأقوام الأوَّلِين الذين كفروا بالله وكذَّبوا رُسُلَه – عليهم السلام –، وسماها الله في كتابه أمثالاً، لأنها نماذجٌ من حِكمته في إقامةِ عدله، وبيانِ عاقبة الذين أفسدُوا في الأرض.

فهذا الحال الذي آل إليه فرعون وجنودُه، قد جعله الله ﷻ مثلاً يتعظ به مَنْ يأتي من بعدهم، فيقيسون عليه عدلَ الله في عباده، ويلاحظون فيه نُموذجاً من حكمة الله ﷻ في معاقبة الطغاة، ومجازاة البُغاة، وقد سماه الله مثلاً، فقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾،" أي: مثلاً للذين يأتُون من بَعدهم من الأُمم على عدل الله وانتقامِه، ممن يصلُ إلى مثل ما وصلَ إليه فرعونُ وجنودُه"[1].

الشاهد الرابع: هذه ثلاثة أمثالٍ ضربها الله تعالى في كتابه الحكيم للكافرين حيث شبَّهَهُم بالأنعام، بل جعلهم أضلّ من الأنعام.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿179﴾ ﴾ [سورة الأعراف: **179**]. وقال سبحانه: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿43﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿44﴾ ﴾ [سورة الفرقان: **43-44**]. وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿12﴾ ﴾ [سورة محمد: **12**].

شبَّه المولى تبارك وتعالى الكافرين في هذه الآيات بالأنعام، وذلك لأنهم عَطَّلوا حواسَهم ولم يستعملوها فيما خُلقت من أجله، ولم يُوظفوا عُقولهَم في معرفة أدلة وجود الله ﷻ وسبب خَلقِهم.

---

[1]– الميداني، أمثال القرآن، ص27.

فبسبب تعطيلهم لهذه الأجهزة التي وهبهم الله تعالى وزودهم بها، والتي بها يتعرفون على خالِقهم وإلهِهم، صارُوا في هذه الدنيا كالأنعام التي تنظرُ إلى الأشياء ولكن لا ترى آيات الله الكونية، وتسمعُ ولكن لا تسمع دلائل وجود الله، فعقولهُم محجوبةٌ عن معرفة الحقائق الموصلة إلى الله ﷻ، وكَسَا الرانُ قُلوبَهم فغَدَوا لا يفقهُون شيئاً.

"ففي هذا المثل القرآني تبدُوا دقّة التصوير، وصدق المماثلة بين الممثّل به والممثّل له، والتمثيل هنا قائمٌ على التشبيه الصريح البسيط.

وقرّر النصّان الأولان أنهم أضلّ من الأنعام، والسبب في ذلك أن الأنعام لم تُؤتَ أدواتِ الكمال في أصل فِطرتها، بخلاف الذين كفروا، فإنهم قد أُتوا هذه الأدوات، ومع ذلك لم يستعملوها فيما خُلقت من أجله، بل عطّلُوها واستعملوها استعمالا أَوْدَى بهم إلى العذاب الأليم الخالد، فالنار مثوى لهم"[1].

الشاهد الخامس: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿8﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿9﴾﴾ [سورة المعارج:**8-9**]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿4﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿5﴾﴾ [سورة القارعة: **4-5**].

يضرب الله تعالى مثلاً لما سيَحدثُ يوم القيامة، بحيث يتغيّر كلُّ شيءٍ عما هو عليه في الحياة الدنيا، وهي صورة بعيدةٌ عن إدراكنا وحواسنا[2]، فلكي يُقرَّبُ المعنى لأذهان المخاطَبين يصف الله تبارك اسمه كيف يكون الناسُ في ذلك اليوم العظيم، وكذلك الجبال والسماء وغيرها من مخلوقات الله تعالى، فشبَّه السماء في انحلال أجزائها بالزّيت، والجبال بالصوف المصبُوغ، ويكون الناس يومئذٍ كالفَراش، وهو الجرادُ المتفَرّقُ على وجه الأرض[3]، وهذه الأمور الممثَل بها مما تعرفُه العرب.

---

[1]- الميداني، أمثال القرآن، ص154.

[2]- ينظر: حمزاوي يزيد، دور المثل في استثارة العمليات العقلية لدى المتعلم، ص06.

[3]- ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء30، ص513، بتصرف.

الشاهد السادس: يقول تعالى: ﴿ إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿20﴾ ﴾ [سورة الحديد: **20**].

ضرب الله تعالى مثلاً للحياة الدنيا بأنها زهرةٌ فانيةٌ، ونعمةٌ زائلةٌ، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾، والمعنى أن الحياة الدنيا كالزرع يُعجِبُ الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار، ثم لا يلبثُ أن يصيرَ هشِيماً كأن لم يكن بالأمس.[1]

فهذا المثلُ يُنبّه الناس من غفلتهم، ويدْعُوهم إلى إجالة الفِكر في حقيقة الدنيا، ليكون أهلُ العقل والبصيرة على بَيِّنةٍ من أمرها، وتَصِحُ نظرتُهم إليها فلا يتفانون في الجري وراء ملذاتها، فيُصبحوا خَدماً وعبيداً لها. فقد هَوَّن هذا المثل القرآني أَمرَ الحياة الدنيا، وحقَّرها، وكشفَ عن حقيقتها، وذلك حين قال أنها: لعبٌ، ولهْوٌ، وزينةٌ، وتفاخرٌ، وتكاثرٌ، فليتأمل أصحابُ العقول في هذه الكلمات، ليُدركوا أنها (لذاتُ ومتاعُ الدنيا) ليست إلاّ مُحقَراتٍ من الأمور[2].

الشاهد السابع: قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿57﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿58﴾ ﴾ [سورة الأعراف: **57-58**].

---

[1]- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء08، ص24.

[2]- ينظر: طاحون، أحمد بن محمد، أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، إدارة مراقبة الكتب وطبعات المصاحف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1411هـ-1990م، ص25.

أخبر الله ﷻ في هذه الآيتين عن إحياءَين، وأن أحدَهما مُعتَبَرٌ بالآخر مَقيسٌ عليه، ثم ذكر قياساً آخر وهو: أن من الأرض ما تكون أرضاً خبيثةً لا تُخرجُ نباتها إلاّ نكدا، أي قليلاً غيرَ مُنتفَع به، فهذه إذا أُنزل عليها الماء لم تُخرِج ما أخرجت الأرض الطيّبةُ.[1]

فشبّه سبحانه الوحيَّ الذي أنزله من السماء على القلوب بالماء الذي أنزله على الأرض، بحصول الحياة بهذا وذاك، وشبّه القلوبَ بالأرض إذْ هي محلّ الأعمال، كما أن الأرض محلّ النبات، وأن القلب الذي لا يَنتفِعُ بالوحيِّ ولا يزكُو عليه ولا يُؤمنُ به، كالأرض التي لا تنتفعُ بالمطر. فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقَلَه وتدَبَّرَهُ، بانَ أثرُه عليه، فشُبِّه بالبلد الطيّبِ الذي يَمرَعُ ويخْصَب ويحْسُن أثرُ المطر عليه، فتُنبت من كل زوجٍ كريم، والمعرِض عن الوحيّ عكسه[2].

وقد أعاد الله ﷻ أمثالَ هذه الآيات الدالة على البعث في القرآن بأوجزِ العبارات، وأدلّها، وأفصحِها، وأقطعِها للعذر، وألزمِها للحجَّة[3].

الشاهد الثامن: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [سورة النور: 35].

يُبيّن الله ﷻ في مطلع هذه الآية الكريمة أنّه هو الهادي لأهل السماوات والأرض، فكلّ خير ونور وبصيرة وهدى، فهو منه وحده سبحانه. ثم ضرب – سبحانه – مثلاً لنوره الذي يجعله في قلوب عباده المؤمنين جزاء تصديقهم وقبولهم لما نزل من البيّنات، وتعلُّمِهم لها، وعَمَلِهم بها، مُبيّناً في هذا المثل حقيقة ذلك النّور، ومادته التي تغذّيه، وأثره في استنارة قلوب العباد وتبصير عقولهم، ثم ذكر سبحانه شاهداً

---

[1] – ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص291، وما بعدها بتصرف.

[2] – ينظر: ابن القيم، إعلام الموقعين، الجزء01، ص108.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، الجزء01، ص109.

على أَثَر ذلك النُور في ذكر بعض صفات عباده المؤمنين الذين استنارت قلُوبهم بذلك النور، فأكسبَها البصيرةَ، وكشف لهم عن أفضل الأعمال فلَزموها، وعن أسوئِها فاجتنَبوها.[1]

إن مثلَ النُور في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾، جاء في سياقٍ أشاد الله ﷻ فيه بالعلم الذي أنزله الوحيُ على الرسول ﷺ، وبَيّن أنه الطريق والسبيل الأوحد لهداية الناس حيث أنار قلوب المؤمنين وأعمالهم، وأنّ نورَ الإيمان يقذفُه الله في تلك القلوب التي استنارت بالعلم واستجابت له، وصَوَّر مَثلُ النُورِ هذا المعنى أكملَ تصويرٍ.

وهذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتمُّ إيضاحُ المرادِ بها عن طريق القياس التمثيلي، حيث شبَّه أمراً معقولاً هو: نور العلم والإيمان القائمِ في قلوب المؤمنين، بأمرٍ محسوسٍ هو: نُورُ المصباحِ الذي في مِشكاةٍ، الواردِ وصفُه في المثل.[2]

الخلاصة:

فمن هذه الشواهد وأمثالها، يتبيّن أن القرآن الكريم يعتمدُ اعتماداً كبيراً على أسلوبِ ضرب الأمثالِ، في توضيح المواقفِ، وجلاءِ الحقائق وترشيدِ العقولِ، وتحريك الوجدانِ، واستجاشة الضمائر، وفتح المسالكِ التي تُؤدي إلى حُسن التلقي والاستجابةِ، والتدرجِ في طرح الحجج والبراهين، حتى يقتنعَ الإنسانُ ويكون على بيّنةٍ من أمره.

---

[1] – ينظر: الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، الجزء 02، ص280، بتصرف.

[2] – ينظر: الجربوع، المرجع نفسه، الجزء 02، ص286.

المبحث الثالث: أسلوب الحوار والجدال في الخطاب القرآني

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الحوار وروده في القرآن الكريم

المطلب الثاني: مضامين الحوار في القرآن الكريم وعلاقته بالجدل

المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في الحوار القرآني:

تمهيد:

قد سبقت الإشارة عند الحديث عن خصائص الخطاب القرآني[1] إلى أن من سماته أنه مُنسجمٌ وملائمٌ لطبيعة الإنسان وفطرته فكرياً ووجدانياً؛ ذلك أن القرآن الكريم هو كلام الباري جلّ وعلا المحيط والخبير بأدق مميزات الإنسان وطبائعه، وهو القائل ﷻ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿14﴾ ﴾ [الملك:**14**]. وبالتالي فقد كانت هدايات القرآن وتوجيهاتُه مُراعيةً لطبيعة هذا المخلوق ومُقوّمةً لها.

ولقد برزَ الحوار في القرآن الكريم كأحد الأساليب الدَّعوية التي ساعدت في تبليغ ونشر دين الله وإقناع الناس عن طريق الحجّة والدليل؛ وفي هذا المبحث سوف يقف الباحث على البعد الإقناعي للحوار، وذلك من خلال الاطلاع على طبيعة هذا الأسلوب، من حيث علاقته بالاستدلال العقلي، دون أن يُغفِل الجانبَ العاطفيَّ الذي لا يكاد يُفارق أيَّ أُسلوبٍ من أساليب البيان القرآني، حتى يتسنى للقارئ الكريم تصوُّرَ أثرِ الحوار في عملية الاستدلال العقلي في الخطاب القرآني.

ويستهل الباحث هذا المبحث ببيان معنى الحوار من حيث دلالته اللّغوية والاصطلاحية، ثم مفهومه في الاستعمال القرآني، وروده في القرآن الكريم.

---

[1] – ينظر: الفصل التمهيدي، المبحث الرابع: السمات العامة للخطاب القرآني، خصائص الأسلوب القرآني، ص55.

المطلب الأول: مفهوم الحوار وروده في القرآن الكريم

الفرع الأول: مفهوم الحوار في اللّغة والاصطلاح

أولاً: التعريف اللّغوي للحوار:

يرجع أصلُ كلمة الحوار إلى الحَوْرِ – بفتح الحاء وسكون الواو –، وهو الرجوعُ عن الشيء وإلى الشيء. والحَوْرُ: النقصانُ بعد الزيادة؛ لأنه رجوعٌ من حالٍ إلى حالٍ[1]، وفي الحديث: " أعوذُ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ "[2]، يعني من التردد في الأمر بعد المضيّ فيه، أو من نُقصان وتردٍ في الحالِ بعد الزيادة فيها. قال القرطبيّ: "معناهُ الزيادةُ والنقصانُ، وقيل: الخروجُ من الجماعة بعد أن كان فيها... وقيل: الفسادُ بعد الصلاحِ. وقيل: القلّةُ بعد الكثرةِ. وقيل: الرجوعُ من الجميلِ إلى القبيحِ"[3]. والمحاورة: مراجعةُ المنَطق والكلام في المخاطبة. و(حاورته): راجعته الكلام، وهو حَسنُ الحوار، وإنه لضعيف الحَوْر، أي المحاورة[4].

ويرى الراغب الأصفهاني أنّ الحَوْرَ هو التردُد، ويكون إما بالذَّات وإما بالفِكر. والمحاورةُ والحوارُ: المرادَّةُ في الكلام، ومنه التَّحاوُرُ[5].

---

[1]– ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، الجزء03، ص287.

[2]– الحديث أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه"، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، رقم:1343، الجزء02، ص979، عن عبد الله بن سَرْجِسْ – رضي الله عنه –، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوّذ من وعثاء السّفر، وكآبة المنقلب، والحَوْر بعد الكَوْر، ودعوة المظلوم، وسُوء المنظر في الأهل والمال».

[3]– القرطبي، أبو العباس، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، رقم: 1201، الجزء3، ص455.

[4]– ابن منظور، لسان العرب، الجزء04، ص217-219.

[5]– ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق، الطبعة01، 1412هـ، الجزء01، ص262.

وفي "القاموس المحيط": " والمحاورة والمحُورة والمِحْورةُ: الجواب، كالحوير والحوار، ويكسر، والحيرة والحويرة، ومراجعة النّطق. وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، ...والتحاور التجاوب"[1].

يُستخلص مما سبق ذكره أن الحوار في معاجم اللّغة يعني مراجعة الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والأخذ والردّ.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للحوار:

على ضوء المفهوم اللّغوي لكلمة الحوار تتبيّن لنا الدّلالة الاصطلاحية للحوار، والتي تعني المراجعة في الكلام، قال في "الكليّات": " هي أن يُمكَّنَ المتكلّمُ مراجعةً في القول جَرت بينه وبين محاورٍ له بأوجز عبارةٍ وأعدلِ سبكٍ وأعذَبِ ألفاظٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿124﴾﴾ [سورة البقرة:**124**]، فقد جمَعَ هذا النسق القرآني الكريم، الخبرَ والطلبَ والإثباتَ والنفيَّ والتأكيدَ والحذفَ والبِشارةَ والنَذارةَ والوعْدَ والوعيدَ[2]. وقيل هو:" نوعٌ من الحديث بين شخصين، يتمُّ فيه تداولُ الكلام بينهما بطريقةٍ مَا، فلا يستأثرُ به أحدُهما دونَ الآخر، ويغلُبُ عليه الهدوءُ والبُعد عن الخصومة والتعصُّب"[3].

وقيل: "هو مناقشةٌ بين طرفين- أو أطراف –بِقصد تصحيحِ الكلام، وإظهارِ حُجّةٍ، وإثبات حقٍّ، ودفع شُبهةٍ، وردِّ الفاسد من القول والرأيّ"[4].

---

[1]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص381.

[2]- ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص866.

[3]- ديماس، محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، دار ابن حزم، الطبعة01، 1420هـ-1999م، ص11.

[4]- ابن حميد، صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة01، 1420هـ-1999م، ص212.

وبعد هذا العرض لأهم التعاريف، يمكن القول: إن الحوار هو تلك العملية التواصلية التي تجري بين طرفين، لمناقشة فكرةٍ أو موضوعٍ مُعيَّنٍ، دون أن يطغى طرفٌ على آخر، وإنما يَقصد كلٌّ منهما الوصول إلى الحقيقة أو تجليتها.

ولكن هل تتوافق هذه المفاهيم مع مفهوم الحوار في القرآن الكريم؟ هذا ما سيُجيبُ عليه الباحث ضمن الفرع الآتي:

الفرع الثاني: ورود الحوار في القرآن الكريم

وردت مادة المحاورة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع[1]؛ اثنان منها في قصة صاحب الجنتين، قال الله عزّ وجل: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾﴾ [سورة الكهف:**34**]، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿37﴾﴾ [سورة الكهف:**37**]، والموضع الثالث قوله عزّ من قائل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿1﴾﴾ [سورة المجادلة:**01**].

يظهر من هذه الآيات الثلاث أن الحوار هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين اثنين، والأخذ والردّ فيه. قال القرطبي[2]: "قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، أي يُراجعُه في الكلام ويُجاوبُه. والمحاورةُ المجاوبة، والتحاور التجاوب. ويقال: كَلَّمْتُه فما أَحَارَ إليَّ جواباً، وما رَجعَ إليَّ حَوِيراً ولا حَويرةً ولا مَحورةً ولا حَواراً، أي ما ردَّ جوابا"[3].

---

[1] – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص220.

[2]– هو محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور: "الجامع لأحكام القرآن"، سمع من ابن رواج، ومن الجميزي وعدّة. وروى عنه بالإجازة ولدُه شهاب الدين أحمد. قال عنه الذهبي: إمامٌ متفننٌ متبحرٌ في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله. مات سنة إحدى وسبعين وستمائة. ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، ص92.

[3]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء10، ص403.

فيظهر أن أصل الحوار في القرآن الكريم يُطلقُ على المراجعة والمخاطبة والمجاوبة فيه.

وفي القرآن الكريم نماذجَ كثيرة من الحوار وإن لم تأتِ بلفظه، وإنما قد تَرِدُ كلمةُ «قال»، ونحوها من الألفاظ الدَّالة على الحِوار؛ فمنها:[1] ما دار بين الله عزّ وجل وملائكته حول خلق آدم عليه السلام[2]، ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبراهيم -عليه السلام- عندما طلب من ربّه أن يُرِيَّه كيف يُحيِّ الموتى[3]، وبين موسى-عليه السلام- حين طلب من ربّه ﷻ أن ينظر إليه[4]، وبين عيسى-عليه السلام- حين سأله الله تعالى عما إذا كان قد طلب من الناس أن يتخذُوه وأُمَه إلهين من دون الله[5]، ومنها الحوار في قصَّة صاحب الجنتين في سورة الكهف[6]، وفي قصة إبراهيم-عليه السلام- حين أُمِر بذبح ابنه[7]، وفي قصة قارون مع قومه[8]، وفي قصة داود-عليه السلام- مع الخَصمين[9]، وفي قصة نوح-عليه السلام- مع قومه[10]، وفي قصة شعيب-عليه السلام- وقومَه[11]، وفي قصة ابني

---

[1] – ينظر: عباد عبد الرحمن، الحوار في القرآن الكريم، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الخامس، نَيسان (أبريل)، 2005م، ص 165 بتصرف.

[2]– سورة البقرة، الآية:30 -32.

[3]– سورة البقرة، الآية:260.

[4]– سورة الأعراف، الآية: 143.

[5]– سورة المائدة، الآية:116.

[6]– سورة الكهف، الآية:32.

[7]– سورة الصافات، الآية:102.

[8]– سورة القصص، الآية:76.

[9]– سورة ص، الآية: 21-23

[10]– سورة الأعراف، الآية: 59.

[11]– سورة هود، الآية:84.

آدم-عليه السلام-[1]، وفي قصة موسى-عليه السلام- مع العبد الصالح[2]؛والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ في الكتاب العزيز، وكلُّها تدلُّ على أهمية الحوار وبُعدِه التربويّ والدَّعوي[3].

[1]- سورة المائدة، الآية:27-29.

[2]- سورة الكهف، الآية: 66-82.

[3]- ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، الطبعة05، 1419هـ-1998م، ص13.

المطلب الثاني: مضامين الحوار القرآني وعلاقته بالجدل

الفرع الأول: مضامين الحوار القرآني

نزل القرآن الكريم في زمنٍ تخبطت فيه العقولُ وتعطلت ملكةُ المنطق والتفكيرِ، وتشوهت النفوسُ والضمائرُ، فجاء القرآن ليحاورَ العقلَ الإنسانيَّ، ويُعلِّمَه أنه آن أوانُ رجوعِه إلى صراط الله المستقيم.

ابتدأ الله تعالى خطابه للعالمين بقوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَۚ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍۖ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡۚ ٥ ﴾ [سورة العلق:**1-5**]، وهو أولُ خطابٍ إلهيٍّ إلى النبيّ ﷺ يدعوه فيه إلى القراءة والكتابة والعلم، لأنه شعارُ دين الإسلام. "والقراءةُ هي قراءةُ كلّ شيءٍ، قراءةُ الوجودِ والكونِ، قراءةُ الحياةِ والموتِ، قراءةُ السماءِ والأرضِ[1].

ولقد أردف الله تعالى أمرَه لرسوله ﷺ بالقراءة بوسيلة القراءة، وهي القلم الذي به سوف يخُطُّ الكتبَ ويكتشفُ العلومَ ويُحررُ العقولَ من قيود التقليد، ويقودُه إلى النظر في آيات الله الكونية والشرعية. فقد قررت هذه الآيات من سورة العلق، أن طريق العلم – في الإسلام – يمرُّ بطريق الدّين، لتجعل من فكرة الإيمان بالله تعالى، حافزا للإنسان على اكتشاف الخالق ﷻ من خلال اكتشافه لعظمة مخلوقاته، كما أن العكس صحيح، وهو أن طريق الدّين يمرُّ بطريق العلم، لأن الإنسان كلّما ازداد علماً ازداد معرفةً بالله تعالى[2].

وإنّ المتأمل في القرآن الكريم يلحظُ أن الحوار هو الأسلوب الذي لا يكاد يغيب عن آياته، فهو الوسيلة المعبرة عن آراء المتخاطبين، حيث يعتبر الحوار أهم الوسائل التي يستخدمها القرآن وأبرزها لنقل أحداث القصص وذكر الحجج والبراهين.

---

[1]– حسن الباش، القرآن الكريم وحوار العقل، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجماهرية العظمى، (د. ط)، (د. ت)، ص16.

[2]– ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص110.

فكان القرآن منذ أولِ نُزوله يُعرّف الإنسان بذاته، وبعقله الذي سيكون له شأنٌ كبيرٌ في عملية الحوار، حتى يصل إلى قناعاتٍ واضحةٍ لا ريب فيها، قناعاتٍ عقليةٍ تتوافق مع النظر في حقائق الأمور بكلّ صدقٍ ووضوحٍ، قناعاتٍ تُوصلُه إلى الإيمان بالله تعالى.

القرآن الكريم يحاور الإنسان أيا كانت صفته، نبّياً أو رسولاً، فرداً أو جماعةً، شعوباً أو أُمماً، ولكن قد تختلف طريقة الحوار من موضعٍ قُرآني لآخر، ومن مشهدٍ حواري لآخر، فأحياناً تكون الإجابة على لسانِ المسؤول في عددٍ من المشاهد الحوارية، وقد تخرُج عن الأصل في مشاهدَ أُخرى، حيث تأتي على لسان السائل أو المحاور نفسِه، كما أنها قد تأتي ممتزجةً مع السؤال في بوتقةٍ واحدةٍ في مواطن أخرى، وذلك عندما تكون الإجابة قاطعةً صارمةً لا يحتمل السؤال سواها.

والقرآن يحاور العباد دون أن تكون اللّغة الوسيلة الوحيدة للحوار، بمعنى أن القرآن الكريم يُناقش الإنسان يسألُه ويجيبُه في الموضع نفسِه، فهو يُعطيه أُسُس مسائلِ الكون والحياة ويدُلُّه على حلولها، وبهذا المعنى لا يكلّف الإنسان لسانَه ليحاور، ولكنه من حيث يدري أو لا يدري يجد نفسَه في حوارٍ عقليٍّ تتشابكُ فيه المسائل.[1]

ولم يقتصر الحوار القرآني على موضوعٍ مُعين، بل شملَ موضوعاتِ القرآن على تنوُّعِها، وهي موضوعات شاملة أسسَ فيها القرآن الكريم منهاجَ حياةٍ يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿54﴾﴾ [سورة الكهف:**54**]، فالحوار لم يأتِ ولم يَستدعِه سياقٌ بعينِه، وإنما هو نمطٌ من أنماطِ الخطاب القرآنيّ، وهو أسلوبٌ من أساليب الدعوة، لهُ وقعُه الخاص في نُفوس المتلقين، حيث يحرّكُ فِكرهم ويُلامس وجدانهم.

ولقد دارت مضامينُ كثيرٍ من الحوارات القرآنية في فلك الدّعوة إلى عبادة الله وحده، وهذا ما حكته حوارات الأنبياء مع أقوامهم وما اشتملت عليه من سُلوكيات تتناسب مع العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1]- ينظر: حسن الباش، القرآن الكريم وحوار العقل، ص01.

ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿72﴾ ﴾ [سورة المائدة:**72**]، وأتبع شعيب-عليه السلام- أمر الدعوة إلى الله تعالى بإرشادات اجتماعية وإصلاحات اقتصادية، قال تعالى:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡۖ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۖ ﴿85﴾ ﴾ [سورة الأعراف:**85**].

وعالجت مجموعةٌ من الحوارات عدداً من أمراض النفس البشرية، كالحِقد والحسَد الذي تمثل في شخص ابنيّ آدم[1]، والغُرور والتكبر المتمثلين في شخص صاحب الجنتين[2]، والشُذُوذ الجِنسي الذي مَثَله قومُ لوط[3]-عليه السلام-. كما عالج حوارُ موسى مع الخضر-عليهما السلام- أخلاقياتِ المتعلّم مع العالم[4]، ودار مضمونُ الحوار بين بَلقيس [5] وسُليمان-عليه السلام- في فَلكِ السياسة[6]. كما مَثَل حوارُ السحرة مع فرعون كيفيةَ مُواجهة القِوى الطاغية عَلانيةً[7]، بينما حكى حوارُ أهل الكهف

---

[1]- ينظر: سورة المائدة، الآية:27-32.

[2]- ينظر: سورة الكهف، الآية:34-42.

[3]- ينظر: سورة الأعراف، الآية:80-82، سورة هود، الآية:78-79، سورة الحجر، الآية:70.

[4]- ينظر: سورة الكهف، الآية:66-72.

[5]- هي بلقيس بنت شراحيل الهدهاد بن شرحبيل، وفي نسبها اختلاف، ملكة سبأ قيل: إنها ملكت اليمن تسع سنين ثم كانت خليفة عليها من قبل سليمان بن داود أربع سنين. قال مسلمة بن عبد الله بن ربعي: لما أسلمت بلقيس تزوجها سليمان بن داود ومهرها باعلبك (مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام). ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العموري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، 1415هـ- 1995م، رقم: 9316، الجزء69، ص67.

[6]- ينظر: سورة النمل، الآية:28-44.

[7]- ينظر: سورة طه، الآية:65-73، سورة الأعراف، الآية103-126.

موقفَ التَقِيَّةِ[1]، وقفَزت بنا حواراتُ يوم القيامة إلى عالَمِ الغيب، حيث ذكرت حواراتِ أهل النار وما دار بينهم من خصامٍ وتلاعنٍ وتكذيبٍ[2]، وحوارَ الفائزين بجنة الخُلد وما في كلامهم من حمَدٍ وإحساسٍ بالنعيم وذكرياتٍ من عالمهم الأرضي[3]. هذا جزء من كلّ لا يحدُّه تصنيف، ونظرةٌ إلى المضمون الرئيس في هذه الحوارات الذي يتفرع إلى مضامين عديدة.

والقرآن الكريم حين يسوق النماذج الحوارية يقف بنا على معالم الرسالة وغاياتها، والمتأمل أكثر يجد أن حضور الحوار في أسلوب القرآن كان يتمشى مع مراحل الدّعوة التي مرت بها الرسالة.

فالدعوة أول ما بُدِئت كانت سريةً، وهذا يعني أن فُرصة التلاقي بين أصحاب الرسالة وأقوامهم كانت قليلة، ولذلك يلمس الناظر في النصوص القرآنية النازلة في تلك الفترة أن عنصر الحوار كان في أغلبه سردا لأحداث القصة، وهو ما يتجلى في سورة الفجر، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝6 إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝7 الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝8 وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝9 وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝10 الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝11 فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝12 فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝13 إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝14 ﴾[سورة الفجر:**6-14**].

فهذا الحديث بصيغة الغائب يلمح إلى غياب عنصر الحوار، وبالتالي عنصر التلاحم بين صاحب الرسالة ﷺ وقومه.

ثم كان التدرج شيئاً فشيئاً، حتى حضر الحوار، وكان ذلك مع بدء الدعوة الجهرية، فمن أوائل القصص في هذه الفترة- على الأرجح – قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝17 وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝18 فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝19 فَأَصْبَحَتْ

---

[1]- ينظر: سورة الكهف، الآية:14-16.

[2]- ينظر: سورة يوسف، الآية:36-41.

[3]- نذكر من هذه الأسئلة: ما جاء في سورة: [طه: 49 - 51- 75]، و[الشعراء:49- 111]، و[المؤمنون:47]، و[الأعراف:70]، و[الأحقاف:22]، و[هود:62].

كَالصَّرِيمِ ﴿20﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿21﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿22﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿23﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿24﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿25﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿26﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿27﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿28﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿29﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿30﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿31﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿32﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿33﴾ ﴾[سورة القلم: **17-33**].

لقد أظهر هذا المقطع القرآني المتقدّم حضور عنصر الحوار، والذي أبان عن التفكير السطحي لهؤلاء القوم، وقد اتضح من عباراتهم.

يتبيّن أن الحوار في القرآن الكريم كان يردُ لأحداث منتقاة، ولم يكن نقلاً لكلّ ما يجري في الحوار، بل كان يقتصر على ذكر العبارات التي تتصل بموضوع الرسالة.

الفرع الثاني: علاقة الحوار بالجدال

من المصطلحات القريبة من مصطلح الحوار: الجدال أو الجدل؛ ولعلَّ من المفيد أن نُفرّق بين المصطلحين تفريقاً واضحاً يُبيّن مدلولَ كلٍّ منهما، فالحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديثٌ أو مناقشةٌ بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك.

أولاً: تعريف الجدل لغة واصطلاحاً:

1. تعريف الجدلُ لغةً: الجدلُ هو شدّةُ الفتلِ، وجَدَلتُ الحبلَ أَجْدُلُه جَدْلاً إذا شَدَدْتُ فَتلَه وفَتلتُه فَتْلاً مُحْكَماً[1]، وهو يعني أيضاً: اللَّدَدُ والخُصومة والقُدرة عليها، يُقال: جادله مجادلةً وجدالاً: أي خاصمه، والاسم الجدل، وهو شدَّةُ الخصومة. وقيل الجدل: مُقابلة الحُجّة بالحجّة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.[2]

---

[1]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء11، ص103.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، الجزء11، ص105.

وفي "مقاييس اللّغة" لابن فارس: "جدل، الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام[1]".

2. **تعريف الجدل اصطلاحا**: قال في التعريفات:" الجدل عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها ".[2] وفي الكلّيات:" الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلاّ بمنازعة غيره "[3].

يظهر من هذين التعريفين السابقين أن الجدل هو أسلوب يتخذه الطرفان المتحاوران لعرض فكرتهما، أو إلزام الخصم بتبني مذهب المدّعي، عن طريق الحجج والبراهين، ويكون مصحوبا – غالبا – بالخصومة والمنازعة، بخلاف الحوار الذي يروم الإقناع ويتسم بالهدوء.

ثانياً: ورود الجدل في القرآن الكريم

لقد جاء في القرآن الكريم عن الإنسان قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ [سورة الكهف:**54**].

تُوحي هذه الآية الكريمة أنّ الجدلَ من الصفات الملازمةِ للإنسان في خِلقته وتكوينِه، مثلُه مثل الصفات الفطرية الأُخرى التي جُبل عليها. يقول الطاهر ابن عاشور: "وإنّما أُتِيَ بصيغته [اسم التفضيل] لقصدِ المبالغة في شِدّةِ جَدلِ الإنسان وجُنُوحِه إلى المماراة والنّزاع، حتّى فيما تَركُ الجدال في شأنه أحسن، بحيث إنّ شدّةَ الوصف فيه تُشبِهُ تفَوُّقَه في الوصف على كلّ من يعرض أنّه موصوفٌ به... فالجدل خاصٌّ بالإنسان، لأنّه من شُعبِ النُّطق الذي هو فصلُ حقيقةِ الإنسانية"[4].

---

[1]– ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء01، ص433.

[2]– الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (د، ط)، (د، ت)، ص75.

[3]– أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة02، 1419هـ-1998م، ص353.

[4]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص347.

ومما يدلُّ أن القرآن الكريم لا يُلغي طبيعةَ الجدل التي فُطر بها الإنسانُ، بل يُقوّمُها ويُوجّهُها الوِجْهة الصحيحةَ الحسنةَ، ما قصَّه الله ﷻ علينا من جدالٍ وقعَ في الأزمنة الغابرةِ، ابتداءًا من جِدال الملائكة لله عز وجل حول خِلافةِ الإنسان لهُ في الأرض، وجدالِ إبليسَ واحتجاجِه عن تفضيل آدم عليه، ثم جدالِ الأنبياء لأقوامهم وفي الأخير جدالِ الرسول ﷺ لمخالفي دعوته من قومه وغيرهم.

وقد ورد الجدَلُ في تسعةٍ وعشرين موضعاً في القرآن الكريم،[1] كلُّها جاءت بالمعنى المذموم إلاّ في أربعة مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿74﴾ ﴾ [سورة هود:**74**].

وقوله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل:**125**].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة العنكبوت:**46**].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [سورة المجادلة:**01**].

"فالجدال لم يُؤمر به ولم يُمدَح في القرآن على الإطلاق، بل جاء مُقيّدا بالحسنى في الموضعين الثاني والثالث، ومُجردا منها بمعنى الحوار في الموضعين الأول والرابع[2]"، ويُمكنُ التفريق بين الجدل المذموم وبين الجدل الذي هو بمعنى الحوار من خلال الغاية، فإن كانت حقاً، فالجدال محمودٌ، لأنه بمعنى الحوار الهادئ، وإلا فهو مذمومٌ. وكذلك يمكن التفريق من خلال الوسيلة، فإن كانت حسنة فالجدال حسنٌ، وإلا كان مذموماً"[3].

---

[1]- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص165.

[2]- ديماس، فنون الحوار والإقناع، ص13.

[3]- جريشة، علي، مناهج الدعوة وأساليبها، دار الوفاء، الطبعة01، 1407هـ-1986م، ص162.

ويُلاحظ أن القرآن العظيم قد ورد في نصوصه مُصطلحُ: الحوار ومصطلح الجدل، فمن قَبيلِ الحوار قوله عزّ وجل: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾ ﴾ [سورة الكهف:**34**]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿37﴾ ﴾ [سورة الكهف:**37**]، أي: يجادله ويخاصمه.[1]ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿1﴾ ﴾ [سورة المجادلة:**1**].

فالحوار هنا بمعنى: الجدال، وقد ترد كلمة الجدل بمعنى الحوار كما تقدم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل:**125**].

والقرآن حينما شجَّع الإنسانَ على الجدال وأمره بذلك وفقَ شُروط وضوابط مُعينةٍ، وإجابتِه عن الأسئلة والإشكاليات التي انتابت وتنتابُ الإنسان من حين لآخر، وقَصّه علينا ما حدَث من جدالٍ في الماضي ليعلمَ الإنسانُ كيف يكون – الجدال – وسيلةً من وسائل التفكير، والاعتقاد والعمل، وليعلمَ كيف يُقنع ويَقتنع ويتعظُ بالتي هي أحسن، ويُثيرُ فيه طبيعةَ المواجهة، ويحرّكُ الإنسانَ من الداخل ليَخرجَ عن صمته، ويتعلم كيف يتطلع على النور.[2]

ولقد كان – ولا يزال – العقل البشري يتطلعُ دائماً إلى قوة الإقناع عن طريق الحُجَّة والبرهان والعلم؛ وكتابُ الله الكريم هو معجزةٌ خالدةٌ للنبيّ ﷺ ليُحاجَّ به العقلَ البشريَّ في أَرقى ما وصل إليه من العلم، ويتحداه إلى الأبد. وما إن دُعيَ البشرُ إلى عقيدة التوحيد حتى وقفَ الناسُ من القرآن الكريم مواقف مُتباينةٍ، فكان يسلكُ معهم مسالكَ التوجيه والإرشاد، ويعاملُ خصومَه بما يتناسبُ وأحوالَهم العلميةِ والاعتقاديةِ، فيجادلُ المشركين جدَلَ هدايةٍ ودَلالةٍ، بينما يجادلُ أهل الكتاب جدَل تخطئة وإلزامٍ، لأنهم على علمٍ بما أُنزل على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

---

[1]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء15، ص316.

[2]– ينظر: لعساكر، يوسف عمر، الجدل في القرآن الكريم، خصائصه ودلالاته، رسالة ماجستير، تخصص: دراسات لغوية نظرية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، يوسف بن خدة، (د.ت)، المقدمة.

ويأتي شديدا قاسيا بل مصحوبا بالتهديد والوعيد عند جدالِه للمنافقين، وما ذلك إلاّ لأنهم كانوا أعرفَ الناس بلُغة العرب وبما جاء به الرسول ﷺ من السُمُو البياني والإعجاز القرآنيّ، ولكنهم تظاهروا بالإسلام وأبطنوا النّفاق، فكانوا أكثرَ الأقوام وِزرا وألزمَهم حُجّةً وأحقّهم بالتهديدِ والتقريعِ[1].

المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في الحوار القرآني:

سيعرض الباحث ضمن هذا المطلب بعض الشواهد القرآنية التي تُظهر دور الحوار القرآني في عملية الاستدلال العقلي.

الشاهد الأول: يقول الله جلّ وعلا في محكم تنزيله: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿13﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿14﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿15﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿16﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿17﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿18﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿19﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿20﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿21﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿22﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿23﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿24﴾﴾ [سورة الملك: **13-24**].

من خلال النظر في هذه الآيات الكريمة تظهر حركةٌ مستمرةٌ من الحوار العقلي، حيث نرى سيلاً من المسائل والأسئلة المتعاقبة تطرُقُ عقلَ الإنسان بأسلوبٍ استفهاميٍّ إنكاريٍّ، وهذا حتى تجعل المخاطَب في عملية تفكُّر وتدبُّر؛ إنه حوارٌ تأتي لغتُه ومعانيه وأفكارُه متحدّيةً، تصدِم العقل البشريَّ، لكنه حوارٌ يتناسب مع طبيعة الإنسان وقدرتِه على الاستعاب.[2]

---

[1]- عبد الرحمن بن نجم، أبو الفرج ابن الحنبلي، كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم، تحقيق: زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة02، 1401هـ، ص7 وما بعدها.

[2]- ينظر: حسن الباش، القرآن الكريم وحوار العقل، ص18.

تُقرر الآية رقم: **(13)** من هذه السورة الكريمة (الملك)حقيقةَ عِلم الله ﷻ المطلَق، ما ظهرَ من الأشياء وما خفيّ، فالله ﷻ الذي خلق البشر محيطٌ بذات الصدور، وهو كلُّ ما يتردّدُ في النفس من الخواطر والنوايا على الأعمال، وقيل: الصدور هي العقول.[1] إن هذه الآية الكريمة وإن كانت تحمل خطاباً للمشركين الذين أرادوا النيلَ من النبيّ ﷺ[2]، إلاّ أنها جاءت لتخاطبَ عقل الإنسان – في كلّ زمان ومكان – لتقول له: أنت أضعفُ مما تظن، لا تستطيعُ ولن تستطيعَ أن تقوم بشيء من دون علم الله تعالى، أليس هو القائل: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة غافر:**19**]. وقال سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [سورة البقرة:**284**].

ثم في الآية رقم: **(15)** يَذكُر الله تعالى نِعَمَه على الناس، حيث سخَّر لهم الأرض وذَلَّلها لهم، بأن جعلها قارةً ساكنةً تحت أقدامِهم، لا تَمتَدُ ولا تَضطربُ، وهيّأَ فيها من المنافع والزُروع والثمار؛ فليسعَ الساعي في هذه الحياة ويأكل مما وَضعَ الله له من الرزق والنِعم؛[3] فهذه الآيات الكريمة تتوجه إلى عقل الإنسان لتُحاورَه وتُلفِتَ نظرَه إلى حقائق الأمور وجواهرها. فإنّ خَلقَ الأرض التي تحوي النّاس على وجهِها أدلُّ على قدرة الله تعالى وعلمِه من خَلق الإنسان، إذْ ما الإنسان إلّا جزءٌ من الأرض أو كجزءٍ منها، قَالَ تَعَالَى:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة طه: **55**].[4]

وفي الآية رقم: **(20)** "يحاورُ القرآنُ العقلَ ويسألُه مُستنكِرا، هل تستطيعُ أيُّ فئةٍ أو جنودٍ أن يَحمُوكَ من قضاء الله؟ إنه لا يدفعُ عن الإنسان عذاب الله ﷻ لا جُندٌ ولا قِوى"[5].

---

(1)– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء29، ص30.

(2)– ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، الجزء06، ص11.

(3)– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء08، ص179.

(4)– ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء29، ص31.

(5)– حسن الباش، القرآن الكريم وحوار العقل، ص20.

ثم تأتي الآية رقم (22) وما بعدها، لتضرِب مثلاً من واقع الحياة التي يعيشُها الإنسان – وهو أسلوبُ القرآن الكريم في ضرب أَمثاله –، فالأعمى الذي يمشي مُطأطأً رأسَه، لا يُشبه البصيرَ الذي يسير ووجهُه إلى الأمام. كذلك الذي يعبدُ رباً واحداً وهو مُطمئِنٌ، ليس كالمتذَبذِبِ الحيرانِ الذي لا يدري من أين أتى ولا يعرِف إلى أين يذهب.

وبعد هذا الخطاب الذي أداره القرآن الكريم متوجهاً به إلى عقل الإنسان، يحاوره ويبّين له حقيقة قُدرة الله تعالى، كلُّ ذلك بأسلوب استفهاميّ إنكاريّ، تأتي آياتُ القرآن الحكيم لتُرشد الإنسان على خالقه؛ فالله الذي خَلق الإنسان، وخَلق له السمع والبصر والفؤاد، هو الذي خلق الأرض وهيّأها للناس ليَحيَوا على ظهرها، وفيها يُميتهم ومنها يُخرجهم مرّةً أخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[سورة الملك: 24]،[1]وهو القائل أيضاً: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [سورة طه:55].

إن الأسلوب العقلي للحوار القرآني يسير حسَب طبيعة عقل الإنسان، فهو يتدرج معه من الأبسط إلى الأعلى، ليصل إلى الغاية من الحوار، وهي الإيمان بالله تعالى خالق كلّ شيء والقدير على كل شيء.

الشاهد الثاني: يقول تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿57﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿58﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿59﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿60﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿61﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿62﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿63﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿64﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿65﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿66﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿67﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿68﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿69﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿70﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿71﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿72﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿73﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿74﴾﴾ [سورة الواقعة:57-74].

---

[1]- ينظر: حسن الباش، المرجع نفسه، ص21، بتصرف.

يتسعُ نطاقُ الحوار القرآني وهو يخاطبُ العقلَ الإنساني، ويَعرِضُ بعض القضايا والتفاصيل التي قد يكون الإنسان نَسيَّها، فتأتي الآياتُ لتُلفِت انتباهَه، فينظرُ إلى نفسه وحولِه وفي داخلِه، تُحيط به الحججُ العقليةُ من كلّ جانب ولا تتركُه حتى يخرَّ ساجداً معترفاً بقدرة الله وعظيم سلطانه[1].

فالموضوع الذي يدور عليه الحوار في هذه الآيات ليس هو الإنسان وخَلقُه، بل هو الظواهر التي تعيشُ في حياته، ابتداءً من النُطفة التي هي المرحلة الأولى في عملية الخَلقِ، إلى الموت والحياة، إلى الزرع الذي يزرعُه، والماء الذي يشربُه، والنار التي يُوقدُها، فالفكرة تدورُ حول مبدأٍ رئيس، وهو: مَن الذي أَوجدَ كلّ ذلك، هل هو الإنسان، أم الله العليم القدير؟[2]

لقد جاء حوار القرآن الكريم للإنسان مُتوافقاً مع طبيعة العقل البشري وما يجُول في نفسه وما يحتاجُه لبقائه في الحياة الدنيا، لأن الله ﷻ الذي خلق الإنسان يعلم ما يدور في نفسه وعقله؛ فعندما ذكر الله سبحانه ابتداءَ الخَلق وما فيه من دلائلِ وحدانيته، ثَنَّى ذلك بذِكر الرزق، وذلك لأن به بقاءُه، فذكرَ المأكولَ أَولاً، لأن فيه غذاءُ الأبدان، وأَتبعَهُ بالمشروب؛ لأن به بقاءُ الإنسان، ثم النارَ التي بها إصلاحُ الأغذية؛ فحوارُ القرآن للعقل يأخذُ بالأساسيات التي رَكَّبَ الله تعالى عليها الكونَ، فبدأَ بالترائبِ ومرَّ بالماءِ وانتقل إلى النارِ التي هي عنصر أساسي من عناصر تركيبِ هذا الوجود[3].

فحوار القرآن الكريم – في هذه الآيات – يتوجهُ إلى من يظنُ أنه قادرٌ على البذر والزرع والحصاد والحفاظ على الحبوب، يقول له: أليس الله قادرا على إهلاكه؟ وذلك بتسليط الآفات والحشرات عليه، فإذا أراد الله ﷻ نَسْفَ هذا الزرع، فمن بمقدوره دفعُ ذلك عنه؟

إن هذه الآيات تشير إلى عجز الإنسان عن حماية هذه الأشياء من الطوارئ والحوادث التي قد تُصيبها، فلا قُدرةَ لهذا المخلوق ولا إرادةَ له، بعيدا عن قدرةِ وإرادةِ الله المطلقة في هذا الكون الفسيح.

---

[1]– ينظر: حسن الباش، القرآن الكريم وحوار العقل، ص22، بتصرف..

[2]– ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص114.

[3]– ينظر: حسن الباش، مرجع سابق، ص23.

كما أنه ثَمَّة ملمحاً دقيقاً ومعنى غزيراً تحمله هذه الآيات الكريمة، وهو محاولة إرجاع الإنسان إلى فطرته وإحساسه الداخلي الذاتي من خلال تحريك وجدانه وإيقاظ فطرته؛ وبالتالي يتجلى لنا – في هذا الموضِعِ – التوازنُ بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني.

الشاهد الثالث: يقول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿41﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿45﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿46﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿47﴾ ﴾ [سورة مريم: **41-47**].

ذكر الفخر الرازيّ في سبب ورود قصة إبراهيم – عليه السلام –، هو: أنّ إبراهيم – عليه السلام – كان أبَ العربِ، وكانوا يُقرُّون بعلوّ شأنِه وطهارة دِينِه، فكأنه تعالى يقول لهم: إن كنتم مُقلِّدين لآبائكم على ما هو قولُكم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿23﴾ ﴾ [سورة الزخرف: **23**]، ومعلومٌ أن أشرفَ آبائِكم وأجلَّهم هو إبراهيمُ، فقلِّدُوه في تركِهِ عبادةِ الأوثان، وإن كنتم من المستدِلِين، فانظُروا في هذه الدلائل التي ذكَرها إبراهيمُ – عليه السلام –، لتعرِفُوا فسادَ عبادةِ الأوثانِ، فذكر الله ﷻ قصةَ إبراهيم – عليه السلام –، وبيّن لهم أنه تَركَ دينَ أبيه وأبطل قولَه بالدليل، ورجَّح مُتابعةَ الدَّليل على مُتابعةِ أبِيه، ليَعلَم الكفارُ أن ترجيحَ جانبِ الأب على جانب الدّليل، ردٌّ على الأبِ الأشرفِ الذي هو إبراهيم، فحكى الله تعالى عن إبراهيم – عليه السلام –تمسُكَه بطريقة الاستدلال تنبيهاً لهم على فساد طريقة التقليد[1].

لقد كانت دعوة إبراهيم – عليه السلام – تحمل مُعتقدا جديدا هدفُها تغيير ما كان النّاس عليه من عبادات باطلة ما أنزلَ الله بها من سُلطان؛ فكان لزاماً عليه أن يبدأ بدعوة أقرب الناس إليه، وهذا مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿214﴾ ﴾ [سورة الشعراء: **214**]. فبادر بدعوة أبيه الذي

---

[1]– ينظر: الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، الجزء21، ص542.

كان مشركاً، "لأن بقاءه على الكفر يتركُ نُقطةَ ضَعفٍ في موقفه، وقدْ يخلُقُ له مصاعبَ داخليةٍ تُعطّل بعضَ خُطواتِه أو تجلِبُ له مشاكلَ غير منتظرةٍ".[1]

فيقصّ القرآن الكريم حوارَ إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه آزر، وكيف استخدم معه مُختلف وسائل الإقناع والتأثير، مُتَّبعاً طريقةً مميَّزةً لأجل التقرب من أبيه حين خاطَبه بلُطف وبلهجةٍ تسيلُ أدباً ورِقةً مُبيّناً له بالبرهان العقليّ فسادَ عبادته للتماثيل التي يصنعها، فكان في كلّ مرة يبتدأُ خطابَه بـ (يا أَبَتِ) يَتوسّلُ إليه ويستعطفُ قلبَه، وفي ذلك آلية حوارية حاول بها الحفاظَ على علاقة القرابة[2].

يقول محمد متولي الشعراوي [3] في "خواطره": "وكان التركيبُ العربيُّ يقتضي أن يقول: يا أَبِي، إلاَّ أنهم يَحذِفُون ياءَ المتكلّمِ ويُعَوّضُون عنها بالتاءِ...لأن (أَبَتِ) لها مَلحَظٌ دقيقٌ، فهو يريد أن يُثبِتِ ... فيه حَنان الأَبوين الأب والأم، فجاء بالتاء التي تُشير إلى الجانب الآخر، لذلك نجدُها لا تُقال إلاَّ للحَنَانِيةِ المطلقة، كما لو ماتَت الأُمُ مثلاً، فقام الأب بالمهِمتين معاً"[4]. فمُخاطبة إبراهيم – عليه السلام – لأبيه بهذه الصيغة (يا أَبَتِ) تحمل شُحنةً حِجاجِيةً، خاصةً وقد كرَّرها أربعَ مرّات، وهذا حتى يُضفي على خِطابه لمسةً عائليةً تُساعدُه في محاولة التقرُّب من أبيه وبالتالي إقناعِه والتأثيرِ فيه[5].

كما أنّ الفعل (خاف) في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يندرج " ضمن أفعال العواطف أو الأحاسيس التي تُعبّر عن تقويم عاطفيّ وأخلاقي، إيجابي أو سلبي، ويُعبر الفعلُ

---

[1]– محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، دار المنصوري للنشر، (د.ط)، (د.ت)، الجزء2، ص54.

[2]– ينظر: سعدية لكحل، الحجاج في خطابات إبراهيم عليه السلام، ص51.

[3]– محمد متولي الشعراوي من مواليد 15 أبريل 1911م بمحافظة الدقلية، بمصر، من أشهر الدعاة ومفسريّ معاني القرآن الكريم في العصر الحديث، عُيّن وزيرا للأوقاف بجمهورية مصر العربية سنة 1976م، كما كان عضواً بمجمعِ البحوث الإسلامية، بدأ تفسيره على شاشات التلفاز سنة 1980م، وهو ما عُرف "بخواطر الشعراوي"، توفي – رحمه الله – في 17 يونيو سنة 1998م. ينظر: القناة الرسمية لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

[4]– الشعراوي، محمد متولي، خواطر الشعراوي، الجزء15، ص90 وما بعدها.

[5]– ينظر: سعدية لكحل، الحجاج في خطابات إبراهيم عليه السلام، مرجع سابق، ص51.

(خَافَ) هنا عن تقويم عاطفيّ وأخلاقيّ سِلبيّ للعذاب، بوَصفِه مَوضوعاً غير مُستحسن ويَتلبَسُ هذا التقويمُ بِبُعدٍ حِجاجيٍّ إقناعيٍّ، ذلك أنّ إبراهيم – عليه السلام – كان يرُوم من وراء هذا التقويم إقناعَ القوم وأبيه بوجوب العذاب، وتجنُّب كلَّ الأسباب المؤدية إليه وبخاصة الشرك"[1].

ولكن كان ردُّ آزر على ابنه عنيفاً عكس ما كان يتوقَعُه منه، فَهدَدَه بالرّجم والهُجران إن هو أَصرَّ على مُخالفته. حيث قال له: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [سورة مريم:46]. وبهذا الجواب يكون آزر قد قَطع حبل التواصل والتحاور الذي أراده إبراهيم – عليه السلام – باعتبار العلاقة الأسرية التي تربطهما.

إنّ حوار إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه آزر قد تضمن – إضافة إلى إقامة الحجّة على صدق دعواه –، النُصح والرِفق واللّين ومحبة الخير، حتى يُخرجه من الضلال إلى الهدى ويُنقذه من عذاب الله تعالى.

ذلك أن الحوارات التي قصّها القرآن الكريم على لسان الأنبياء – عليهم السلام –، وإن كانت تعتمدُ على الحجج والبراهين لإقناع الطرف الثاني، إلاّ أنه كثيرا ما نلحظ حضورَ المؤثرات العاطفية التي تخاطب الوجدان وتحرك المشاعر، فكلمة: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ التي كررها الخليل – عليه السلام – أربع مرات وهو يخاطب أباه تفِيضُ بالعواطف، وتتدفقُ بالمشاعر والأحاسيس التي من شأنها أن تستميلَ قلب أبيه إلى ترك الشرك والإيمان بالله تبارك وتعالى.

فالمتتبع لحوارات الأنبياء مع أقوامهم، يظهر له – وأنه حتى في خِضم تلك المحاكمات العقلية التي أجروها لإقناع أقوامهم وإقامة الحجة عليهم، – بُروزَ الإثارات الوجدانية في حوارهم، وهذا يدلُّ على المساحة التي شغلها البُعدُ الوِجداني في خطابات الأنبياء عليهم السلام.

---

[1]– عائشة هديم، إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، خطاب بعض الأنبياء أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007/2006م، ص82 وما بعدها.

و"نظام القرآن كله جار على هذا النسق: يُقدّم بين يديّ المحاكمة العقلية تمهيداً وِجدانيا مُثيرا ومُنبِها، أو يعقُب البحث العلميّ والعقليّ بخاتمةٍ وجدانيةٍ تُحذّر النفسَ من عواقب عدمِ انقيادها للعقل"[1]. وعليه فإن الذي الذي ينبغي التنبيه له في هذا المقام هو أن الإثارة الوجدانية في القرآن عموما ليست مقصودة لذاتها، بل هي "عونٌ للعقل كي يُسيطر على النفس ويُلزمَها بأحكامه"[2].

بدأ حوار إبراهيم – عليه السلام – لأبيه في شكل استفهام، والملاحظ أنّه كان استفهاما استنكاريا، وهذا حتى يُلفِت نظرَه ويدفَعَه إلى الشكّ والبحث في حقائق الأمور. "والاستفهام بمعنى الإنكار حاصله راجعٌ إلى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجعَ إلى نفسه، فيخجل ويرتد عنه، فعلى هذا لا يُتصور إلاّ بالمحال على سبيل أن يقال له: أنت في دعواك كمن يدّعي المحال"[3]. فهذا الاستفهام الذي طرحه إبراهيم قد انسجم تماما مع حال مخاطِبِه الذي كان لا يُؤمن إلاّ بالأشياء المحسوسة دون الأمور المعنوية، حيث قال له: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾، فوصف الأصنام بثلاثة أوصاف، كلُّ واحد منها يقدح في إلاهيتها، وكأن إبراهيم – عليه السلام – يقول لأبيه: بل الألوهية ليست إلاّ لله وحدَه، فإنه يسمع ويبصر ويجيب دعوة الداعي إذا دعاه. "لذلك اتخذ إبراهيم – عليه السلام – من ماهية الأصنام ومن التعريف بحقيقتها حُجّةً على عدم امتلاكها مُؤهلاتِ الألوهية وعدم استحقاقِها العبادةَ (لا تَسمع، لا تُبصر، ولا تُغني شيئا)، وتُسمى هذه العملية: الاستدلال بالتعريف"[4]، وهو أن يتخذ المجادل من ماهية موضوع القول دليل الدعوى، وذلك بأن يجعل من حقيقة

---

(1) – البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج تربوي فريد في القرآن، دار الفارابي للمعارف، 1992م، ص69.

(2) – أوهنا إدريس، أسلوب الحوار في القرآن الكريم، الموضوعات والنماذج والخصائص، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة 01، 1426هـ – 2005م، ص131.

(3)– ابن قيّم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص158.

(4)– سعدية لكحل، الحجاج في خطابات إبراهيم عليه السلام، ص55.

الأوثان دليلا على عدم صلاحيتها للعبادة، أو من بيان صفات الله دليلا على استحقاقه وتفرده بالعبادة دون غيره.[1]

وهكذا نلاحظ أن إبراهيم – عليه السلام – وهو يتدرج في محاورة أبيه، ينتقل في خطابه له من الأدنى إلى الأعلى – تماما كما فعل مع الملك نمرود – فبعد أن اعتمد في المرحلة الأولى على المخاطَب، حيث وظف معه حجّةً حِسيّةً طمعاً في أن يُلفت انتباهه ويدفعه إلى التفكير والتأمل. ها هو يُغيّر أُسلوبَه مع مُحاورِه ويعتمدُ على المخاطِب (نفسِه)، حيث وظف مكانتَه العلمية، باعتباره رسولٌ يستمدُ عِلمَه من مصدرٍ سماويّ.

نخلص أن إبراهيم عليه السلام ومن خلال الحوار الذي دار بينه وبين أبيه آزر، قد وظّف حُججاً عقليةً ومنطقيةً قاطعةً، رتَّبها حسبَ قُوتها ليصل إلى النتيجة المنشودة، وهي بُطلانُ الشرك بالله وعبادة الأصنام، وقد امتزج هذا الحوار بأسلوب عاطفيّ، حاول من خلاله أن يُحرك وِجدان وعاطفة أبيه ويُوقظ فِطرته، فكانت دعوتُه قائمةً على الحكمة والحجّة والموعظة الحسنة.

إنّ الحوار القرآني للإنسان يترك الباب مفتوحا للعقل ليفكر ويتدبر في الحقائق المعروضة عليه لعلّه يتدارك أمره قبل فوات الأوان، إنه يضع الحجة أمامه ساطعة دامغة، فلا يبقى له إلاّ أن يؤوب إلى فاطر السماوات والأرض، أو يبوء بعذاب أليم وخزي في الحياة الدنيا والآخرة.

الشاهد الرابع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿259﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ

[1]– ينظر: محمد التومي، الجدل في القرآن، ص169.

ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿260﴾ ﴾ [سورة البقرة: **259-260**].

يقُصُّ القرآن الكريم من خلال هاتين الآيتين قصةَ الرجل الذي مرَّ على قريةٍ خَرِبَة، فقال: كيف يُحييّ هذه الله؟ وهذا ليس إنكاراً منه للبعث ولا استبعاداً، ولكنه استعظامٌ لقدرةِ الذي يُحيي الموتى ﷻ، أو سُؤالٌ عن كيفية الإحياء وصُورته، لا شكاً في وُقُوعه، وذلك مُقتضى كلمة أَنَّى، فأراهُ الله ذلك عياناً ليزداد بصيرةً، وذلك أعظم برهانٍ له.[1]

لقد وقف هذا الرجل متفكّراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة وقال: ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ وذلك لما رأى من زوالها وشدّة خرابها واستحالة عودها إلى ما كانت عليه سابقاً.

إنه حوار المرء مع نفسه وعقله، حيث يُلفت القرآن نَظر الإنسان إلى الشيء، ويتركُه ليسألَ نفسَه عن حقيقة هذا الأمر، ثم يتركُه ليجيبَ عمَّا أَشكَل عليه.

ثم تأتي الآية الموالية لتنقلَ الحوارَ الذي دار بين خليل الله إبراهيم – عليه السلام – وربّه عزّ وجل حول حقيقةِ البَعث؛ فقد تطلعت نفسه – عليه السلام – إلى مُشاهدة كيفيةِ إحياءِ الله للموتى، ولم يكن شاكّاً في قُدرة الله تعالى، ولكن أَحبَّ أن يصير الخبرُ له عياناً. قال الطاهر بن عاشور: " فإنّ إبراهيمَ لفَرطِ محبّتِه الوصولَ إلى مرتبة المعاينةِ في دليلِ البعثِ رامَ الانتقالَ مِن العلمِ النّظريّ البرُهانيّ، إلى العلم الضّرُوريّ، فسأل الله أن يُريَه إحياءَ الموتى بالمحسوس"[2]. لأن إبراهيم – عليه السلام – كان يُؤمنُ بقدرة الله المطلقةِ، إيماناً مصدرُه الملاحظةُ والتأملُ، إلاّ أنه رامَ إيماناً ينبُع من الحسّ، فهو قد ربَط الفِكر بالقلب، والعقلَ بالنظر وبكلّ الوسائل الحسيّة، ولم يكن طلبُه شكاً أو تحدياً، وإنما كان دعاءً حاراً

---

[1]– ينظر: الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة01، 1416هـ، الجزء1، ص133.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء3، ص38.

ورجاءً صادقاً تمنى فيه على الله أن يُريه عجائب قدرته، وهذا حتى يقوم بتبليغ دعوته في مجتمعه الذي صار الشركُ والضلالُ السمةَ البارزةَ فيه.[1]

الشاهد الخامس: قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿66﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿67﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿68﴾ ﴾ [سورة مريم: **66-68**].

تصف هذه الآيات حوارَ الإنسان مع نفسِه حول حقيقةِ البعثِ، فيُبيّن القرآنُ الكريم من خلال الربط بين السبَبِ والنتيجَةِ، وهذا حتى يتأملَ هذا المخلوقُ الذي أنكرَ أو استبعدَ بعقله – القاصر – إمكانيةَ البعثِ بعد الموت، أنَّ الله قدْ خَلقهُ من قبلُ ولم يكن شيئاً، فالنتيجةُ أن الذي أوجدهُ أولَ مرةٍ قادرٌ على إعادتِه بعد الموتِ[2].

فالآيات جاءت لتُحاورَ عقلَ الإنسانِ – الجاحد – الذي يحاولُ أن يُشكّكَ في قُدرة الله على بَعثِ الناس بعد موتهم وفناءِ أجسادِهم، فالشواهد العقلية على قدرة الله كثيرةٌ ولا يسعُ الإنسان إلاّ أن يُذعنَ لهذه الحقائق التي لا تحتملُ الشك.

الشاهد السادس: قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿78﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿79﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿80﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿81﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿82﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿83﴾ ﴾ [سورة يس: **78-83**].

---

[1]– ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص74.

[2]– ينظر: حسن الباش، القرآن الكريم وحوار العقل، ص114بتصرف.

إنها الطريقة العقلية للحوار القرآني مع الذين يدَّعون استحالةَ المعادِ، فإذا كانت الفكرةُ نابعةً من تصوُّر عدمِ انطلاق الحياة من التراب الذي يفتقدُ لأي مظهرٍ من مظاهر الحياة – على حدِّ زعمهم – فيُمكن أن نتساءلَ حول هذه النطفةِ التي خُلق الإنسانُ منها، والتي يرجعُ أصلُها إلى التراب، كيف أمكَنَ لها أن تصيرَ إنساناً كاملاً؟ والجواب يكمن في تلك القدرةِ التي أوجدت النطفةَ من ترابٍ، ثم صُيِّرت النطفةُ إنساناً، هي نفسُها التي سوف تُعطي الترابَ سِرَّ الحياة، ليتشكَّل من جديدٍ إنساناً كاملاً يقوم ليوم الحساب.

"فالقدرةُ على الانتقال من العدم إلى الوجود في البداية، تستلزمُ القدرةَ على ذلك في النهاية، لأن أساسَ الإمكان والاستحالة فيهما واحدٌ لا يختلف ولا يتعدد"[1].

الشاهد السابع: قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿81﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿82﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿83﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿84﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿85﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿86﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿87﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿88﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿89﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: **81-89**].

الملاحظ في هذه الآيات أنها لم تحاول مناقشة تفكير المنكرين للمعاد بصورة مباشرة، وإنما وظفت أسلوب الاستفهام الذي يُثير التساؤل أمامهم حول ما يحيط بهم في هذا الكون الفسيح، لمن كلُّ هذا، ومَن خَلَقَه، ومَن الذي بِيده مَلكوت كلّ شيء؟ كلّ هذا لأجل أن يتعرفُوا على عظمة الخالق والاعتراف بوحدانيته، وليقتنعُوا بأنه القادر على كلّ شيء، فلا يُعجزه أن يبعثَ الحياةَ في التراب مرةً أُخرى، ليصيرَ إنساناً من جديدٍ[2]، ثم إن القرآن الكريم يُرجع سببَ إنكارهم للبعث والمعاد إلى الظُنون التي لا أساس

---

[1]– محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص116.

[2]– ينظر: محمد حسين فضل الله، المرجع نفسه، ص118، بتصرف.

لها، والتخرُّصات التي لا تقُوم على دليلٍ، وهذا ما عَبَّرت عنه الآيتان الكريمتان في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿24﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿25﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿26﴾ ﴾ [سورة الجاثية: **24-26**].

إن حوارات القرآن الكريم مع خصوم الدعوة تنطلق من تلك القناعات الذاتية التي يُؤمن بها كلّ واحد – قصراً – دون أن يستطيعَ إنكارها أو التملص منها، لأن مصدرَه الحكيمُ الخبيرُ.

الشاهد الثامن: يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿22﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿23﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿25﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿26﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿27﴾ ﴾ [سورة سبأ: **23-27**].

قد سبقت الإشارة إلى أن أسلوب الحوار في القرآن قد يكون حديثاً بين طرفين اثنين،[1] كالحوار الذي دار بين إبراهيم – عليه السلام – وقومه حول ماهية الأصنام التي كانوا يعبدونها، كما أنه قد يكون بدايةَ حديثٍ مع أطرافٍ غير مُعَينين، كقصّة الذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عروشها، أو غيرها من حوارات القرآن التي تكون على طريقة السؤال والجواب عنه، من طرف السائل نفسِه، وهذا حتى يدفعَ بالمخاطَب إلى الدخول في حوارٍ مع نفسه؛ من خلال الأسئلة والاستفهامات التي يطرحُها القرآن الكريم.

---

[1] – ينظر: المطلب الثاني: مضامين الحوار في القرآن الكريم، ص131 وما بعدها.

يأمرُ الله سبحانه في هذه الآيات نبيَّه ﷺ بأن يقول لأولئك المشركين هذه الكلمات المتتابعة والتي تحملُ معنى التوحيد، وقد صدَّر الخطابَ في كلِّ آيةٍ بكلمة (**قُلْ**)، وهذا حتى يتجدد معنى التبليغ الذي هو مهمته ﷺ، والأمر في قوله تعالى: (**ادعُوا**) مُستعمَلٌ في التّخطئة والتّوبيخ، أي استمرّوا على دُعائكم. وقد نفى الله تعالى عن المشركين امتلاكَ آلهتهم المزعومة لأحقر الأشياءِ وأصغرِها، وهو ما قد يعادِلُ ذرةً من السماء والأرض، ومعلومٌ أن المشركين لم يدَّعُوا يوماً امتلاكَ هذه الأصنام لجوهر السماء والأرض. ثم أتبع هذا النفي بنفي ثانٍ، وهو أن يكون لهم شريكٌ مع الله ﷻ فيما ملك من سماوات وأرض أو مُعِينٍ في تدبير وتسيّير شؤونِ هذا الكون.

قال الطاهر بن عاشور: " وقد جمعتِ الآيةُ نفيَّ جميعِ أصنافِ التصرف عن آلهة المشركين كما جمعت نفيَّ أصناف الآلهة المعبودة عند العرب، لأنّ من العرب صابئةً يعبدُون الكواكب وهي في زعمهم مستقرّةٌ في السماوات تدبّرُ أمورَ أهل الأرض، فأبطلَ هذا الزّعم قولُه تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ... ومن العرب عبدةُ أصنام يزعُمون أنّ الأصنام شُركاءَ لله في الإلهيّة فنفَى ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿22﴾﴾، ومنهم من يزعُمون أنّ الأصنام جعلها اللهُ شفعاءَ لأهل الأرض فنفَى ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ الآية"[1].

ثم ينتقلُ الخطاب القرآني – وهو يحاورُ المشركين يطرحُ السؤال ويُجيب – من التنصيصِ على ضَعفِ آلهتهم والتأكيدِ على عدمِ جدواها وانتفاءِ قُدرتها على دَفع ضُرٍّ أو جَلْبِ نفعٍ، إلى إلزامِهم بُطلان عبادتها.

وفي هذا استدلالٌ عقليٌّ يقود إلى اقتناع المخاطَب، لأن الاعتراف بالله ﷻ أنه الرزاقُ يستلزمُ تفرده بالعبادة، إذ لا يُعقل أن ينفرد الله – تعالى – بتقسيم الأرزاق على خلقِه، وهي من صفات الربُوبية، ويشتركُ معه غيرُه في صفة أخرى، فإنّ الإلهية حقيقةٌ لا تقبلُ التجزئةَ أو التبعيضَ[2].

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء22، ص188.

[2]– ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك (ت:465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة03، (د، ت)، الجزء03، ص182.

وفي خضم هذه المحاورة القرآنية يُرشد الله تعالى رسولَه ﷺ إلى الأسلوب الناجع في التناظر والتحاور؛ وقد تجلى هذا في قول الحقّ تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، وذلك لأنّ أحدَ المتناظِرَيْن إذا هو قال لمحاورِه – ابتداءً –: أنت مُخطئٌ في كلّ ما تقولُه، أَغضبَه وأدَى به إلى التعصُّب لرأيه وغلْقِ باب الحوارِ، وقد تصلُ المناقشةُ إلى طريقٍ مسدودٍ ويُفوّتُ المحاورُ على نفسه فرصةَ الوصول إلى الهدف المنشود، وأما إذا قال له: إنّ أحدَنا لا يشُك في أنه مُخطئٌ، والتمادي في الخطأ نَقيصةٌ والرجوعُ إلى الحق فضيلةٌ، فهلاَّ نجتهدُ في تحري الصواب؟ عندئذٍ يحرص الخصمُ على معرفة الحقيقة ويتركُ التعصبَ، وهذه الخطوة لا تُعدُّ استسلاماً ولا تُنقصُ من قيمة المناظر، لأنه يُوهِم مُحاوِرَه بأنه شاكٌّ، بدليل لفظ الآية السالفة الذكر.[1] وقد علِموا أنهم على هدًى، وأولئك في ضلال، فيقال: هذا على جهة الاستدراج أو الاستهزاء، وقد تكلَّم بهذا البيان العليم الحكيم تبارك اسمه وجلَّ جلالُه.

قال الطبري: " والمعنى في **(إنّا أو إيّاكم)** إنا لضالُون أو مُهتدُون، وإنكم أيضاً لضالُون، وهو يعلمُ أن رسولَه هو المهتدي وأن غيرَه الضالُ. قال: وأنت تقول في الكلام للرجل يُكذِبُك: والله إن أحدَنا لكاذبٌ، وأنت تَعنِيه، وكذَّبتَه تكذيباً غيرَ مكشوفٍ، وهو في القرآن وكلام العرب كثيرٌ، أن يُوجَه الكلام إلى أحسن مذاهبِه.."[2].

وهذا اللّون من الخطاب يُطلقون عليه الكلام المنصِف، وهو ألاَّ يدَعَ المحاورُ لغَريمِه سببَ تغيُّظٍ واحتدادٍ في الحوار، ويُسمّيه مَن كَتب في أُصول الجدال وقواعد المناظرة إرخاءُ العَنان للمناظر، ومع ذلك فقرينةُ إلزامهم الحجّةَ قرينةٌ واضحةٌ.[3]

إن القرآن الكريم يُطلعنا على الأسلوب العمليّ في مناقشة أطراف الحوار، حيث يجعلُ أطرافَ الحوار يتحرَرُونَ من قيود الشعور بالقداسة التقليدية، لينطلقُوا بحريةٍ نحو الهدف الأسمى وهو الإيمان بالله، عن قناعة ودون أيّةِ ردودِ أفعالٍ سلبية، أو أفكار مُسبقة. فلقد كانت طريقة النبيّ ﷺ في حواره مع

---

[1]– ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء25، ص205.

[2]– الطبري، جامع البيان، الجزء19، ص285، وما بعدها.

[3]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء22، ص192.

المشركين نموذجاً فريداً ومرآةً صادقةً تعكس أسلوب القرآن الكريم في محاوراته ومناظراته لخصوم دعوة الأنبياء – عليهم السلام – ذلك أنّ هذا الأسلوب – العملي – يعتمدُ على تفريغ ذهن الخصم من كلّ فكرة مُسبقة، من شأنها أن تُحوّل الموقفَ إلى عُقدةٍ لا يُمكن حلُّها وتُشكلُّ حاجزا منيعاً يحُول بين الأطراف المتحاورة أن تصل إلى نتيجةٍ مرضيةٍ، ويتحقق ذلك من خلال اعتبار الطرفين المتحاورين الشكَّ حول الفكرة موضعَ المناقشة، الأمر الذي يُوحي لكلّ منهما بحتميةِ مراجعة المسألة وإمعانِ النظر في القضية، ومحاولة النظر إليها من جديد، كما لم يُواجهها من قبل، فليس ثمةَ حُكمٌ مُسبقٌ من أحدِ الطرفين على صاحبه بالهدى أو بالضلال، وإنما هناك موقفٌ مشتركٌ من الجانبين هدفهما الوصول إلى الحقيقة، بغض النظر على يدِ مَن تكون، وهذا هو الحوار الإيجابي القائم على الوعي والشعور بالمسؤولية.

لقد كان هدف القرآن الكريم وضع منهجٍ جديدٍ تتبِعُه الأمةُ ليُرشدَهم إلى طريقة التفكير ومحاكمة القضايا التي تعترضهم، فقد أراد القرآن توجيهَ المسلمين في ذلك العصر – وفي كلّ عصر – إلى الطريقة العقلية التي تُوظف العقل في محاكمة الفكرة، أو الطريقة الاستقرائية التي تستقرئ الواقع في جميع صُوره ومَظاهره، من أجل الوصول إلى الحقيقة[1]، وهذا ما لم يصادم الحكمَ العقليَّ نصٌّ شرعيٌّ، قال ابن تيمية: "فإنّ العقل الصّريح لا يخالف النّقلَ الصّحيح.."[2]بل يشهد له ويُؤيّدُه، لأن مصدرهما واحد سبحانه وتعالى.

وهكذا يتجه أسلوب القرآن الكريم إلى تقريب الفكرة إلى ذهن المخاطبين، بضرب المثل تارة، وبالصورة الحسية التي يلمسها الإنسان أو يبصرها تارة أخرى، ليكون ذلك سببا في إيقاظ الإحساس الفطري بالفكرة، ويتأتى ذلك بعرض ومقابلة الأشياء المحسوسة بنظائرها[3].

---

[1]– ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص85.

[2]– ابن تمية، مجموع الفتاوى، الجزء7، ص665.

[3]– ينظر: محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص96.

إنه أسلوب القرآن الكريم الذي يتحرك في أكثر من اتجاه، فيخاطب العقل مرة، ويستثير العاطفة أخرى، ويلامس الحواس ثالثة، لينطلق الإنسان في عالمه الفسيح بفكره ووجدانه وفطرته، حتى يعبد الله حق عبادته.

الفصل الثاني: الأساليب العاطفية وتجلياتها في الخطاب القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن الكريم وتأثيره في المخاطبين

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة وأساليبها في الخطاب القرآني

المبحث الثالث: أسلوب القدوة الحسنة وتجلياته في الخطاب القرآني

مدخل:

قد سبق وتناولنا في الفصل السابق قسماً من الأساليب العقلية التي وردت في كتاب الله ﷻ والتي توجهت لمخاطبة العقل البشري بُغية إقناعه بصدق ما تدعو إليه الشرائع السماوية التي جاء بها النبيون والمرسلون – عليهم وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم –، مستندين في ذلك على الأقيسة العقلية والأدلة الواضحة. وضمن هذا الفصل – الثاني – نطرق بابا آخر ومسلكا ثان من مسالك الخطاب القرآني؛ ألا وهو الأسلوب العاطفي – الذي يقابل الأسلوب العقلي أو العلمي – الذي يتوجه إلى المخاطَب عن طريق وجدانه وعواطفه، فيؤثر فيه إثارة نفسية، تبعث الرغبة في النفس، فيُقبل على الشيء، أو ترهب منه فينزعج منه، وينفر منه، وكتاب الله تعالى غنيّ بمثل هذه الأساليب.

لقد كان ولا يزال للقرآن الكريم تأثير في نفوس الناس وجاذبية يفتح بها مغاليق قلوبهم وهيبة يُحيّ بها مَواتَ ضمائرهم، كما أنه يستثير العواطف والوجدانيات ويحرك المشاعر والأحاسيس والانفعالات بجمال أسلوبه وعذوبة لفظه وروعة بيانه ودقة أحكامه، فتنشرح له الصدور وتبتهج به النفوس.[1] ولا غرو في ذلك، فإن كلّ من أمعن النظر في كتاب الله الحكيم يجد فيه مَعينا لا ينضب ويتبيّن له تأثيره البالغ في النفس البشرية، حيث إنه يرقق قلب الإنسان ويخفف من كدر الحياة وأعبائها، فهو بحق شفاءٌ لما في الصدور ونورٌ يهتدى به في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣ ﴾[سورة الزمر: **23**].

---

[1]– ينظر: العسال، خليفة حسين، الأثر النفسي للقرآن الكريم، دراسة وتحليل، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ص45.

وإذا كان العلماء – المتقدمون – قد ذكروا وجوها كثيرة ومتنوعة لإعجاز القرآن الكريم، فإن الإمام الخطابي [1]قد بَيَّن وجهاً جديداً للإعجاز في القرآن لم يسبقه إليه غيره – في حدود علمي – يتصل بالعامل النفسي والوجداني، يقول: "قُلتُ في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنّك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا ، إذا قرع السمعَ خلص له إلى القلب من اللذّة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظَّها منه عادت مُرتاعة قد عراها الوجيب [2] والقلق، وتغشاها الخوف والفَرَقُ [3]، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب"[4].

وقد سبقت الإشارة [5]– عند تطرق الباحث لأسلوب القرآن الكريم – أنّ القرآن الكريم بأسلوبه المعجز قد قرع أسماع الناس بخطاب لم يألفوه وأسلوب لم يتمكنوا أن يجاروه أو أن ينحوا نحوه. فلم يعرف العالم– منذ بعثة النبيّ ﷺ إلى يوم الناس هذا – كلاما يشبه القرآن الكريم في قوة تأثيره في العقول والقلوب، كيف لا وهو الذي قلب حياة العرب وحوَّلهم عن عقائدهم وصرفَهم عن تقاليدهم وعاداتهم،

---

[1]– هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ المعروف بالخطابي، كان فقيها أديبا محدثا له التصانيف البديعة منها " غريب الحديث " و " معالم السنن في شرح سنن أبي داود " و " أعلام السنن في شرح البخاري "، وغير ذلك. سمع بالعراق أبا علي الصفار وأبا جعفر الرزاز وغيرهما، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ابن البيع النيسابوري، وعبد الغفار بن محمد الفارسي، وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطابي وغيرهم. كانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء02، ص215.

[2] – الوَجِيبُ: هو تحرك القلب، وخفقانه. ينظر: ابن نظور، لسان العرب، الجزء04، ص83.

[3] – الفَرَقُ: الخوف، يقال: رجل فرق، أي: خائف. قال تعالى: **سمح**ولَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦**سجى** [التوبة: 56]. أي: يخافون. ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء 11، ص502. والأزهري، تهذيب اللغة، الجزء 09، ص99.

[4]– أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت:388هـ)، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة3، 1976م، ص70.

[5] – ينظر: الفصل التمهيدي، المبحث الرابع، السمات العامة للخطاب القرآني، ص47.

وأبدل جاهليتهم أدبا وحلما وأميّتهم حكمة وعلما، وجمع القبائل المتفرقة فصارت أمة واحدة سادت العالم كلَّه بعقائدها وعدلها وحضارتها وعلومها...[1].

وبناءً على ما سبق يمكن تعريف الأساليب العاطفية أنها: مجموعة الوسائل والمسالك التي وظفها القرآن الكريم في خطابه للناس، قصد استثارة عواطفهم ووجدانهم ويلج إلى أعماق قلوبهم، فيحرّك مشاعرهم وأحاسيسهم، وهذه العواطف تتمثل في مشاعر الحبّ والجذب وكل ما فيه تشويق وترقيق للقلب، كما تشمل مشاعر الكراهية والنفور وكل ما فيه تبغيض وتنفير.

وقبل البدء في عرض الأساليب العاطفية وتجلياتها في الخطاب القرآني، والتي تتمثل في الموعظة الحسنة ومسالكها المتنوعة، وكذلك أسلوب القدوة الحسنة بصوره المتعددة، يرى الباحث أنه من المفيد أن يقدّم بين يدي هذا الفصل مبحثاً تمهيدياً يُبيِّنُ من خلاله الأثر العميق الذي تركه القرآن الكريم في نفوس مخاطبيه، إنساً كانوا أو جناً، مؤمنين كانوا أو مشركين، أو حتى من عالم الملائكة الكرام، والشواهد على ذلك كثيرة سواء في كتاب الله تعالى أو في سنة نبيّه ﷺ.

---

[1]- ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء01، ص169 بتصرف.

المبحث الأول: تأثير القرآن الكريم في المخاطبين

وقد اشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تأثير القرآن الكريم في نفوس المؤمنين

المطلب الثاني: تأثير القرآن الكريم في المشركين وفي أهل الكتاب

المطلب الثالث: تأثير القرآن الكريم في الملائكة وفي عالم الجن والجماد:

المطلب الأول: تأثير القرآن الكريم في نفوس المؤمنين

لقد أحدث القرآن الكريم حين نزوله أعظم ثورة روحية واجتماعية في تاريخ العرب والعجم، حيث حوّلَ الله تعالى به الناس من مجتمع جاهلي إلى أُمةٍ مؤمنة سادتِ العالمَ قُرونا عديدة. ويرجعُ هذا إلى أسلوب القرآن المميّز والمعجِز؛ فالشعورُ برهبة القرآن العظيم يَغمُر قلبَ المؤمن وهو يستمع إلى قَصصِ الأَولين والآخرين، التي تفيضُ بالمواعظ والحِكم والعبرِ، فتقشعرُ منها الجلودُ وترقُ له القلوبُ.[1]

فقد كان الناس يتعبدون الله تعالى بالقرآن في صلاتهم وفي غيرها اقتداءً بالرسول ﷺ، فكان يُسمع من بُيوتهم دَويٌّ كدويّ النحل من شدّة ترتيلهم للقرآن الكريم، قال تعالى واصفا حالهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **191**]. وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الزمر: **23**].

فنلاحظ كيف يُصوِّر القرآن الكريم حالةَ مَن حرّكَ القرآنُ نُفوسَهم وانفعلت جوارحُهم، وصلت حدَّ القُشعريرة، ثم تَلينُ من عظمة القرآن الكريم؛ فلم تقتصر آثار الهيبة القرآنية على قلوبهم فقط، بل امتدت إلى جلودِهم، فصارت تتقبضُ من آثار القرآن العظيم. إنه كلام الله ﷻ الذي يُلامس الوجدان، ويحركُ المشاعرَ.

وإنّ أول من تأثر بآيات الذكر الحكيم، هُم أشرفُ الخلق من النبيّين والمرسلين، – صلوات الله وسلامه عليهم — فقد وَصَفَ الله تعالى حالتَهم عند سماعهم آياتِ الله تُتلى عليهم، فيُصوِّر القرآن شدَّة تأثُرهم بكلام الله وخُرورِهم إلى الأرض وبُكائِهم، فيقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة مريم: **58**].

---

[1]– ينظر: ينظر: العسال، خليفة حسين، الأثر النفسي للقرآن الكريم، ص63 بتصرف.

وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ» قال: قلت: أقرأُ عليك وعليك أُنزل قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» قال: فقرأتُ النساء حتى إذا بلغتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿41﴾ ﴾ [سورة النساء: **41**] قال لي: «كُفَّ – أو أَمسِكْ –» فرأيتُ عينيه تذرفان.[1]

ويُبيّن الله تعالى قوة تأثير القرآن في نفوس المؤمنين، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿107﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿108﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿109﴾ ﴾ [سورة الإسراء: **107 - 109**].

قال الطاهر بن عاشور: "والمراد بالذين أُوتوا العلم أمثالَ: ورقةَ بن نَوفَل، فقد تسامعَ أهلُ مكة بشهادته للنبيء ﷺ ومَنْ آمن بعد نُزول هذه السورة من مثل: عبد الله بن سلام، ومُعيقيب، وسَلمان الفارسي"[2].

إنّ الشعور بالرهبة والرِّقة ليغمر قلبَ المؤمن وهو يتلو القرآن الكريم، يقصّ عليه أنباءَ الأمم السابقة، والتي تفيضُ بالحِكَم والمواعظ والعبر مما يجعل الجلود تقشعر عند سماعها، وما ذلك إلاّ لتأثير القرآن البالغ في قلوب تلك النفوس المؤمنة.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿28﴾ ﴾ [سورة الرعد: **28**].

يقول سيد قطب: "يرسم الله صورةً شفيفةً للقلوب المؤمنة، في جوٍّ من الطمأنينة والأُنس والبشاشة والسلام ...، ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب، فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها،

---

[1] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، رقم: 5055، الجزء06، ص197.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص233.

ويستشعر الطمأنينة والسلام"[1]. إنها مرحلة التذوق الفطري المباشر لجلال القرآن الكريم وجماله، حيث يجد فيها المستمع والقارئ مسّ القرآن، ويتلمس تأثيره، ويعجب به، ويستسلم له، من دون أن يبحث عن تعليل لما يجد أو يحس.[2]

إنها كلمات وعبارات تلمس الوجدان لمسةً قويةً، لا يجد من يسمعها إلا أن يرقَّ قلبُه وتخشعَ جوارحُه للقرآن العظيم.

فلقد كان للقرآن الكريم منذ اللّحظة الأولى لنزوله تأثيرٌ عميقٌ في نفوس العرب، سواء منهم من شرح الله صدره للإسلام، ومن جعل على بصره غشاوة؛ فإن كلّ الآثار التي وردت حول تأثير القرآن العظيم في المؤمنين والكافرين، لم تحك لنا تعليلاً فكرياً لذلك التأثير، والنماذج على ذلك كثيرة – في القرآن والسنة النبوية –، ولعلّ من أبرزها: قصة إيمان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، وقصة توليّ الوليد بن المغيرة، وهي تُظهر مدى التأثير القرآني في النفوس البشرية، حيث يستوي فيه المؤمنون والكافرون على حدٍّ سواء.[3]

المطلب الثاني: تأثير القرآن في المشركين وفي أهل الكتاب

الفرع الأول: تأثير القرآن الكريم في المشركين

لقد كان تأثير القرآن العظيم في مشركي العرب ظاهرا، وقد تجلى ذلك في روعة أسلوبه وإعجاز نظمه؛ فبالرغم من تملكهم ناصية اللّغة وبراعتهم في فنون الشعر والنثر، إلاّ أنهم أيقنوا – ولو في قَرارة أنفسهم – أنه يستحيل أن ينسُجَ بشرٌ كلاما يُقارب أو يُداني نظم القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك:

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2060.

[2] – ينظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة01، 1437هـ – 2016م، ص19، بتصرف.

[3] – ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، الطبعة 17، 1425هـ – 2004م، ص11.

الشاهد الأول: وهو ما رواه أصحاب السيّر في قصة إسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث أنه رقّ قلبُه وخشَعت جوارحُه عند قراءته للقرآن الكريم بعد أن كاد يبطش بِختْنِه [1] وأخته، لكنه ما إن أمسك الصحيفة وفيها [سورة طه]، وقرأ شيئا منها حتى هدأَت أعصابُه وخشَع قلبُه، وقال: «ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه»، ثم توجه إلى الرسول ﷺ ليُعلن إسلامَه. فقد كان للقرآن الكريم التأثير البالغ في إسلام عمر [2]– رضي الله عنه –

وأما **الشاهد الثاني**: فقد تمثل في قصة الوليد بن المغيرة، – وكان سيّداً في قومه وأعلَمَهم بالشعر ودروب اللّغة والبلاغة – الذي حين سمع شيئاً من القرآن الكريم، فكأنه رقَّ قلبُه، فقالت قريشٌ: صَبأَ والله الوليد، فأرادوا أن يسمعُوا رأيَه في النبيّ ﷺ، فقال لهم: بل أنتم قُولوا أسمع؛ فقالوا: كاهن وقالوا: مجنون وقالوا: شاعر وقالوا: ساحر، فكان في كلّ مرة يردُّ عليهم مقولتهم. عندئذٍ قالوا له؛ فما نقول: قال: "والله إنّ لقوله لحلاوةً وإنّ أَصلَهُ لَعَذْقٌ، وإنّ فَرعَه لجناةٌ [3]، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلّا عُرف أنّه باطل، وإنّ أقرب القول فيه؛ لأن تقولوا: ساحر، يُفرّق به بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فجعلوا يجلسون بسُبل الناس حين قدِموا الموسم، ولا يمرّ بهم أحدٌ إلّا حذّروه إيّاه، وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى فيه"[4]: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿18﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿19﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿20﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿21﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿22﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿23﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿24﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿25﴾﴾ [سورة المدثر: **18-25**].

---

[1] – قال الرازي: "الخِتن: كلّ من كان من قبل المرأة مثل: الأب والأخ، وهم (الأختان)، هكذا عند العرب، وأما العامة، فختن الرجل عندهم زوج ابنته". ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص88.

[2]– ينظر: ينظر: أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي(ت:230)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1410هـ-1990م، ص203.

[3] – قول الوليد: إنّ أصله لعَذْقٌ وإنّ فرعه لجناةٌ، استعارةٌ من النخلة التي ثبتَ أصلُها، وقَويَ وطابَ فرعُها إذا جَنى، والنخلة هي العَذْق بفتح العين. ينظر: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، الجزء03، ص19.

[4]– ينظر: الحميري المعافري، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت:213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (د، ط)، (د، ت)، الجزء01، ص244 بتصرف.

فيلاحظ من خلال هذا المشهد كيف أذعن الوليد بن المغيرة لتأثير القرآن على قلبه ولبه، وأيقن بعقله أنه ليس من تأليف محمد ﷺ ولا أحد من البشر، ولكنه غلب عليه الكبر والغرور، فقال غير ما رأى وخلاف ما اقتنع.

إن السحر الذي قصده الوليد كان كامناً في مظهر آخر غير التشريع، وغير القصص، وغير العلوم الكونية، وقبل التنبؤات الغيبية. إذن فالسحر يكمن في أسلوب القرآن الفريد: من تصوير، وإيقاع، وفواصل، إلى غير ذلك من المظاهر التي سوف نعود إليها بشيء من البسط.[1]

"هنا تلتقي قصة الكفر بقصة الإيمان، في الإقرار بسحر هذا القرآن، وتلتقي على الإقرار به شخصيتان قويتان، بينهما من المدى في الاختلاف ما بين عمر بن الخطاب والوليد بن المغيرة، فتشرح التقوى صدر عمر للإسلام، وتصدّ الكبرياء الوليد عن الإذعان؛ ويذهبان في طريقيهما متدابرين، بعد أن يلتقيا في نقطة واحدة: نقطة الإقرار بسحر القرآن"[2].

وهي نفس الروعة التي أبهرت نساء المشركين وأطفالهم حتى جعلتهم يزدحمون لسماع القرآن الكريم، ففي البخاري: أنّ أبا بكر – رضي الله عنه – "ابتنى مسجدا بفناء داره وبَرَزَ [3]، فكان يُصلي فيه،

---

[1] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص20.

[2] – سيد قطب، المرجع نفسه، ص14.

[3] – أي: ظهر من البروز. ينظر: العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، الجزء12، ص124.

ويقرأ القرآن، فيتَقَصَّفُ [1] عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بَكاءً، لا يملك دمعَه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين، ..."[2].

ونفسه التأثير كان يجذب رؤوس المشركين ليلاً يسترقون السمع لأجل سماع تلاوة الرسول ﷺ وهو في بيته، بعد أن تواصوا وأقسموا وتناهوا عن سماع القرآن الكريم، ثم تراهم يتسللون فرادى مستخفين، ويتلاقون في الطريق يلُوم أحدُهم الآخر[3].

فما هذا الكلام الذي لا يُطيقون البُعدَ عنه وما هذا الغرام الذي يهيمون به ويتركون من أجله كلّ نوم وكلّ راحة، ويتسللون متخفين كي يترنموا بآياته وكلماته؟ إنه لا شك شيء غير عادي، شيء يدعوا إلى التأمل والتفكر والدهشة.[4]

وهذا التأثير أيضا هو الذي حمل صناديد الكفر في قريش على منع النبيّ ﷺ بالقوة عن تلاوة القرآن الكريم في البيت الحرام، وفي أسواق الموسم ومجامعه، حتى إنهم كانوا يقذفونه بالحجارة، وهو سبب تواصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ [سورة فصلت:**26**].[5]

---

[1] – التقَصُفُ: الاجتماع والازدحام. ينظر: ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الجزء04، ص73. والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 1422 – 2001م، الجزء24، ص263.

[2] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبيّ ﷺ وعقده، بدون رقم، الجزء3، ص98.

[3]– ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، كتاب السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1395هـ – 1976م، الجزء01، ص505، بتصرف.

[4]– ينظر: العسال، خليفة حسين، الأثر النفسي للقرآن الكريم، دراسة وتحليل، ص57 بتصرف.

[5]– ينظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1426هـ-2005م، ص111 بتصرف.

وذلك بسبب خشيتهم من أن تخشع قلوبهم لما يتلى من القرآن العظيم، ولو كان باستطاعتهم صدّ أنفسهم عنه لما اهتموا لسماعهم له، ولكن إدراكهم لقوته وقدرته على التأثير في نفوسهم جعلهم يلجؤون إلى هذا الفعل.

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "وهذا حكاية لحال أخرى من أحوال إعراضهم عن الدعوة المحمدية بعد أن وصف إعراضهم في أنفسهم انتقل إلى وصف تلقينهم الناس أساليب الإعراض، فالذين كفروا هنا هم أَيمةُ الكفر يقولون لعامتهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، فإنهم علموا أن القرآن كلامٌ هو أكملُ الكلام شريفَ معانٍ وبلاغةَ تراكيبَ وفصاحةَ ألفاظٍ، وأيقنُوا أن كلَّ من يسمعه وتُداخِلُ نفسَه جزالةُ ألفاظه وسُمُوُ أغراضه، قضى له فهمه أنه حقٌّ اتباعه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم ولكنهم غالبتهم محبة الدوام على سيادة قومهم فتمالؤُوا ودَبَّروا تدبيراً لمنع الناس من استماعه، وذلك خشية من أن ترق قلوبهم عند سماع القرآن فصرفوهم عن سماعه"[1].

فهذا أعظم دليل على قوة تأثير القرآن في نفوس الناس آنذاك، فقد كانوا ينقادون ويهرعون إليه طواعيةً بمجرد سماعهم لآيات من الذكر الحكيم.

ومما يدل –كذلك – على هيبة القرآن الكريم وتأثيره البالغ في نفوس المشركين ما رواه البخاري، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه – ولم يكن قد أسلم بعد – قال: «سمعت النّبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطّور، فلمّا بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿35﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿36﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿37﴾ ﴾ [سورة الطور: **35 - 37**]، قال: كاد قلبي أن يطير»[2]. فقد وصف – رضي الله عنه –كيف خلبت أحاسيسَه سكينةُ القرآن، حتى كاد قلبُه أن يطير من روعة ما سمع، هذا وهو مشركٌ، وفي حالة عداوة مع النبي ﷺ وأصحابه، وقد جاء في

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء24، ص277.

[2]– الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الطور، رقم: 4854، الجزء 06، ص140.

طلب أسرى بدر[1]، ففي خِضَم هذه الحالة يبعُدُ أن يتأثر المرءُ بكلام خصمه، ولكن روعة القرآن وجاذبيته وتأثيره في النفوس هزّ قلبَه حتى كاد أن يطير.

ولقد توالت الآيات القرآنية التي تُسمع الآذان وتفتح الأبصار وتُحرك القلوب، وتعي العقول وتُضيء الوجدان، فالقرآن الكريم –كما سبق بيانه – يُرضي الطموح العقلي ويُلبّي الإحساس القلبي ويُشبع القوى الفطرية ويُنعش الطاقة الشعورية ويُنشّط الإرادة الإنسانية ويُحرك الدوافع الخيرة ويَمنح الإنسان الصفاء والطمأنينة والأمن النفسي[2].

والشواهد على تأثير القرآن الكريم في نفوس المشركين كثيرة لا يسع المقام حصرها جميعها، ولكن حسبنا وهذه الأمثلة التي قدمها الباحث لعلّها تفي بالغرض المطلوب.

الفرع الثاني: تأثير القرآن الكريم في أهل الكتاب:

يقول الحقّ تبارك وتعالى واصفا حالة طائفة من الذين أوتوا العلم من قبل النبيّ ﷺ – من أهل الكتاب –، كيف كانت تفيض دموعهم لسماع القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾ [سورة المائدة: **82 - 83**].

أخبر القرآن الكريم – والسنة النبوية المطهرة – أنّ طائفة من النصارى من أتباع المسيح عيسى – عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام –كانوا إذا سمعوا آيات الله تتلى فاضت أعينهم من الدمع، لأنهم علموا أنها كلام الله تعالى، ولم تنزل إلاّ بالحقّ، وخير دليل ما ثبت في السنة النبوية من إسلام النجاشي ملك

---

[1] – ينظر: الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت:430هـ)، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البرّ عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة02، 1406هـ – 1986م، الجزء01، ص236.

[2] – ينظر: العسال، خليفة حسين، الأثر النفسي للقرآن الكريم، ص60 بتصرف.

الحبشة بعدما سمع القرآن الكريم (مطلع سورة مريم)، فتأثر لصوت الحقّ، وأقرّ أنّه (القرآن) والذي أُنزل على عيسى – عليه السلام – يصدران من مشكاة واحدة.

فقد روى ابن إسحاق[1] في "سيرته" بسنده، عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تروي قصة إسلام النجاشي – وكانت ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى – تقول: إن قريشا أرسلت في أثرهم عمرو بن عاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي يطلبان منه أن يُسلّمَ لهما من هاجر إليه، وقد ذكرا له – بعدما قدَّما له هدايا قريش – أن هؤلاء هم غِلمان سُفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم وقد جاءوا بدين جديد مبتدَعٍ لا نعرفه نحن ولا أنتم، تقول: فرفض النجاشيّ أن يستجيب لطلبهما قبل أن يسمع من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم أرسل في طلبهم، فلما جاءوا قال الملك: ما هذا الدّين الذي فارقتم فيه قومكم؟ فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب، فبدأ بذكر ما كانوا عليه من أُمور الجاهلية، من عبادة الأصنام وأكل الميتة، وإتيانهم الفواحش...، قال: حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبَه وصِدقه وأمانتَه، فدعانا إلى توحيد الله، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، ...قال: فصدقناه وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله ، فاعتدى علينا قومُنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيُّها الملك، فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال النجاشيّ فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم، فبكى النّجاشيّ، حتّى اخضلّت لحيتُه، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما

---

[1] – ابن إسحاق محمّد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباريّ، الحافظ، أبو بكر القرشيّ، المطّلبيّ مولاهم، المدنيّ، صاحب (السّيرة النّبويّة). ولد سنة ثمانين. رأى أنس بن مالك، وسعيد بن المسيّب. وحدّث عن: أبيه، وعمّه؛ موسى بن يسار، وعن أبان بن عثمان – فيما قيل –. وهو أوّل من دوّن العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك. حدّث عنه: يزيد بن أبي حبيب – شيخه – ويحيى بن سعيد الأنصاريّ – وهما من التّابعين – وشعبة، والثوري، روى له: مسلم في المتابعات، واستشهد به: البخاري، وأخرج أصحاب السّنن له. مات سنة خمس عشرة ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء 07، ص33 وما بعدها.

تُلِيَ عليهم، ثم قال النجاشيّ: إنّ هذا والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما[1].

وروى ابن إسحاق – أيضا – في "سيرته" أن النجاشي[2] بعث إلى رسول الله ﷺ اثني عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن الكريم، فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين، ففيهم أنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿83﴾﴾ [سورة المائدة: 83.]، قال: ورجعوا إلى النجاشي فآمن ولم يزل مؤمنا حتى مات، فصلى عليه النبيّ ﷺ.[3]، وقد وصف الله ﷻ أتباع المسيح عيسى – عليه السلام – بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الحديد: 27].

وهكذا يتجلى لمن يستمع للقرآن الكريم وهو يُتلى، وللقارئ المتدبر كيف استطاعت آياتُ القرآن الكريم أن تَخترق الآذان وتُنير الأبصار وتُحرّك القلوب وتُوقظ العقول وتضيء العواطف، في وقت لم يكن شيء من التشريعات قد نزل بعد. فلابد أن تلك السور القلائل التي نزلت أول البعثة قد احتوت على شيءٍ خارقٍ جذَب إليه قلوب من سمع القرآن الكريم في تلك الفترة.

المطلب الثالث: تأثير القرآن الكريم في الملائكة وفي عالم الجن والجماد

الفرع الأول: تأثيره في الملائكة الكرام

---

[1]– ينظر: ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي (ت: 151هـ)، سيرة ابن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة01، 1398هـ – 1978م، الجزء01، ص215، بتصرف.

[2] – هو أَصْحَمَةُ النجاشي ملك الحبشة، أسلم في عهد النبي ﷺ، وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، توفي ببلاده قبل فتح مكة، ولم ير النبيّ ﷺ، وصلى عليه ﷺ بالمدينة وكبر عليه أربعا، وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له ولملوك الحبشة، مثل كسرى للفرس، وقيصر للروم. ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، (ت: 630هـ)، أُسد الغابة، دار الفكر، بيروت، 1409هـ – 1989م، الجزء01، ص119، وما بعدها.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، الجزء01، ص219.

هذا وإن القرآن الكريم لم يتوقف تأثيره البليغ في عالم الإنس، بل تعدى هذا التأثير المعجز إلى عالم الملائكة، فقد روى البخاري في صحيحه عن أُسيد بن حضير – رضي الله عنه – ، قال: بينما هو يقرأ من اللّيل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبيّ ﷺ فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: «وتدري ما ذاك؟»، قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم»[1].

فهؤلاء الملائكة الكرام قد أثَّر فيهم صوت الصحابي أُسيد بن حضير – رضي الله عنه – وهو يقرأ القرآن الكريم في جوف اللّيل.

[1] – الحديث أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب باب نزول السّكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم: 5018، الجزء6، ص190.

الفرع الثاني: تأثير القرآن في عالم الجن وفي عالم الجماد

أولاً: تأثيره في عالم الجن:

لم تقتصر دعوة الرسول ﷺ على عالم الإنس فقط، وإنما شملت كذلك عالم الجن أيضا، فقد ذكر القرآن أن الجنّ لما سمعوا آيات القرآن الكريم تُتلى ما لبثوا أن آمنوا به، وهذا ما دلت عليه النصوص من الكتاب الكريم والسنة النبوية. قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝1 يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝2 ﴾ [سورة الجن: **1-2**].

أخرج البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: " انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝1 يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝2 ﴾ [سورة الجن: **2**]، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ [سورة الجن: **1**] وإنما أوحي إليه قول الجن "[1].

فقد تأثرت الجن عند سماعهم للنبيّ ﷺ وهو يقرأ القرآن في صلاته، بلغ بهم حدَّ التعجب، فقالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝1 ﴾ فآمنوا به ورجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝29 قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ

[1] – صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم: 773، الجزء01، ص154.

يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿30﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿31﴾ ﴾ [سورة الأحقاف: **29-31**].

فهذه الآيات قد صورت لنا الأثر العظيم الذي أحدثه سماع الجن للآيات من الذكر الحكيم، حتى إنهم سارعوا إلى قومهم يذكرون لهم روعة ما رأوه وفخامة ما استمعوا له. فقوة الألفاظ الربانية وجلال المعاني القرآنية كان لها التأثير البليغ على عواطف ووجدان هذه الفئة من الجن، مما جعلها تستجيب لداعي الله – ﷺ – والإيمان به طمعا في مغفرة الله سبحانه والنجاة من عذابه.

ثانياً: تأثير القرآن الكريم في عالم الجماد

هذا وإن القرآن الكريم لم تقتصر سطوته على عالم الأحياء، بل بلغ تأثيره حتى في الجمادات، وهذا ما نصّ عليه الحقّ عز وجل في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿21﴾ ﴾ [سورة الحشر: **21**].

فالقرآن الكريم لا يستطيع شيء أن يثبت أمام ثقله وقوته ولو كان جبلا شامخا، لأنه كلام العزيز القدير. فهذه هي حقيقة القرآن يجدر بكل ذي لبّ أن يعقلها ويعيّها. "فإن القرآن يعرض لهذا الأثر وهذا الزلزال من الخشية في الصخر الجامد والحجر الصلد ... وهي صورة تمثل الحقيقة الماثلة الكائنة لهذا القرآن، فإن فيه روعةً وثقلاً وأثراً مزلزلاً لا يثبُت له شيءٌ يتلقاه بحقيقته، فإن اللّحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحا لتلقي شيء من حقيقة القرآن يهتز فيها اهتزازا ويرتجف ارتجافا...، وهي حقيقة جديرة فعلا بأن توقظ القلوب والأفهام والعقول وتبعث فيها التأمل والفكر والخشوع."[1]

وكخلاصة لهذا المبحث، فإن القرآن الكريم كان – ولا يزال – له تأثيرٌ في كلّ شيء، فالجمادات الرواسي تتصدعُ من خشية الله، وصناديدُ قريش يتسللون سراً لسماع النبيّ ﷺ وهو يقرأ القرآن، بل حتى نساؤُهم وذراريهم يتزاحمون من أجل الإصغاء لتلاوة أبي بكر – رضي الله عنه –، وهذه الجنُّ استنصت بعضُهم بعضاً وتعجبوا ووَلَوا إلى قومهم مُنذرين، والمؤمنون الذين يخشون ربهم ظهر الاقشعرارُ في جلودهم،

[1]– العسال، الأثر النفسي للقرآن الكريم، ص64.

والقساوسةُ الصادقون فاضت أعينُهم بالدَّمع، والملائكةُ الكرام دَنَت من السماء لقارئ القرآن في جَوفِ اللّيل، والأنبياءُ من لَدُن آدم إذا سمعوا كلام الله خَروا سُجدا وبُكيا، وسيّدُ الخلق ﷺ حين سمع الآية تُصوِّر عرصاتِ القيامة ولحظةَ الشهادة على الناس استوقف صاحبَه – ابن مسعود – من شدَّة ما غلبتُه دُموعَه من البكاء. فما من شيءٍ إلاّ ويقفُ حائرا مُتعجباً أمام رهبةِ وسَطوة القرآن الكريم.[1]، ويبقى تأثيرُ القرآن الكريم – خالداً – في كلّ مَن ألقى له سمعَه إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومَن عليها.

[1] – ينظر: السكران إبراهيم بن عبد الله، الطريق إلى القرآن، العصرية للنشر والتوزيع، الطبعة01، 2018م – 1439هـ، ص26. بتصرف.

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة وأساليبها في الخطاب القرآني

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الموعظة الحسنة، أهميتها ومواردها في القرآن الكريم

المطلب الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب وتجلياته في الخطاب القرآني

المطلب الثالث: أسلوب التحبب والتودد ومظاهره في الخطاب القرآني

تمهيد:

الخطاب القرآني هو كلام الباري جلّ في علاه، الذي خلق النفس البشرية وفطرها، وهو ﷻ العليم بمكنوناتها وميولها الفطري، وهو القائل ﷻ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الملك: 14]؛ لأجل ذلك زخرت آياته الكريمة بالمواعظ الحسنة والهدايات الربانية، واللّمسات الوجدانية، التي تهدف إلى تنشئة الإنسان عقائديا وسلوكيا، من خلال استثارة عاطفته، وتحريك أحاسيسه، وهزّ مشاعره، فيُقبل على فعل الخير، أو يُعرض عن الشرّ وينفر منه. وإن من أهم الأساليب التي وظفها القرآن الكريم في خطاباته، أسلوب الموعظة الحسنة الذي يتفرع عنه العديد من المسالك التربوية والوسائل الدعوية.

وقبل الشروع في عرض أساليب الموعظة الحسنة يحسن بنا أن نتطرق ومن خلال هذا المطلب الأول إلى مفهوم الموعظة الحسنة – في اللّغة والاصطلاح –، ثم نبيّن أهميتها ومواردها في السياق القرآني، لنصل إلى مسالك الموعظة الحسنة وتجلياتها في الخطاب القرآني، والآثار التي يتركها في عواطف ووجدان المخاطبين.

المطلب الأول: مفهوم الموعظة الحسنة، أهميتها ومواردها في القرآن الكريم

الفرع الأول: مفهوم الموعظة الحسنة لغة واصطلاحا

أولاً. الموعظة لغة: يقول الخليل بن أحمد: "وعظ، العظة الموعظة. وعظتُ الرجل أعظه عِظةً وموعظة، واتعظ: تقبّل العِظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه. "[1] ويقول الطبري: "والموعظة مصدرٌ من قول القائل: وعظتُ الرجل أعظه وعظا وموعظة: إذا ذكَّرته."[2]

ويرى الجوهري أن مادة [وعظ] من الوعظ وهي تعني: "النصح والتذكير بالعواقب. تقول: وعظته وعظا وعظة فاتّعظ، أي قبل الموعظة. يقال: " السعيد من وُعِظ بغيره، والشقيّ من اتعظ به غيره ".[3]

---

[1]– الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، الجزء5، ص228.

[2]– الطبري، جامع البيان، الجزء2، ص73.

[3]– الجوهري، الصحاح تاج اللغة، الجزء03، ص1181.

ويضيف صاحب "لسان العرب" قائلا: "الوعظ والعظة والموعظة: النّصح والتذكير بالعواقب؛ قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُلَيِّنُ قلبَه من ثواب وعقاب. وفي الحديث: "لأجعلنك عِظَةً"[1]، أي موعظة وعبرة لغيرك، والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة. وفي التّنزيل: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [سورة البقرة: 275]."[2]

يظهر من هذه التعريفات أن مفهوم الموعظة في معجمات اللّغويين يأتي بمعنى التخويف والزجر، كما يأتي بمعنى التذكير بالخير، أو بمعنى النصح والتذكير بالعواقب، والأمر بالطاعة والوصية بها، كما يأتي لتذكير الإنسان بما يليّن قلبه من ثواب أو عقاب.

ثانياً. الموعظة اصطلاحاً: الموعظة في اصطلاح العلماء تكاد لا تنفك عن معناها اللّغوي، فقد عرفها الجرجاني بقوله: "الموعظة: التي تُليّن القلوب القاسية، وتُدمع العيون الجامدة، وتُصلح الأعمال الفاسدة".[3] بينما يرى ابن جرير الطبري أن الموعظة تعني: "التذكير والتخويف الذي ذكّرهم وخوّفهم به في آي القرآن".[4]

ويعرفها ابن قيّم الجوزية بقوله: "إن الموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرونُ بالرغبة والرهبة"[5]، وفي (الكليات) هي: "الخطابات المقنعة والعبر النافعة وذلك لعوام الأمة".[6] أو "هي التوجيهات التي

---

[1]- يشير إلى الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي سعيد – رضي الله عنه –: "أن أبا موسى أتى باب عمر فاستأذن، فقال عمر: واحدة، ثم استأذن الثانية فقال عمر: ثنتان، ثم استأذن الثالثة فقال عمر: ثلاث، ثم انصرف فأتبعه فردّه، فقال: إن كان هذا شيئا حفظته من رسول الله ﷺ فها، وإلا فلأجعلنك عظة...". ينظر: صحيح الإمام مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، الجزء06، ص178، رقم: 2153.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، الجزء7، ص466.

[3]- الجرجاني، التعريفات، ص236.

[4]- الطبري، جامع البيان، الجزء5، ص44.

[5]- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، الجزء01، ص153.

[6]- الكفوي، أبو البقاء، الكليات، ص884.

تفيدُ القربَ النفسيَّ بين الداعي بما تشمله من إثارة الانفعال، وإيقاظ الشعور، مع وُضوحٍ أنّ الداعي يقصد النُصح والإرشاد"[1].

فمن خلال هذا العرض لآراء جملة من العلماء حول مفهوم الموعظة، يمكن القول إنها لم تبعد – كثيرا – عن المعنى اللّغوي الذي حدّده أصحاب المعاجم اللّغوية.

فالموعظة الحسنة هي تلك الكلمات الطيّبة الندية الهادفة، والتي يُراد بها النصح والتذكير – وقد تكون مقرونةً بالزجر أو التخويف – فتلامس قلوبَ المخاطَبين، فتُدمع عيونَهم وتُحرّك عواطفَهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿24﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿25﴾ ﴾ [سورة إبراهيم: 24 – 25].

الفرع الثاني: أهمية الموعظة الحسنة في الخطاب القرآني

يعتبر أسلوب الموعظة الحسنة من أنجع الأساليب التربوية التي استخدمها القرآن الكريم – عن طريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام – في الدعوة والإصلاح، لما لهذا المسلك من قوة التأثير في نفوس المخاطبين. والشواهد على ذلك كثيرة نذكر باقةً منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [سورة البقرة: 213].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿165﴾ ﴾ [سورة النساء: 165].

---

[1]– غلواش أحمد، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة: 02، 1407هـ – 1987م، ص11.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَۖ ﴿48﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَۖ ﴿49﴾ ﴾ [سورة الأنعام: 48 – 49].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَۖ ﴿96﴾ ﴾ [سورة الأعراف: 96].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗاۖ ﴿56﴾ ﴾ [سورة الكهف: 56].

كما أمر الله نبيّه ﷺ أن يدعو الناس إلى دين الله ﷻ مبيّنا له الأسلوب الأنسب والأنجع، فقال ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَۖ ﴿125﴾ ﴾ [سورة النحل: 125]. وقال له جلّ شأنه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿63﴾ ﴾ [سورة النساء: 63]. وخاطب المولى تبارك وتعالى رسوله ﷺ بقوله: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِۖ ﴿119﴾ ﴾ [سورة البقرة: 119]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗاۖ ﴿56﴾ ﴾ [سورة الفرقان: 56].

وقد وعظ الله عباده فقال جلّ شأنه: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞۖ ﴿231﴾ ﴾ [سورة البقرة: 231]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَۖ ﴿90﴾ ﴾ [سورة النحل: 90].

فالموعظة لها أثر كبير في نفوس المخاطبين، حيث تُوجل منها القلوب وتُذرف لها الدموع، وهذا نبيّنا محمدا ﷺ إمام الوعاظ يعظ أصحابه – رضي الله عنهم – موعظةً مُؤثرةً، يرغبهم في اتباع كتاب الله ﷻ، وسنة نبيّه ﷺ، فعن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: "وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة

مُودِعٍ، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدٌ حبشيٌّ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنّها ضلالةٌ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضوا عليها بالنواجذ."[1] فقوله – رضي الله عنه –: "موعظة بليغة" أي: بلغت إلينا وأثّرت في قلوبنا ودمعت منها عيوننا، وكأنه ﷺ قام مقام تخويف ووعيد.[2]

وقد أمر الله جل وعلا نبيّه محمدا بتذكير الناس، فقال: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿55﴾ ﴾ [سورة الذاريات: 55]. قال الطبري: "وعِظْ يا محمد من أُرسلت إليه، فإن العِظة تنفع أهل الإيمان بالله"[3].

فمن خلال هذه النصوص – وغيرها – يتبيّن للقارئ الكريم الحكمة من ورود أسلوب الموعظة الحسنة في الخطاب القرآني، وتأثيرها في النفس البشرية. وقد أشار يوسف القرضاوي[4] إلى أهمية أسلوب الترغيب والترهيب بقوله: "فإن فكرة الترغيب والترهيب فكرةٌ أساسيةٌ في الدين، وهي مبنية على أساسين:

---

(1) – الحديث أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة. ينظر: السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة1، 1430هـ – 2009م، الجزء07، ص17، رقم: 4607. والترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم: 2676، الجزء 04، ص341، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(2)– ينظر: ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، الطبعة6، 1424هـ – 2003م، ص96.

(3)– الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، الجزء21، ص553.

(4) – ولد يوسف القرضاوي في إحدى قرى جمهورية مصر العربية سنة 1926م، حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره، التحق بمعاهد الأزهر الشريف حيث زاول تعليمه الابتدائي والثانوي، ليلتحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر التي نال فيها العالمية سنة 1953م. عمل بالتدريس واشتغل بالدعوة، وله مؤلفات كثيرة، منها: كتاب فقه الزكاة، وكتاب الحلال والحرام في الإسلام ...وغيرها. وهو الرئيس السابق والمؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. توفي – رحمه الله – بالدوحة دولة قطر في 26 سبتمبر 2022م. ينظر: موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي، السيرة الذاتية، 2017/12/12م، وموقع الجزيرة نت: **https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/12/20/** اطلع عليه بتاريخ: 2024/07/16.

أولّهما: أساسٌ دينيٌّ، وأعني به عقيدة الثواب والعقاب: ثواب الله لمن آمن به وعمل بطاعته، وعقابه لمن أعرض عنه وعصاه.

ثانيها: أساسٌ نفسيٌّ معترف به لدى المؤمنين بالدّين والجاحدين له، فمما لا ريب فيه أن الرغبة والرهبة نزعتان فطريتان في الإنسان، فهو بطبيعته يرغب فيما يحب، ويخاف مما يكره، فلا عجب أن يستفيد المنهج التربوي في الإسلام من هاتين النزعتين، لدفع الإنسان إلى فعل الخيرات والطاعات، واجتناب الشرور والآثام"[1].

الفرع الثالث: ورود لفظة الموعظة ومعانيها في القرآن الكريم

أولاً. ورود لفظة الموعظة في القرآن الكريم:

وردت كلمة (موعظة) – في كتاب الله ﷻ – وما اشتق عنها على ثلاثة عشر وجه موزعة في سبعة وعشرين موضعا وهي كالتالي:

(أوعظت، أعظك، أعظكم، تعظون، يعظكم، يعظه، عظهم، فعظوهن، توعظون، يوعظ، يوعظون، الواعظين، موعظة).[2]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [سورة البقرة: 232].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾ [سورة النساء: 34].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[سورة النساء: 63].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[سورة النساء: 66].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ [سورة الأعراف: 164].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة هود: 46].

---

[1] – القرضاوي، يوسف، المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، منشورات بحوث السنة والسيرة، مقدمة المنتقي، ص01.

[2] – ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 755.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ ﴾ [سورة هود: 120].
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [سورة النحل: 90].
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل: 125].
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ ﴾ [سورة الشعراء: 136].
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾ [سورة لقمان: 13].
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ [سورة سبأ: 46].
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ ﴾ [سورة المجادلة: 03].

ثانياً. معاني الموعظة في القرآن الكريم:

جاء مصطلح الموعظة في القرآن الكريم بمعان عدّة، منها[1]:

أ – التخويف والزجر: قال تعالى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ ﴾[سورة البقرة: 275].

قال الطبري: "يعني بالموعظة التذكير والتخويف الذي ذكّرهم وخوفهم به في آي القرآن، وأوعدهم على أكلهم الرّبا من العقاب"[2].

ب – التذكير: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦ ﴾ [سورة البقرة: 66]. قال أبو جعفر: "والموعظة مصدر من قول القائل: وعظت الرجل أعظه وعظا

---

[1] – ينظر: عصام حسن عيد علي حجازي، التربية بالموعظة الحسنة، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، ص15 وما بعدها، بتصرف.

[2] – الطبري، جامع البيان، الجزء05، ص44.

وموعظة: إذا ذكّرته، فتأويل الآية: فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها، وتذكرة للمتقين، ليتعظوا بها، ويعتبروا، ويتذكروا بها"[1].

ج – مواعظ القرآن ونصائحه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿125﴾ ﴾ [سورة النحل: 125]. قال في "محاسن التأويل": "والموعظة الحسنة أي: العبر اللّطيفة والوقائع المخيفة، ليحذروا بأسه تعالى"[2].

د – النهي: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿17﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿18﴾ ﴾ [سورة النور: 17- 18]. قال القرطبي: "أي: يحذّركم الله وينهاكم".[3]

هـ – الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿13﴾ ﴾ [سورة لقمان: 13]. قال السعدي: " فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيّن له السبب في ذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سوّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كلّه، وسوّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالربّ الكامل الغنيّ من جميع الوجوه..."[4]

---

[1] – المرجع نفسه، الجزء02، ص73.

[2] – القاسمي، محاسن التأويل، الجزء06، ص422.

[3] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء09، ص48.

[4] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص648.

و – القرآن: قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ [سورة يونس: 57]. قال ابن عطية: " «الموعظة»: القرآن لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف ويزجر ويرقق ويوعد ويعد، وهذه صفة الكتاب العزيز"[1].

والموعظة الحسنة في القرآن الكريم لها أساليب متنوعة ومسالك متعددة، فقد تأتي عن طريق الترغيب والترهيب، أو الوعد والوعيد، أو التحبب والتودد، أو عن طريق القدوة الحسنة، وهذا ما سنتعرض إليه في المطلب الآتي.

[1] – ابن عطية، المحرر الوجيز، الجزء03، ص126.

المطلب الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب وأهميته في الخطاب القرآني

الفرع الأول: مفهوم الترغيب والترهيب

أولا: مفهوم الترغيب لغة واصطلاحا

1. **تعريف الترغيب لغة**: "[رغب] الرغبةُ من قولهم: رغبتُ في الشيء، رغبا ورغبة ورَغبى، إذا مِلتُ إليه. ورغبتُ عنه: إذا صددتُ عنه... والشيء مرغوبٌ عنه: مكروه، ومرغوب فيه: مُرادٌ."[1]"ويقال: رغب رغبة: ورغبى على قياس شكوى، وتقول: إليك الرّغباء ومنك النّعماء"[2].

وقال ابن فارس في معجمه: "(رغب) الراء والغين والباء أصلان: أحدهما: طلبٌ لشيء، والآخر: سَعةٌ في شيء، فالأول الرغبة في الشيء: الإرادة له. رغبت في الشيء، فإذا لم ترده قلت: رغبت عنه... والآخر الشّيء الرّغيب: الواسع الجوف. يقال حوض رغيب، وسقاء رغيب. ويقال فرس رغيب الشّحوة.."[3]. ومن معانيها أيضا كثرة الأكل وشدّة النهمة والشره[4]. ويقال: (رغّبه) فيه (ترغيبا) و (أرغبه) فيه أيضا.[5]

يتضح مما سبق ذكره أن دلالات كلمة (رغب) تختلف باختلاف السياق الذي تُذكر فيه، وبحسب دخول حرف الجرّ عليه. فمنها: طلب الشيء وإرادته، والميل إلى الشيء، والضراعة والمسألة – إذا تعدى بحرف الجرّ (في) و(إلى) –، وترك الشيء والزهد فيه – إذا تعدى بحرف الجرّ (عن) –، والذي له تعلّق بهذا المبحث اللّغوي من بين هذه الدلالات هو الحرص على الشيء وإرادته، أو الميل إليه.

---

(1)– ابن دريد الأزدي، جمهرة اللّغة، الجزء01، ص320.

(2)– الأزهري الهروي، تهذيب اللّغة، الجزء08، ص122.

(3)– ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء02، ص416.

(4) – ينظر: الأزهري، مرجع سابق، الجزء08، ص122.

(5)– الرازي، مختار الصحاح، الجزء01، ص125.

2. مفهوم الترغيب اصطلاحا:

هو "كلّ ما يُشوِّق المدعو إلى الاستجابة وقَبول الحقّ والثبات عليه"[1]. وقيل: هو" وعدٌ يصحَبه تحبيبٌ وإغراءٌ بمصلحة أو لذّة أو مُتعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده."[2]

ثانيا: مفهوم الترهيب لغة واصطلاحا

1. **تعريف الترهيب لغة:** قال الخليل: "رَهَبَ: رهبت الشّيء أرهبه رهبا ورهبة، أي: خِفته. وأرهبت فلانا. والرهبانية: مصدر الراهب، والتّرهب: التعبد في صَومعة، والجميع: الرهبان والرهابنة خطأ"[3]. وقال في مقاييس اللّغة: "(رهب) الرّاء والهاء والباء أصلان: أحدُهما يدل على خوف، والآخر على دقّة وخفّة. فالأول الرهبة: تقول رهبت الشّيء رهبا ورهبا ورهبة. والترهب: التعبد. ومن الباب الإرهاب، وهو قَدْعُ الإبل من الحوض وذيادها. والأصل الآخر: الرهب: الناقة المهزولة. والرهاب: الرّقاق من النّصال، واحدها رهب. والرهاب: عظم في الصّدر مشرف على البطن مثل اللّسان"[4]. وفي "اللّسان" "رهب: رهِب، بالكسر، يرهب رهبة ورُهبا، بالضم، ورَهَبا، بالتّحريك، أي خاف. ورهب الشيء رهبا ورهبا ورهبة: خافه. والاسم: الرّهب، والرّهبى، والرّهبوت، والرّهبوتى؛ ورجل رهبوت. يقال: رهبوت خير من رحموت، أي لأن ترهب خير من أن ترحم. وترهّب غيره إذا توعّده"[5].

وكخلاصة لما تقدم يظهر أن كلمة الترهيب في معاجم اللّغويين تعني التخويف.

---

[1]– زيدان عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة9، 1423هـ – 2002م، ص437.

[2] – النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، الطبعة26، 1429هـ – 2008م، ص 230.

[3] – الفراهيدي، الخليل ابن أحمد، كتاب العين، الجزء04، ص74.

[4] – ابن فارس، مقاييس اللّغة، الجزء02، ص447.

[5] – ابن منظور، لسان العرب، الجزء01، ص436.

2. **تعريف الترهيب اصطلاحا**: يُقصد بالترهيب "كلُّ ما يُخيف ويُحذّر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحقّ أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[1]. وقيل: هو "وعيدٌ وتهديدٌ بعقوبة تترتب على اقتراف إثمٍ أو ذنبٍ مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي"[2].

الفرع الثاني: أهمية الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني

يعدّ أسلوب الترغيب والترهيب من العوامل الناجعة والمؤثرة في النفس البشرية، ولذلك كثر استخدامها في القرآن العظيم بشكل مستفيض، فبينما يقوم الترغيب بوظيفة دفع الإنسان لإنجاز السلوك المرغوب فيه، يقوم الترهيب بمنع السلوك المنهي عنه، أو تعديله وتصويبه.

ولقد ورد الترغيب والترهيب في القرآن الكريم – والسنة النبوية – بشكل مستفيض وضروب متنوعة، من وعد ووعيد، وتبشير وإنذار.

وكثيرا ما يُلاحظ الترغيب أو الترهيب يقترنان بوصف مظاهر الجنة أو النار، وهذا الأسلوب يكون وقعه في أصحاب العواطف الجياشة، بحيث ينتج عنه الدافع والمحرّك للقيام بسلوك معيّن، أو تركه؛ فالمستمع أو القارئ لآيات الذكر الحكيم يجول بفكره وخياله بتلك المرغبات فيقبل عليها، أو يتصور المنهيات فينفر منها ولا يقترفها.[3]

ومن أمثلة الترغيب في الخطاب القرآني ما ورد في الحث على الإقبال على كتاب الله – تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا به – قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿29﴾ ﴾ [سورة فاطر: **29**].

---

[1] – زيدان عبد الكريم، المرجع السابق، ص237.

[2] – النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ص231.

[3] – ينظر: النحلاوي، المرجع نفسه، ص259 وما بعدها.

فقد قدّم الله تعالى في هذه الآية الكريمة تلاوة القرآن العظيم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذا حتى يبيّن منزلةَ وعظمَ أجر التلاوة، وبالتالي يدفع بالمؤمنين إلى قراءة القرآن الكريم ومُدارسته والاشتغال به[1]. فبهذا الأسلوب البارع يُرغب المولى تبارك وتعالى عباده المؤمنين على تلاوة القرآن الكريم وتدبره والاتعاظ به، كما أنها حملت وعدا من الله ﷻ لعباده العالمين بكتابه الكريم بالفوز بالجزاء الأبدي الذي لا ينفد.

فتلاوة القرآن العظيم بتدبر وتمعن تفضي بصاحبها إلى إدراك معانيه، وتورثه الخشية من الله ﷻ، وتدفعه بعد ذلك إلى العمل بمقتضى هذه الآيات، والتي من أعظمها إقام الصلاة والإنفاق مما رزقه الله من فضله، طمعا فيما عند الله ﷻ، فهي بحق التجارة الرابحة التي لن تبور.

وفي المقابل يتوعد الله ﷻ من يتكتم ويخفي ما أنزل الله تعالى من البيّنات والهدى بالطرد والبعد من رحمته والسخط الشديد، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾ [سورة البقرة: **159**]. فهذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – من الدلالات البيّنات الصحيحة، والهدايات النافعات للقلوب والعقول.[2]

الفرع الثالث: تجليات أسلوب الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني

أولاً: تجليات الترغيب في الخطاب القرآني:

1. الترغيب في طاعة الله ورسوله ﷺ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗاۚ ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗاۚ ٧٠ ﴾ [سورة النساء: **69 – 70**].

---

[1] – ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، الجزء01، ص297.

[2] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء01، ص472.

على طريقة القرآن الكريم في طرح مواضيعه يواصل السياق القرآني عرضه الشجيّ في الترغيب، واستجاشة القلوب المؤمنة، وإغراء النفوس المطيعة لربها، بالمتاع الرفيع.. متاع الصحبة – يوم القيامة – للنبيّين والصدّقين والشهداء والصالحين لمن أطاع الله ورسوله ﷺ[1]. يقول صاحب الظلال: "إنها اللّمسة التي تستجيش كلّ قلب فيه ذرة من خير، وفيه بذرة من صلاح، وفيه أثارة من التطلع إلى مقام كريم في صحبة كريمة، وفي جوار الله الكريم.. وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوي.. إنما هي من فضل الله، فما يبلغ إنسان بعمله وحده وطاعته وحدها أن ينالها.. إنما هو الفضل الواسع الغامر الفائض العميم"[2].

ولقد شغل أمر صحبة رسول الله ﷺ ومرافقته قلوب الصحابة وأرواحهم في الآخرة كما صحبوه في حياتهم الدنيا، فلم يكن أحدٌ منهم يتصور فراقه للنبيّ ﷺ حتى- بعد أن يفارق الحياة الدنيا – في اليوم الآخر. حتى نزلت هذه الآية الكريمة: "لتُندي هذا الوَجد، وتُبلّ هذه اللّهفة الوَجد النبيل، واللّهفة الشفيقة"[3]. فعن عائشة — رضي الله عنها – قالت: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله إنّك لأحبّ إليّ من نفسي، وإنّك لأحب إليّ من أهلي ومالي وأحبّ إليّ من ولدي، وإنّي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيّين وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك. فلم يردّ عليه النبيّ ﷺ شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿69﴾﴾ الآية[4].

---

(1) – ينظر: الباز أنور، التفسير التربوي للقرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، الطبعة: 01، 1428هـ – 2007م، ص266.

(2) – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص699.

(3) – المصدر نفسه، ص699.

(4) – الحديث أخرجه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، "الروض الداني" (المعجم الصغير) تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمار، عمان، الطبعة 01، 1405هـ- 1985م، رقم: 52 الجزء01، ص53. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم: 10937، الجزء07، ص07: رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران وهو ثقة. وله شاهد من حديث ابن عباس كما في المجمع الجزء07، ص07، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وقد أخرجه أبو نعيم في=

إنّ ذلك الشعور بالغبطة والابتهاج والفرح يرغّب المرء ويدفعه إلى الانقياد للطاعات والقيام بالواجبات، فكلّ هذه الإثارات الوجدانية تحفِز النفس، وترغبها في مرافقة هذه الصحبة الخيّرة وهذه الكوكبة الكريمة، وتحرّك فيهم غريزة الطمع في نيل ما وعد الله ﷻ به أهل طاعته من الكرامة والمنازل العالية عنده، وتدفعها إلى المبادرة إلى فعل الواجبات وترك المنهيات، والفوز بالكرامات.

2. الترغيب في الخلق الحسن مع الناس والتلطف بهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴿159﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **159**].

قال الطبري: "ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، فإنه يعني بالفظّ: الجافي، وبالغليظ القلب: القاسي القلب، غير ذي رحمة ولا رأفة. وكذلك كانت صفته ﷺ، كما وصفه الله به: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾ ﴾[سورة التوبة: **128**]. فتأويل الكلام: فبرحمة الله، يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك "لِنْتَ لهم"، لتبّاعك وأصحابك، فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتّبعك ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم.[1]

=الحلية (الجزء04، ص240 والجزء08، ص125)، والواحدي في "أسباب النزول" بهذا السند. وقال الشوكاني: إن المقدسي حسّنه. وله شواهد كما في "تفسير ابن كثير" الجزء01، ص523، تزيده قوة. ينظر: مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة04، 1408هـ – 1987م، ص70 وما بعدها.

[1] – الطبري، جامع البيان، الجزء07، ص341.

3. الترغيب في برّ الوالدين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿23﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿24﴾ ﴾ [سورة الإسراء: **23 – 24**].

لقد قرن الله ﷻ بين عبادته وتوحيده وبين برّ الوالدين والإحسان إليهما، ذلك أن الله جلّ جلاله هو الخالق، وهما السبب الظاهر والمباشر في وجود الولد، ولأن الله سبحانه المبتدئ بالنعم والإحسان لعباده، ولا يحتاج جزاءً من أحد، وهما يحسنان لولدهما من غير إحسان متقدم، والله يرحم ويلطف بعباده، وهم الفقراء إليه، وهما يرعيانه بالرحمة واللّطف والودّ، ويبالغان في الإحسان إليه – حين يكون صغيرا –، من دون أن يحتاجا إلى جزاءه. فلهذا السبب جمع الله تبارك وتعالى بين عبادته وعدم الإشراك به، وبين الإحسان للوالدين، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [سورة النساء: **36**]. وقرن جلّ ذكره – كذلك – شكره بشكرهما، فقال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ۖ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿14﴾ ﴾ [سورة لقمان: **14**]. وفي هذا الجمع في الأمر بعبادته، والحكم بالإحسان للوالدين، والأمر بالشكر لهما مع الله تعالى أبلغ التأكيد وأعظم الترغيب.[1]

فالآية بدأت بذكر أهم الواجبات وأعظمها، وهي توحيد الله ﷻ وطاعته، ثم ثنت ببرّ الوالدين وإكرامهما، والإحسان لهما، والتلطف معهما، والقيام بحقوقهما والمبالغة في إكرامهما، خاصة عند كبَرهما وعجزهما، فقد كانا يحوطان ولدهما بالعناية والرعاية يوم كان صغيرا لا يقدر على القيام بشؤونه وحده.

يقول ابن عاشور: "ومقصد الإسلام من الأمر ببرّ الوالدين وبصلة الرحِم ينحل إلى مقصدين:

أحدهما: نفساني وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقا بأخلاق الباري تعالى في اسمه الشكور، فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين

---

[1] – ينظر: ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تفسير بن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة01، 1416هـ – 1995م، ص66.

على نعمة الإيجاد الصوري ونعمة التربية والرحمة. وفي الأمر بشكر الفضائل تنويهٌ بها وتنبيهٌ على المنافسة في إسدائها.

والمقصد الثاني: عمراني، وهو أن تكون أواصرُ العائلة قويةَ العرى مشدودةَ الوثوق، فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساس، بعضه غريزيّ ضعيف وبعضه عقليّ قويّ، حتى أن أثر ذلك الإحساس ليُساوي بمجموعه أثر عاطفة الأم الغريزية أو يفوقها في حالة كبر الابن"[1].

4. الترغيب في القتال لنصرة المستضعفين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿75﴾﴾ [سورة النساء: 75].

هذا الخطاب – التربوي الفريد – يثير في المخاطبين النخوة التي تدفعهم دفعا إلى حماية المستضعفين من النساء والولدان، حيث تجسّد الآية صورة هؤلاء وهم يطلبون النصرة والمعونة في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية، فتتحرك العواطف تجاه هؤلاء المظلومين، فيشعرون بالشفقة والرفق بهم، فيرغبون في القتال لنصرة الفئة المستضعفة.[2]

لقد خاطب الله ﷻ عباده المؤمنين – من خلال هذا النسق القرآني الكريم – بأسلوب تحضيضيّ قويّ؛ ليستجيش قلوبهم، ويستثير هممهم، ويدفعهم إلى نصرة إخوانهم من المستضعفين الذين قاسوا الويلات في مكة على أيدي المشركين، وهم عاجزون على اللّحاق بالنبيّ ﷺ وأصحابه في المدينة، إنهم يتشوفون إلى من يخلّصهم، يدعون الله متضرعين كي يجعل لهم مخرجا من ظلم قومهم.

---

[1] – ابن عشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص73 وما بعدها.

[2] – ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص842، بتصرف.

فيدعو الله تعالى المؤمنين أن ينفروا، غير متثاقلين ولا مبطئين، يستنكر – فيهم – البطء والقعود، وهذه هي طريقة القرآن الكريم عندما يريد أن يستنهض الهمم، ويستجيش العزائم، ويحدد القيم والغيات والأهداف.[1]

ثانيا: تجليات الترهيب في الخطاب القرآني

1. الترهيب من عدم الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿47﴾ ﴾ [سورة النساء: 47].

لقد اعتمدت الآيةُ أسلوب الترهيب والتخويف، وهذا الوعيد يثير في النفس الرعب من أن تُشوّه وجوههم أو أن تطمس، – فيمحي الله ﷻ تخطيط صورها، من عين وحاجب وأنف وفم[2] – أو تحلّ اللّعنة بهم، وحتما هذا الإحساس الرهيب يدفع الأنفس إلى تجنب كلّ ما يفضي إلى التهلكة، كما بيّنت الآية في مطلعها المخرج من العذاب وهو الإيمان بالله وبما أنزل على رسوله ﷺ.

قال ابن عاشور: "أقبل على خطاب أهل الكتاب الذين أُريدَ بهم اليهود بعد أن ذكر من عجائب ضلالهم، وإقامة الحجّة عليهم، ما فيه وازعٌ لهم لو كان بهم وَزعٌ، وكذلك شأن القرآن ألاّ يُفلت فرصةً تَعِنُّ من فرص الموعظة والهدى إلّا انتهزها، وكذلك شأن النّاصحين من الحكماء والخطباء أن يتوسّموا أحوال تأثّر نفوس المخاطبين ومظانّ ارعوائها عن الباطل، وتبصّرها في الحقّ، فيُنجِدُوها حينئذ بقوارع الموعظة والإرشاد"[3].

---

[1] – ينظر: سيّد قطب، المرجع نفسه، ص842.

[2] – ينظر: الزمخشري، الكشاف، الجزء01، ص518.

[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء05، ص78.

فابن عاشور يرى أن شطر الآية الأول قد جاء في مقام الترغيب، لأنه ﷻ ذكّرهم بشرف السبق بالنبوة والتوراة، وذلك حتى يستثير هِممهم، ويتلقون ما جاء به القرآن – الذي أُنزل على محمد ﷺ – بالقَبول، الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات. ثم يأتي الشطر الثاني ليتوعدهم ويُهددهم بالعذاب إن هم كذَّبوا ولم يُطيعوا أَمر الله ورسوله ﷺ، فيكون مصيرُهم كمصير أسلافهم من أصحاب السبت الذين جعلهم الله عبرةً لمن جاء بعدهم[1].

وبالرغم من أن الآية الكريمة قد جمعت بين دفتيها ترغيبا وترهيبا لأهل الكتاب من بني إسرائيل، وهو خطابٌ من شأنه أن يستثير العواطف ويُحرك كوامن الوجدان في نفوسهم، إلاّ أن الآية قد تضمنت – أيضاً – إلزاماً عقلياً، وهو ما أشار إليه الشعراوي في خواطره بقوله: "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾ إلزامٌ لهم بالحجّة، وتعني: نحن لا نُكلّمكُم بكلام لا تعرفونه؛ لأنه يقول: ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾، إنّهم يعلمون ما معهم جيّدا، فكان من الواجب أن يُقارنوا ويُوازنوا ما جاء لهم من جديد على يدِ رسول الله ﷺ بما عندهم، فإن وجدوه مصدقا لما عندهم فقد انتهت المسألة."[2]

2. توعد من كفر بما أنزل على محمد ﷺ بالنار يوم القيامة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [سورة النساء: 56].

ما أشدّ وما أقسى هذا العقاب الذي توعد به الله ﷻ الكافرين، وأَيُّ رعبٍ شديدٍ تشعر به نُفوسهم، وهم يتخيّلون جلودَهم قد احترقت، ثم ما لبثت أن عادت إلى حالتها الأولى كأن لم يصبها

---

[1] – ينظر: ابن عاشور، المصدر نفسه، الجزء05، ص79، بتصرف.

[2] – الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر – مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، (د.ت)، الجزء04، ص2286.

شيء. فهذا تهديدٌ ووعيدٌ لجميع الكافرين.[1] قال الواحدي في البسيط: "قال سيبويه[2]: سوف أداة تنفيس وتهديد ووعيد"[3]. إنه مشهدٌ شاخصٌ عنيفٌ ومروعٌ، يَشخَص له الخيال، لما فيه من الهول، فهو مشهدٌ متكررٌ لا يكاد ينتهي[4].

3. الترهيب والتحذير من نسيان حقوق الله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿19﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿20﴾ ﴾ [سورة الحشر: **19-20**].

يحذر الله المؤمنين أن يكونوا كالذين تركوا أمر الله، وأهملوا حقوق الله التي أوجبها على عباده، ولم يخشوا ربهم، فوصفهم بنسيان أنفسهم نظير نسيانهم ربهم، وذلك أن الجزاء من جنس العمل[5].

ثم قارن الله تعالى بين المحسنين والمسيئين لبيان أنه لا استواء بين الفريقين، فقال: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿20﴾ ﴾. أي: لا يستوي مُستحقو النار ومُستحقو الجنة في حكم الله تعالى في الفضل والرتبة يوم القيامة، أصحاب الجنة هم الظافرون بكلّ مطلوب، الناجون من كلّ مكروه.

---

(1) – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء05، ص89، بتصرف.

(2) – هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر؛ ويقال: كنيته أبو الحسن، وأبو بشر أشهر. وكان مولى بني الحارث بن كعب. أخذ عن الخليل بن أحمد، وعن يونس بن حبيب، وعيسى بن عمر وغيرهم. وبرع في النحو، وصنف كتابه: "الكتاب" الذي لم يسبقه أحدٌ إلى مثله. مات سنة ثمانين ومائة. ينظر: الأنباري، كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، (ت: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: 03، 1405هـ - 1985م، ص54 وما بعدها.

(3) – الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة 01، 1430هـ، الجزء06، ص527.

(4) – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص684.

(5) – ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الجزء28، ص102.

ونظير الآية كثير في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿21﴾ ﴾[سورة الجاثية: 21]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿58﴾ ﴾ [سورة غافر: 58]، وقوله عز وجل:﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿28﴾ ﴾ [سورة ص: 28]. [1] فالآية ترغب وتحث المؤمنين في أن يعملوا للفوز بالجنة، وترهبهم من الأعمال التي يستحقون بها عذاب النار يوم القيامة.

المطلب الثالث: أسلوب التحبب والتودد ومظاهره في الخطاب القرآني

ذُكر التحبب أو التودُد كثيراً في مواطن متعددة وبصيغ مختلفة من القرآن الكريم، تصريحاً أو تعريضاً، وسواء في معرض المدح أو الذم.

كما أنّ ورود مصطلح الحبّ في القرآن باشتقاقاته المتنوعة لم يقتصر على أفعال الله أو العباد، وإنما ورد اسماً من أسمائه ﷻ الحسنى، وذلك في موضعين:[2] الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿90﴾ ﴾ [سورة هود: 90]. الثاني: قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿14﴾ ﴾ [سورة البروج: 14].

وأسماءُ الله تعالى الحسنى كثيرٌ منها يدلّ على صفات الله ﷻ التي لها علاقةٌ بحبّ الله لعباده، مثل: "اللّطيف"، و"الرؤوف"، و"الكريم"، و"الحليم"، و"الوكيل"، و"الولي"، و"البر"، و"الغفور"، و"التواب"، و"العفو"، ويظهر هذا المعنى جليا من خلال اسمي: "الرحمن"، و"الرحيم"، فالمحبة الإلهية لا يمكن فصلها عن الرحمة، وإن كان لكلّ من هذه الأسماء (الرحيم والرحمن والودود) معنى خاص[3]. "... والحبّ له دوره في حياة الأفراد والمجتمعات، وله سُلطانه على الأُسر والبُيوتات، ...كم أَحيا من موات النفوس،

---

[1] – ينظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الجزء28، ص102.

[2] – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص747.

[3] – ينظر: الهاشمي، غازي بن محمد بن طلال، الحبّ في القرآن الكريم، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة10، 1436هـ – 2015م، ص17.

وكم أَمات من أرباب القُلوب.[1]وبما أن القرآن الكريم كلامُ الله ﷻ الخبير بأحوال النفس البشرية، وما قد يعتريها من مشاعر، فلم يصادم القرآن الفطرة البشرية، ولم يصادر تلك العواطف، وإنما وضع لها الأساليب التي تُهذبها وتُقوّمها.

ومن العواطف التي ورد ذكرها في القرآن العظيم – بصيغ مختلفة – عاطفة الحبّ، سواء تلك التي رغَّب فيها وأثنى على أصحابها أو تلك التي حذَّر منها ونهى عن الاتصاف بها. يقول محمد سعيد رمضان البوطي[2]: "والقرآن بمقدار ما يستنهض العقول للفكر، يستحثُّ القلوب للحبّ، ويُنبه إلى أن إدراك العقول للحقّ، لا يُغني عن توجه القلوب بالحبّ إليه، ويحذّر من أن تتوجه الأفئدة بالحبّ إلى ما، أو مَنْ ليس أهلاً له"[3].

هذا يعني أن القرآن الكريم لا يُوجِّه الناس إلى حبّ ما يستهوي الأنفس من الشهوات والملذات التي تُفضي بأصحابها إلى الوقوع في المنهيات؛ فإن كتاب الله ﷻ أسمى وأطهر من أيّ كتاب بشري، والقارئ في كتاب الله سيجد حديثا عن محبّة الله ﷻ للإنسان، وعن محبّة الإنسان لله ﷻ، وحديثا آخر عن حبّ الإنسان لأخيه الإنسان، ثم عن دور هذا الحب وأثره في الأفراد والمجتمعات، سواء المنضبط بمنهج القرآن، أو الآخر.[4]

الفرع الأول: تعريف التحبب والتودد:

أولا: التحبّب لغة:

---

[1] – البوطي، محمد سعيد رمضان، الحبّ في القرآن ودور الحبّ في حياة الإنسان، دار الفكر، دمشق، الطبعة04، 1432هـ – 2011م، ص10.

[2] – وُلد محمد سعيد رمضان البوطي عام 1929م في قرية تقعُ على ضفاف نهر دجلة. والده هو العلامة مُلا رمضان البوطي، الذي لقنه مبادئ الشريعة، في العقيدة والفقه والنحو وغيرها. بعد أن أتمَّ دراسته الثانوية سافر إلى الأزهر أين تحصل فيه على الإجازة من كلية الشريعة عام 1955م. له مؤلفات كثيرة منها: منهج الحضارة الإسلامية، الإسلام والغرب، وغيرها، قُتلَ يوم 21 مارس 2013م. ينظر: سيرته الذاتية من: موقع نسيم الشام، اطلع عليه يوم: 2024/09/11 على الساعة 10.30. **https://www.naseemalsham.com/persons/muhammad_said_ramadan_al_bouti/lessons/fatwacate6**

[3] – البوطي، محمد سعيد رمضان، المرجع السابق، ص10.

[4] – ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، الحبّ في القرآن ودور الحبّ في حياة الإنسان، ص11.

يقال: تحبب إليه، أي تودّد،[1] ويقال: تحبّب فلان، إذا أظهره، أي الحبّ، وهو يتحبب إلى الناس، ومحبّب إليهم، أي متحبّب إليهم،[2] وحَبَّ إذا تودّد، وأُوتي فلانٌ مَحابَّ القلوب، والتحابُّ: التوادُّ، ومنه الحديث: «تهادوا تحابوا»،[3] والاستحباب كالاستحسان.[4]

ثانيا: التحبب اصطلاحا:

الحبُّ هو شيءٌ معنويٌّ لا يمكن تعريفه تعريفا دقيقا كما نُعرّف الأشياء المحسوسة، مثله مثل الألم لا يمكننا إدراك حقيقته وماهيته، ومع ذلك اجتهد العلماء في استنباط تعريفٍ له من خلال الآثار التي تترتب عنه.

قال الجنيد[5]: "المحبة ميلُ القلوب. معناه: أن يميل قلبُه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلّف. وقال غيره: المحبة هي الموافقة، معناه: الطاعة له فيما أمر والانتهاء عما زجر، والرضا بما حكم وقدّر. قال محمد بن علي الكتاني: المحبة الإيثار للمحبوب. قال غيره: المحبة إثار ما تحب لمن تحب"[6].

---

[1]– ينظر: الحميري اليمني، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة01، 1420هـ – 1999م، الجزء03، ص1303.

[2] – ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء02، ص219.

[3] – الحديث أخرجه الإمام البخاري في "الأدب المفرد" عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ. ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة 01، 1419هـ – 1998م، باب قبول الهدية، ص306. وقد حسّنه الألباني. ينظر: صحيح الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة 04، 1418هـ – 1997م، ص221.

[4] – ينظر: الزبيدي، المرجع السابق، الجزء02، ص234.

[5] – هو أبو القاسم الجنيد بن محمّد بن الجنيد النّهاونديّ ثمّ البغداديّ، القواريريّ. شيخ الصّوفيّة، ولد سنة نيّف وعشرين ومائتين، وتفقّه على أبي ثور. وسمع من: السّريّ السّقطيّ، وصحبه، ومن الحسن بن عرفة. وصحب أيضا: الحارث المحاسبيّ. حدّث عنه: جعفر الخلديّ، وأبو محمّد الجريريّ، وأبو بكر الشّبليّ، ومحمّد بن عليّ بن حبيش، وعدّة. توفي سنة 297هـ، وقيل: 298هـ. من مصنفاته: "أمثال القرآن" و"الرسالة". ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء 14، ص66 وما بعدها.

[6] – الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق (ت: 380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ص109.

ويعرّف محمد سعيد رمضان البوطي الحب بقوله: "إنه التعلّق بالشيء على وجه الاستئناس بقربه والاستيحاش من بعده"[1].

غير أن هذا المفهوم الذي أورده البوطي – رحمه الله – ليس على إطلاقه؛ إذ قد ينصرف إلى حبّ الناس لبعضهم البعض، لكن هذا المعنى يستحيل في حقّ الله جلّ جلاله وتقدست أسماؤه، فلا يُنسب إليه الاستئناس ولا الاستيحاش التي هي من صفات المخلوقين – تعال الله عن ذلك عُلوا كبيراً –.

وقال بعضهم: هو "ميلٌ من بعد الإعجاب إلى الحسن"[2].

الفرع الثاني: مظاهر أسلوب التودد والتحبب في الخطاب القرآني

لقد وظف القرآن الكريم هذا الأسلوب المتميّز والرائع في مجالات متنوعة، وجعله دواء لانحرافات – عقدية وسلوكية واجتماعية – عديدة، والشواهد على ذلك في كتاب الله كثيرة، فهو البلسم الأنفع والسبيل الأجدر وهو الفاعل المؤثر في الإنسان، خاصة إنسان اليوم الذي وقع في أحضان المدنية الزائفة والمادية الزائلة[3].

وإن أغلب ألفاظ القرآن الكريم التي خوطب بها الناس جاءت بأساليب تتضمن تعابير المحبة واللّطف ومخاطبة مشاعر الإنسان وملامسة أحاسيسه، وأن الألفاظ التي تحوي الشدّة والغلظة والتي تدعو إلى الخشونة أو العنف، هي خلاف الأصل ولم تكن مقصودة– إلا نادرا –، ولها حالاتها الخاصة، كاليأس من المشركين والمعاندين الذين يحاربون الإسلام ويصدون الناس عن دين الله وشرعه، وكالمواطن التي تدعو إلى الدفاع عن الدين والنفس والعرض والمال، وبعد إصرار الكفار على قتال المسلمين، أو في حالات إقامة الحدود وتطبيق العقوبات الزاجرة والرادعة، مع العلم أن هذه التعابير الداعية لاستعمال الشدّة والغلظة في مواقف مخصوصة ومع فئات معدودة، كثيرا ما تكون مسبوقة أو ملحوقة بألفاظ الرحمة

---

[1] – البوطي، محمد رمضان، الحب في القرآن، ص18.

[2] – غازي بن محمد بن طلال، الحبّ في القرآن الكريم، ص22.

[3] – ينظر: الربيعي، عزام فرحان، الأسلوب العاطفي والوجداني في الخطاب القرآني، مجلة الباحث، العدد الثالث والثلاثون، 2019، ص353، بتصرف.

والتلطف والمحبة، وهذا من أجل تحقيق المقصد – الرئيس – من إنزال القرآن الكريم المتمثل في هداية الناس وليس تعذيبهم.[1]

أولاً: الآيات التي ورد التصريح فيها بحبّ الله ﷻ لفئات مخصوصة وبأوصاف معينة:

صرّح الله ﷻ في كتابه الكريم بحبه لثمانية أصناف من الناس[2]:

1. **المتطهرين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿222﴾﴾ [سورة البقرة: **222**].

2. **المتقين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿76﴾﴾ [سورة آل عمران: **76**].

3. **المحسنين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿134﴾﴾ [سورة آل عمران: **134**]. [سورة آل عمران: **148**]. [سورة المائدة: **13**]. [سورة المائدة: **93**].

4. **الصابرين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿146﴾﴾ [سورة آل عمران: **146**].

5. **المتوكلين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿159﴾﴾[سورة آل عمران: **159**].

6. **المقسطين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿42﴾﴾[سورة المائدة: **42**]. [الحجرات:**9**]. [الممتحنة: **8**].

7. **المطّهرين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿108﴾﴾ [سورة التوبة:**108**].

8. وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿4﴾﴾ [سورة الصف: **4**].

---

[1] – ينظر: الربيعي، عزام فرحان، الأسلوب العاطفي والوجداني في الخطاب القرآني، ص353 وما بعدها.

[2] – ينظر: غازي بن محمد بن طلال، الحبّ في القرآن الكريم، ص19.

إن هذه الآيات الكريمات تحمل ألفاظ الحبّ والمحبة، والتي تصدر من الله الودود ﷻ، تُلامس الوجدان والعواطف وتحرك المشاعر الجياشة، وتُرقق القلوب، فتؤثر في النفوس، فتدفعها دفعاً إلى فعل الطاعات وترك المنهيات. إن هذه الكلمات الدافئة تُدغدغ المشاعر والأحاسيس بسبب ما تحمله من تشويق وترغيب، وبالتالي تُؤثر في عواطف المخاطَبين. وفي الحديث الشريف، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن النبيّ ﷺ قال: "إنّ الله جميلٌ يحبّ الجمال"[1].

وفي المقابل يأتي التصريح بعدم حبّ الله ﷻ لأصناف مُعَينين من الناس اتصفوا وتلبسوا بأوصاف، أو أعمال لا يرتضيها الله سبحانه وتعالى لعباده:[2]

- **الكافرين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿32﴾﴾[سورة آل عمران: **32**].
- **المعتدين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿190﴾﴾[سورة البقرة: **190**].
- **كلّ كفار أثيم**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿276﴾﴾[سورة البقرة: **276**]
- **كلّ خوان كفور**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿38﴾﴾[سورة الحج: **38**].
- **كلّ مختال فخ**: ﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿36﴾﴾[سورة النساء: **36**].
- **الخوان الأثيم**: ﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿107﴾﴾[سورة النساء: **107**].
- **الخائنين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿58﴾﴾[سورة الأنفال: **58**].
- **المفسدين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿64﴾﴾[سورة المائدة: **64**].
- **المسرفين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿141﴾﴾[سورة الأنعام: **141**].
- **الفرحين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿76﴾﴾[سورة القصص: **76**].
- **الظالمين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿57﴾﴾[سورة آل عمران: **57**].
- **المستكبرين**: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿23﴾﴾[سورة النحل: **23**].

---

[1] – الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم: 91، الجزء01، ص93.

[2] – ينظر: غازي بن محمد بن طلال، الحبّ في القرآن الكريم، ص20.

- وقال الله جلّ وعلا: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿205﴾ ﴾ [سورة البقرة: **205**].
- وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [سورة النساء: **148**].

فبالرغم من تصريح القرآن الكريم أنّ الله ﷻ لا يحبّ هؤلاء الذين اتصفوا بتلك الصفات، فإنه لم يرِد في القرآن الكريم – ولو مرةً واحدةً – أن الله ﷻ يكره أحداً أو أيّ صنف من الناس، وإنما ورد بلفظ: "لا يُحِبُ" وهذا يدلّ – والعلم عند الله – أن عدم محبة الله ﷻ لهؤلاء ليس لذواتهم، وإنما لا يحبهم ما داموا متلبسين بتلك الخصال التي لا يرضا ها الله ﷻ لعباده.

هذا وقد ورد في كتاب الله تعالى تكريم الله ﷻ للإنسان بأشكال مختلفة، بدءا بخلقِه لآدم – عليه السلام – بيديه سبحانه ونفخِ الروحِ فيه، ثم أَمره ﷻ الملائكة بالسجود له – سجود تكريم وتبجيل – ثم تسخيره ﷻ لكثير من المكونات لخدمة هذا المخلوق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿29﴾ ﴾ [سورة الحجر: **29**].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿34﴾ ﴾ [سورة البقرة: **34**].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿35﴾ ﴾ [سورة البقرة: **35**].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿70﴾ ﴾ [سورة الإسراء: **70**].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿32﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿33﴾ ﴾ [سورة إبراهيم: **32 – 33**].

فلا شك أنّ هذا التكريم بأشكاله ومظاهره المتنوعة يدلّ على محبة الله ﷻ للإنسان حتى قبل أن تُفرض عليه التكاليف الشرعية[1].

ولكن لسائل أن يسأل: ما مصير هذا الحب الإلهي والذي كان من نتيجته ذلك التكريم الذي تقدّم ذكره آنفا، بمعنى آخر: هل تستمر هذه المحبة حتى بعد أن تكاثر هذا المخلوق (الإنسان)، وتداخلته المذاهب والأفكار وتفرقت به السبل؟

هذا ما أجاب عليه القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿31﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **31**]. ثم تأتي الآية التي تليها لتؤكد هذه الحقيقة، حيث يقول تعالى: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿32﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **32**].

إذن مصير هذا الحبّ متوقفٌ على مدى استجابة هذا المخلوق للغاية من وجوده على هذه البسيطة، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿56﴾ ﴾ [سورة الذاريات: **56**]. فالذين أطاعوا الله ﷻ فيما أمر، وانضبطوا بوصاياه التي خاطبهم بها واجتنبوا نواهيه التي حذرهم منها، ازدادت محبة الله لهم، وتطور ذلك التكريم إلى تكريم إضافي آخر نالُوه جزاءَ استجابتهم،[2] فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (... وما تقرّب إليَّ عبدي بشيءٍ أَحبَّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته: كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[3].

بينما الذين أعرضوا عن أوامر الله ونواهيه التي خُوطبوا بها، أولئك سيخسرون محبة الله، ويُعرّضون أنفسهم لعقابه ﷻ. وهذا ما يقرره القرآن الحكيم في مواطن متعددة، في مثل قوله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ

---

[1] – ينظر: البوطي، الحب في القرآن، ص24، بتصرف.

[2] – ينظر: البوطي، الحب في القرآن، ص23، بتصرف.

[3] – أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث: 6502، الجزء08، ص105.

مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَۖ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ ﴾ [سورة البقرة: **38 – 39**]. وقوله: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [سورة طه: **123 – 124**].

فالذي يُغذّي هذه المحبة ويُنميها هو الانقياد لأوامره ﷻ والثبات على صراطه المستقيم، وإنه لتغمر العبد السعادة وتملأ كيانه النشوة، وهو يقرأ ذلك البيان الإلهي الناطق بحب الله ﷻ له. يقرأه في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [سورة البقرة: **195**][1]. وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [سورة البقرة: **222**]. وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ ﴾ [سورة آل عمران: **76**].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ ﴾ [سورة الصف: **4**].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [سورة المائدة: **54**].

إنّ العبد المؤمن — وهو يقرأ هذه الآيات – يعيش في كنف الله ﷻ وحمايته، مُحاطاً بسياج من العواطف والمشاعر، مُستصحباً مهابة الله وجلاله ﷻ. بينما الذي يُعرِض عن ذكر الله ﷻ ويَسقُط في مزالق الشهوات وتهيمن عليه الرغائب الغريزية ويتبع الأهواء المنحرفة، فهذا يعيش معيشةً ضنكا ويحشره الله يوم القيامة أعمى.

وتُلخص هذه الآية الكريمة مصير الفئتين، قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ [سورة الشمس: **9 – 10**]. قال الطبري: "يقول: قد أفلح من زكّى اللهُ نفسَه، فكثّرَ

---

[1] – ينظر: البوطي، الحب في القرآن، ص25، بتصرف.

تطهيرَها من الكفر والمعاصي، وأصلحَها بالصالحات من الأعمال، ... وقد خاب في طِلبَته، فلم يُدرِك ما طلب...، يعني: مَن دَسَّسَ الله نفسَه فأحملها، ووضع منها، بخُذلانه إيَّاها عنِ الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ..."[1].

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام أن حقيقة حبّ الله ﷻ لعباده المؤمنين، وتفسيرها لا يكون إلاّ على مذهب السلف في الجمع بين الحقيقة والتنزيه، فهو ﷻ يحبّ عباده الصالحين كما قال دون تشبيه ولا تجسيد ولا تكييّف.

ثانياً: الآيات التي خاطب الله ﷻ فيها نبيّه ﷺ بأسلوب التودد والتلطف:

خصّ الله ﷻ رسوله ﷺ بخطاب متميّز يختلف تماما عمن سواه من الأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيُلاحظ أنه – سبحانه – قد خاطبه في مواضع من القرآن الكريم بالنبوة والرسالة[2]، وذلك في مثل قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ [سورة المائدة: **41**]. وقوله سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [سورة المائدة: **67**]. وقوله جلّ شأنه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ ﴾ [سورة الأحزاب: **01**]. فهذا خطاب تشريف وتعظيم وإشادة بمقامه، وتعليم للمؤمنين أن يتأدبوا معه ويخاطبوه بوصفه[3].

قال في "الكشاف": "جعل نداءَه بالنبيّ والرسول في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ

---

[1] – الطبري، جامع البيان، الجزء24، ص443 وما بعدها.

[2] – ينظر: [المائدة: 41، 67]، [الأنفال: 64،65، 70]، [التوبة: 73]، [الأحزاب: 1، 28، 45، 50، 59]، [الممتحنة: 12]، [الطلاق: 1]، [التحريم: 1، 9].

[3] – ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، الجزء21، ص229.

﴾، وترك نداءَه باسمه كما قال: (يا آدم. يا موسى، يا عيسى. يا داود): كرامةً له وتشريفاً، وربئاً بمحله وتنويهاً بفضله"[1].

ولم يخاطب الله ﷻ نبيّه باسمه – ولو مرة واحدة –كما خاطب إخوانه من الأنبياء والرسل – عليهم السلام –.[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [سورة البقرة: **35**]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [سورة هود: **48**]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿104﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [سورة الصافات: **105-104**. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿30﴾ ﴾ [سورة القصص: **30**]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المائدة: **116**]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ [سورة ص: **26**].

وهذا يدلّ على المنزلة العالية التي بوأها الله لرسوله والمودة الكريمة التي تشرف بها ﷺ عند ربه ﷻ، كما وصف الله ﷻ رحمةَ ولينَ نبيّه صلوات ربي وسلامه عليه، فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿159﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **159**]. ومدح الله تعالى رسوله ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾ [سورة القلم: **4**]. ثم يذكر سبب إرسال الرسول ﷺ فيقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿107﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: **107**].

---

[1] – الزمخشري، الكشاف، الجزء03، ص518.

[2] – ينظر: إبداح، عبد الرحمن سعود، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط)، 2016م، ص100.

وإن أرفع مقامات المحبة الخلّةُ لله ﷻ، وهذه الدرجة لم ينلها إلاّ عبدان من عباد الله ﷻ، إبراهيم – عليه السلام – ونبينا محمد ﷺ، فهما الخليلان. قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿125﴾﴾ [سورة النساء: **125**]. وفي الحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله (ابن مسعود رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا إنّي أبرأُ إلى كلّ خلٍّ من خِلّه. ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلاً. إنّ صاحبكم خليلُ الله"[1]. والخليل: معناه الحبيب الذي بلغت محبته الغاية.[2]

هذا وقد نتج عن حبّ الله ﷻ لرسوله الكريم، حبّ المؤمنين له ﷺ، حتى أن الله تعالى ذكره جعل حبّ الرسول ﷺ شرطاً لاكتمال إيمان العبد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: **6**]. أي أن حبه مقدّمٌ على الأهل والأولاد والعشيرة، بل حتى على النفوس. فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين"[3].

وعن عبد الله بن هشام قال: «كُنّا مع النبيّ ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطّاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحبّ إليّ من كلّ شيء إلّا من نفسي، فقال النّبيّ ﷺ: لا والّذي نفسي بيده، حتّى أكون أحبّ إليك من نفسك فقال له عمر: فإنّه الآن والله لأنت أحبّ إليّ من نفسي، فقال النّبيّ ﷺ: الآن يا عمر.»[4]

---

(1) – أخرجه الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، فضائل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –رقم: 2383، الجزء4، ص1856.

(2) – ينظر: العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، طبعة: 1426هـ، الجزء01، ص554.

(3) – البخاري، كتاب الإيمان، باب كيف كانت يمين النبيّ ﷺ، رقم: 6632، الجزء08، ص129.

(4) – البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان، رقم: 15، الجزء01، ص12.

ومن الشواهد أيضا الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النّار.»[1]

فهذه النصوص الواردة — من الكتاب والسنة – في حبّ رسول الله ﷺ لتُهيّج القلوب وتحرّك المشاعر والأحاسيس.

ثالثا: الآيات التي ورد فيها حبّ الإنسان لله ﷻ تصريحا أو ضمنا:

إنّ حبّ الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة تكون دافعا إيجابيا لهذا السلوك الحميد، كما قال جلّ شأنه: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿8﴾ ﴾ [سورة الشرح: 8][2]. ثم يُترجم هذا الحبّ إلى الطاعات والأعمال الفاضلة. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿96﴾ ﴾ [سورة مريم: 96].

فعند الطبري: "عن مجاهد، في قوله: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ قال: يُحبُّهم ويُحَبِّبهم إلى خلقه"[3]، بمعنى: سيغرسُ الله محبتهم في قلوب عباده الصالحين من غير تودُدٍ منهم، يُحبُهم الناس، ويتحابون فيما بينهم، ويحبهم الله تعالى ويرضى عنهم.[4] وعن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «إذا أحبّ الله عبدا نادى جبريلَ: إنّ الله يحبّ فلانا فأحبّه، فيحبّه جبريل، فينادي جبريلُ في أهل السّماء: إنّ الله يحبّ فلانا فأحبّوه، فيحبّه أهل السّماء، ثمّ يُوضع له القبول في أهل الأرض.»[5] وعن عمر بن الخطّاب — رضي الله عنه –، قال: قال النّبيّ ﷺ: «إنّ من عباد الله لأُناساً ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم

---

[1] – البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، الجزء09، ص20، رقم: 6941.

[2] – ينظر: غازي بن محمد بن طلال، الحبّ في القرآن الكريم، ص23.

[3] – الطبري، جامع البيان، الجزء15، ص643.

[4] – ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، الجزء16، ص170.

[5] – أخرجه الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب المقة من الله تعالى، رقم: 6040، الجزء08، ص14. قال ابن حجر: "المقة بكسر الميم وتخفيف القاف هي المحبة، وقد ومق يمق..". ينظر: العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء10، ص461.

الأنبياء والشّهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول الله، تُخبرنا من هم، قال: «هُم قومٌ تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنّ وجوههم لنور، وإنّهم على نور لا يخافون إذا خاف النّاس، ولا يحزنون إذا حزن النّاس» وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿62﴾﴾ [سورة يونس: 62].[1]

فيُلاحظ كيف جاء الحديثان موافقان للآية الكريمة في أن الله ﷻ يغرس المحبة في قلوب عباده الصالحين، من دون تودّدٍ منهم، ولا تعرّض للأسباب الموجبة لذلك، من صداقة أو قرابة أو غير ذلك. وكتاب الله تعالى حافلٌ بالآيات التي تبيّن حبّ المؤمنين لربهم جلّ وعلا، وهو الحبّ الذي يكون من الإنسان لله ﷻ، وينمو هذا الحبّ ويزداد كلّما أَقبلَ العبدُ على ربه واستجاب لأوامره وسمت روحهُ لبارئها ﷻ. قَالَ تَعَالَى:﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾[سورة البقرة: 165]. وقَالَ تَعَالَى:﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[سورة آل عمران: 31].

وقَالَ تَعَالَى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿54﴾﴾ [سورة المائدة: 54].

وقَالَ تَعَالَى:﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿7﴾﴾ [سورة الحجرات: 7][2].

---

[1] – أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرهن، الجزء3، ص288، رقم: 3527. قال المزّي: "أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجليّ، عن عمر [ابن الخطاب رضي الله عنه] – ولم يدركه". ينظر: المزّي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: 02، 1403هـ- 1983م، رقم: 10661، الجزء 08، ص117. وعليه فالحديث مرسل من هذا الطريق، لأن= =في إسناده انقطاعاً. وقد صححه الألباني. ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، "صحيح الترغيب والترهيب"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة:01، 1421هـ – 2000م، رقم: 30. الجزء 03، ص124.

[2] – ينظر: البوطي، الحب في القرآن، ص44.

فإذا ما تحققت محبة العبد لربه ﷻ وترسخت، فإن أعظم آثارها وأقدس ثمراتها، هي اتباع المحبّ لمحبوبه ﷻ، ويُترجم ذلك من خلال الاستجابة لأوامره والكفّ عما نهى عنه، وهو ما نصت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿31﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **31**]. فالاتباع هو ثمرة ونتيجة لذلك الحبّ.

ومن ثمرات محبة الإنسان لله ﷻ الشوق إلى لقائه، إذ من المحال أن يحب المرء شيئا ولا يحب لقاءه أو القرب منه،[1]ولا شك أن من كان هذا سبيلُه، لابد أن يبادلَه ربُّه حبَّه، "فعن عبادة بن الصّامت، عن النّبيّ ﷺ قال: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قالت عائشة أو بعضُ أزواجه: إنّا لنكره الموت، قال: ليس ذاك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت بُشّر برضوان الله وكرامته، فليس شيءٌ أحبَّ إليه ممّا أمامه، فأحبَّ لقاء الله وأحبَّ الله لقاءه"[2].

ومن سيّر الصالحين – رحمهم الله – عند لقاء الموت لَأعظمُ دليل على صدق ذلك الحب تُجاه معبودهم ﷻ. فهذا حذيفة رضي الله عنه يستأنس بالموت ويتهلل له عندما ظهر له دُنُو أجله، فقد كان يقول: "حبيبٌ جاءَ على فاقةٍ، لا أفلح من نَدم"[3].

رابعا: الآيات التي وردت في حبّ الإنسان لبني جنسه أو لغيره من الأشياء:

أخبر القرآن الكريم عن حبّ الإنسان للإنسان، وأنه طبيعةٌ مغروسةٌ فيه، لذلك لم يأت الأمر به أو الدعوة إليه، بل جاء الإخبار به والإشارة إلى تقويم هذه العاطفة إذا ما حادت عن الصواب وانحرفت. فلا ينبغي أن يجعل الإنسان حُبَّه لأي شيء مُزاحماً لمحبة الله ﷻ[4].

---

[1] – ينظر: البوطي، المرجع نفسه، ص55.

[2] – الحديث أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم: 6507، الجزء08، ص106، الطبعة السلطانية. ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، رقم: 2685، الجزء04، ص2066،

[3] – ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء02، ص368.

[4] – ينظر: البوطي، الحب في القرآن، ص69.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿14﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **14**]. وقال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿20﴾ ﴾ [سورة الفجر: **20**].

فالله ﷻ قد بيّن – في كتابه الكريم – أصولَ الشهوات البشرية، أي كلّ ما يطلبه الناس في حياتهم الدنيا من الملذّات، والتي لا تختلف باختلاف الأمم والعصور والأقطار،[1] فالإنسان إما يكون طالباً لشهوة الجنس، أو الولد، أو المال (بأنواعه). وهذه المشتهيات والملّذات قد جُبل الإنسان على حُبها، يقول محمد رشيد رضا[2] في تفسيره "المنار" عند تناوله لهذه الآية الكريمة: "...فالمراد أن الله – تعالى – أنشأ الناس على هذا وفَطرهم عليه."[3] أي: أن محبة الإنسان لهذه الأشياء طبيعة مغروسة في كيانه.

ثم قال الله تعالى في سياق آخر: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿24﴾ ﴾ [سورة التوبة: **24**].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [سورة البقرة: **165**].

يعقد القرآن – في هذه الآية الكريمة – موازنةً بين فريقين من الناس؛ الأول: من جعلوا حُبّ أوثانهم مماثلةً لحبّ الله تعالى، والثاني: من جعلوا حبّ الله ﷻ في أعلى المراتب بحيث لا يُدانيه شيء.

---

(1) – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء03، ص181.

(2) – محمد رشيد بن علي رضا، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، لازم الشيخ محمد عبده، من أشهر آثاره: تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار –ولم يُكمله– توفي عام 1935م. ينظر: الزركلي، الأعلام، الجزء06، ص126.

(3) – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء03، ص197.

كما تُرغِب الآيةُ بمضمونها الإنسان في أن يُوثِق العلاقةَ التي بينه وبين الله ليكون الحبُّ متبادلاً بين العبد وربه ﷻ.

فكلمة (أندادا): جمعُ نِدّ، والنِدُّ: العدلُ والمثلُ.[1]فيشمل كلّ ما يُتخذُ مكافئا لله في الحبّ له، من الناس أو من غيرهم.[2]ففي هاتين الآيتين يُحذِّر المولى تبارك وتعالى عباده من أن يذهب بهم حبّ تلك الأشياء على اختلافها، مذهبا يصل إلى حدّ مزاحمة هذه الأغيار حبّ الله تعالى.

فمن خلال هذه النصوص التي تم عرضها يُلاحظ وجود حقيقتين قد قررهما القرآن الكريم:

الأولى: حقيقة قضاء الله ﷻ في العباد، بحيث طَبَعَ نُفوس عباده على حبّ كثير من الأغيار: النساء والبنين وأفراد العشيرة والأموال والأملاك.

الثانية: وفي المقابل نجد تحذيرا شديدا من أن يُجاوز هذا الحبّ حدودَه، بحيث يصل درجة حبِّ المرء لربه ﷻ.[3]

الملاحظ أن هناك حقيقتين ظاهرهما التعارض، فكيف يمكن التوفيق بين القرار الذي يقضي بمحبة الإنسان لهذه الأشياء، وأنه طبيعة مغروسة في النفوس، وبين التحذير من محبتها؟ بعبارة أخرى: كيف السبيل إلى أن يُصبح الإنسان داخلاً ضمن من قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة: **165**]، وقد جُبل على حبّ أنواع الملذات؟

إذا أَنعمنا النظر في الآيتين السابقتين من: [سورة البقرة: **165**]، و[سورة التوبة: **24**]، يتبيّن أن الله ﷻ لم يطلب من عباده أن تكون محبتهم لله وحده، دون سواه من محبة الأشياء التي جُبلوا على حبها، وإنما الذي طولبوا به هو ألاّ تتعدى محبتهم لهذه الأشياء حبهم لله، وأن يكون حبهم له ﷻ أشدّ

---

[1] – ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء01، ص390.

[2] – ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء02، ص203، بتصرف.

[3] – ينظر: البوطي، الحب في القرآن، ص71، بتصرف.

وأسمى، وكيف يطالبهم باجتثاث حب الأهل والزوجة والأولاد ومتاع الدنيا من قلوبهم، وهو ﷻ الذي غرس فيهم ذلك الحبّ في قلوبهم؟

فلقد غرس الفاطر الحكيم ﷻ حبّ التزاوج في الناس، وجعل كُلاًّ من الرجل والمرأة لباسا للآخر، كما فطرهم على حب المال والتملك وتحيز المشتهيات – بأنواعها – ثم أيقظ فيهم غريزة الأنانية والذاتية، حتى يدافع (الإنسان) بذلك عن نفسه وحقه ضدّ كلّ ما يُهدد وجودَه، كلّ هذا لتكون هذه الأشياء وسائط ووسائل يستخدمها للوظيفة المقدسة التي أوكلها الله له، وهي عمارته للأرض واستخلافه فيها[1].

وحبّ الإنسان لغيره له أشكالٌ وصورٌ متعددةٌ، منها المحمود المرغَّب فيه، والمذموم المنهي عنه، إلاّ أن أعلاه مرتبة وأشرفه منزلة هو: حبّ المؤمن للرسول ﷺ، ويليه حبّه للأشياء المقدسة التي تُقربه من الله ﷻ، كحبه للقرآن الكريم، وللأماكن المقدسة، وحبّ أنبياء الله ورسله، وحبه للصالحين من عباد الله تعالى، ثم يليهم الحبّ الجِبِلّي، شريطة أن يكون منضبطاً بأحكام الشرع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الروم: **21**].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [سورة الأعراف: **189**].

إن هذه الآيات الكريمة تحمل في طياتها إشارة إلى المحبة والمودة التي تكون بين الزوج وزوجه، التي ينتج عنها: الأُنس النفسي المؤدي إلى الإلف والسكن والتراحم والتواد والتعاون على الشدائد، وهذه هي الغاية من تكوين الأسرة. فالمودة والرحمة هما مِنةٌ من الله ﷻ يغرسها في قلوب الزوجين اللّذين يُقبلان على تكوين أُسرة دونَ سابق معرفةٍ بينهما، فنلاحظ أن الله تعالى قدَّم المودّة على الرحمة، لأن المودة

---

[1] – ينظر: البوطي، المرجع نفسه، ص76.

تجلِبُ الرحمةَ، فإذا وُجدت المودة، كانت الرحمة والشفقة.[1]ولقد أشارت هاتين الآيتين إلى ثمرتين عظيمتين يحصل عليهما الزوجان من خلال المحبة التي يغرسها الله ﷻ في قلوبهما، وهما: السكن، ثم المودة والرحمة. فبفضلهما تسعدُ الأسرةُ.

خامسا: الأنبياء والرسل – عليهم السلام – ومواقف التحبب والتودد تجاه أبنائهم وأهليهم:

إنّ الناظر في قَصص أنبياء الله ورسله – عليهم السلام – وكيف كانت مواقفهم مع آبائهم وأبنائهم وأهليهم، يجدها مليئةً بالعواطف الجياشة، حتى مع الذين خالفوهم في الدين. فقد كانت عاطفةُ الأبوة والشفقة تُجاه أبنائهم أو أهليهم حاضرةً في كلّ المواقف التي مرت بهم، ولا شك أن سلوكاً كهذا سيساعد في تَقبُل الشريعة التي كانوا يدعون الناس إليها.

أ. دعوة إبراهيم – عليه السلام – لأبيه آزر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿45﴾ ﴾ [سورة مريم: **42 – 45**]. إلى أن قال: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿47﴾ ﴾ [سورة مريم: **47**].

إن من أعظم الأمثلة التي ضربها القرآن الكريم في بيان أسلوب التحبب والتودد بين ذوي الأرحام، ذلك الحوار الذي دار بين إبراهيم الخليل – عليه السلام – وأبيه المشرك، حيث بدأ خطابه وهو يتحبب إلى أبيه بقوله: (يا أبت)، إنها كلمةٌ صادقةٌ ملؤُها التودد والتلطف والتحبب والشفقة، تصدُر من ابن يريدُ الخير لأبيه ويخشى عليه عذاب الله ﷻ. لقد ظهرت وداعةُ إبراهيم – عليه السلام – وحِلمه في تعبيراته وألفاظه التي استعملها لإقناع أبيه المشرك.

---

[1] – ينظر: رمضان، وليد ربيع، حوار الآباء مع أبنائهم في القرآن الكريم، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 26، الجزء الثاني، 2020م، ص104 وما بعدها، بتصرف.

قال الزمخشري: "انظر حين أراد أن ينصحَ أباه ويعظَه فيما كان مُتورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع ... كيف رتَّبَ الكلام معه في أحسن اتساقٍ، وساقه أرشقَ مساقٍ، مع استعمال المجاملة واللُطف والرِفق واللِّين والأدب الجميل والخُلق الحسن، مُنتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عزّ وعلا، ثم ثنَّى بدعوته إلى الحق مُترفِقاً به مُتلطِفاً، فلم يُسمِّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسَه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك..."[1]

وفي "التحرير والتنوير" يقول ابن عاشور: " علمَ إبراهيم أن في طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير كيفما بلغ حالُه في الحذق وبخاصة الآباء مع أبنائهم، فتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماءً إلى أنه مُخلصٌ له النصيحة"[2].

ب. قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل[3] عليهما السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ [سورة الصافات: **102**].

بهذه العبارة (يا بنيّ) التي تفيض بمشاعر الحبّ والشفقة يعرض الخليل – عليه السلام – على ابنه الوحيد رؤياه في المنام والتي يأمره فيها ربه ﷻ أن يذبح ابنه: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ

---

[1] – الزمخشري، الكشاف، الجزء03، ص19.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء16، ص113.

[3] – اختلف علماء السلف في الذبيح؛ فذهب جماعةٌ منهم إلى أنه إسحاق، نُقل ذلك عن بعض الصحابة منهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، واختاره ابن جرير الطبري، وذهبت طائفة ثانية إلى القول: إن الذبيح هو إسماعيل، قاله ابن عمر، وهو أحد القولين عن ابن عباس، وعبد الله بن سلام، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومجاهد، وغيرهم، واختاره ابن كثير. ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء 19، ص578. وتفسير ابن كثير، الجزء07، ص27. ينظر أيضا: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة 01، 1422هـ، الجزء03، ص547.

﴾، ليأتي الردّ – المباشر ومن دون تردد – من الابن البارّ الذي استسلم لأمر الله ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ إِفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿102﴾ ﴾.

ت– قصة نوح عليه السلام مع ابنه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿42﴾ ﴾ [سورة هود: **42**].

في هذه اللحظة تحركت عاطفة الأبوة الفطرية في نفس نوح – عليه السلام – والفطرة السليمة تتحرك فيها العواطف الإنسانية،[1] فنادى على ابنه خشية الغرق: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ قال الطاهر بن عاشور: "(بني) تصغير (ابن) مضافا إلى ياء المتكلّم. وتصغيره هنا تصغير شفقة بحيث يجعل كالصغير في كونه محلّ الرحمة والشفقة"[2]. فهذه الكلمة تُظهر للابن مشاعر الرحمة الكاملة والشفقة الصادقة.

ثم تتحرك عاطفة الأبوة – من جديد – ومعها الحنان والشفقة على الابن، ويدعو نوح ربه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿45﴾ ﴾ [سورة هود: **45**].

فهذه القصة التي ذكرها القرآن الكريم قد صورت لنا قصة نبيّ الله نوح – عليه السلام –، الأب المشفق الرحيم بولده، بأسلوب تربوي فريد، ألا وهو أسلوب التودد والتحبب والتلطف مع الآخر.

وهنا وقبل أن ننتقل إلى قصة أخرى من قصص الأنبياء – عليهم السلام – مع أهليهم، لنا وقفة عند قصة نوح وإبراهيم – عليهما السلام – مع ابنيهما.

فنوح وإبراهيم – عليهما وعلى نبيّنا الصلاة والسلام – نبيان كريمان من أولي العزم من الرسل، وكلاهما نادى ابنيهما بكلمة: (يا بنيّ) أحدهما ناداه للحياة فأبى، والثاني ناداه للموت فأطاع.

---

[1] – ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت)، الجزء07، ص3711.

[2] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء12، ص76.

إن هذه الكلمة مع ما فيها من التحبب والتلطف والتودد، والتي من شأنها أن تؤثر في النفوس وتلامس القلوب –السليمة –، قد وظفها الرسولان – عليهما السلام – في دعوة أحبّ الناس إليهما، ولكن النتيجة كانت مختلفة كما رأينا.

إنّ هاذين الموقفين المتناقضين راجعان: لليقين المطلق والإيمان بالله تعالى الذي لامس شغاف قلب إسماعيل والذي نتج عنه التسليم والرضى عما صدر عن الله ﷻ. قابله كفر ونكران ابن نوح – عليه السلام – حين دعاه والده ليكون مع الناجين من العذاب.

ث– قصة موسى مع أخيه هارون عليهما السلام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ ﴾ [سورة الأعراف: **150 – 151**].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤ ﴾ [سورة طه: **92 – 93- 94**].

تُبيّن هذه الآيات قصة نبيّ الله موسى مع أخيه هارون – عليهما السلام – بعدما رجع إلى قومه من بني إسرائيل غضبانا، ووجدهم عاكفين على عبادة العجل؛ فتُظهر هذه الآيات كيف استجاش هارون – عليه السلام – في نفس أخيه عاطفة الأخوة الرحيمة، ليُهدّأ من غضبه، ويستطيع أن يبيّن له حقيقة ما حدث، وأنه لم يتوَانَ في إرشاد القوم ونصيحتهم. ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

يستجيش وجدان الأخوة الناصرة والمعينة، في وجود الأعداء الذين يتربصون به، ويستغلون الفرص للشماتة به، ويؤكد لأخيه أنه لم يتبعهم في ضلالهم ولم يسلك سبيلهم.[1]

عندئذ ذهب الغضب عن موسى – عليه السلام – وتوجه بطلب المغفرة والرحمة له ولأخيه، وهذا يدلّ أنه قد قبل عذر أخيه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ ﴾.

ج– قصة لقمان الحكيم مع ابنه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ ... ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ 16 ﴾... ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾[سورة لقمان: **13 – 16 – 17**].

يقدّم لقمان – الحكيم – هذه المواعظ البليغة والنصائح المفيدة لابنه، وهي صورة مؤثرة تبيّن علاقة الوالد بولده في أسلوب رقيق تغمره عاطفة الأبوة.

وإن تكرار لقمان الحكيم كلمة (يا بني)، لتحمل في طياتها معاني الرحمة والرفق والحبّ الذي بواسطتها يمكن للأب أن يُقنع ابنه فيما يريد أن يوصله إليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَۖ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [سورة لقمان: **14**].

يقول سيد قطب: "وفي ظلّ نصيحة الأب لابنه يعرض للعلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق؛ ويُصور هذه العلاقة صورةً موحيةً فيها انعطافٌ ورقةٌ... وتوصيةُ الولدِ بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم... ولم ترِد توصيةُ الوالدين بالولد إلاّ قليلاً، ومُعظمها في حالة الوَأْد – وهي حالةٌ خاصةٌ في ظروفٍ خاصةٍ – ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه. فالفطرة مدفوعةٌ إلى رعاية

---

[1] – ينظر: الباز، أنور، التفسير التربوي للقرآن الكريم، ص506.

الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة، كما يُريدها الله، وإنّ الوالدين ليبذُلان لولديهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كلّ ما يملكان من عزيزٍ وغالٍ، في غير تأففٍ ولا شكوى، بل في غير انتباهٍ ولا شعورٍ بما يبذلان ...فأما الوليدُ فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر...بعدما سكَبَ عُصارةَ عُمُره وروحَه وأعصابَه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿14﴾ ﴾ ترسم هذه الصورة هذا البذل النَبيل الذي تجُود به الأم في انعطاف أَشدّ وأعمق وأحنى وأرفق[1].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يجزي ولدٌ والداً، إلّا أن يجدَهُ مملوكاً فيشتريه فيُعتِقَه"[2]. وعن أبي بردة؛ أنّه شهد ابن عمر، ورجل يماني يطوف بالبيت – حمل أمّه وراء ظهره – يقول: إنّي لها بعيرها المذلّل ... ... إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثمّ قال: يا ابن عر! أتراني جزيتها؟ قال: لا. ولا بزفرة واحدة، واحدة[3].

لقد كان منطلق الأنبياء والرسل – صلوات ربي وسلامه عليهم – في نشر رسالاتهم؛ دعوةَ أهليهم إلى الخير، وتقديمَ النصح لهم، والإشفاقَ عليهم من عواقب الإعراض عن الله ﷻ، فكانوا يوظفون – إلى جانب الأسلوب العقلي – الأسلوب الوجداني الذي يُؤثر في النفوس وينفذ إلى القلوب بيُسر، وقد تجلّى ذلك في تلك اللّمسات الوجدانية والعاطفية التي كانت تَصدر من قلوبهم قبل أن تتلفظَها ألسنتُهم، والتي تحمل مشاعر الحبّ تجاه أقرب الناس إليهم.

---

(1) – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2788.

(2) – أخرجه الإمام مسلم، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، رقم: 1510، الجزء02، ص1148.

(3) – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب جزاء الوالدين، ص08. وقد صحح الألباني هذا الحديث. ينظر: الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص36.

المبحث الثالث: أسلوب القدوة الحسنة في الخطاب القرآني

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القدوة الحسنة، أهميتها ومواردها في القرآن الكريم

المطلب الثاني: أسلوب الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام

المطلب الثالث: أسلوب الاقتداء بالأولياء والصالحين:

تمهيد:

يعتبر أسلوب التعريف بالقدوات الحسنة من أهم الأساليب التي وظفها القرآن الكريم في خطابه، بسبب ما لهذا الأسلوب من دور مُهم في حياة الناس ودعوتهم إلى الرجوع إلى صراط الله المستقيم، كما أنه دافعٌ قويٌّ نحو التغيير، وعنصرٌ مهمٌ في تربية الأجيال، وإصلاحهم وصقلهم وتأهيلهم لتحمل التكاليف التي أرادها الله منهم. والإسلام الحنيف هو دين القُدوات، وأصحابِ الهِمم العاليات، فقد قصّ القرآن الكريم أخبار رُسُله وأنبيائه باعتبارهم نماذج بشرية راقية،[1] وجعلهم منارات يقتدي بها الناس عبر الأزمنة، لذلك فقد أمر الله عز وجل خيرَ خلقه وخاتمَ أنبيائه بالاقتداء بهم – عليهم وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم – فقال: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿90﴾ ﴾ [سورة الأنعام: **90**]. ذلك أن الله تعالى قد اختص هؤلاء الصفوة بمقوماتٍ وأُسُسٍ جعلتهم خير ما يُقتدى به. كما وَجَّه الله تعالى عبادَه المؤمنين وأَمَرهُم بالاقتداء برسولهم ﷺ، فقال عزّ من قائل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: **21**].

ولم يقتصر القرآن الكريم على ذكر القدوات الحسنة من فئة الأنبياء ومن سار على هَديهم من الصالحين، بل تعدى ذلك، فقصَّ علينا القرآن الكريم نماذجَ حيّة لدُعاةٍ إلى الخير من غير جنس البشر، كمؤمني الجنّ[2]، والنملة والهدهد في قصة نبيّ الله سليمان – عليه السلام –[3]؛ وذلك حتى يُبيّن أن الدعوة إلى الخير من سُنن الله تعالى الكونية في كلّ الكائنات الحية مهما كان جنسها.

---

[1] – ينظر: البويسفي، محمد، القدوة الحسنة في القرآن الكريم: المفهوم والمقومات والمنهج، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، العدد 01 جوان 2019، ص53.

[2] – ينظر: [سورة الجن: 01 وما بعدها].

[3] – ينظر: [سورة النمل: 18، 20 – 28].

وقبل البدء في عرض القُدوات الحسنة – يحسن بنا أن نُقدّم بين يدي هذا المبحث مدخلاً مفاهيمياً، نتطرق من خلاله إلى تعريف القدوة الحسنة – في اللّغة والاصطلاح – وأهميتها، وكذا مواردها في السياق القرآني.

المطلب الأول: مفهوم القدوة الحسنة، أهميتها ومواردها في القرآن الكريم

الفرع الأول: تعريف القدوة لغة واصطلاحا:

أولاً. القُدوة لغة: قال ابن فارس: " (قَدْو) القاف والدال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على اقتباسٍ بالشيء واهتداءٍ، ومُقادرةٍ في الشيء حتى يأتي به مُساوياً لغيره. من ذلك قولهم: هذا قَدَى رُمحٍ، أي قيسه، وفلان قُدوة: يُقتدى به. ويقولون: إن القَدْوَ: الأصل الذي يتشعب منه الفروع"[1].

والقُدوة: الإسوة يقال: فلان قُدوة (يُقتدى) به وقد يُضم، فيقال: لي بك (قُدوة) و(قِدوة) و(قِدة).[2]

ويرى صاحب "لسان العرب" أن: " القُدوة والقِدوة: ما تسنَنت به، قُلِبت الواو فيه ياءً للكسرة القريبة منه وضعف الحاجز. والقِدى: جمعُ قُدوة، يُكتب بالياء. والقِدة: كالقُدوة. يقال: لي بكَ قدوة وقِدوة وقِدة، ... والقدوة: الأسوة. يقال: فلان قُدوة يُقتدى به".[3]

وكخلاصة لما تقدم ذكره في معنى القدوة في معاجم أئمة اللّغة، فإنها تأتي بمعنى: التأسي والتسنُن والمتابعة. وأما تعريفها عند أئمة التفسير فنتعرف عليه من خلال الفقرة الموالية.

---

[1] – ابن فارس، مقاييس اللغة، الجزء05، ص66.

[2] – الرازي، مختار الصحاح، ص249.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، الجزء15، ص171.

ثانياً. تعريف القدوة اصطلاحا: قال ابن جرير: "ومعنى الاقتداء – في كلام العرب – بالرجل: اتباعُ أثره والأخذُ بهديه، يقال: فلان يقدو فلاناً، إذا نحا نحوه واتبع أثره"[1].

بينما يرى صاحب "مفردات غريب القرآن" أن الأُسوة والقُدوة بمعنى، "وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن ساراً وإن ضاراً.."[(2)].

الملاحظ من تعريف الراغب الأصفهاني أن القُدوة إذا أُطلقت فقد يُراد بها المعنى الإيجابي كما قد يراد بها المعنى السلبي، ولذلك جاءت "الأُسوة" مقيّدةً بالحسن في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: **21**]. لتُخرج الأسوة السيّئة، فقد يكون الشخص أُسوةً حسنةً أو أُسوةً سيّئةً، وفي الحديث – الطويل – الذي يرويه المنذر بن جرير، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ قال: "من سَنَّ في الإسلام سُنّةً حسنةً، فله أجرُها، وأجرُ مَن عمِلَ بها بعدَه، مِن غير أن ينقُص من أُجورهم شيءٌ، ومَن سنَّ في الإسلام سُنّةً سيّئةً، كان عليه وِزرها ووِزر مَن عَمِل بها مِن بعدِه، مِن غير أن ينقُص من أوزارهم شيءٌ"[(3)].

وأما صاحب "المحرر الوجيز" فيرى أن الاقتداء يكون في الأقوال والأفعال، كما يكون في السلوك والأخلاق: فقال: "هو اتباعُ الأثرِ في القول والفعل والسيرة"[(4)].

---

(1) – الطبري، جامع البيان، الجزء 09، ص392.

(2) – الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص76.

(3) – أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيّبة وأنها حجاب من النار، تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد، رقم: 1017، الجزء02، ص704.

(4) – ابن عطية، المحرر الوجيز، الجزء2، ص318.

وقد ذهب صاحب "الأضواء" إلى القول: إنّ "الأُسوة كالقُدوة، وهي اتّباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنةً أو قبيحةً"[1].

إلاّ أنّه بعد التدقيق في كلتا اللّفظتين يُلاحظ بعض الفروق والتي يمكن حصرها في العناصر الآتية:

- التأسيّ أشدّ في بابه من الاقتداء.
- التأسي يجعلُ معنى الالتزام من الغير بشكل أقوى، ولذلك فإذا جاءت مع النبيّ ﷺ باعتباره أفضل الأنبياء والمرسلين. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: **21**].
- أما القدوة فقد وردت مع غيره من الأنبياء والصالحين والصحابة وغيرهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿90﴾ ﴾ [سورة الأنعام:**90**]. وقال الرسول ﷺ: "اقتدوا باللَّذَين من بعدي أبي بكر وعمر". [2]

فالقدوة هو النموذج والمثل الذي يُحتذى به، والمقتدي هو الشخص الذي يتبع ويطلب موافقة فعله لفعل القدوة، فالقدوة تتجه من أعلى إلى أسفل، والاقتداء يتجه من أسفل إلى أعلى.[3]

---

[1] – الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415هـ – 1995م، الجزء08، ص85.

[2] – الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن حذيفة – رضي الله عنه – برقم: (23245)، وابن ماجه برقم: (97)، وابن حبان برقم: (6902). والترمذي برقم: (3662). قال الترمذي: هذا حديث حسن، أَبوَابُ المَنَاقِبِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، الجزء 06، ص 50. وقد صححه الألباني بمجموع طرقه وشواهده. ينظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم: 1233 الجزء03، ص235.

[3] – ينظر: البويسفي، القدوة الحسنة في القرآن الكريم، ص63.

"إنّ القدوة هي ذلك التأثير الغامض الخفيّ الذي يمثله أفعال وأقوال ومواقف المثال الحيّ المرتقي في درجات الكمال، مما يثير في نفس الآخرين الإعجاب والمحبة التي تهيج معها دوافع الغيرة والتنافس المحمودة، ويتولد لديهم حوافز قوية تحفزهم؛ لأن يعملوا مثله، وقد يكون ذلك دون توجيه مباشر"[1].

الفرع الثاني: أهمية القدوة الحسنة:

لقد شغل موضوع القدوة الحسنة اهتمام الناس – قديماً وحديثاً –؛ بسبب موقع القدوات في نُفوس البشر؛ فالناس دائماً بحاجة إلى نماذجَ واقعيةٍ، ومُثلٍ عُليا يقتدون بها ويستعينون بها في تحسين حياتهم وتقويم سُلوكاتهم، وتكوينهم تكويناً تربوياً سليماً، حتى أضحت من الضرورات الفطرية للبشر، يستضيءُ الحاضرون بتجارب السابقين، وقد صار يُعرف هذا المفهوم في أيامنا هذه بـ "التربية بالنموذج"، فالناس يتطلعون دوماً نحو الكمال، ذلك أن "وجودَ فطرة حُبّ الكمال في الناس أَثمَرَ الحاجةَ إلى النموذج وإلى القدوة؛ لأن القدوة حالةٌ مثاليةٌ تعبّر عن الكمال، وهي من هذا الجانب تُحاكي الفطرة الإنسانية"[2].

يقول الميداني: "ولما كانت القدوة الحسنة طريقا من طُرق اكتساب أنواع الفضائل والكمالات السلوكية في الواقع الإنساني، كان من شأن الإسلام أن يتخذها وسيلةً من وسائله، لترقية المجتمعات المسلمة في سُلَّم الكمال السُلوكي"[3]. ولا تُحقق القدوةُ والأسوةُ الحسنة غرضها الأساس وهدفها النبيل حتى تُصدّق الأفعالُ الأقوالَ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [سورة الصف: **2 – 3**]. وقد نُقل عن سلف الأمة أنهم

---

[1] – الرويشد، أسماء بنت راشد، القدوة، دار الوطن للنشر، (د، ط)، (د، ت)، ص7.

[2]– عماد الدين الرشيد، الأسوة الحسنة في القرآن الكريم وتطبيقها في السيرة النبوية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد الأول، 2010م، ص419.

[3] – الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الحضارة الإسلامية: أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم، دمشق، الطبعة01، 1418هـ – 1998م، ص82.

كانوا يدعون الناس إلى الخير بسلوكاتهم وأفعالهم قبل أقوالهم، حيث "إن التأثير بالأفعال والأحوال أبلغُ وأَشدُّ من التأثير بالكلام وحده، وقد قيل شاهد الحال أقوى من شاهد المقال"[1].

ومما لا شك فيه أن خير قُدوة – للناس أجمعين – هو رسولنا ﷺ لما حباه الله به من مقومات وصفات الكمال البشري، فقال عز وجل واصفا خلقه الكريم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾ [سورة القلم: **04**]. وقال في موضع آخر مزكياً دعوته الشريفة: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿52﴾ ﴾ [سورة الشورى: **52**].

ويرى الميداني أن تأثير القُدوات في حياة الناس وتقويم سلوكهم يرجع إلى عدّة أسباب، أهمها:

- أنّ في فطرة الإنسان ميلاً قوياً للمحاكاة والتقليد.
- أنّ المثال الحيّ الذي يتحلّى بجملةٍ من الفضائل السلوكية يعطي غيره قناعة بأن بلوغها من الأمور التي في متناول القدرات الإنسانية.
- إنّ المثال الحيّ المرتقي في درجات الكمال السلوكي يُثير في الأنفس الاستحسان والإعجاب، ومع هذين الأمرين تتهيّج دوافع الغيرة فيها، وعند ذلك يحاول الإنسان الخيّر تقليد ما استحسنه وأعجب به.[2]

قال صاحب كتاب "أصول التربية الإسلامية" في معرض حديثه عن الأسس النفسية لاتخاذ القدوة: "إنّ حاجة الناس إلى القدوة نابعةٌ من غريزةٍ تكمن في نفوس البشر أجمع هي التقليد، وهي رغبةٌ ملحةٌ تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل، والقويّ، والرئيس، كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفراده اتباع قائدِه واقتفاء أثره"[3].

---

[1] – الرويشد، أسماء بنت راشد، القدوة، ص05.

[2] – الميداني، الحضارة الإسلامية: أسسها ووسائلها، ص84.

[3] – النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص207.

فمن خلال هذا النصّ يتبين أنّ ظاهرة الاقتداء هي غريزةٌ مغروسةٌ في نُفوس البشر تظهر متى توفرت شروطُها. "فالقدوة هي ذلك التأثير الخفيّ الذي يمثله أفعال وأقوال ومواقف المثال الحيّ المرتقي في درجات الكمال، مما يثيرُ في نفس الآخرين الإعجاب والمحبة التي تُهيّج معها دوافع الغِيرة والتنافس المحمودة، ويتولد لديهم حوافز قوية تحفزهم لأن يعملوا مثلَه، وقد يكون ذلك دون توجيه مباشر"[1].

فمما سبق ذكره يمكن استخلاص: أنّ أسلوب القدوة الحسنة هو أسلوبٌ شاملٌ، يصدر عن كلّ نموذج إنسانيّ حيّ عاش مُطبّقا المنهجَ الربانيّ الذي جاء به القرآن الكريم، سواء صدر من نبيّ مرسل، أو عن غيرهم ممن تبعهم من الصحابة ومن اقتفى نهجهم من الصالحين.

الفرع الثالث: موارد القدوة في القرآن الكريم:

لم يرد ذكر لفظة القدوة – في القرآن الكريم – إلاّ في موضعين اثنين،[2]بمعنيين وبصيغتين مختلفتين، لكن المتتبع لآيات الذكر الحكيم يقف على نظائر لهذه المفردة جميعها يدور حول معنى القدوة، وهي:

أولاً. القدوة: وردت هذه الكلمة في موضعين –كما سبق ذكره –:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [سورة الأنعام: **90**].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾ [سورة الزخرف: **23**].

يُلاحظ أن الكلمة الأولى وردت في سياق المدح، حيث مدح الله تعالى أنبياءه ورسله السابقين، ومن سار على هديهم من الصالحين، ثم أمر رسوله محمدا ﷺ بالاقتداء بهم والسير على منهاجهم،[3]

---

[1] – الرويشد، أسماء بنت راشد، القدوة، ص7.

[2] – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص539.

[3] – ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، الجزء02، ص318.

بينما جاءت الثانية في سياق ذمّ التّقليد، والرّجوع إلى قول الآباء من غير حجّة[1]. قال السعدي: " وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل"[2].

إذن: فمصطلح القُدوة يرد في الاتجاه الإيجابي، كما يرد في الاتجاه السلبي.

ثانياً. الإسوة: بكسر الهمزة وضمها لغتان[3]، وهي أقربها للفظة القدوة وتكاد تكون مرادفةً لها. وقد وردت في ثلاثة مواضع: واحدة في سورة الأحزاب، واثنتين في سورة الممتحنة.[4]

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: **21**].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [سورة الممتحنة: **04**].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [سورة الممتحنة: **06**].

بالنظر إلى المواضع التي وردت فيها لفظة الأسوة يظهر أن ورودها كان دائما في الاتجاه الإيجابي، أي في سياق المدح لا الذم، بدليل اقترانها بصفة الحسن.

ثالثاً. الإمام: وردت هذه اللّفظة – والتي من معانيها القُدوة – في مواضع عديدة من القرآن الكريم[5]، قال الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿24﴾ ﴾ [سورة السجدة: **24**]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمةً، وهي جمعُ إمام،

---

(1) – ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، الجزء05، ص98.

(2) – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص764.

(3) – ينظر: الفيومي، المصباح المنير، الجزء01، ص15.

(4) – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص34.

(5) – ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص80 وما بعدها.

والإمامُ الذي يُؤتم به في خير أو شر، وأُريد بذلك في هذا الموضع أنه جَعل منهم قادةً في الخير، يُؤتم بهم، ويُهتدى بهديهم"[1].

[1] – الطبري، جامع البيان، الجزء18، ص637.

المطلب الثاني: أسلوب الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام

ذكر الله تعالى في سورة الأنعام ثمانية عشر نبيّاً ورسولاً – عليهم وعلى نبيّنا الصلاة والسلام –، ثم ختم ذلك بأمره ﷻ لرسوله ﷺ باتباع هديهم واقتفاء سُننهم، فقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿83﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿84﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿85﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿86﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿87﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿88﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۖ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿89﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿90﴾ ﴾ [سورة الأنعام: **83 – 90**].

الفرع الأول: جوانب القدوة الحسنة في شخصية محمد ﷺ:

لقد اصطفى المولى تبارك وتعالى نبيّه محمداً ﷺ واختاره ليكون خير قُدوة يَقتدي به من يطمح إلى بلوغ الكمال الإنساني في العبادات والأخلاق والمعاملات، لأنه ﷺ أفضلُ مثالٍ لكلّ أعمال الخير والبرّ والبذل والتضحية والتراحم والتحابب. فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: **21**].

يقول الطبري – في تفسيره – عن سبب نزول هذه الآية الكريمة: "وهذا عتابٌ من الله للمتخلفين عن رسول الله ﷺ وعسكره بالمدينة، من المؤمنين به، يقول لهم جلّ ثناؤه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾: أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه..."[1]

[1] – الطبري، جامع البيان، الجزء19، ص59.

في حين ذهب ابن كثير إلى أن: "هذه الآية الكريمة أصلٌ كبيرٌ في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبيّ ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين".[1] ويتابع الطاهر بن عاشور ابن كثير فيما ذكره، فيقول: "في الآية دَلالة على فضل الاقتداء بالنبيّ ﷺ وأنه الأسوة الحسنة لا محالة ...".[2] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿108﴾ ﴾ [سورة يوسف: **108**].

والمتتبع لسيرة المصطفى ﷺ يُدرك جيّدا سبب اصطفاء الله ﷻ لعبده محمد ليكون للعالمين نذيرا؛ فقد خصّه ببعض الصفات البشرية الحميدة لم تكن في غيره من الناس، وهذا حتى يتلاءمَ وعِظم الرسالة التي كُلّف بها، فاستحق نبيّنا ﷺ شرف أفضل من دعا القرآن الكريم بالاقتداء به. "وحقاً كان رسول الله ﷺ بشخصه وشمائله وسُلوكه وتعامله مع الناس، ترجمةً عمليةً بشرية حيّةً لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته، ولما فيه من أُسسٍ تربويةٍ إسلاميةٍ وأساليبَ تربويةٍ قرآنيةٍ"[3].

وصور الاقتداء برسولنا ﷺ كثيرةٌ لا يمكن حصرها في هذه الأسطر، ولكن نقتصر على وصف بعض خصاله وأخلاقه ومعاملاته ﷺ.

مدح الله ﷻ رسولَه محمداً ﷺ في كتابه الكريم، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾ [سورة القلم: **04**]. فلقد كان الرسول ﷺ التُرجمانَ الحيَّ لمبادئ القرآن الكريم، والصورةَ الناطقةَ لتوجيهاته. وها هي عائشة أُمُّ المؤمنين – رضي الله عنها – تُجيب مَن سألها عن خُلُق النبيّ ﷺ، فقالت: «فإنّ خُلق نبيّ الله ﷺ كان القرآن».[4]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء06، ص391.

[2] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء21، ص303.

[3] – النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص205.

[4] – الحديث أخرجه الإمام مسلم من طريق سعد بن هشام بن عامر، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة اللّيل، ومن نام عنه أو مرض، رقم: 746، الجزء01، ص512.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿159﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **159**].

يخاطب الله ﷻ رسوله محمدا ﷺ بعد انتهاء غزوة أُحد، وما صدر من مخالفة بعض أصحابه لأوامره ﷺ، ورغم كلّ ما أصابهم من تصرفهم ذلك، لكنه ﷺ عاملهم بالحسنى، وألانَ لهم الجانب، فبيّن الله سبحانه لرسوله ﷺ أنّ سبب تصرفه معهم بذلك الأسلوب هو الرحمة العظيمة التي أفاضها عليه وخصّه بها، حتى هانَ عليه المصاب، وقد نزّهه ربّه ﷻ من الغلظة والفظاظة، وألقى الرحمة في قلبه؛ فكان كما وصفه الله في كتابه: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾ ﴾ [سورة التوبة: **128**].[1] فكلّ هذه الخصال تعكس عظمة أخلاقه ﷺ.

وفي البخاري – يصف خُلق الرسول ﷺ – عن عبد الله بن عمرو بن العاص– رضي الله عنهما –: «أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿45﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: **45**]. قال: في التوراة: يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً، وحِرزاً للأُميّين، أَنتَ عبدي ورسُولي، سَميتُك المتوكّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخَابٍ بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملّةَ العوجاءَ، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أَعيُناً عُمياً، وآذاناً صُماً، وقُلوباً غُلفاً»[2].

---

[1] – ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء04، ص163.

[2] – الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾، رقم: 4838، الجزء06، ص135.

الدروس والعبر المستفادة من سيرة نبيّنا محمد ﷺ:

1- دعوة الرسول ﷺ إنسانية عامة وشاملة، لا تعترف بقومية ولا تتأثر لقرابة؛ فهي رسالة عالمية تُخاطب جميع البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومشاربهم.[1]

2- العدل له قيمةٌ ساميةٌ في الإسلام، كما أن محاربة الظلم من أوجب الواجبات، فعليه قامت السماوات والأرض، ومن أجله بعث الله الرّسل وأنزل الكتب، وأمر بإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، ونشر العدل بين الناس بِغَضّ النظر عن هويتهم أو جنسهم أو معتقدهم. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿8﴾ ﴾ [سورة المائدة: 08]. ولقد أثنى الرسول ﷺ على حِلف الفُضول واعتز بمشاركته فيه بالرغم من أن أطرافه المتعاقدين كانوا مشركين. فعن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله ﷺ: "شهدتُ مع عُمومتي حِلف المطيّبين، فما أُحبُّ أنَ لي حُمرَ النَّعَم وإني أنكُثه"[2].

3- ينبغي على الحاكم أو من وُليَّ أمرَ جماعة من المسلمين أن تكون غايتُه وشعارُه نُصرةَ المظلوم، وكفّ يدِ الظالم، فالعدل هو أساس الملك وضمان التمكين، كما أن الظلم هو سبب ضعف الدول وعلامةٌ بقرب زوالها.

4- على المسلم عموماً ومن وُليَّ أَمرَ الرعية خصوصاً، أن يكون إيجابياً فاعلاً، كما كان رسولنا ﷺ مضرب المثل في الحلم والعفو، والصدق والأمانة، وخدمة الناس والرفق بأصحابه. حتى تعلَّق به الموافق والمخالف، وهذا السلوك يُعطي صورةً نابضةً عن دور الأخلاق في المجتمعات.

---

[1] – ينظر: البحري، فهد أحمد، دروس وعبر من سيرة خير البشر، ص06. **https://www.noor-book.com**

[2] – البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، الأدب المفرد، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: 01، 1419 هـ - 1998 م، ص292.

قال أنس بن مالك – رضي الله عنه –: " خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أُفّاً قطّ، ولا قال لي لشيءٍ: لمَ فعلت كذا؟ وهلّا فعلت كذا؟ ".[1]

يقول سيد قطب: "... نجد حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة في أخلاق النبيّ ﷺ وطبيعته الخيرة الرحيمة الهينة الليّنة، المعدّة لأن تتجمع عليها القلوب وتتألف حولها النفوس، فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته ﷺ رحيما بهم، لَيّناً معهم، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوبُ، ولا تجمعت حوله المشاعرُ، فالناس في حاجة إلى كنفٍ رحيمٍ، وإلى رعايةٍ فائقةٍ، وإلى بشاشة سمحةٍ، وإلى وُدّ يسعُهم، وحِلم لا يضيق بجهلهم وضَعفهم .. ، في حاجةٍ إلى قلبٍ كبيرٍ يُعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عَطاءٍ، ويحمل هُمومَهم ولا يُعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والودَّ والرضاء ... وهكذا كان قلبُ رسول الله ﷺ، وهكذا كانت حياتُه مع الناس. ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كلّ ما ملكت يداهُ في سماحةٍ نديةٍ، ووَسعَهم حِلمَه وبِره وعطفه ووُدَّه الكريم..."[2]

5- على الدّاعية أن يبدأ بتربية نفسه – أولاً – وتزكيتها، ثم يُبادر بدعوة أَهلِ بيته وأقرب الناس إليه، لينتقل بعد ذلك إلى دعوة الناس وإرشادهم. قال الله تعالى مخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿214﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿215﴾ ﴾ [سورة الشعراء: 214-215].[3]

6- إنّ أي دعوة للإصلاح لابد أن يُعبَّد لها الطريق قبل الجهر بها، خاصة إذا كانت في بيئة انتشر فيها الفساد. وهذا ما قام به الرسول ﷺ في مكة؛ فقد مكث ثلاثة أعوام وهو يدعو قومه وأصدقائه، وكلّ من يثق بهم في سرية،[4] حتى أذن له ربه ﷻ بالجهر. فعَن عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ:

---

[1] – الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول ﷺ أحسن الناس خلقا، رقم: 2309، الجزء04، ص1804.

[2] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص500 وما بعدها.

[3] – ينظر: شعبة توعية الجاليات بالزلفي، دروس من السيرة، الطبعة الثانية، 1430/10هـ، ص18.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص20 وما بعدها.

مَا زَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، حَتَّى نَزَلَت: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿94﴾ ﴾ [سورة الحجر: 94]، فَخَرَجَ هُوَ وَأَصحَابُهُ.[1]

7- كانت نظرة النبيّ ﷺ نظرة مستقبلية، فقد كان رحيماً مع أشدّ الناس عداوة له. فعن عروة أنّ عائشة رضي الله عنها، زوج النبيّ ﷺ، حدثته أنها قالت للنبيّ ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحد، قال: " لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليلِ بن عبد كِلال، فلم يُجبني إلى ما أَردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أَستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أَظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قولَ قومِك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعث إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملكُ الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبين؟ فقال النبيُّ ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده، لا يشركُ به شيئا ".[2]

8- واجب الداعية هو الدعوة والبلاغ عن الله تعالى، ولا يحزن أو يغتم إن لم يستجب له أحدٌ، لأن الهداية بيد الله تعالى وحده. قال الله تعالى مُسليا نبيّه ﷺ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿8﴾ ﴾ [سورة فاطر: 08]. وقال سبحانه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿6﴾ ﴾ [سورة الكهف: 06]. قال الطبري: " يَعنِي تَعَالَى ذِكرُهُ بِذَلِكَ: فَلَعَلَّكَ يَا مُحَمَّدُ قَاتِلٌ نَفسَكَ وَمُهلِكُهَا عَلَى آثَارِ قَومِكَ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ: ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ

---

[1] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء 04، ص551.

[2] – الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُم: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَت إِحدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، رقم: 3132، الجزء 04، ص115.

﴿ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ٩٠﴾ [الإسراء: **90**] تَمَرُّدًا مِنهُم عَلَى رَبِّهِم..."[1] أي: لا تقتل ولا تُهلك نفسك بسبب تمردهم وإعراضهم.

9- صَبرُ النبيّ ﷺ على أذى قومه له، واستهزائهم به، وهو يتمثل قول ربه ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١﴾ [سورة الأنبياء: 41][2].

10- مشروعية عقد الصلح مع الأعداء، إذا كان فيه مصلحة للمسلمين. وهذا ما فعله الرسول ﷺ في صلح الحديبية[3].

11- التعلّم من هديّ النبيّ ﷺ في المفاوضات.

12- على كلّ شعب في أيّ وقت يسعى لتطبيق شرع الله، أن يضع في حسابه احتمالات الحصار والمقاطعة من أهل الباطل، فالكفر ملّة واحدة، فعلى الأمة تهيئة نفسها لمثل هذه الظروف.[4]

13- ومن الدروس المستفادة من هجرة الحبشة، أن البلاء سُنةٌ كونيةٌ، يُلاقيه الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل.[5] فقد قضت سُنةُ الله تعالى أنّ أشدّ الناس بلاءً هم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[6].

---

(1) – الطبري، جامع البيان، الجزء 15، ص145.

(2) – ينظر: شعبة توعية الجاليات بالزلفي، دروس من السيرة، ص24.

(3) – ينظر: الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، بَابُ صُلحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ، رقم: 1783، الجزء03، ص1409.

(4) – ينظر: شعبة توعية الجاليات بالزلفي، دروس من السيرة، ص34.

(5) – ينظر: فهد أحمد البحري، دروس وعبر من سيرة خير البشر، ص30./**https://www.noor-book.com**

(6) – قال البخاري في صحيحه: بَابٌ: أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ. الجزء07، ص115.

14- شفقة ورحمة القائد برعيته، مع حسن تدبيره واختياره للمكان المناسب الذي سيهاجر إليه الناس.

15- مشروعية الخروج عن الأوطان، إذا كان ذلك فراراً بالدين.[1]

16- لقد كان الهدف من رسالة الرسول ﷺ للناس هو انتشالهم من أوحال الشرك، والسمو بهم إلى توحيد الله ﷻ، واستنقاذهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وهكذا ينبغي أن تكون غاية كلّ داعية إلى الله تعالى.

17- لقد أولى المنهج التربوي النبويّ عناية كبيرة بالشعائر التعبدية التي تُطهر النفوس وتُثمر تقوى الله ﷻ، فقد ضحى الصحابة – رضوان الله عليهم- في سبيل نشر دين الله بأعز ما يملكون، وتركوا خلفهم الغالي والنفيس، وآثروا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، ولنا في هجرة صهيب الرومي – رضي الله عنه – عبرة[2].

18- على الدّعاة والمربين وكلّ من تصدّر الدعوة إلى الله تعالى دراسة سُنن الله تعالى في الأقوام الغابرة، ففيها تثبيتٌ وتسليةٌ لهم.[3]

19- على الدعاة أن ينطلقوا في تبليغ دين الله سبحانه من الإحساس بالشفقة على كلّ من حادَ عن صراط الله، والرغبة في استنقاذهم من المعاصي، وحبّ الخير لكلّ الناس، وألاَّ يكون الدافع لهم هو الانتصار للذات، أو تكثير جماعتهم على حساب فِرق أخرى.

20- من الأبعاد التربوية التي بَرزت في المرحلة المكية، والتي شكلت الجزء الأعظم في تاريخ الرسالة، أنه لم تشهد هذه المرحلة قتالاً من المؤمنين، فلم يرفعوا سيفاً، ولم يُؤمروا بجهاد ولا قتال، بل أُمروا

---

[1] – ينظر: البحري، فهد أحمد، مرجع سابق، ص32.

[2] – ينظر: المنصور فوري، محمد سليمان، (ت: 1348هـ)، رحمة للعالمين، ترجمه من الأردية إلى العربية: سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: 01، ص75.

[3] – ينظر: فهد أحمد البحري، دروس وعبر من سيرة خير البشر، ص111.

أن يكفوا أيديهم عن المشركين. قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [سورة النساء: 77].[1]

21- من مقتضيات الدّعوة أن يكون الداعية إلى الله تعالى عفيف النفس، فلا يكون رزقه بيد الناس، ينتظرهم إن أعطوه أو منعوه. بل لابد أن يعتمد في معيشته على مورد شخصي.

22- كلّما كان الدّاعية أو المصلح صادقاً، أميناً، ورشيداً كان ذلك أدعى إلى سماع الناس له، وقبول دعوته.

23- ومن الدروس العظيمة التي يمكن استخلاصها من سيرة رسولنا ﷺ، هو تقرير مبدأ الشورى، باعتباره أصلاً من أصول السياسة الشرعية. فقد كان عليه الصلاة والسلام يستشير أصحابه في شؤون السلم والحرب. قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: مَا رَأَيتُ أَحَدًا أَكثَرَ مُشَاوَرَةً لأَصحَابِهِ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[2].

الفرع الثاني: صور الاقتداء بنوح عليه السلام في صبره على الأذى، وتلطفه مع قومه:

ذكر المولى تبارك وتعالى في كتابه الكريم قصة رسوله نوح ﷺ وكيف مكث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، فقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ ﴾ [سورة العنكبوت: **14**]. ولقد كان – عليه السلام – مثالا يُقتدى به في الصبر وتحمل المشاق، فكان يقابل أذى قومه بالرفق والتلطف، كلّ ذلك في سبيل تبليغ دعوة ربه ﷻ، قال الله تعالى على لسان رسوله نوح وهو يردُّ على قومه بعدما استغربوا أن يبعث الله فيهم بشراً نبياً، واتهموه بالكذب وطلبوا منه طرد الضعفاء الأراذل – على حدّ زعمهم – :﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ

---

[1] – ينظر: فهد أحمد البحري، المرجع نفسه، ص06.

[2] – ينظر: الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي (ت: 204هـ)، مسند الإمام الشافعي، رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولي، وأبو سعيد علم الدين (ت: 745هـ)، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: 01، 1425هـ-2004م، الجزء 04، ص06، رقم: 1681.

عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾ [سورة هود: **27 – 28**]، إلى أن قال: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ ﴾ [سورة هود: **31**]. وأيضا لما رموهُ بالضلالة ما زاد أن قال- عليه السلام -: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ ﴾ [سورة الأعراف: **61 – 62**]، لكن قوم نوح ﷺ قابلوا صبرَه ولُطفَه بالأذى، فقالوا عنه مجنون، كما أخبر الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ ﴾ [سورة القمر: **09**]. ثم إنهم اتهموه بالجدل المذموم العقيم: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ ﴾ [سورة هود: **32**]. وهددُوه بالرجم: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ ﴾ [سورة الشعراء: **116**]. وكانوا كلّما مَرُوا عليه سخروا منه: ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾ [سورة هود: **38**]. وبالغُوا في مكرهم وأصروا على شِركهم حتى قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ ﴾ [سورة نوح: **22 – 23**].[1]

ولقد استعمل نوح ﷺ مختلف الأساليب – الدّعوية – كي يُقنع قومَه ويُبلّغهم دعوة ربه جلّ وعلا، لكن لم ينفع معهم شيء، فلجأ إلى ربه العليم الحكيم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾ [سورة نوح: **5 – 10**].

---

[1] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة1، 1431هـ – 2010م، ص61 – 67 بتصرف.

وبقي عليه السلام يدعو قومه صابراً ثابتاً محتسباً ومتوكلاً على ربه ﷻ إلى أن أوحى له الله ﷻ: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿36﴾ ﴾ [سورة هود: **36**].

وهكذا كانت مسيرةُ نبيّ الله نوح – عليه السلام – في دعوته حيث مضى في دعوته بكلّ ثقة ويقين بنصر الله تعالى، فكان أُنموذجاً ومثالاً للصبر والمصابرة، فلم يُؤمن معه إلاّ القليل، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿40﴾ ﴾ [سورة هود: **40**]. ولذلك استحق أن يكون من أُولي العزم من الرسل بل أولهم – صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين –.

الدروس والعبر المستفادة من قصة نوح عليه السلام:

إنّ سيرة هذا الرسول الكريم حافلةٌ بالكثير من الدروس والعبر التي يمكن أن تكون منهاجاً يقتدي به كلّ من سلك طريق الدعوة إلى الله في كلّ مكان وزمان:

1- لا ينبغي أن يحزن الدُّعاة إلى الله تعالى إن هم واجهوا الأذى والرفض، ولم يتبعهم إلاّ القليل، بل يسعد الداعي إن هدى الله على يديه رجلا واحدا، وليعلم أن ما عليه إلاّ البلاغ، أما أمر الهداية فليس بيديه، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿56﴾ ﴾ [سورة القصص: **56**]. بل يأتي النبيّ يوم القيامة وليس معه أحد كما أخبر به الصادق المصدوق، فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "خرج علينا النبيّ ﷺ يوما، فقال: عُرضت عليّ الأُممُ فجعل يمرُّ النبيُّ معه الرجل، والنبيُّ معه الرجلان، والنبيُّ معه الرهط، والنبيُّ ليس معه أحدٌ"[1].

فالصبر في الدعوة واللّين مع المدعوين أمر مطلوب لكلّ من سلك طريق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

---

[1]– الحديث أخرجه الإمام البخاري، كتاب الطبّ، باب من لم يرق، رقم: 5752، الجزء07، ص134.

2- العبرة في نسب الدين وليس في نسب الدّم، فقد نجى الله ﷻ نوحاً ومن آمنوا معه، وأغرق ابنه من صُلبه. قال رسول الله ﷺ: «مَن بَطأَ به عملُه لم يُسرع به نسبُه»[1]

3- ومما يستفاد من قصة نبيّ الله نوح – عليه السلام – وغرق ولده وامرأته، أنّ الأسباب كلّها تنقطع يوم القيامة إلاّ ما كان مُتصلاً بالله وحده – على أيدي رسله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين –، وذلك أن علاقة الناس مع الأنبياء فوق علاقة البنوة والأبوة والزوجية، فكلّ اتصال لم تُوثِقه رابطةُ العقيدة؛ فإنه لا ينفع، ولذلك لم يُغن نوح عن ابنه وزوجته، ولم يُغن إبراهيم عن أبيه، ولوط كذلك عن زوجته، قَالَ تَعَالَى:﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿3﴾ ﴾ [سورة الممتحنة: **3**].[2]

4- من آداب الدعوة إلى الله ﷻ وأساليبها الناجعة؛ الدعوة في كلّ الأوقات وفي كلّ الحالات، ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، والصبر على ذلك صبرا كبيرا، مثلما كان من نوح عليه السلام.[3]

5- الثقة التامة من نوح – عليه السلام – في ربه بأنه ناصره لا محالة وموقفه الثابت الذي لا يزعزعه تهديد ولا أذى، وقد تمثل في قوله تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿71﴾ ﴾ [سورة يونس: **71**]. هذا الموقف شبيه بموقف نبيّ الله هود – عليه السلام – مع قومه حين قال لهم: ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿54﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿55﴾ ﴾ [سورة هود: **54 – 55**]. يشهد لهذا حديث عبد الله ابن عباس – رضي الله عنهما – حين ركب خلف النبيّ ﷺ يوما، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك

---

[1] – الحديث أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: 2699، الجزء04، ص2074.

[2] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، فبهداهم اقتده، ص74.

[3] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، المرجع نفسه، ص76.

إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضيّروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصّحف"[1].

واعلم أيها الداعي إلى الله تبارك وتعالى أنّ الناس قد اجتمعوا على ضرّ نوح فلم يضروه، اجتمعوا على ضرّ هود فلم يضروه، اجتمعوا على ضرّ إبراهيم فلم يضروه، اجتمعوا على ضرّ محمد ﷺ فلم يضروه، إذن: فأنت كذلك لن يضروك بشيء حتى ولو اجتمعوا، طالما أن الله لم يقدّر هذا الشيء عليك، فلن تصاب إلاّ بما كتب الله عليك. قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿51﴾ ﴾ [التوبة: **51**][2].

فهذه الثقة التامة، واليقين الجازم، والتوكل العظيم على الله تبارك وتعالى – من نوح ﷺ - قد استمدها من الله ﷻ، والتي ثبّت بها الله ﷻ جميع أنبياءه ورسله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

---

[1] – الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبيّ ﷺ، رقم: 2669، الجزء4، ص410، والترمذي في "سننه" برقم: 2516، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[2] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، فبهداهم اقتده، ص84.

الفرع الثالث: صور الاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام

يعتبر إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أبو الأنبياء، لأن الأنبياء من بعده – عليهم السلام – جميعهم ينحدرون من صلبه[1] – عليه الصلاة والسلام – قَالَ تَعَالَى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿27﴾ ﴾ [سورة العنكبوت: 27]. وقال تعالى ذكره: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿83﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿84﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿85﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿86﴾ ﴾ [سورة الأنعام: 83 – 86]. وقال الله ﷻ في شأنه: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الحج: 78].

قال ابن كثير: "فكلُّ كتاب أُنزل من السماء على نبيٍّ من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذُريته وشِيعته، وهذه خِلعةٌ سَنيةٌ لا تُضاهى، ومرتبةٌ عليةٌ لا تُباهى، وذلك أنه وُلد له لصلبه وَلدان ذكران عظيمان؛ إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة، ووُلد لهذا يعقوب وهو إسرائيل الذي يَنتسبُ إليه سائرُ أسباطهم، فكانت فيهم النبوة، وكَثُروا جدا بحيث لا يَعلم عددُهم إلا الذي بعثهم، واختصهم بالرسالة والنبوة حتى خُتموا بعيسى ابن مريم من بني إسرائيل. وأما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العربُ على اختلاف قبائلها، ... ولم يُوجد من سُلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيّدهم، وفخر بني آدم في الدنيا، والآخرة؛ محمد بن عبد الله ... صلوات الله وسلامه عليه ..."[2].

---

[1] – ينظر: الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة01، 1422هـ، الجزء03، ص405.

[2] – ابن كثير، إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة01، 1418هـ – 1997م، الجزء01، ص385.

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿120﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ إِجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿121﴾ ﴾ [سورة النحل: **120 – 121**].

قال ابن قيّم الجوزية – رحمه الله –: "فهذه أربعة أنواع من الثناء:

الأول: افتتحها بأنه: ﴿ أُمَّةً ﴾، والأمّةُ هو القُدوة الذي يُؤتمّ به، والفرق بين الأمّة والإمام من وجهين:

أ– أنّ «الإمام» كلّ ما يُؤتمّ به، سواء كان بقصده وشعوره أو لا، ومنه سُمِّي الطريق: إماماً..

ب– أنّ «الأمّة» فيه زيادة معنى؛ وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم والعمل بحيث بقي فيها فردا وحده، فهو الجامع لخصال تفرّقت في غيره، فكأنه باين غيره باجتماعها فيه وتفرّقها أو عدمها في غيره.

الثاني: قوله: ﴿ قَانِتًا ﴾، قال ابن مسعود: «القانتُ المطيعُ». والقنوت يُفسَّر بأشياء كلّها ترجع إلى دوام الطاعة.

الثالث: قوله: ﴿ حَنِيفًا ﴾ والحنيف المقبل على الله. ويلزم هذا المعنى ميله عمّا سواه، فالميلُ لازمُ معنى الحِنف، لا أنه موضوعه لغة.

الرابع: قوله: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾، والشكر للنّعم مبنيّ على ثلاثة أركان:

*الإقرار بالنعمة.

*وإضافتها إلى المنعم بها.

*وصرفها في مرضاته، والعمل فيها بما يحبّ.

فلا يكون العبد شاكرا إلا بهذه الأشياء الثلاثة.

والمقصود أنه مدح خليله بأربع صفات كلها ترجع إلى العلم، والعمل بموجبه، وتعليمه ونشره؛ فعاد الكمال كلّه إلى العلم والعمل بموجبه ودعوة الخلق إليه".[1]

وقد ذكر المولى تبارك وتعالى في كتابه العظيم خصال وفضائل رسوله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام –، فمن ذلك[2]:

1- اصطفاؤه لإبراهيم عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿33﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **33**].

2- اتمام النعمة عليه كما أتمها على ذريته من قبل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ [سورة يوسف: **6**].

3- وصفه بأنه صدّيق: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿41﴾ ﴾ [سورة مريم: **41**].

4- وصفه بالصلاح: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿130﴾ ﴾ [سورة البقرة: **130**].

5- وصفه بأنه حليم أواه منيب: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿75﴾ ﴾ [سورة هود: **75**].

6- وصفه بأنه سليم القلب: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿84﴾ ﴾ [سورة الصافات: **84**].

7- قال عنه بأنه وفى ما عليه: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿37﴾ ﴾ [سورة النجم: **37**].

8- اتخذه الله ﷻ خليلا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿125﴾ ﴾ [سورة النساء: **125**].

---

[1] – ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عطاءات العلم، الرياض، دار بن حزم، بيروت، الطبعة03، 1440هـ – 2019م، الجزء01، ص174-498 وما بعدها.

[2] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، فبهداهم اقتده، ص115 وما بعدها.

9- رفع الله درجته: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿83﴾ ﴾ [سورة الأنعام: **83**].

10- آتاه الله ﷻ رشده: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿51﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: **51**].

يأمر المولى تبارك وتعالى عباده المؤمنين بالتأسي والاقتداء بإبراهيم – عليه السلام – فقال عزّ وجلّ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [سورة الممتحنة: **4**]. ثم استثنى الله ﷻ من هذا الاقتداء استغفار المؤمن للمشرك، فقال تعالى ذكره في آخر هذه الآية الكريمة: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [سورة الممتحنة: **4**]. فحرم الله ﷻ أن يستغفر المؤمنون للكافرين ولو كانوا من أولي القربى.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: "«حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السّلام حين ألقي في النّار، وقالها محمّد ﷺ حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿173﴾ ﴾".[1]

فبعد أن لجأ الخليل إلى خليله ﷻ جاءه التأييد والنصر من الله القوي العزيز، فقال تعالى ذكره: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿69﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: **69**]. فسبحان من: ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿82﴾ ﴾ [سورة يس: **82**]. إنه اليقين، والصدق، وحسن التوكل على الله ﷻ، فلا

---

[1] – الحديث أخرجه الإمام البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: 173] الآية، رقم: 4563، الجزء6، ص38.

تكاد تجد هذه الخصال إلاّ عند نبيٍّ مُرسلٍ، ومن كان الله معه، فلا شك أنه كافيه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [سورة الزمر: **36**][1].

إنّ التوكل على الله عزّ وجل فيه راحة للنفس، وطمأنينة في القلب قلَّما يجدها الناس من غير المتوكلين على الله ﷻ.[2]

فبعد كلّ هذه الدعوة لم يؤمن لإبراهيم إلاّ زوجه سارة وابن أخيه لوط – عليهما السلام — مع أنه خيرُ الخلق بعد نبيّنا ﷺ؛[3] فقد بذل وُسعه في تبليغ دين الله ﷻ، وناظر قومه بكلّ الحجج والبراهين، وأظهر الله الحقَّ على لسانه، ومع هذا كلّه لم يُؤمن به إلاّ قليل. فهل حطَّ الله ﷻ من منزلته ﷺ حين لم يستجب لدعوته أحد؟

لقد أنزله الله ﷻ المنزلة العظيمة، فجعله خليلاً لله تعالى ذكره. لذلك لا ينبغي أن يحزن الداعي إذا هو دعا ولم يُستجب لدعوته أَحد، ولِيجعل أَنبياءَ الله –صلواتُ الله وسلامُه عليهم – أُسوتهُ وقُدوتهُ، فقد قال الله ﷻ لنبيّه ﷺ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة البقرة: **272**]. وقال له في موضع آخر: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿56﴾ ﴾ [سورة القصص: **56**].

فعلى الدُّعاة أن يقوموا بواجب التبليغ، وحسبهم أن يُؤدوا ما عليهم، وألاّ يأتوا يوم القيامة وقد قَصَّروا في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وليعلموا أن الهداية ليست بأيديهم، بل هي بيد الله ﷻ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من

---

[1]– قرأ الجمهور: (عَبْدَهُ)، وهو رسول الله ﷺ. وقرأ أبو جعفر، ومجاهد، وابن وثّاب، وطلحة، والأعمش، وحمزة، والكسائيّ: (عِبَادَهُ) بالجمع، أي الأنبياء والمطيعين من المؤمنين، ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾: وهي الأصنام. ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، الجزء09، ص205.

[2] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، فبهداهم اقتده، ص142.

[3] – ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء 01، ص325.

أصابع الرّحمن، كقلب واحد، يصرّفه حيث يشاء، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك".[1]

الدروس والعبر المستفادة من قصة إبراهيم ﷺ:[2]

1- على المسلمين أن يقتدوا بأبيهم إبراهيم عليه السلام فيما كان عليه من التوحيد وعدم الإشراك بالله تعالى، وفي أخلاقه وخصاله، وصبره في مواطن الشدائد، امتثالا للمولى تبارك وتعالى الذي قال في محكم تنزيله: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۖ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿78﴾ ﴾ [سورة الحج: **78**]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿123﴾ ﴾ [سورة النحل: **123**]. وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [سورة الممتحنة: **4**][3].

2- علينا أن نقتدي بإبراهيم ﷺ في شكره لله ﷻ على ما أنعم عليه من النعم حيث قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿39﴾ ﴾ [سورة إبراهيم: **39**].

فالعبد المؤمن يراوح بين مقامين عظيمين، كلّ مقام منهما هو عبادة جليلة، ودرجة رفيعة، فهو منتقل بين مرتبة الشكر ومرتبة الصبر. عبادة الصبر تصقل النفس وتروضها، وعبادة الشكر تهذب الروح وتسجدها في محراب الإيمان الخالص.[4]

---

[1] – الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم: 2654، الجزء04، ص2045.

[2] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، فبهداهم اقتده، ص170 – 172، بتصرف.

[3] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، المرجع نفسه، ص170.

[4] – ينظر: عبد الله فرج الله، حياة السائرين إلى الله بين الشكر والصبر، خواطر تربوية، 31 يناير 2015م، موقع بصائر، اطلع عليه يوم: 2023/08/28م **https://bessayir.com/**

وعن صهيب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كلّه خير، وليس ذاك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»[1].

3- أفضل الوصايا هي تلك التي وصّى بها إبراهيم – عليه السلام – بنيه، وهي أن يموتوا على الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْصَىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿132﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿133﴾ ﴾ [سورة البقرة: 123 – 133].

4- الاقتداء بإبراهيم – عليه السلام – في إلقاء السلام ورده، فقد كان مشروعا زمن إبراهيم عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿69﴾ ﴾ [سورة هود: 69].[2]

5- مشروعية الهجرة لمن أوذي في دينه ولم يستطع إظهار شعائر الدين، فيمكنه أن يترك بلده الأصلي وينتقل إلى بلد يعبد الله فيه بحرية اقتداء بإبراهيم وبنبيّنا محمد عليهما الصلاة والسلام.

6- وجوب الصبر عند الابتلاءات وفي الشدائد، وليعلم المؤمن أن المقصود من ذلك هو: امتحان الله ﷻ عباده واختبارهم، وليس إرادة المشقة لهم أو إيذاؤهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿2﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿3﴾ ﴾ [سورة العنكبوت: 2 – 3]. ولنا في إبراهيم – عليه السلام – أسوة وقدوة، فقد ابتلي ﷺ أشد البلاء، وامتحن أعظم امتحان، وكان في كلّ أحواله صابرا محتسبا ومتوكلا على الله ﷻ، فاستحق أن ينال درجة الخلّة.

---

[1] – الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كلّه خير، رقم: 2999، الجزء4، ص2295.

[2] – ينظر: الخميس، عثمان بن محمد، فبهداهم اقتده، ص171.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴿102﴾ ﴾ [سورة الصافات: **102**].

فقد أمر الله تعالى رسوله وخليله إبراهيم ﷺ أن يذبح ابنه إسماعيل الذي وهبه الله له على كبر، وكان قد بلغ سنّا هي التي يكون فيها الولد أحبّ شيء إلى والده؛ لأنه بدأ يمشي ويذهب ويجيء معه.[1] هكذا – وبكل صراحة – أخبر الأب ابنه بأمر الله ﷻ له، فيأتي الجواب من الابن التقي المطيع المستسلم لأمر الله، الراضي بقضائه: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿102﴾ ﴾. فكُلاًّ من الولد ووالده خضعا لأمر الله تعالى، وانقادا له، ووطنا نفسيهما على القبول. وفي تلك اللّحظة يأتي الفرج من اللّطيف الرحيم: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿103﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿104﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿105﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿106﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿107﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿108﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿109﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿110﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿111﴾ ﴾ [سورة الصافات: **103 – 111**].

المطلب الثالث: أسلوب الاقتداء بالأولياء والصالحين:

سوف يعرض الباحث – بحول الله ﷻ – في هذا المطلب أربعة نماذج بشرية لأناس صالحين – من غير الأنبياء – عاشوا في الزمن الأول، وقد خلّد الله ﷻ ذكرهم في كتابه الكريم:

- ✓ نموذج النفوس المؤمنة وقصة أصحاب الكهف.
- ✓ قصة العبد المؤمن مع صاحب الجنتين.
- ✓ قصة العبد الصالح مع سيّدنا موسى عليه السلام.
- ✓ قصة الملك العادل ذي القرنين.

الفرع الأول: أسلوب الاقتداء من خلال أصحاب الكهف

---

[1] – ينظر: الخميس، فبهداهم اقتده، ص145.

يُعدُّ الشباب في كلّ زمان ومكان عمادَ الأمة وسندَها الذي تعتمد عليه في طريق نهضتها ورُقيّها، وقد ذكر لنا القرآن الكريم نماذج بشرية راقية – من الأنبياء ومن غيرهم – كان لهم دور هام في دعوة الناس إلى الخير ونشر الفضائل ونبذ الشرك.

فمن أصحاب الكرامات العجيبة التي ذكرها المولى تبارك وتعالى في كتابه الحكيم، قصة نفر من صالحي الأمم الغابرة، والتي حملت بين طياتها العديد من الدروس والعبر تصلح أن تكون مثالا يقتدي به شباب الأمة اليوم في حياتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿9﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾ ﴾، إلى قوله ﷻ: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿26﴾ ﴾ [سورة الكهف: **09 - 26**].

ابتدأت هذه الآيات بذكر قصة شباب هُدوا إلى صراط الله المستقيم في زمن شاع فيه الشرك والظلم، وقد تبيّن لهم أن لا حياة لهم وسط تلك البيئة المشركة الغارقة في العادات الفاسدة والطقوس الباطلة، فاختاروا الفرار بدينهم من فتنة الكفر، فاعتزلوا قومَهم، وهجروا ديارَهم، وفارقوا أهلَهم، وتجردوا من زينة الأرض ومتاع الحياة،[1] وتخلوا عن كل الملذّات والمحبوبات، ولجؤُوا إلى كهف مظلم – نُسبوا إليه فيما بعد – يأويهم ويقيهم شرّ تلك الفتن التي حالت بينهم وبين عبادتهم لله عزّ وجل، فكان من شأنهم العجيب ما قصه القرآن الكريم علينا – ولم تكن قصتُهم أعجبَ من بقية آيات الله ﷻ، "بل عجائب صنع الله تعالى كثيرة منها ما هو أعجب من حال أهل الكهف، ومنها ما يُساويها"–[2].

---

[1] – ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص2262 بتصرف.

[2] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص260.

الدروس والعبر المستفادة من قصة أهل الكهف:

صدَّر القرآن الكريم قصة هؤلاء الفتية بمحلّ العبرة الصادقة والقدوة الصالحة منه، وهو التجاؤهم إلى ربهم واستجابته ﷻ لهم.[1]

1. إنّ البيئة الفاسدة في عقيدتها وأخلاقها تُؤثر سلباً في الصالحين، فهؤلاء الفتية كان باستطاعتهم إخفاء دينهم وكتمان إيمانهم، لكنهم خشوا إن هم بقوا بين قومهم أن يفسد دينهم، فآثروا العُزلة والفرار بدينهم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾ [سورة الكهف: **16**].

فإنّ " الدنيا بجميع ملذاتها ومُتعلقاتها إذا كانت تقف عائقاً أمام الحقّ، فإنها تُترك وتُهجر، ويُنتقل عنها إلى المكان الذي يَسهُل لُزوم الحقّ فيه والعمل به، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠ ﴾ [سورة النساء: **100**]"[2]. تماما مثلما فعل صحابة رسول الله ﷺ حين أُمروا بالهجرة، وهذا هو شأن الصالحين في كلّ زمان ومكان يقتدي بهم من يكون بعدهم.

2. إنّ أولياء الله ﷻ والصالحين من عباده هم في رعاية الله وحفظه، فإنه سبحانه يدفع عنهم السوء بقدر ما عندهم من إيمان وعمل صالح، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [سورة النحل: **128**]. وقال تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾ [سورة الحج: **38**].

فلنا في هؤلاء النفر من الفتية عبرة حسنة نتعظ بها وقدوة صالحة نسلك بها طريق الحق.

3. على المسلم أن يهتم بالأمور التي تنفعه في دينه ودنياه، وألاّ ينشغل بالأشياء التي لا طائل منها، كما عليه أن يتحرى الحلال الطيب ويبتعد عن الحرام الخبيث، ويتخذ الوسائل المشروعة،

---

[1] – ينظر: ابن عاشور، المصدر نفسه، الجزء15، ص261.

[2] – العواضي، عبد الله بن عبده نعمان، فتية الكهف، ملتقى الخطباء، تاريخ النشر: 2022/10/10م، اطلع عليه يوم: 2023/09/02. **https://khutabaa.com/ar/khuteb**

وأن يفرّ من الفتن، ويسأل الله العافية منها. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾ ﴾ [سورة الكهف: **19 – 20**].[1]

4. هذه القصة العظيمة تبعث برسالة إلى شباب المسلمين اليوم، تحثهم وتدعوهم إلى الثبات عند التعرض للشهوات والشبهات، وأن يفرّوا بدينهم إذا خافوا الوقوع في شراك الفتن، وأن يأووا إلى كهف الإيمان والصحبة الصالحة، يفرّون من الفتن وأهل الأهواء والطغيان، ولئن هم سلكوا طريق الصالحين؛ فليربطن الله على قلوبهم ويثبت أقدامهم، وتنالهم رحمة الله، مثلما وقع مع أهل الكهف[2].

5. هؤلاء الشباب كانوا من أبناء الملوك وساداتهم،[3] هجروا الوطن والأهل وجميع مظاهر الترف، والتجؤُوا إلى كهف مظلم فرارا بدينهم من الشرك وأهله؛ تركوا نعيم الدنيا وانحازوا إلى جانب الله ﷻ، فسبحان من يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ.

6. ما يجعل من هذه القصة فريدةً من نوعها؛ أنها تحكي – لأول مرّة – قصة نفرٍ فرُوا بدينهم من غير الأنبياء، فبيّن الله ﷻ حال هؤلاء الفتية ليكونوا قُدوةً للناس[4].

7. لقد شهد القرآن العظيم بإيمان هؤلاء الفتية، فقال عزّ وجل: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿13﴾ ﴾ [سورة الكهف: **13**]. فطوبى لمن ذكرهم الله ﷻ في الملإ الأعلى وشهِد لهم بالإيمان في كتابه الكريم. كما أنه سبحانه ذكر أنهم فتية – وهم الشباب–

---

[1] – ينظر: العواضي، عبد الله بن عبده نعمان، فتية الكهف، مرجع نفسه.

[2] – ينظر: موقع منظمة الدعوة الإسلامية، قصة أصحاب الكهف، تاريخ النشر: 5 أغسطس 2022م، اطلع عليه بتاريخ: 2023/09/03. **https://www.iicdr.com/ar/**

[3] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء5، ص140.

[4] – ينظر: موقع الشبكة الإسلامية، المكتبة الشاملة، كتاب دروس للشيخ أبي إسحاق الحويني، الجزء126، ص5.

وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا واشتدّوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ من فئة الشباب،[1] وقد ذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خُلُق الرجولية المعبَّر عنه بالفُتُوّة الجامع لمعنى سداد الرأيّ، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق.[2]

الفرع الثاني: قصة الرجل الصالح مع صاحب الجنتين

هذه هي القصة الثانية التي وردت في سورة الكهف بعد قصة أصحاب الكهف، وهي مثلٌ ضربه الله ﷻ كي يَتعظَّ ويَعتبر من كان حالُه كحال صاحب الجنتين، فهي رسالةٌ – لأصحاب الأموال – تضبطُ الموازينَ وتصححُ المفاهيمَ، تُبيّن أن العبرة ليست بكثرة المال أو الولد، كما تُصور لنا هذه القصة مصيرَ الجاحدين المنكرين لأنعُم الله، وعاقبة الشاكرين المتقين. إضافةً إلى الأثار المترتبة على كلتا الحالتين؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿32﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿33﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ۚ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿37﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿38﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿39﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿40﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿41﴾ ﴾ [سورة الكهف: **32 – 41**].

جوانب القدوة الصالحة في شخص العبد المؤمن مع صاحب الجنتين:

1- لقد علم هذا العبد المؤمن أنّ القيّم الحقيقية لا تكون في مال، ولا جاه، ولا سلطان، ولا في زخارف الدنيا وملذّاتها، فهي جميعها قيّمٌ زائفةٌ وزائلةٌ لا تنفع صاحبها يوم القيامة. لكن من آتاه

---

[1] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء05، ص140.

[2] – ينظر: ابن عشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص266.

الله ﷻ حظّاً من هذه المتع[1]؛ فليشكر الله على ما أنعم عليه وليقابل هذه النعم بالإيمان والعمل الصالح، فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا.[2]

2- هذه القصة، هي نموذجٌ إنسانيٌّ لطائفتين من الناس: صاحب الجنتين نموذجٌ للرجل الثريّ؛ تُذهله الثروةُ، وتبطِرُه النعمة، ويحسب هذه النعمة خالدةً لا تفنى، وينسى المنعمَ الذي بيده مقادير كلّ شيء. أما صاحبه فهو نموذجٌ للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره[3].

3- تظهر لنا هذه القصة عزّة المؤمن أمام سلطان الجاه والمال.

4- المؤمن الصادق، العامر قلبه بالإيمان، المتيقن بأن الله ﷻ وحده المتصرف في هذا الكون، يعيش راضيا بقضاء الله وقدره، مهما كان حاله من فقر وقلّة ذات اليد.

5- الصاحب الصادق ينصح صاحبَه ويُذكّرُه بالله تعالى ويدعوه إلى شكر المنعم ويحذّره عاقبة الجحود والبطر.

6- المال وسيلةٌ وليس غاية، والعبد الصالح إذا خالط الإيمان بشاشة قلبه، فلا يتأثر بفقر أو غنى أصابه، لأنه يعلم أنهما (الغنى والفقر) امتحان يختبر الله بهما عبده، والمؤمن كلّ أمره خير، كما ورد عن النبيّ ﷺ أنه قال: «عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كلَّه خيرٌ، وليس ذاك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ، صبر فكان خيراً له»[4].

فالمؤمن قيمته في إيمانه وتوحيده، ويتجلى ذلك من خلال صبره وشكره عندما تُلاقيه الشبهات أو الشهوات.

7- النُصح والإرشادُ وظيفةُ المصلحين، فهذا الرجل لم يتخلّ عن صاحبه العاصي ويتركه فريسةً للأهواء والشبهات وحظوظ نفسه، وإنما حاول الأخذ بيده وتقديم النصيحة له، وهذا هو شأن

---

[1] – المتع جمع مُتعة، وقيل: المتعة الزاد القليل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء8، ص332.

[2] – ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص2267.

[3] – ينظر: سيّد قطب، المصدر نفسه، ص2270.

[4] – الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، الجزء22، ص95، رقم: 2999.

العلماء الربانيين والدّعاة الناصحين، ألاّ يتخلوا عن العصاة والمذنبين، ولا يدّخرون جهداً في سبيل إصلاحهم والعودة بهم إلى سواء السبيل.[1]

8- على الإنسان إذا أعجبه شيءٌ أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿39﴾** ﴾ [سورة الكهف: 39].

[1] – ينظر: موقع زاد الواعظين، قصة صاحب الجنتين، العدد الثالث رجب 1440هـ، اطلع عليه يوم: 2023/09/06. بتصرف.
https://www.elwaez.com

الفرع الثالث: قصة العبد العالم صاحب موسى – عليه السلام –

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿65﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿66﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿68﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿69﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿70﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿72﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿73﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿74﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ۖ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿82﴾ ﴾ [سورة الكهف: **65 - 82**].

بدأت قصةُ موسى – عليه السلام – مع العبد الصالح الخضر، عندما كان في ملإٍ من بني إسرائيل، فجاءه رجلٌ فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله ﷻ إلى موسى: بلى؛ عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية – تأخذ الحوت فتجعله في مِكتل [1]، وحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ –، فكان من شأنهما ما قصّه الله ﷻ في كتابه الكريم.[2]

قال السعدي: "ذلك العبد الذي لقيّه موسى – عليه السلام –، ليس نبيّاً، بل عبداً صالحاً، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منّة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيّاً، لذكر ذلك

---

[1] – المِكتل والمِكتلة: الزبيل الذي يُحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين، وقيل: المِكتل شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعاً. وفي حديث الظهار: أنه أتي بمكتل من تمر؛ هو بكسر الميم: الزّبيل الكبير كأن فيه كتلا من التّمر أي قطعا مجتمعة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء11، ص583.

[2] – القصة كاملةً أخرجها البخاري من حديث عبد الله بن عباس عن أبيّ بن كعب – رضي الله عنهم – عن النبيّ ﷺ. ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: ما ذكر في ذهاب موسى – عليه السلام – في البحر إلى الخضر، (26/1)، برقم: 74، (35/1)، برقم: 122، (123/4)، برقم: 3278، (4/ 154)، برقم: 3401، (136/8)، برقم: 6672.

كما ذكره غيره. وأما قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾، فإنه لا يدلّ على أنّه نبيّ وإنّما يدلّ على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [سورة القصص: 07]. وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [سورة النحل: 68]".[1]

جوانب القدوة في شخصية العبد الصالح العالم صاحب موسى ﷺ:

1- نسبة العلم إلى الله ﷻ العليم الخبير، وأن المخلوق مهما بلغ من العلم فعلمُه محدودٌ لا يُساوي شيء أمام علم الله ﷻ المطلق. وهذا هو الذي أقرّ به الخضر وذكره لموسى ﷺ. ففي الحديث – الطويل – الذي يرويه أُبيُّ بن كعب – رضي الله عنه – أنّ رسول الله ﷺ قال: "...، فلما ركبا في السفينة جاء عصفورٌ فوقع على حرف السفينة فنقرَ في البحر نقرةً أو نقرتين قال له الخضر: يا موسى ما نقُص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر."[2]

2- لابد للعالم أو الداعية أن يتميز – عن غيره – بأخلاقه وعلمه وسمته، حتى يقتدي به الناس، وهذا ما حدث مع الخضر العبد الصالح، قال ﷺ: "... فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينةٌ كلّموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نَولٍ"،[3] فالخضر كان معروفا بين الناس بالصلاح، ولذلك حملوه هو وموسى – عليه السلام – من غير أُجرةٍ.

3- الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود.[4]

---

[1] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص482.

[2] – الحديث أخرجه الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، الجزء4، ص154، رقم: 3401.

[3] – البخاري، المصدر نفسه، الجزء4، ص154، رقم: 3401.

[4] – ينظر: السعدي، مصدر سابق، ص482.

4- ومنها: أن المعلّم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلّم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصرا، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالا لا يتعلق في موضع البحث.[1]

5- أنه ينبغي للصاحب ألاّ يفارق صاحبَه في حالة من الأحوال، ويترُكَ صُحبته، حتى ينصحه، ويَعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى – عليه السلام –[2].

6- أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قدرٌ محضٌ أجراها الله ﷻ وجعلها على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على ألطافه في أقضيته، وأنه يقدّر على العبد أمورا يكرهها جدّا، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجا من لطفه وكرمه، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة[3].

7- الترفق بطلاب العلم والصبر معهم، والتدرج في عتابهم، ولا يبادر مباشرة بعقابهم، بل يذكرهم ويوضح لهم الخطأ مرة بعد مرة، كما قال تعالى على لسان صاحب موسى ﷺ: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾ ﴾ ثم أعادها مرة أخرى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾ ﴾. ثم انتهى أن قال له: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿78﴾ ﴾ [سورة الكهف: **78**].

8- مراعاة النسيان، وأنه (أي النسيان) عذرٌ شرعيٌّ، فلا ينبغي تحميل الناس أشياء فوق طاقتهم لمجرد أنهم نسُوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿73﴾ ﴾ وقال

---

[1] – ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص482.

[2] – ينظر: السعدي، المصدر نفسه، ص482.

[3] – ينظر، المصدر نفسه، ص482.

الرسول ﷺ: "وُضع عن أمّتي الخطأُ والنّسيانُ وما استكرهُوا عليه"[1]، إلاّ إذا تبيّن أن هذا النسيان متكررٌ في نفس الموضوع، ويترجح له أنه إهمال وليس بنسيان، فهنا يذهب إلى العتاب أو العقاب.

9- يجوز للعالم أو الشيخ أو القدوة أن يشترط على الآخرين في اتباعهم له شروطا، وهم مُلزمين باحترام هذه الشروط،[2] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿70﴾ ﴾ [سورة الكهف: **70**].

10- كذلك من الدروس المستفادة: مراعاة أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أشدّ المفسدتين بارتكاب أخفهما، كإتلاف بعض المال أو تعييبه حفاظا على باقيه[3]، فالخضر اقتلع ألواحا من السفينة دفعاً لمفسدة أكبر، وهي غصب السفينة من قبل الملك الظالم.

11- اعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه في عدم تعليمه مما لا يحتمله طبعه، وكذا اشتراط المتبوع على التابع، وأن صُنع الجميل لا يُترك ولو مع اللئام.[4]

12- على المسلم أن يحسن الأدب مع الله ﷻ في كلامه، فلا يضيف إليه ما يستهجن لفظه، وإن كان كلّ شيء بتقديره[5]، فالخضر عندما أراد أن يبرر سبب خرقه للسفينة نسب الإعابة لنفسه، فقال: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿79﴾ ﴾، أيضا عندما بيّن علة قتله الغلام قال: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿81﴾ ﴾ ثم لما بيّن سبب بنائه للجدار "أسند

---

[1] — ينظر: ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: 01 ،1430 هـ- 2009م، رقم: 2042، الجزء 03، ص201. وينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، رقم: 3515، الجزء01، ص659.

[2] – الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد، دروس وعبر من قصة الخضر، 29 رمضان 1423هـ، اطلع عليه يوم: 2023/09/10. على الساعة: 20.40. **https://almunajjid.com**

[3] – ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص482.

[4] – القاسمي، محاسن التأويل، الجزء07، ص53.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، الجزء07، ص54.

الإرادة إلى الله ﷻ، لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله"[1]، وهذا من حسن أدبه مع ربه جلّ وعلا، فقال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿82﴾ ﴾.

قال ابن عاشور: " وفي هذا أصل من أصول التعليم أن ينبه المعلّم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لا سيما إذا كانت في معالجتها مشقة"[2].

13- أن المتعلّم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب. وليس في ذلك ما يدلّ على أنّ الخضر أفضل من موسى، فقد يأخذ المفضول عن الفاضل، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختصّ أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علم موسى علم الأحكام الشّرعيّة والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر علم بعض الغيب ومعرفة البواطن[3].

الفرع الرابع: ذو القرنين وفقهه في سنة الأخذ بالأسباب[4]:

كثيرٌ هم من سجّل التاريخ مآثرهم الطيّبة، وقصّ لنا من أخبارهم المجيدة وأعمالهم الخالدة؛ من مساعدة الفقراء والمساكين، وإنقاذ العجزة والعبيد من بطش الجبابرة وغواية الطواغيت.

لقد جندوا أنفسهم لخدمة الناس، فلاقوا من شدّة البلاء والأذى ما الله به عليم، ومع ذلك فقد ظلوا صابرين صامدين محتسبين.

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء5، ص187.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص372.

[3] – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء15، ص372.

[4] – هذا العنوان أفدته من مقال على الشبكة: ينظر: حوبة عبد الغني، ذو القرنين وفقهه في سنة الأخذ بالأسباب، شبكة الألوكة الشرعية، تاريخ الإضافة: 2017/08/28م- 1438/12/05هـ، اطلع عليه يوم: 2023/06/17م. **https://www.alukah.net/sharia**

"وكان ممن ملك الدنيا وعمرها ... وفتح الأمصار وسخر أيامه لبنائها؛ فاتح الدنيا، وبالغ المشرق والمغرب "ذو القرنين" الذي أثنى عليه ربّ العزة ونَوَّه بخصاله الحميدة".[1]

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿83﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿84﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿86﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿88﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿89﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿90﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿91﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿92﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿93﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿94﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿97﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿98﴾ ﴾ [سورة الكهف: **83-98**].

هذا نبأُ رجل عظيم أخبر به القرآن الكريم، قصة العبد الصالح ذي القرنين – رحمه الله تعالى –، الذي مكّن الله ﷻ له أسباب القوة والتمكين في الأرض حتى اتسع ملكُه شرقاً وغرباً.[2] وقد وردت قصته – رحمه الله – في سورة الكهف؛ وذلك أن اليهود أرادوا أن يمتحنوا رسول الله ﷺ فقالوا للمشركين: سلُوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية لا يُدرَ ما صنعوا، وعن الروح، فنزلت هذه السورة لتُجيب على هذه التساؤلات وتحكي كثيرا من العبر والعظات[3].

---

(1) – يوسف محمد خير رمضان، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنّة والتاريخ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة 02، 1415هـ – 1994م، ص06.

(2) – ينظر: ابن حجر، فتح الباري، الجزء6، ص383.

(3) – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء5، ص189.

إنها قصةُ عَلَم قُرآني خلّد الله ذكره في كتابه الكريم، قصة رجل طاف الأرض مغربها ومشرقها، وملك أقاصي الدنيا وأطرافها، وحكم بين الناس بالعدل، فلم يُغرِهِ مالٌ ولا جاهٌ ولا سلطانٌ، إنه مثال الشخصية العظيمة والقدوة الحسنة، اجتمعت فيه كلّ خصال الحاكم العادل والقائد الراشد.[1] إنه رجل خَيّرٌ تهيأت له الأسباب فاختار طريق الخير، وأُلهم العمل الصالح بتوفيق الله تعالى وتيسيره، وجهاده وإرادته الخير.

قال صاحب البداية والنهاية: "ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا، وأثنى عليه بالعدل، وأنّه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامّة، والسلطان المؤيّد المظفّر المنصور القاهر المقسط. والصحيح أنّه كان ملكاً من الملوك العادلين".[2] وقد قيل: إنه ملك الأرض أربعة: إثنان مسلمان: سليمان – عليه السلام – وذو القرنين، وإثنان كافران: النمرود وبختنصر[3]– والعلم عند الله تعالى –.

لقد سلك ذو القرنين كلّ الطرق الموصلة إلى تحقيق غايته النبيلة، فالله ﷻ أنار دربَه، ويسّر له أسباب القوة، وهو نجح في استثمارها واستعمالها، وهذا هو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿84﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾﴾ [سورة الكهف: **84 – 85**].

قال تعالى ذكره: أعطيناه مُلكا عظيما مُتمكنا، فيه له من جميع ما يُؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب.[4] ووطأنا له الأرض، وسهلنا عليه السير فيها وذللنا له طرقَها، وسخرنا له

---

[1] – ينظر: الصلابي، علي بن محمد، سنة الله في الأخذ بالأسباب، دار ابن كثير، دمشق، سورية، الطبعة 01، 1437هـ – 2016م، ص19.

[2] – إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء02، ص537.

[3] – ينظر: السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: موسى علي موسى وأشرف محمد بن عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات، الطبعة 01، 1430هـ – 2009م، الجزء01، ص501.

[4] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء05، ص189.

الأسباب، وآتيناه علم كلّ شيء.[1] قال الزمخشري: "سَبباً: طريقاً مُوصلاً إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من عِلمٍ أو قدرةٍ أو آلةٍ، فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يُوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق، فأتبع سبباً، وأراد بلوغ السدّين فاتبع سبباً"[2].

ومن القيّم القرآنية الرائعة التي تجلّت في شخصية ذي القرنين والتي جعلته قدوة حسنة ينبغي إبرازها للناس، ليجعلوها نصب أعينهم، ويمتثلوها في حياتهم:

أولاً: اتباعه للأسباب وتمكنه من العلوم الدنيوية وتوظيفها في التعمير والإصلاح:

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿84﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾﴾.

لقد أحسن ذو القرنين استغلال تلك المِنح التي وهبه الله له أحسن استغلال، بل واغتنمها في توطيد ملكه وبسط سلطانه والقضاء على أعدائه وتحقيق مراده[3].

مكّن الله ﷻ له في صنوف العلوم والمعرفة، واستقراء سنن الأمم والشعوب، ومكّن له في سياسة النفوس تهذيبا وتربية وانتظاما، مكّن له في أسباب القوة من آلات الحرب والجيوش والمنعة والظفر، ومكّن له في أسباب العمران وتخطيط المدن وشق القنوات وإنماء الزراعة[4].

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي أنه يُردف السبب سبباً لشيء آخر، وهكذا تتوارد أسبابُ العمل سبباً يَتبعُ سبباً، أي يجيءُ مِن بَعده تابعاً له، وهكذا مُكّنَ في الدنيا، إذ اتخذَ سبيل الحقّ والعدل، يسلُك الأسباب الموصلة بما آتاه الله من العلم والإدراك فإذا كان عادلاً منصفاً استقر حكمُه، وانتظمت أُمورُه، وإذا انتظمت الأمورُ قَويت الجماعةُ واستقامت الأخلاقُ وسادت الفضيلةُ وانتصرت في الحروب وإذا انتصرت

---

[1] – ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة 4، 1417هـ– 1997م، الجزء5، ص198.

[2] – الزمخشري، الكشاف، الجزء02، ص743.

[3] – ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص2239.

[4] – ينظر: الصلابي، سنة الله في الأخذ بالأسباب، ص22.

أنصفت، وجلبت المصالح، ودفعت المضار، وهكذا تترادف الأسباب وتستقيم الأمور، وإنه بتوافر الخير واتخاذ الأسباب المكونة لدولة قوية عادلة، سار في الأقاليم فاتحا ناشرا لواء الإصلاح والعدل.[1]

"فقد وازن ذُو القرنين بين الأسباب التي أتاحها الله له واتبعها واستقصاها، حتى إن القرآن يلحّ على ذلك، ويبيّنه، ويكرّر التزامه في العمل بالأسباب، وذلك في مواضع ثلاثة:

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿84﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿89﴾ ﴾ ثم قال في موضع ثالث: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿92﴾ ﴾.

وقَرَنَ ذُو القرنين بما انطوى عليه من أسباب معنويةٍ، وما كان عليه من إيمان وتقوى وعمل صالح في قوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿98﴾ ﴾، فاجتمعت له الأسباب الظاهرة والباطنة، فكان له التمكين والغلبة ونفع الناس وإعانتهم"[2].

"فالحكم والسلطان والتمكين في الأرض ينبغي أن يُسخَّر لتنفيذ شرع الله في الأرض، وإقامة العدل بين العباد، وتيسير الأمر على المؤمنين المحسنين، وتضييق الخناق على الظالمين المعتدين، ومنع الفساد والظلم، وحماية الضعفاء من بطش المفسدين".[3]

ففي هذه القصة القرآنية العظيمة يُرشدُ القرآن الكريم إلى ذلك النموذج الرائع والمثال الحي للحاكم العادل والقائد الفاتح الذي أعطاه الله ﷻ العلم والحكمة وألبسه ثياب العزّ وتاج الهيبة والوقار، فسلك سبيلاً يُوصله إلى مُراده، وأَخذَ بكلّ ما أمكنه من أسباب، واستخدم الوسائل التي تُعينه على تحقيق أهدافه وغايته في الإصلاح ونشر العدل والرحمة بين الناس.

---

[1] – ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، الجزء9، ص4578.

[2] – الصلابي، مرجع سابق، ص18.

[3] – الصلابي، سنة الله في الأخذ بالأسباب، ص19.

ثانيا: سياسة الناس بالعدل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿88﴾ ﴾

إنّ صفة الإيمان التي ترسخت في قلب ذي القرنين جعلته يتبع منهجيةً فريدةً في حكمه، فقد تجلّت في زمنه أسمى معاني العدالة، فلم يُعامل من تغلّب عليهم في حروبه بالظلم والجور، وإنما عاملهم بالعدل والقسط. فقد كان عادلا يجزي المسيءَ جزاء إساءته، ويجزي المحسن جزاءً وفاقاً لإحسانه، وأنه كان مرجعَ الذين يُؤذون من بعض بني الإنسان، وأنه أقام سدّاً بين الأشرار ومن يتأذون منهم.[1]

قال الزمخشري: "كانوا كفرة فخيّره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام، فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال: أمّا من دعوتُه فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك: فذلك هو المعذَّب في الدارين وأمّا من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى وقيل: خيره بين القتل والأسر، وسماه إحسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى، فله أن يجازى المثوبة الحسنى. أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة"[2].

وهذا المنهج الرباني الذي انتهجه دليلٌ على صلته بربه وتقواه، كما يدل على فِطنته وفِراسته، فالناس الذين تغلّب عليهم وفتحَ بُلدانهم لم يكونوا على مستوى واحدٍ في العقيدة، فمنهم الكافر والمؤمن، فلذلك لا يصح أن يعاملوا معاملةً واحدةً، فميزان العدالة عنده هو التقوى والإيمان والعمل الصالح[3].

فعندما تمكن من هؤلاء القوم وقدر عليهم، وطُلب منه أن ينظر في أمرهم، حكم فيهم بالقسط؛ إذ قضى على من ظلم بالعذاب، وعلى من آمن بالخير والإحسان.

---

[1] – ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، الجزء9، ص4576.

[2] – الزمخشري، الكشاف، الجزء2، ص744.

[3] – ينظر: الصلابي، سنة الله في الأخذ بالأسباب، ص20.

وفي التعبير بـ (سوف) في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ دلالة على إمهاله لهؤلاء القوم، وهذا حتى تُقام عليهم الحجّة. قال ابن عاشور: " واجتلاب حرف الاستقبال في قوله: (فسوف نعذّبه) يشير إلى أنّه سيدعوه إلى الإيمان فإن أصرّ على الكفر يعذّبه."[1].

فهذا هو قانون الحاكم العادل، فالمؤمن الصالح لابد أن يلقى الكرامة والجزاء الحسن، والظالم المعتدي ينبغي أن يجد العقوبة والعذاب، فصلاح النظام يكون في أن يُعامل كلٌّ بما يستحق جزاءً وفاقاً، فعندئذ يجد الجميعُ ما يُشجعهم على الإنتاج والإصلاح، أما إذا اختلت الموازين واضطرب ميزان الحكم، فقُرّب الظالمون إلى الحاكم، ونُبذ وحورب المؤمنون المصلحون، فعندئذ تصير السلطة في قبضة الحاكم سوطَ عذابٍ وأداةَ فسادٍ، وتعمُّ الفوضى وينتشرُ الفساد.

ثالثا: ذو القرنين مثال الرجل المؤمن العفيف المترفع عن زينة الحياة الدنيا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿94﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾﴾

"إن ذا القرنين يقدّم لكلّ مسؤول أو حاكم أو قائد منهجا أساسيا، وطريقة علمية لتربية الشعوب على الاستقامة والسعي بها نحو العمل لتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى"[2].

فرغم أنه (ذو القرنين) ملكَ مشارق الأرض ومغاربها وخضعت له الشعوب وقدمت له خراجها طواعيةً، كلّ ذلك لم يحد عن صراط الله المستقيم ولم يتسلل إلى نفسه عُجبٌ ولا غرورٌ، لكنه بقي على ما كان عليه من التقوى والإيمان والعمل الصالح.

"فنظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطَر والغُرور، ولم تُسكره نَشوةُ القوة والعلم، ولكنه ذكر الله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه وتبرأ من قوته إلى قوة الله،

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء16، ص27.

[2] – الصلابي، المرجع السابق، ص20.

وفوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستُدكُ قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحا أجردا مستويا"[1].

فما أروع هذا الرجل، إنه مثال القائد الصالح والحاكم العادل، مكنه الله ويسّر له أسباب القوة، فطاف الأرض مشرقها ومغربها، وملك أقاصي البلدان، لكنه لم يتجبر ولم يطغى، ولم يتخذ من فتحه البلدان طريقا للكسب المادي والتسلط على الأفراد والجماعات ولم يسخر الناس الذين تغلب عليهم في أغراضه الشخصية، وإنما سعى لنشر العدل في الناس، ومساعدة المستضعفين وصدّ الأعداء عن المظلومين دون مقابل، واستخدام القوة التي وهبه الله في التعمير والإصلاح. ثم يعود فيعترف بفضل الله عليه وقدرته وجبروته، وأنه صائر إليه. قال تعالى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿98﴾ ﴾.

فعلى الإنسان ألاّ يفوت الفرص التي أتيحت له، بل لابد أن يغتنم ويستثمر ما أعطاه الله له من أسباب النجاح والتمكين في الأرض – فيما يُرضي الله ﷻ – وأن يُحسن توظيف واستغلال هذه الأسباب، تماما مثلما فعل ذو القرنين، وهذه الأسباب متعددةٌ وكثيرةٌ، قد تكون علما يُنتفع به، وقد تكون مالاً يحتاج إلى من يستثمره، وقد تكون موارد وطاقات بشرية؛ كالأبناء والإخوة أو الأصدقاء وغيرهم.

لكننا نرى كثيرا من الناس اليوم – ممن تيسرت لهم فرص النجاح ووقفوا على أسباب القوة والتمكين –، لا يُحسنون استغلال هذه المنح، بل منهم من ذهب يستخدمها في غير ما يرضي الله، بل هناك من ألغى عقله وعطّل مداركه، وراح يتبع هواه. ومنهم من أصيب بداء الكسل والتواكل، فنراهم يتقاعسون في استخدام هذه الأسباب.

قال السعدي: "فليس كلُّ من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كلُّ أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2293.

يحصل".[1] فَعُلِم ممّا تقدّم أنّ التّوكّل على الله ﷻ إنّما يكون بالأخذ بالأسباب، فمن ترك الأسباب بحجة التوكل، فهذا دليلٌ عن جهله بالشّرع أو فساد في تفكيره.

[1] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص485.

الفصل الثالث: تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني وأثره في المخاطبين

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني:

المبحث الثاني: أثر التوازن بين العقل والعاطفة في المخاطبين

تمهيد:

خلق الله ﷻ الإنسان، وزوده بآلتين عظيمتين، هما: العقل والقلب، وجعل لكلّ منهما وظيفةً يُحقق من خِلالها الغاية من وجوده في حياته الدنيا، وهي عبادته ﷻ. وكان لابد لعمارة الأرض، وتحقيق التوازن فيها من تفعيل هاتين الملكتين اللّتين خلقهما الله تعالى وغرزَهما في الإنسان؛ فإذا كان لابد لكلّ عملٍ من الأعمال من تخطيطٍ مُنظَّمٍ أولاً، ثم من أداةٍ مُنفذةٍ ثانياً، فإن العقل هو الذي يكشف ويخطط، والقلب هو الذي يدفعُ ويحركُ.

فالعقل: هو الذي يُقبل على الأشياء فيُدركها على حقيقتها، ويستدلُ بظواهر الأمور على ما وراءها ويتوصل إلى معرفة الله ﷻ، والقلب يسير وراءَه فيحبُّ الخير الذي أثبتَ العقلُ أنه خير والعكس، فلولا العقل لامتزجت نزواتُ النفس بخفقات القلب وعواطفِه، ولولا القلب لظلّ بنيانُ الفضائل مجردَ رسومٍ، فالعقل هو القدرةُ الكاشفةُ والقلب هو القدرةُ الدافعةُ.[1]

لأجل ذلك أولى الإسلام عنايةً كبيرةً لإيجاد الحياة المتوازنة بين عقل الإنسان وعاطفته، ذلك أنه (الإنسان) لا يستطيع أن يعيش حياة سعيدة مطمئنة كما يريدها الله ﷻ دون أن يتوفر له ذلك التوازن بين عقله وعاطفته، فهما كجناحيّ طير لا يمكن الاستغناءُ عن أَحدهما، والإنسانُ السويُّ هو الذي يعرف كيف يُوازن بينهما في الوقت والمكان المناسبين، ففي بعض المواقف يتطلب تحكيم العقل وتقديمه على العاطفة، وأحيانا أخرى يستلزم الانقياد مع العاطفة؛ فصلابة العقل يُلطّفها حنانُ العاطفة، واندفاع العاطفة تُوقفها حكمةُ العقل[2].

وأسلوب القرآن الكريم يمتاز عن غيره من الأساليب، بأنه يخاطب العقل والعاطفة على حدّ سواء، وهما مقصدان يعِزَّان في غير القرآن الكريم، فكلّ الخطابات البشرية التي تريد أن تتواصل مع الإنسان،

---

[1] – البوطي، محمد سعيد رمضان، من الفكر والقلب، فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب، دار الهدى، (د، ط)، (د، ت)، ص122.

[2] – ينظر: جوابرة، ريم مشهور، ما بين مطرقة العقل وسندان العاطفة، مدونات الجزيرة نت، 2018/01/05م، اطلع عليه يوم 2024/10/09، على الساعة: 20.00 **https://www.aljazeera.net/blogs/2018/1/5**

إما أن يكون غرضها البرهان والاستدلال على قضية معينة، فتأتي بأسلوب علميٍّ جافٍ، وذلك كالكتابات والطروحات الفلسفية، وإما أن يُراد منها الإمتاع، وهذا ما نجده في الكتابات الأدبية التي يستخدم أصحابها الخيالَ والتصويرَ والتشويقَ، للترغيب في شيءٍ أو التنفير منه. أما القرآن الكريم الذي هو خطاب الله ﷻ للعالمين، فخاطب به كلّ حاسةٍ مُدرِكةٍ من حواس الإنسان: عقلَه وعاطفتَه، ونفسَه ووجدانَه؛ بحيث يقوم بتحريك نياط القلب، فيؤثر في الإنسان إثارةً روحيةً رفيعةً، أو يتوجه إلى العقل ليوقظ مداركَه ويغرُز فيه المعارف؛[1] فهو (القرآن) لا يعتمدُ على العقل وحدَه للإقناع، ولكنه يوظفه هو والعاطفة معاً ليستميل نفس المخاطَب ويؤثّر فيه، وهذا ليصل إلى غايته العظمى، وهي: الإيمان بالله سبحانه، وتهذيب النفس على العبودية لله وحده.

إن الخطاب القرآني هو منهجٌ متكاملٌ للتربية الإسلامية، فقد خاطب الله ﷻ من خلاله جميع جوانب النفس البشرية: الروحية والوجدانية والفكرية.

وضمن هذا الفصل الذي يعدُّ زُبدة هذه الدراسة وخلاصتُها سيجتهد الباحث – ما استطاع إلى ذلك سبيلا – في اطلاع القارئ الكريم على تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في القرآن الكريم، ثم يستعرض أثر هذا التوازن في نفوس المخاطَبين.

---

[1] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص123، بتصرف.

المبحث الأول: تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مرافقة العقل للعاطفة في الخطاب القرآني

المطلب الثاني: تعارض العقل مع العاطفة في الخطاب القرآني

المطلب الأول: توافق العقل مع العاطفة في الخطاب القرآني

الفرع الأول: مظاهر التوازن بين العقل والعاطفة في مسائل العقيدة

أولاً: مناظرة إبراهيم – عليه السلام – لقومه حول وحدانية الله ﷻ

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿74﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿75﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿76﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿77﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿78﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿79﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿80﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿81﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿82﴾ ﴾ [سورة الأنعام: 74-82].

يصف هذا النسق القرآني الكريم مجادلةَ أول رسولٍ أعلن التوحيدَ وناظرَ في سبيل إبطالِ الشرك بالحُجّة الدامغة والبرهان الساطع، وهي أعدلُ مُناظرةٍ في تاريخ الرسالات السماوية، حيث كانت مجادلةَ رسولٍ لأبيه ولقومه، وكانت أكبرَ حُجّة على مُشركي العرب الذين زعَموا أنَّهم على دِين أَبيهم إبراهيم، فهو – عليه الصلاة والسلام – لم يكن مُشركاً ولا مُقرًّا للشرك في قومه، وهي أيضاً أعظمُ حُجّة للرسول ﷺ الذي دعا إلى إفراد الله بالعبادة، وإبطال الشرك.[1]، يقول الطاهر بن عاشور: "ففي قوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿75﴾ ﴾ إشارةٌ إلى حُجّة مُستنبطةٍ من دَلالة أحوال الموجودات على وُجود صانِعها. والرؤيةُ هنا مستعملةٌ للانكشاف والمعرفة،

---

[1] – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء07، ص310.

فالإراءة بمعنى الكشف والتعريف، فتشملُ المبصرات والمعقولات المستدَّل بجميعها على الحقّ، وهي إراءةُ إلهامٍ وتوفيقٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[سورة الأعراف: 185]، فإبراهيمُ- عليه السلام- ابتُدِئَ في أول أمره بالإلهام إلى الحقّ، كما ابتُدِئَ رسولُ الله ﷺ بالرؤية الصادقة. ويجوز أن يكون المراد بالإراءة العلمُ بطريق الوحي"[1] .

ثم بعد هذه المحاورة الفكرية والمناظرة العقلية التي أجراها إبراهيم – عليه السلام – لإبطال الشركاء عن الله جل شأنه، يُقرّر الحقُّ جلّ وعلا فاصلاً بين الفريقين (المؤمنين والمشركين)، فيُطمئِنُ الذين لم يخلِطوا إيمانَهم بشرك؛ بأنّ لهم الأمنَ التامَّ من المخاوف والعذاب والشقاوة، والهدايةَ إلى الصراط المستقيم. فما أروع هذه الإثارات الوجدانية التي حركتها قصةُ إبراهيم – عليه السلام – في النفوس.

فيُلاحظ كيف جاءت الآية لتخاطب العقول والقلوب على حدّ سواء.

ثانياً: دلائل وجود الله ﷻ وإثبات عقيدة البعث والنشور:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿24﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿25﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿26﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿27﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿28﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿29﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿30﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿31﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿32﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿33﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿34﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿35﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿36﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿37﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿38﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿39﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿40﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿41﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿42﴾ ﴾[سورة عبس: 24 – 42].

إن الشطر الأول من هذا السياق القرآني الكريم قد تضمَّن تنبيهاً عقلياً على وجود الباري جلّ في علاه، وأما الشطر الثاني فقد احتوى على ما يستثيرُ الأنفس من خلال أُسلوب الترغيب والترهيب؛ فهذا التفاعل بين فَهم العقل وما وقَر في القلب، من شأنه أن يدفع بأولي الألباب وأصحاب العقول إلى الإيمان بالله ﷻ.[2]

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء07، ص315.

[2] – ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج تربوي فريد في القرآن، ص67، وما بعدها، بتصرف.

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿6﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿7﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿8﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿9﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿10﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿11﴾ ﴾ [سورة ق: **6 – 11**].

هذه الآيات تُثير في النفس شعورَ الإجلالِ لعظمة الخالق ﷻ، – الذي بَنى السماء بناءً مُحكماً، وزيَّنها ومدَّ الأرض، ونَصبَ الجبال في أرجائها، وأنبت فيها النباتات –، وشُعورَ الإعجابِ بالمطر ينزل فتحيا الأرضُ بعد موتها، فلا شك أن شعور الإجلال والإعجاب بعظمة الخالق يدفع إلى الإيمان بقدرة الله ﷻ على البعث وإعادة النشور.

وقد استنبط الطاهر بن عاشور بعض أغراض [سورة ق]، ويظهر من عرضه أن هذه السورة الكريمة جمعت بين الإقناع العقلي والإمتاع الوجداني، يمكن تلخيصها ضمن هذه العناصر:

- الاستدلالُ على إثبات البعث وأنه ليس بأعظم من ابتداء خلق السماوات وما فيها وخلق الأرض وما عليها، ونشأة النبات والثمار من ماء السماء وأن ذلك مثلٌ للإحياء بعد الموت.
- تذكيرُ المشركين الذين كذَّبوا بالرسالة والبعث ببعض الأمم الخالية المعلومة لديهم، ووعيدُ هؤلاء أن يحلّ بهم ما حلّ بأولئك، وذكر أهوال يوم الجزاء.
- تسليةُ النبيّ ﷺ على تكذيبهم إياه وأمره بالإقبال على طاعة ربه وإرجاء أمر المكذبين إلى يوم القيامة، وأن الله لو شاء لأخذهم من الآن ولكن حكمة الله ﷻ قضت بإرجائهم، وأنّ النبيّ ﷺ لم يُكلَّف بأن يُكرههم على الإسلام وإنما أُمر بالتذكير بالقرآن الكريم من يخاف وعيد.
- إحاطةُ علم الله تعالى بخفيات الأشياء وخواطر النفوس.[1]

[1] – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء26، ص275.

ثالثاً: وقفة مع مؤمن آل فرعون

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿28﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿29﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿30﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿31﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿32﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿33﴾ ﴾ [سورة غافر: **28 – 33**].

تروي هذه الآيات الكريمات حلقةً جديدةً من حلقات الصراع بين الحقّ والباطل، إنّها قصةُ الرجل[1] المؤمن – الصادق – من قوم فرعون الذي انتصب للدفاع عن نبيّ الله موسى – عليه السلام – بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد سلك في خطابه لفرعون ومَلئِه مسالك مُتنوعة، فتارةً يلجأُ إلى التخويف والترهيب، وتارةً أخرى يُقدّم الحُجج والبراهين على صدق ما يدّعيه.

استُهلت القصةُ بالإشارة إلى جَوّ الإرهاب الفكري الذي كان مُمارساً زمن فرعون، وقد تبيّن في قوله تعالى: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ ﴾، فقد وصل التضيّقُ عليهم إلى حدٍّ كانوا لا يستطيعون الإفصاح أو الجهر بما يعتقدونه[2].

---

[1] – ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره أن هذا الرجل هو غير الرجل المذكور في الآية: 20 من سورة القصص: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿20﴾ ﴾، فإن تلك القصة كانت قُبيل خُروج موسى – عليه السلام – من مصر، وهذه القصة في مبدأ دخوله مصر، ولم يُوصف هنالك بأنه مُؤمن ولا بأنه من آل فرعون، بل كان من بني إسرائيل، والظاهر أنّ الرجل المذكور هنا كان رجلا صالحا نظارا في أدلة التوحيد. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء24، ص129.

[2] – ينظر: إبداح، عبد الرحمن سعود، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص177.

فأول ما بَدأَ به مُؤمنُ آل فرعون هو أسلوب الاستنكار؛ من خلال تبشيع وتفظيع ما هم مُقدِمون عليه، فقال: كيف تستحِلُّون قتلَ رجلٍ ذنبُه وجُرمه: ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾؟ فهل هذه الكلمة النابعة من قلبٍ مؤمنٍ ونفسٍ مقتنعةٍ تستحقُ هذا الجزاء البشع؟ إن الذي يقول هذه الكلمةَ البريئةَ: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، يقولها ومعه حُججُه وبراهينُه، ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يُشير إلى تلك الآيات التي عرضها عليهم موسى – عليه السلام – ورأوها بأمّ أعينهم، بعيدا عن أنظار الجماهير، فكيف يمارون فيها؟[1]. قال لهم: فهَلاَّ أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحقّ، وقابلتم الحُجّة بالحُجّة، ثم ما زال يرتقي في مُحاجته لهم إلى أن قال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿28﴾﴾ أي: أن موسى – عليه السلام – بين حالتين اثنتين: إما هو كاذبٌ في دعواه أو صادقٌ فيها، فإن كان كاذباً ولم يُظهر لكم صحةَ ما جاءكم به فكذبُه يعود عليه، وضررُه يقع عليه، ومن العقل والرأيّ السديد أن تتركوه ونفسه، فلا تُؤذوه.. وإن كان صادقا وقد أراكُم الآياتِ المعجزاتِ والدلائلَ الباهراتِ، وحذّركُم من عذابٍ في الدنيا وعذابٍ في الآخرة إن أنتم لم تُؤمنوا به وتُصدقوا ما يدعو إليه[2].

قال السعدي: "وهذا من حُسن عقله، ولُطف دَفعِه عن موسى – عليه السلام – حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تَينك الحالتين، وعلى كلّ تقديرٍ فقتلُه سفَهٌ وجهلٌ منكم"[3]. وقد ذكر القرطبيّ أنّ هذا لم يكن لشكٍّ منه في رسالة موسى – عليه السلام – وصِدقه، ولكن تلَطُفاً في الاسْتِكْفاف [4]، واستنزالاً عن الأذى، وفيه – أيضاً – تلويحاً بأنه: إن لم

---

[1] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3079، بتصرف.

[2] – ينظر: أنور الباز، التفسير التربوي، ص184، بتصرف

[3] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص736.

[4] – [الاستكفاف]: استكفَّ الرجلُ: إذا مدَّ كفَّه يسألُ الناس. واستكفَّ الشيءَ: إذا وضع يدهُ على حاجبيه مُستوضحاً له ينظُر هل يراه، واستكفَّ القومُ حولَ الشيء: إذا أحدقُوا به ينظرون إليه، واستكفّ: أي استدار. ينظر: اليمني، نشوان بن سعيد الحميري (ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة 01، 1420هـ – 1999م، الجزء09، ص5730.

يُصبكم إلاّ بعضُ الذي يعدُكم هلكتُم.[1]ثم يقول لهم كلاماً يَشي من طرفٍ خفيٍّ توعدا وتهديدا – وإن كان ظاهرُه ينطبقُ على موسى وعليهم – قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿28﴾ ﴾ أي: فإذا كان موسى كاذباً، فإن الله لا يهديه ولا يُوفِقُه، فدَعوه يُلاقي جزاءَه، واحذروا أن تكونوا أنتم الذين تكذِبون على موسى وربه، فيُصيبكم هذا المآل[2].

ثم ينتقل بهم من أسلوب الاستدلال والحجاج إلى الوعظ والتحذير، فيقول لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ هنا يُلاحظ كيف بدأ باستعطاف قلوبهم، من خلال مخاطبتهم: بـ "**يا قوم**"، فأضافهم لنفسه، وأنّ الذي ينصحهم به هو مشاركٌ لهم فيه، ليكونوا أقربَ لقبول وعظِه، مُذكرا إياهم بِنعم الله تعالى عليهم، وتملُكِهم لأرض مصر، والتي من شأنها أن تُقابل بالشكر لا أن تُقابل بالكفر الذي يُفضي إلى نِقمة الله ﷻ وعذابه. قال الطاهر بن عاشور: "لما توسّم نُهوضَ حُجّته بينهم وأنّها داخَلَت نُفُوسَهم، أَمِنَ بأسَهُم، وانتهز فُرصةَ انكسار قُلوبهم، فصارحهم بمقصوده، من الإيمان بموسى على سُننِ الخُطباء وأهل الجدل بعد تقرير المقدّمات والحُجج أن يهجُموا على الغرض المقصود، فوعظهُم بهذه الموعظة."[3]

فما كان من فرعون إلاّ أن أخذته العزّة بالإثم، ورفض كلّ نصيحة تُخالف هواه أو تهددُ مُلكَه وسلطانَه، ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿29﴾ ﴾ قال فرعون: ما رأيكم أيّها الناس إلّا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، وما أدعوكم إلاّ إلى طريق الحقّ والصواب في أمرِ موسى وقتلِه، فإنّكم إن لم تقتُلوه بدَّل دينَكم، وأظهرَ في أرضكم الفساد.[4]إنها فريةٌ قديمةٌ جديدةٌ يستخدمها الطغاةُ دائماً وأبداً حين يُواجهون الحقَّ وأهلَه.

---

[1] – ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء15، ص307.

[2] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3079.

[3] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء24، ص131 وما بعدها.

[4] – ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء20، ص314.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣ ﴾[سورة غافر: **30 – 33**].

هنا يبدو مؤمنُ آل فرعون مُشفقاً على قومه إذا هم آذوا موسى – عليه السلام – أن يُصيبهم مثلما أصاب مَنْ كان قبلهم من الأقوام الذين كذّبوا رُسُلَهم. إن هذا الشعور يُنبئُ عن خُلقٍ كريمٍ من هذا الرجل المؤمن، وهو توجيهٌ وإرشادٌ للدّعاة أن يقتدُوا به، وأن يترفقُوا بالناس ويُشفِقوا عليهم. ثم يُشددُ وعيدَهُ لهم وترهيبه وتخويفهم من عذاب الآخرة بعد أن حذّرهم من عذاب الدنيا، ويوم التناد هو يوم القيامة،"ففي ذلك اليوم ينادي الملائكةُ الذين يحشرون الناس للموقف، وينادي أصحابُ الأعراف على أصحاب الجنة وأصحاب النار، وينادي أصحابُ الجنة أصحاب النار، وأصحابُ النار أصحاب الجنة. فالتنادي واقعٌ في صُوَرٍ شتَى، وتسميتُه "**يوم التناد**" تُلقي عليه ظِلَّ التصايُح وتناوُح الأصوات من هنا ومن هناك، وتُصوِّر يومَ زِحامٍ وخِصامٍ"[1].

رَابعاً: حوار الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3080.

لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿13﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿14﴾ [سورة إبراهيم: 9 – 17].

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾، [سورة النحل: 120]، وأنه – عليه السلام – أبُو الأنبياء[1]؛ ذلك أنّ معظم الأنبياء – من بعده – هم من ذريته. وسورة إبراهيم التي سُميّت باسمه قد أرادها الله ﷻ أن تكون أُمّةً في سُور القرآن الكريم؛ إنها تقُصّ تلك المحاورة التي كانت بين رُسُل الله تعالى وبين أقوامهم، فلقد اجتمعوا – عليهم السلام – في هذه السورة الكريمة كما يجتمع الأبناءُ في بيت أبيهم[2].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [سورة إبراهيم: 9].

إن هؤلاء الأنبياء الثلاثة الذين ذكَرتهم الآيةُ كانوا قبْلَ إبراهيم – عليه السلام –، ولكن عندما يذكرُ الله تعالى الأقوام الثلاثة: قومَ نوح وعاد وثمود، يستأنفُ الكلام فيقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، من بعد قوم نوح وعاد وثمود، لا يُحصي عددهم ولا يعلمُ مبلغهم إلاّ الله، ولا يَعرف نسبَهُم إلاّ الله[3]، لكثرتهم[4]. قال تعالى: ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾، أي: "بالحُجج الواضحات، والدّلالات البيّنات الظاهرات على حقيقة ما دعوهم إليه من معجزات".[5]فما كان منهم إلاّ أن كذّبوهم وردّوا عليهم قولهم بأفواههم[6]، وهو ما ذكره الحقّ تعالى بقوله:﴿ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ

---

(1) – قَالَ تَعَالَى:﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج: 78].

(2) – ينظر: فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة 03، 1430هـ – 2010م، ص85.

(3) – ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء09، ص344.

(4) – ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص422.

(5) – الطبري، جامع البيان، الجزء13، ص604.

(6) – اختاره ابن كثير في تفسيره، بعد أن أورد أقوال المفسرين، وهو المروي عن مجاهد ومحمد بن كعب، وقتادة، ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء04، ص481.

أَفْوَٰهِهِمْ ﴾. قال الطاهر بن عاشور: "... وأُولاها بالاستخلاص أن يكون المعنى: أنّهم وضعوا أَيدِيهم على أفواههم إخفاءً لشدّة الضحك من كلام الرسل، كراهيةَ أن تَظهر دواخلُ أَفواههم. وذلك تمثيلٌ لحالة الاستهزاء بالرسل"[1]. وهذا التصرف يُظهر حالة الغَيض والحِنْق والحَسد التي وصل إليها أولئك الأقوام؛ بسبب كراهيتهم للحقّ الذي جاء به المرسلون – عليهم السلام – ودَعوا إليه. ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ﴾، أي: "إنا كفرنا بما أُرسلتم به من الآيات، أي كفرنا بدلالتها على صدق رسالتكم، وإنا لفي شكّ مُوقعٍ في الرِيبة والقلق والاضطراب مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وحده، وترك ما سواه."[2]. ثم يُفنّدُ الرسلُ – عليهم السلام – جميعُهم هذه الشبهة وهذا الباطل، فقال تعالى: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، قال ابن كثير: "يخبر تعالى عمّا دار بين الكفّار وبين رُسلهم من المجادلة، وذلك أنَّ أُممُهم لما واجهوهم بالشكّ فيما جاءُوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾، وهذا يحتمل شيئين :

أَحدُهما: أَفِي وُجُوده شكٌّ، فإنّ الفِطر شاهدةٌ بوجوده، ومجبولةٌ على الإقرار به، فإنّ الاعتراف به ضروريٌّ في الفِطر السليمة، ولكن قد يعرِض لبعضها شكٌّ واضطرابٌ، فتحتاج إلى النظر في الدّليل الموصل إلى وُجوده؛ ...

والمعنى الثاني: في قولهم: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾ أي: أَفِي إلهيّته وتفرّده بوجوب العبادة له شكّ، وهو الخالق لجميع الموجودات..."[3].

ولا زالوا يُرغِبونهم في اتباع الحقّ، ويتوددون إليهم ويتلطفون معهم، طمعاً في إقناع عقولهم واستمالة قُلوبهم، ويُعرِّفونهم بربهم، خالقِهم وخالقِ كلّ شيءٍ، فقالوا: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾، أي: يدعوكم إلى منافعكم ومصالحكم، وليُثيبَكم على الاستجابة

---

[1] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء13، ص196.

[2] – الزُحيليّ، التفسير المنير، الجزء13، ص217.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء4، ص482.

لدعوته بالثواب العاجل والآجل، فلم يدْعُكم لينتفع بعبادتكم، بل النفعُ عائدٌ إليكم.[1] ومع كلّ هذا ما زادهم إلاّ نُفوراً وعناداً، ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾، فقد نَفوا اختصاص الرسل -عليهم السلام - بشيءٍ زائدٍ عنهم غير صفةِ البشرية التي يشتركون فيها معهم ظانين أنهم أَفحموا الرسل بحُجتهم.

فجاء ردُّ الرسل - عليهم السلام - يدفع هذه الشبهة بأسلوب حِجاجيّ لا يترك بعده مساحةً ينفذُ منها الخصم، ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾ قالت الرُسُل: نحن لا نُنكر بشريتَنا، ولم نَدَّعِ غير ذلك، ولكن هل كلُّ الناس سواء؟ قال ابن عاشور: "قولُ الرّسلِ: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ ...هو تسليمُ الدَّليل مع بقاء النزاع ببيان محلّ الاستدلال غير تامّ الإنتاج، وفيه إطماعٌ في الموافقة، ثم كَرَّ على استدلالهم المقصود بالإبطال بتبيّين خطئِهم..، وهذا النوعُ من القوادح في علم الجدل شديدُ الوقع على المناظر، فليس قولُ الرُّسل: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ تقريراً للدليل، ولكنّه تمهيدٌ لبيان غَلط المستدِلّ في الاستنتاج من دَلِيله. ومحلّ البيان هو الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾، فالاستدراكُ رفْعٌ لما توهمُوه من كون المماثلة في البشرية مُقتضى الاستواء في كلّ خِصلة" [2].

وبعد ذلك الخطاب الممتع والمقنع، بعد ذلكم القول الذي يُمتع العواطف، ويُقنع العقول، ويُوقظ المشاعر ويهزُّ النفوس، يُلاقى الرسلُ – عليهم السلام - بردّ صادمٍ من قِبَل أقوامهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾. "إنه منطق الطغيان الغليظ، كلّما أَعوَزَته الحُجّة، وخذلَه البرهان، وخافَ أن يستعليّ الحقُّ، بما فيه من قُوةٍ وفصاحةٍ ووضوحٍ، استخدم هذه الوسيلة التي يلجأُ إليها كلُّ الطُغاة والجبابرةُ، وهي أسلوبُ عرضِ العضلات والتهديد بعصا القُوة

---

[1] - ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص422.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء13، ص201.

والقَهر، فقد استخدمها قومُ شعيب، وقالها قومُ لوط، وتوعدّ بها فرعون، وغيرُهم عبر الأزمنة والأمكنة، ... إنه منطقٌ واحدٌ، يتكرر كلّما التقى الحقّ والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان، والقصةُ قديمةٌ مُكررةٌ تُعرَضُ بين الحين والحين"[1]، وهذه هي سنة الله ﷻ في الحياة الدنيا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد صدق الله وعده الذي قال في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿51﴾ ﴾ [سورة غافر: **51**]. فها هي العناية الربانية تنزل على عباده المصطفين الأخيار، فقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿13﴾ ﴾، فما أروعه من وعيدٍ يشدُّ النفوس ويقرعُ القلوب، إنه وعيدُ الله ﷻ بإنزال الهلاك على الظالمين، فلقد أوحى الله إلى رُسله ما يُثبّت به قلوبَهم، ويشدُّ عزمَهم، وهو الوعدُ بإهلاك الظالمين، "الذين ظلموا أنفسَهم، فأوجبُوا لها عقاب الله بكفرهم، وقد يجوز أن يكون قيل لهم: الظالمون لعبادتهم من لا تجُوز عبادته من الأوثان والآلهة، فيكون بوضعِهم العبادةَ في غير موضِعها إذ كان ظلماً سُمُّوا بذلك ظالمين"[2]. ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿14﴾ ﴾، ويتواصل وعدُ الله تعالى لرسله ولعباده المؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض، وبسبب خوفهم وخشيتهم لله جلّ وعلا، فذكرت الآية قسمين من الخشية: الخوف من الوقوف بين يدي الله ﷻ يوم القيامة، أو الخشية والحذر من وعيد الله تبارك وتعالى بالعذاب.

فلقد سلكَ أنبياءُ الله ﷻ ورسلُه – عليهم الصلاة والسلام – في دعوتهم مسلكَ الإقناع عن طريق الحوار بالحجج والبراهين وضرب الأمثال، وجمعت في ذلك بين إقناع العقل والتأثير على العاطفة، مع الرفق في الخطاب ولين الجانب، والصفح الجميل في غير ذلة نفس أو مداهنة.

فما أروعه من خطاب – لا يصدرُ إلاّ من خبير عليم – إنه أسلوب القرآن الذي نزل ليخاطب النفس الإنسانية بكل مُكوناتها، حيث رافق فيه الفكرُ الوجدان، يضعُ كلَّ مُفردةٍ في الموضع الذي

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3077، وما بعدها.

[2] – الطبري، جامع البيان، الجزء13، ص613.

تستحقُّه، فحين كان المقامُ مقامَ إقناعٍ وبرهنةٍ على صدق النُبوات وتذكير مُشركي مكّة بأحوال الأمم الغابرة؛ – حيث كانوا يمُرون بطريقهم على هؤلاء الأقوام، وعلى هذه الأمكنة، وينظرون بأمّ أعينهم آثارهم التي تشهدُ على شدّة الهلاك الذي أصابهم – ناسبَ ذلك أن يتوجه الخطابُ إلى عقولهم، ثم لما طَغى الكفارُ وتوعدُوا الرسل بإخراجهم من أرضهم، قابل الوعيدَ بالوعيد، وشتان بين الوعيدين. فقوةُ الله تعالى لا تُدانيها قُوة، وغضبُه لا يماثلُه غضبٌ.

خامساً: الدعوة إلى الاعتبار بمآل الأمم الغابرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138) ﴾ [سورة آل عمران: **137 -138**].

ابتُدِأَت هاته الآية الكريمة بحقيقة تاريخية: وهي الاعتبار بأحوال الأمم الماضية، حيث يُعزّي فيها الله ﷻ ويُسلي عباده المؤمنين بعدما ظهر عليهم الانكسار والإحباط جراء الهزيمة التي ابتلوا بها يوم أُحدٍ، فيُخبرُهم أن الأيامَ والأحوالَ هي سجالٌ ومداولةٌ بين أهل الحقّ وأهل الباطل، ويُذكّرهم بمصير الأمم السابقة، وأنّ العاقبة لعباده المتّقين، والخُذلان للكافرين.[1]كما يُعلِمُ الله ﷻ المؤمنين من أمة محمد – ﷺ– أنه قد انقضت من قَبلهم سننُه ﷻ في الأمم السالفة، وأكثرُ المفسّرين على أنّ المراد سُنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى: ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾، وذلك لأنّهم خالفوا دعوة الرُسل – عليهم السلام –، وآثروا الدنيا ولذّاتها، ثمّ انقرضوا ولم يبق من دنياهم أَثر، إلاّ اللّعن في الدنيا والعقاب في الآخرة، فيُوجه الله تعالى أُمة محمد ﷺ إلى تأمّل أحوال هؤلاء الماضين والاعتبار بها، ليصير ذلك داعياً لهم إلى الإيمان بالله ورسله، والإعراض عن طلب الدنيا، ...وأيضاً يقال الغرض منه زجرُ الكفّار عن كفرهم، وذلك إنّما يُعرف بتأمّل أحوال المكذّبين والمعاندين[2].

---

[1] – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء04، ص95 وما بعدها.

[2] – ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء09، ص369.

يقول محمد رشيد رضا في تفسيره: "إنّ إرشاد الله إيّانا إلى أنّ له في خلقه سُنناً يُوجب علينا أن نجعل هذه السّنن عِلما من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قومٌ يُبيّنون لها سُنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أَرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بيّنها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه.."[1].

ومما يُستخلص من هذا النصّ الذي أورده محمد رشيد رضا أن التعرف على سنن الله تعالى في الأقوام الغابرة، إضافةً إلى العلم بتاريخ وأحوال هؤلاء الأقوام، فإنه يُثمر تقوى الله ﷻ والخشية من عقابه في الدنيا والآخرة.

ومعنى: ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾، أي: شاهدوا بأعينكم حقيقة ما آل إليه أمرُ هؤلاء الجاحدين المكذبين؛ فإنّ للعيان بديعَ معنىً، لأنه قد بلغتهم أخبار المكذّبين، ومن المكذّبين عاد وثمود وأصحاب الأيكة وأصحاب الرَّس، وكلُّهم في بلاد العرب يستطيعون مشاهدة آثارهم، وقد شهِدها كثيرٌ منهم في أسفارهم أو السؤال عن أسباب هلاكهم، حيث استأصلهم الله سبحانه[2].

وإنّما أمر الله ﷻ بالسير في الأرض دون مُطالعة الكتب، لأنّ المشاهدة متاحةٌ للمتعلّم وغير المتعلّم؛ ولأنها تزيد من عِلم من قَرأ التاريخ أو قُصّ عليه، وتُفيد الأُمِيّ الذي لم يقرأ قطّ.[3] وفي هذا أعظمُ دليل، وأكبرُ شاهدٍ على صدق ما جاءت به الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم –، كما فيه بيانٌ لحكمة الله ﷻ من امتحان عباده، ليتَبيَّن صادقُهم من كاذبهم.

فهو – ﷻ – يدعوهم إلى النظر في أحوال وعاقبة من تقدّمهم من الأمم السالفة، حتى يعلموا أنّ لله ﷻ سُننا لا تُحابي أَحداً. فيقول لهم: إن أنتم اتبعتم طريقَ الصّالحين فعاقبتُكم كعاقبتهم، وإن أنتم

---

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء04، ص114.

[2] – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء04، ص97.

[3] – ينظر: ابن عاشور، المصدر نفسه، الجزء04، ص97.

اتبعتم سُبُل الظالمين فعاقبتكم كعاقبتهم. "وفي هذا تذكيرٌ لمن خالف أَمرَ النبيَّ – ﷺ– في أُحد، وفي الآية مَجاري أَمنٍ ومجاري خوفٍ، فهو على بِشارته لهم فيها بالنّصر وهلاك عدُوّهم يُنذرهم عاقبةَ الميل عن سُننه، ويُبيّن لهم أَنّهم إذا ساروا في طريق الضالين من قبلهم فإنّهم ينتهون إلى مثل ما انتهوا إليه، فالآية خبرٌ وتشريعٌ، وفي طيّها وعدٌ ووعيدٌ".[1]

والآية تدلّ – بمضمونها – على أهمية علم التاريخ، لأنّ فيه فائدة السّير في الأرض، وهي الاطلاع على أخبار الأقوام الغابرة، ومعرفة أسباب صلاح الأمم وفسادها. والسّير في الأرض إما حِسّي أو معنوي، أما المعنويّ فهو النظر في كتب التاريخ بحيث يحصل للناظر العلم بأحوال الأمم، وما يَقربُ من العلم، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسّير في الأرض لعجز الإنسان وقُصُوره[2].

فيُلاحظ كيف توجهت الآية إلى عقول المخاطبين، وهذا من خلال تذكيرهم بما آل إليه مصيرُ الأُممِ الغابرة من الهلاك والاستئصال، ثم دَعَتهم إلى السير في الأرض والنظر في أطلال وآثار هؤلاء الأقوام. كما أنها – في الموضع نفسه –تستميل وِجدان وعاطفة المؤمنين، من خلال ترغيبهم في الإقبال على الله ﷻ، والزهد في الدنيا ولذاتها، كما أن فيها زجراً وتوعداً بالعذاب للكفار حتى يرتدعوا.

ثم قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿138﴾ ﴾، قال محمد رشيد رضا: "إنّ كلّ إنسان له عقلٌ يعتبر به، فهو يفهم أنّ السّير في الأرض يدُلّه على تلك السنن، ولكن المؤمن المتقي أَجدرُ بفهمها، لأنّ كتابَه أرشده إليها وأجدر كذلك بالاهتداء والاتّعاظ به"[3].

إنّ البيان هو للناس كافة، وأما الهدى والموعظة فهما للمتقين خاصة؛ فإن البيان إرشادٌ عامٌ، فسنُن الله المطردة حجّةٌ على جميع الخلق مُؤمنهم وكافرهم، تقيّهم وفاجرهم، وفي هذا ردٌّ ودحضٌ للشبهة

---

[1] – محمد رشيد رضا، المرجع السابق، الجزء04، ص115.

[2] – ينظر: ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي (ت: 803هـ)، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 01، 2008م، الجزء3، ص192.

[3] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء04، ص117.

التي أثارها المشركون والمنافقون – في كلّ زمان – حول الإسلام، حيث زعموا زورا: لو أن محمدا – ﷺ – مُرسَلٌ من عند الله لما نالَ منه المشركون في أُحُد، فأبطل القرآنُ الكريم هذه الفِرية وهذه الشُبهة، بأن سُننَ الله حاكمةٌ على رُسله وأنبيائه، كما هي حاكمةٌ على سائر خَلقه، وأنّ سُنن الله تعالى – الكونية – لا تُحابي أَحداً، حتى وإن كان نبياً مُرسلاً. فهذا بيانٌ لجميع الناس – على اختلاف نِحَلِهم ومَشاربهم – وهو أن لله تعالى سُنناً في الكون عليهم أن يتعرفُوا عليها ويسيرُوا وِفقَها.

وكخلاصة لما تقدم عرضُه؛ فإن هذه الآية الكريمة تحملُ في طياتها أحكاماً شرعيةً وحِكماً ربانيةً؛ فقد تضمنت أوامرَ الله ﷻ ونواهيه، ووعدَه ووعيدَه، إلى جانب البراهين والدلائل على صحة وصدق هذا الدّين الذي جاء به الرسول ﷺ من عند الله ﷻ.

وبناءً عليه يظهر للقارئ – أو المستمع – كيف تجلى أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في هذا السياق القرآني الكريم.

هذا وقد بيّن العلماء الفروق بين البيان وبين الهدى وبين الموعظة؛ لأن العطف – في اصطلاح أهل اللّغة – يقتضي المغايرة[1].

فقالوا: البيانُ: هو الإيضاحُ وكشفُ الحقائق الواقعة، والهُدى: يعني الإرشادُ إلى ما فيه خير الناس في الحال وفي المستقبل، أو هو بيانٌ لطريق الرُشد حتى يُسلك، وأما الموعظة: فهي الكلام الذي يُفيد الزَجر عما لا ينبغي من الأعمال والأقوال، وتتضمن الترهيب والتخويف والتحذير من الأمور التي نهى عنها الشرع[2].

---

[1] – ينظر: العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي (ت: 761هـ)، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، الطبعة 01، 1410هـ – 1990م، ص142.

[2] – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء04، ص98.

فالبيان لجميع الناس – مهما اختلفت مشاربُهم وتفاوتت مستوياتُهم – يدركُه كلُّ من له بصرٌ يُبصر به، وفهمٌ يَفهم به، فتقوم به عليهم الحُجّة، وأما الهدى والموعظة، فهي لعباد الله المؤمنين المتقين، لأنهم هم الذين ينتفعون بالآيات البيّنات، التي تُرشدهم إلى صراط الله المستقيم، فيتعظون بها.

الفرع الثاني: مظاهر التوازن بين العقل والعاطفة في الأحكام التشريعية

أولاً: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة: **282**].

بدأ الله ﷻ هذه الأحكام المتعلّقة بالأموال بالحديث عن الصدقات والنفقات في سبيل الله، والترغيب في كلّ ما من شأنه زرع الرحمة بين الناس، ثم أَردف الكلام بالنهيّ عن الربا الذي يُفضي إلى القساوة والتباغض بينهم، ثم أنهى الحديث بأحكام التجارة والرهن والدَّين، وهذا حتى يقوم ميزانُ العدل بين الناس.[1] قال الطاهر بن عاشور: " لما اهتمّ القرآنُ بنظام أحوال المسلمين في أَموالهم، فابتدأ بما به قِوامُ عامَّتِهم من مُواساة الفقير وإغاثة الملهوف، ووَضُحَ ذلك بما فيه عبرةٌ للمعتبر، ثمّ عطَف عليه التّحذيرَ من مُضايقة المحتاجين إلى المواساة مُضايقةَ الرّبا مع ما في تلك المعاملات من المفاسد، ثَلّثَ ببيان

[1] – ينظر: [سورة البقرة، الآيات: من (261– 274)، ومن (275 – 278)، و(282)].

التَوثُّقات المالية من الإشهاد، وما يقومُ مقامَه وهو الرّهن والائتمان. وإنّ تحديد التوثّق في المعاملات من أعظم وسائل بَثِّ الثّقة بين المتعاملين، وذلك من شأنه تكثيرُ عُقود المعاملات ودورانِ دُولاب التموُّلِ".[1]

فأمرنا الله ﷻ ببذل المال حيث ينبغي البذل وهو الصّدقة والإنفاق في سبيله، وبتركه حيث ينبغي التّرك وهو الرّبا، وبتأخيره حيث ينبغي التّأخير وهو إنظار المعسر، وبحفظه حيث ينبغي الحفظ وهو كتابة الدّين والإشهاد عليه[2]، وفي هذا دليلٌ على اهتمام القرآن الكريم بتنظيم شؤُون المسلمين المالية.

وآية الدَّين هي أطولُ آية في القرآن العظيم، وقد جاء الأمر فيها بكتابة المعاملات المالية المؤَجَلة[3]، وهذا حتى لا تضيع الحقوقُ بالنسيان أو الخطأ، فيحصل النزاع والشقاق بين الناس، الذي يُفضي بهم إلى شرٍّ عظيمٍ[4].

فافتُتِح هذا البيانُ القرآني الذي سيُملي فيه المولى عزّ وجلّ جملةً من الأحكام المتعلّقة بكتابة المعاملات المالية بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وهو خطابٌ فيه تودُّدٌ وتلطُّفُ من الله ﷻ لفئة مخصوصة من عباده الذين وصفهم بالمؤمنين.

فنصّ الله تعالى على وجوب كتابة الدّين إلى أجل، ثم عَيّنَ من يتولى الكتابة من غير المتعاقدين وأنه عليه أن يلتزم العدلَ فيما يكتب، وأن يتذكر نعمة الله عليه إذ علَّمه الكتابة. ثم بيّن تعالى كيفية وشروطَ الكتابة، فجعل للغريم المدِين الحقَّ في إملال ما في ذمته من دَين على الكاتب، وفي الوقت ذاته يُناشد ضميرَ الذي عليه الحق – وهو يُملي – أن يتقي الله في ذلك، وألاَّ يكتم منه شيئ(أ)[5].

---

(1) – ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 03، ص97 وما بعدها.

(2) – ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء03، ص100.

(3) – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء01، ص721.

(4) – ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص118.

(5) – ينظر: السعدي، المرجع نفسه، ص118.

وإنّ من يُمعن النظر في هذه الآية الكريمة ليقفُ مُعجباً أمام هذا التعبير القرآني، حيث تتجلى فيه الدقةُ في الصياغة التشريعية، حتى ما يبدَّل لفظٌ بلفظ، ولا تُقدّمُ فقرةٌ عن موضعِها أو تُؤخَّر، وحيث لا تطغى هذه الدّقةُ المتناهيةُ على جمال التعبير وطلاوتِه، وحيث يتصلُ التشريعُ بالوجدان الدينيّ[1] اتصالاً لطيف المدخل عميق الإيحاء قويّ التأثير، دون الإخلال بترابط النّص من ناحية الدّلالة التشريعية، وهو ما يُجسد الإعجاز القرآني حيث تلتقي الدّقة التشريعية المطلقة بالجمال الفنيّ المطلق في أسلوب فريد يخاطب العقل والوجدان في آن واحد[2].

ثانياً: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [سورة النساء: **58**].

يأمر المولى تبارك وتعالى – في هذه الآية الكريمة – عبادَه بأداء الأمانات إلى أصحابها، وأن يحكُموا بين الناس بالعدل، كما يذكُّرهم برقابته وأنه ﷻ مُطّلعٌ على كلّ شيء لا تخفى عنه خافية، وهذا حتى يخشوه ويتّقوه.

ثم يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [سورة النساء: **64 -65**].

يخبر الله تعالى نبيّه محمدا ﷺ عن الحكمة من إرسال الرسل إلى أقوامهم؛ وهي طاعته ﷻ، والتي تُفضي بهم إلى عبادته وحده، لا مجرّد التبليغ والإقناع، وإلاّ ما حكمةُ معرفة الشيء والاقتناع به، ثم لا تُترجم هذه القناعة إلى عملٍ وانقيادٍ.

---

[1] – يذكر سيد قطب نوعين للوجدان في القرآن الكريم: الوجدان الفني، والوجدان الديني، ينظر: التصوير الفني في القرآن، ص171 وما بعدها.

[2] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص334، بتصرف.

ثم يضع الله ﷻ لهم أُسساً وشروطاً لصحة إيمانهم، فينفي عنهم الإيمان – ابتداءً – ما لم يتحاكموا إلى شرع الله تعالى الذي يقوم على كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ، بل لابد أن يتلقوا أحكامَه وأوامرَه مُسَلِّمين راضين، دُونما حرجٍ ولا تضرُّمٍ. فهذا هو شرط قَبول الإيمان.

ثالثاً: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿69﴾﴾ [سورة النساء: **69-70**].

يجمَع الله تعالى بين أسلوبين عقلي وعاطفي، فعندما يدعو عبادَه لطاعته واتباع رسوله ﷺ، فهو ﷻ يُوجِه خطابَه لفئة المكلَّفين أن يمتثلوا أوامرَه ويجتنبُوا نواهيه، وهذا يعني أنه يتوجه بخطابه هذا لأُولي الألباب والنُّهى. ثم يرافقُ هذا الخطابَ العقليَّ، وَعدٌ يصحبُه ترغيبٌ، يُثير في النفس الشعورَ بالغبطة والابتهاج، حينما يتخيَّل المؤمنُ – المطيعُ لله ﷻ ورسوله ﷺ - أنه سيكون برفقة الصَّفوة من النبيّين والصدّقين والشهداء والصالحين، فهذا الشعور سيدفعُ المرءَ إلى الطاعة والاستجابة لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية قوله: "من عمِلَ بما أَمرهُ الله ورسولُه، وترك ما نهاهُ الله عنه ورسولُه، فإن الله عز وجل يُسكِنُه دار كرامته، ويجعلُه مُرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدَهم في الرُتبة، وهُم الصدِّيقون، ثم الشهداء، ثم عُموم المؤمنين وهُم الصالحون الذين صَلُحت سرائرُهم وعلانيتُهم، ثم أَثنى عليهم تعالى فقال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾."[1]

رابعاً: قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿40﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿41﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿42﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿43﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿44﴾﴾ [سورة البقرة: **40 – 44**].

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء20، ص353.

حين خاطب الله جل شأنه بني إسرائيل قَرَنَ أَوامِره ونَواهِيه بإثاراتٍ عاطفيةٍ تدعوا إلى القَبول والإذعان، فذكّرهُم بنعَمِه عليهم، حتى يُقِرُّوا بقلُوبهم ويعترفوا بألسنتهم ويستعملوا جوارحَهم فيما يحبُه الله ويرضا، كلُّ ذلك حتى يشكروا المنعمَ ﷻ. ثم أَمرهم بالوفاء بالعهد، وهو ما عهده إليهم من الإيمان به وبرسله وإقامة شرعه، والرهبة منه وخشيته وحده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. فإن هذا الأسلوب يُثير فيهم شعورَ العِرفان بالجميل، عند تذكُر نِعَمه التي أنعمها عليهم، وهذا العرفانُ بالجميل يدفعُهم إلى الوفاء بالعهد والإيمان بما أَنزل الله ﷻ، لا أن يُقابَل منهم بالجحود والنُكران وإلباس الحقّ ثوبَ الباطل، كما أثار فيهم غريزةَ حُبّ النفس، عندما أَنكر عليهم دعوتَهم الناس إلى الخير ونِسيانهم أَنفسَهم، وهكذا اتصل الأمر والنهي بتلك الإثارات الوجدانية، التي — من شأنها — أن تحمل النفس على قبول الأوامر وترك المنهيات.[1]

خامساً: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ ﴾ [سورة النساء: **47**].

يُواصل القرآن الكريم المزاوجة بين العقل والعاطفة في خطابه للمكلَّفين – من أهل الكتاب –، فقد أتبع الله ﷻ أَمره لهم بالإيمان بشريعة محمد ﷺ، بالوعيد الشديد إذا هم خالفوه. يقول السعدي في تفسيره: "أمر تعالى أهلَ الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالرسول محمد ﷺ، وما أَنزل الله عليه من القرآن العظيم، المهيمن على غيره من الكتب السابقة التي قد صدَّقها، فإنها أخبرت به، فلما وقَع المخبَر به كان تصديقاً لذلك الخبر. وأيضاً فإنهم إن لم يُؤمنوا بهذا القرآن، فإنهم لم يؤمنوا بما في أَيديهم من الكتب، لأنّ كتبَ الله يُصدّقُ بعضُها بعضاً، ويُوافق بعضُها بعضاً. فدعوى الإيمان ببعضِها دون بعض دعوى باطلةٌ لا يمكن صِدقها. وفي قوله: ﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾: حثٌّ لهم وأَنهم ينبغي أن يكونوا قبل غيرهم مُبادرين إليه بسبب ما أنعمَ الله عليهم به من العلم والكتاب الذي يُوجب أن يكون ما عليهم أَعظمَ من غيرهم، ولهذا توعدهم على عدم الإيمان فقال: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن

---

[1] – ينظر: البدوي، أحمد عبد الله البيلي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، (د، ط)، 2005م، ص38 بتصرف.

﴿نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهَآ﴾، وهذا جزاءٌ من جنس ما عملوا، فكما تركوا الحقّ، وآثروا الباطل وقلَبوا الحقائق، حيث جعلوا الباطل حقاً والحقَّ باطلاً؛ جُوزُوا من جنس ذلك بِطمس وُجُوههم كما طَمَسوا الحقّ، وردِّها على أدبارها، بأن تُجعل في أقفائهم، وهذا أشنع ما يكون: ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾، بأن يطردهم من رحمته، ويُعاقبَهم بجعلهم قردةً، كما فعل بإخوانهم الذين اعتدوا في السبت: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥﴾ [سورة البقرة: 65].[1]

فيظهر أنّ الله سبحانه وتعالى قد بدأَ بمخاطبة عقولهم من خلال دعوتهم للإيمان بما أُنزل على الرسول ﷺ المصدّق لما معهم من أصول الدّين وأركانه التي هي "المقصد من إرسال جميع الرسل، لا يختلفون فيها وإنما يختلفون في طرق حمل الناس عليها وهدايتهم بها وترقيتهم في معارجها بحسب سنة الله في ارتقاء البشر بالتدريج جيلاً بعد جيل، وقرنا بعد قرن"[2]. ثم توعدهم إن هم خالفوا أمره بالعذاب الشديد. فقد أثار الخوفَ في نفوسهم من أن تُشَوَّه وُجُوههم أو تُطمس، أو تحُلّ اللّعنة بهم، كما وقع لأصحاب السبت، وهذا الوعيد والترهيب من شأنه أن يدفعهم إلى التفكير العميق حتى لا يقعوا فيه، ولا يكون ذلك إلاّ بالانقياد لأوامر الله ورسوله ﷺ.

فيتبيّن أنه حتى الأحكام الشرعية التي خُوطب بها المكلّفون في القرآن الكريم، لم تخلُ من الإثارات الوجدانية، حيث نجدها قد اقترنت بما يُثير عاطفة ووجدان المكلّفين، وهذا حتى تستجيب النفوس لها وهي راغبة راضية.

الفرع الثالث: التوازن الحميد في الدعوة إلى الله تعالى:

لقد أرسى الإسلام قواعد الدعوة إلى الله تعالى ومبادئها، وبيّن وسائلها، وكيفية السير فيها وفق المنهج الذي سطره الله ﷻ في كتابه الكريم وأمر نبيّه ﷺ أن يسير على نهجه.

---

[1] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص181.

[2] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء5، ص117.

يقول الله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ مُبينا له أسلوب الدعوة الصحيح ومُحذرا إياه من الغلظة والقسوة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [سورة النحل: **125**].

إنّ هذه الآية الكريمة تُلخّص كيفية الجمع بين الخطاب العقلي الذي يقوم على المحاكمة العقلية وإبراز الحجج والبراهين، وبين الخطاب العاطفي الذي يَستخدم أساليب التأثير التي تنفُذ إلى القلوب وتلامس الوجدان.

إنّ الدعوة بالحكمة تقتضي من الدّاعي أن يسلُك طريق العلم النافع، وأن ينظر في أحوال المخاطَبين وظروفِهم، وأن يعلمَ القدرَ الذي يُبيّنُه لهم في كلّ مرة حتى لا يُثقل عليهم ولا يشُقّ عليهم بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، فيبدأ بالأهم فالأهم.[1]

وأما الموعظة فهي سبيل العوام من الناس، والجدال بالتي هي أحسن ينفعُ مع المتوسطين الذين لم يرتقوا إلى الاستعداد لطلب الحكمة، ولا تُؤثّر فيهم المواعظ، فهؤلاء لابد من مخاطبتهم على قدر عقولهم، ومجادلتهم بالحسنى. فعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: "... إنّما نزلَ أوّلُ ما نزل منه سورةٌ من المفَصَّل، فيها ذكرُ الجنة والنار[2]، حتى إذا ثَابَ الناس إلى الإسلام نزل الحلالُ والحرامُ، ولو نزل أولُ شيءٍ: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندَعُ الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندَعُ الزّنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجاريةٌ ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡۚ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦ ﴾ [سورة القمر: **46**]، وما نزلت سورة البقرة والنّساء إلّا وأنا عندَه.."[3] فلقد أشارت – رضي الله عنها – إلى الحكمة

---

[1] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2202.

[2] – قال الحافظ ابن حجر: " قوله إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل فيها ذكر الجنّة والنّار هذا ظاهره مغاير لما تقدّم أنّ أوّل شيء نزل اقرأ باسم ربك وليس فيها ذكر الجنّة والنّار فلعلّ من مقدّرة أي من أوّل ما نزل أو المراد سورة المدّثّر فإنّها أوّل ما نزل بعد فترة الوحي وفي آخرها ذكر الجنّة والنّار فلعلّ آخرها نزل قبل نزول بقيّة سورة اقرأ فإنّ الّذي نزل أوّلا من اقرأ كما تقدّم خمس آيات فقط". ينظر: العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم: 4993، الجزء09، ص40.

[3] – أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم: 4993، الجزء06، ص185.

الإلهية في ترتيب نُزول القرآن الكريم، وأنه كان أولَ ما أُنزل دعوةُ الناس إلى توحيد الله تعالى، وتبشيرُ المؤمنين بالجنة، وتوعدُ العصاة الكافرين بالنار، ثم لما اطمأنت النفوس، وتيقنوا أن الجنة دارُ المطيعين والنار قرارُ العاصين، حينئذ نزلت الأحكام تَتْرى.[1]

وهكذا تُبيّن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – منهجَ القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الله تعالى، فتهذيب النفوس وتربيتها تربيةً قوامها الترغيب والترهيب، ثم إذا ما دُعيّ الناس إلى الالتزام بالتكاليف أَقبلوا عليها طائعين. فالموعظة الحسنة تدخل إلى القلوب برفقٍ، وتتعمق في المشاعر بلُطف، وهو السبيل الذي يهدي النفوس الشاردة، ويؤلِف القلوب النافرة، ويأتي بنتائج أفضل من الزجر والتأنيب والتوبيخ في غير موجب.

ومما يحسن الإشارة إليه، في خِضمّ الحديث عن الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني، أن أسلوب الترغيب والترهيب قد اقترن بمواضيع العقائد، والعبادات والمعاملات، كما أنه في مواضع متعددة يُلاحظُ حضورُ الخطاب العقلي يسير جنباً إلى جنب مع الخطاب العاطفي.

ومن ذلك قول المولى تبارك وتعالى: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿11﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿12﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿13﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿14﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿15﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿16﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿17﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۖ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿18﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿19﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿20﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿21﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿22﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿23﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿24﴾ ﴾ [سورة الطور: 11 – 24].

---

[1] – ينظر: ابن حجر، فتح الباري، الجزء09، ص40.

فمن خلال هذا النصّ القرآني تظهر مرافقة الخطاب العقلي للخطاب الوجداني، وقد تجلى في تلك الإشارات العقلية، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿16﴾ ﴾ وقوله: ﴿ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿19﴾ ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿21﴾ ﴾. فهذه حجج عقلية مبثوثة في ثنايا تلك الإثارات الوجدانية[1].

إلاّ أن الموازنة والعدل في القرآن الكريم لا تعني بالضرورة مساواة أو مرافقة خطاب العقل لخطاب العاطفة، وإن كان هذا الأصل، فإنه يردُ كلٌّ أسلوب في الموضع الذي يليق به، والموقف الذي يقتضيه، فأحيانا يستلزم استخدام خطاب العقل، ويكون ذلك مع القلوب المؤمنة المطيعة؛ لتزداد إقبالا على الطاعات، وفي حالات أخرى يقتضي المقام توظيف خطاب التهديد والترهيب، حين تقابل القلوب القاسية المتغطرسة، حتى ترتدع وتؤوب إلى ربّها تبارك وتعالى.

المطلب الثاني: تعارض العقل مع العاطفة في الخطاب القرآني[2]

الفرع الأول: صعوبة بعض الأحكام والتكاليف الشرعية على الأنفس

أولاً: قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿216﴾ ﴾ [سورة البقرة: **216**].

وردت هذه الآية الكريمة – من سورة البقرة – مع جملة من التشريعات والنُّظم، من مثل قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ [سورة البقرة: **178**]، وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ

---

[1] – ينظر: أوهنا إدريس، أسلوب الحوار في القرآن الكريم، الموضوعات والنماذج والخصائص، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة 01، 1426هـ – 2005م، ص136.

[2] – هذا تعارض ظاهري فيما يظهر للإنسان، وإلاّ فخطاب القرآن الكريم لا يمكن أن يناقض بعضه بعضا، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿41﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿42﴾ ﴾ [سورة فصلت: 41 – 42]. وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: 216].

عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ﴿180﴾ ﴾ [سورة البقرة: **180**]. وقوله جلّ وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [سورة البقرة: **183**].

فقد فرض الله ﷻ القتال – على المكلَّفين – وهو شاقٌّ على النفوس، لأنه مظنة الهلاك، مع ما فيه من مشقة السّفر ومجالدة العدو، وحصول أنواع المخاوف والتعرّض للمتالف والجروح، لكنه مع تَوجُب أَدائه وكراهة الأنفس له، فهو خيرٌ محض، ففيه الثواب العظيم، والنصر على الأعداء، والظفر بالغنائم، وغير ذلك من الفوائد التي تعود على الفرد والجماعة المسلمة[1].

إن القرآن الكريم أُنزل ليخاطب النفس البشرية والفطرة الإنسانية بكل ما تحتويه من خصائص، سواء على المستوى العقلي أو العاطفي، فالله ﷻ حين فرض القتال على المسلمين راعى المشاعر الفطرية التي خُلق الإنسان بها، فلم يُنكر مشقةَ هذه الفريضة على النفوس ولم يُهوّن من أمرها، لكنه ﷻ عالج الأمر من جانب آخر، وقدّم البلسم الذي يُريح النفوس ويبعث الطمأنينة في القلوب. فبعد إقراره بصعوبة وكراهة الجهاد على النفس البشرية، يخبر الله ﷻ أن وراء ذلك حكمةً تُهوِّن مشقتَه، وتُسيغ مرارتَه، ويتحقق به خيرٌ كثيرٌ قد لا يعلمه الإنسان[2]، ولكن حكمة الله علاّم الغيوب قد لا تتكشف للنظرة البشرية القاصرة.

وقد نصّ العلماء أنّ كراهية الطبع للفعل لا تُنافي تلقي التكليف بالرضا، فكثير من التكاليف المفروضة لا تخلوا من المشقة.[3] فالله ﷻ هو أعلم بعواقب الأمور منا، وخبير بما فيه صلاحنا في دنيانا وأخرانا، فما علينا إلاّ الاستجابة والانقياد لأوامره.

وهذه الآيات عامةٌ مطّردةٌ، في أن أفعال الخير التي تشقّ على النفوس خيرٌ بلا شك، وأن أفعال الشرّ التي تميل لها النفوس – لما تتوهم أن فيها من الراحة واللّذة –، فهي شرٌّ بلا شك؛ ذلك أن الله

---

[1] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء01، ص573.

[2] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 223.

[3] – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء02، ص321.

تعالى أرحمُ بالعبد من نفسه، وأقدرُ على مصلحة عبده منه، وأعلمُ بمصلحته منه كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿216﴾﴾، فعلى العبد أن يتمشى مع أقدار الله ﷻ، سواء سرته أو ساءته[1].

يقول ابن عاشور: "وهذا الكلام تلطّف من الله تعالى لرسوله والمؤمنين، وإن كان سبحانه غنيّا عن البيان والتّعليل، لأنّه يأمرُ فيُطاع، ولكن في بيان الحكمة تخفيفاً من مشقّة التّكليف، وفيه تعويد المسلمين بتلقّي الشّريعة مُعلّلة مُذلّلة، فأشار إلى أنّ حكمة التّكليف تعتمد المصالح ودرء المفاسد، ولا تعتمد ملاءمةَ الطّبع ومنافرتَه، إذ يَكرهُ الطّبعُ شيئاً وفيه نفعُه، وقد يُحبّ شيئاً وفيه هلاكُه، وذلك باعتبار العواقب والغايات، فإنّ الشّيء قد يكون لذيذاً مُلائماً، ولكنّ ارتكابه يُفضي إلى الهلاك، وقد يكون كريهاً مُنافراً وفي ارتكابه صلاح..."[2].

فجماع القول حول ما تحمله هذه الآية الكريمة من حِكمٍ وإرشاداتٍ: هو الدعوة إلى إمعان النظر وإعمال الفكر في عواقب الأشياء، وعدم الانزلاق فيما تحبه النفس، وتجنب الوقوع في مهاوي الشهوات، مع الاطمئنان إلى رحمة الله وعدله ﷻ.

فيُلاحظ كيف أن القرآن يخاطب العقل ويستثير العاطفة في أسلوب واحد ومقام واحد، جامعاً بين مقصدين يعزّان على طالبهما، ولو كان ذلك في تقرير حقيقة كونية، أو بيان حُكم شرعي، فليس هناك موضعٌ فيه مطلوب من ورائه موقف تأثيري عند السامعين – أمرا أو نهيا – إلا تجد القرآن يخاطب به كل حاسّة مدركة من حواس الإنسان: العقل والعاطفة، والنفس والوجدان.[3]

ثانياً: قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿70﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿71﴾﴾[سورة المؤمنون: 71].

---

(4) – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص96.

(2) – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء02، ص321.

(3) –المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الجزء01، ص14.

هذه الآية الكريمة فيها تنويهٌ بشأن الحقّ وتنبيهٌ على سُمو قدره، كما أنها تُشير إلى أنّ الحقّ واحدٌ ثابتٌ لا يتعدد، والأهواء كثيرةٌ متفرقةٌ ومتقلبةٌ، وأنّ القوم كانوا أهل هوى؛ والهوى: شهوةٌ ومحبةٌ لكلّ ما يُوافق غَرضَ صاحبه، ثم إنّه (الهوى) إذا أُطلق فيُراد به الأشياء التي تُخالف الفطرة، كشهوة الظلم والاعتداء على أملاك الغير، وكشهوة الزنا. أما شهوة الأكل والشراب ونحوها مما تدعو إليه الجبلة، فهي ليست من الهوى المذموم[1].

فمعنى ذلك أنه لو كان ما كرهوه من الحقّ مُوافقا لأهوائهم المنغمسة في الباطل، الناشئة من نُفوسهم الظالمة المظلمة، لفسد نظام الكون الذي لا يقوم إلاّ على العدل والتوحيد[2].

فإنّ هؤلاء القوم قد انتكست فِطرتُهم وفَسدت أخلاقُهم بسبب ظُلمِهم وكُفرِهم، فلو اتبع الحقُّ – الذي هو الله ﷻ[3] – رغباتِهم وأهواءَهم المتقلبة لفسدت السماواتُ والأرضُ، ولا ختلت الموازينُ والمقاييسُ، ولأصبحت تتقلب بين الرضى والكُره، والرغبة والرهبة، والنشاط والخمول، إلى غير ذلك من الانفعالات والتأثرات الطارئة والمتقلبة. وكلّ هذا لا يستقيم مع الحقّ والعدل اللّذين قام على أساسهما هذا الكون الذي يتميز بالثبات والاستقرار، وهذه قاعدة أساسية في بناء الكون وتدبيره.[4]

والتشريعات والنظم التي أقامها الإسلام للناس هي جزءٌ من هذا الناموس الكوني الذي يسير وفق إرادة الله وحكمته ﷻ.

فمن خلال هذه الشواهد – وغيرها – يتبين دور العقل في تقويم العاطفة وترشيدها نحو الوجهة الصحيحة.

---

(1) – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء18، ص92.

(2) – ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، الجزء07، ص297.

(3) – قال مجاهد، وأبو صالح والسدي: الحقّ هو الله عزّ وجلّ، والمراد: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: 71]. أي: لفساد أهوائهم واختلافها. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء05، ص484.

(4) – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2475.

ثالثاً: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ ٢﴾ [سورة المائدة: 1 – 2].

تُصدَّر هذه السورة الكريمة في أولى آياتها بالأمر بالوفاء بالعقود، وفي ذلك إشارة إلى أنه سترد بعده أحكامٌ وتكاليف – تختص بالحلال والحرام من الذبائح والمطاعم والمشارب والمناكح –، وبيانٌ للعديد من الأحكام الشرعية والتعبدية، وغير ذلك من الضوابط التي تُبيّن علاقة الأمة المسلمة بشتى الأمم والملل والنحل، أو تلك القوانين التي تنظم المجتمع المسلم.

فيأمر الله جلّ ثناؤه عباده المؤمنين في مستهل هذه السورة أن يحققوا أمرين اثنين:

أُولاهُما: الاتصاف بالإيمان الذي يعني الإقرار بوحدانيته جلّ وعلا، والإذعان له بالعبودية، والتسليم له بالألوهية، وتصديق رسوله ﷺ في كلّ ما جاء به من ربه من تشريعات وأحكام.

ثانيهما: الوفاء بالعقود: أي أوفوا بعقود الله الّتي أوجبها عليكم وعقدها فيما أحلّ لكم وحرّم عليكم، وألزمكم فرضه، وبيّن لكم حدوده "[1].

يقول صاحب الظلال: "إنّ افتتاح هذه السورة على هذا النحو، والمضيّ فيها على هذا النهج يُعطي كلمة "العقود" معنى أوسع من المعنى الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ويكشف عن أن المقصود بالعقود هو كلّ ضوابط الحياة التي قررها الله.. وفي أولها عقد الإيمان بالله ..."[2].

الفرع الثاني: وجوب الحكم بالعدل وعدم التأثر بالعواطف:

---

[1] – الطبري، جامع البيان، الجزء08، ص5، ص11.

[2] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص835.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿2﴾﴾ [سورة المائدة: 2].

ثم قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿8﴾﴾ [سورة المائدة: 8].

إلى أن قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿48﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿49﴾﴾ [سورة المائدة: 48 -49].

لقد جعل الله تعالى هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس – تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر – وأَرادها أن تقوم بدور الوِصاية على البشرية، تُقيم العدلَ بين الناس، غيرَ مُتأثرةٍ بمودّةٍ أو شنآنٍ، وغير ناظرةٍ في إقامة العدل إلى ما أَصابها أو يُصيبها من الناس، وغير مكترثةٍ كذلك لانحرافات مَن انحرف واتَبعَ هواهُ وشهواتِه، فلا تحيد عن المنهج القويم الذي ارتضاه لها ربها ﷻ، لاسترضاء أَحد، أو للانتقام من أَحد[1].

فقد نصّت هذه الآيات على وجوب إقامة العدل بين الناس – ولو كانوا غير مسلمين – وعلى عدم التأثر بالعواطف الذاتية والمشاعر التي قد تُؤدي إلى الجور والظلم[2].

---

[1] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص829، بتصرف.

[2] – ينظر: أنور الباز، التفسير التربوي للقرآن الكريم، ص316.

يقول سيد قطب: "إنّها قمةٌ في ضبط النفس، وفي سماحة القلب.. ولكنّها هي القمةُ التي لابد أن تَرقى إليها الأمةُ المكلَّفةُ من ربها أن تقوم على البشرية لتهدِيها وترتفع بها إلى هذا الأفق الكريم الوَضيء. إنها تبعةُ القيادة والقوامة والشهادة على الناس.. التبعةُ التي لابد أن ينسى فيها المؤمنون ما يقعُ على أشخاصهم من الأذى ليُقدّموا للناس نَموذجاً من السلوك الذي يُحققه الإسلام، ومن التسامي الذي يصنعه الإسلام. وبهذا يؤدُّون للإسلام شهادةً طيّبةً، تجذِب الناس إليه وتُحببُهم فيه"[1].

إن دعوة الإنسان لضبط نفسه وكبحِ جماح غضبه تُجاه من اعتدى على نفسه وعِرضه وممتلكاتِه لهو تكليفٌ عسيرٌ على النفس، وليس بالأمر الهيّن، ولكن الله ﷻ لا يُحمّل النّفس ما لا تُطيقه، ولذلك جاء الخطابُ في هذه الآية الكريمة – وفي غيرها – مُلائماً للطبيعة البشرية، ومُراعياً الميولَ الفطرية والمشاعرَ العاطفية، فلم يُعنّف النفس البشرية، بل أباح لها أن تغضَب، وأن تكرهَ، ولكن ليس من حقها أن تعتديّ في فورة الغضب ودفعة الشنآن. ثم يدعو الله ﷻ المؤمنين أن يتعاونوا على البرّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان، ويأمرهم بتقواه، ويخوفهم عقابه، وبهذه المشاعر يتمكنون من كبت غضبهم وضبط أنفسهِم.[2]

بهذا الأسلوب القرآني والمنهج الرباني الذي جاء ليخاطب النفس البشرية، استطاع الإسلام – وفي فترة وجيزة – أن يروّض نفوس العرب، والتي كان من صفاتها – المذمومة – الغضب لأتفه الأسباب والرغبة في الانتقام، والعصبية القبلية، فجاء الإسلام فربط قلوب العباد بربّ العباد، فتهذبت الطباعُ وتحلّت الأنفسُ بالمشاعر الكريمة والأخلاق الفاضلة، وحلّ التعاونُ على البر والتقوى مكان التعاون على الإثم والعدوان. وألغى شعارَ القبلية الجاهلية: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" فقال لهم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ اَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿2﴾﴾ [سورة المائدة: 2][3].

---

[1] – سيد قطب، مصدر سابق، ص839.

[2] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص839 بتصرف.

[3] – ينظر: سيد قطب، المرجع نفسه، ص829، بتصرف.

ففي هذا الموضع من القرآن الكريم – والشواهد كثيرة وفي مواضع متعددة – تتجلى قيمة العقل البشري الذي كرّم الله ﷻ به الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وبواسطة هذا العقل – الذي هو مناط التكليف – أصبح الإنسان هو المقصود بالشرائع والمواعظ[1].

ولقد حرر القرآن الكريم الإنسانَ العربيَّ من ضِيق الحِسّ الحيواني المحدود القائم على العواطف القبلية والمؤثرات الغريزية إلى سَعة العقل الذي مَكَّنه من معرفة ربّه جلّ وعلا من خلال النظر إلى آياته التي يراها في الأنفس والآفاق، وبالعقل يتلقى الشرائعَ ويتعلم الشعائر، وبالعقل ارتفع على نوازع الحيوان، ولذائذ البهائم، وبالتفكر انطلق نحو البناء والارتقاء في دُروب الحياة.

ويضيف سيد قطب قائلا: "الذي يعرفُ ويُعاني ويلات الضلال والعمى، وويلات الحيرة والتمزق، وويلات الضياع والخواء، في معتقدات الجاهلية وتصوراتها في كل زمان وفي كل مكان ... هو الذي يعرف ويتذوق نعمة الإيمان".[2]

وإن أَولَ مَن خُوطب بهذا الكتاب هُم العربُ الذين نزلَ القرآن الكريم بلغتهم، فكانوا أَولَ مَن تعرّف على معانيه وَفَقِه مدلولاته وتذوق بلاغتَه؛ لأن تلك المعاني كانت متمثلةً في ذات الجيل الذي خُوطب بهذا القرآن. ذلك الجيل الذي عايش الجاهلية بكلّ صُوَرِها الاعتقادية والاجتماعية والأخلاقية، وبالتالي كانوا أولَ مَن ذاقَ حلاوة الإيمان بعدما نفضَ عنهم كلّ رواسب الجاهلية العمياء.

ثم يُواصل هذا السياق القرآني الكريم عرضَه للأُسس المتينة التي قررها في المجتمع القائمة على القِسط والعدل فقال جلّ شأنه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿7﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿8﴾﴾ [سورة المائدة: 7 – 8].

---

[1] – ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء29، ص12.

[2] – سيد قطب، المرجع السابق، ص844.

لقد عرف المخاطَبون بهذا القرآن في صدر البعثة قيمةَ هذا الدين الذي جاء به الرسول ﷺ ونزل به القرآن الكريم، فقد كانت آثاره ظاهرةً في حياتهم بل في كيانهم، ومن ثم كان مجردُ التذكير بنعمة الله عليهم وميثاقه الذي واثقهم به على السمع والطاعة كافياً إلى توجيه القلوب والألباب إلى ربّ العباد.

والتعبير القرآني يتركُ في نفوس المخاطبين الأثر البليغ، فهو يشي بأمر عظيم يُثير في النفس مشاعرَ البهجة والاعتزاز، حيث يرى المؤمنُ نفسَه في موقف المتعاقد مع الله تبارك وتعالى، إنه شعورٌ جليلٌ يذكّر بخشية الله ومراقبته في السر والعلن. ثم إن إقامة العدل بين الناس هو جزءٌ من هذا الميثاق الذي واثق الله به المؤمنين، العدل الذي لا يميل ميزانه مع المودّة ولا مع الشنآن، ولا يتأثر بالقرابة ولا بالمصلحة ولا ينحاز لهوى، العدل الذي يقوم على مراقبة الله العليم بخفايا الصدور[1].

وبعد أن نهى الله ﷻ المؤمنين في الآية السابقة من أن يحملهم البغض والشنآن[2] لمن منعوهم المسجد الحرام، على الاعتداء عليهم، وقد كان ذلك الموقف الراقي منهم دليلا على السماحة والتحكم في ضبط النفس بلجام الشرع. فبعد هذه المرحلة، ها هو القرآن الكريم يرتقي بهم إلى قمة أعلى ومُرتقى أصعب على الأنفس وأشقّ، إنه يدعوهم أن يحكموا بالعدل ولو مع أولئك الذين يحملون لهم مشاعر البغض والكره، فلا يجوز أن يكون الشنآن سببا في الميل عن العدل. "إن التكليف الأول أيسر، لأنه إجراءٌ سلبيٌّ ينتهي عند الكفّ عن الاعتداء. أما التكليف الثاني فأشقّ، لأنه إجراءٌ إيجابيٌّ يحمل النفس على مباشرة العدل والقسط مع المبغوضين المشنوئين"[3].

ثم إن هذا الأسلوب القرآني الحكيم النابع من لدن لطيف خبير يُقَدّر صعوبة هذا الأمر على النفس، فيقدّم لها هذه الجرعات الإيمانية التي تدفع عنها حظوظ النفس، فيقول تعالى في مستهل هذه

---

[1] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص852، بتصرف.

[2] – (ش ن أ) قوله: شنئان هو البغض ويقال: فيه شنئان أيضا، وهو مصدر ويكون بالإسكان اسما. و(الشّانئ) المبغض وقد (شنئه) بالكسر (شنئا) بسكون النّون، والشّين مفتوحة ومكسورة ومضمومة. ينظر: الرازي، أبو عبد الله، مختار الصحاح، ص169.

[3] – سيد قطب، مرجع سابق، ص852.

الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾، وينهي هذا الدرس التربوي بقوله: قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾.

لا يوجد نظامٌ ولا إيديولوجيةٌ استطاعت أن ترتقي بالنفس البشرية هذا المرتقى كما فعل الإسلام الذي ضمن العدل للناس جميعا، – حتى للأعداء المبغوضين – إنه القرآن الذي خلّص الإنسانَ المؤمن من حظوظ النفس، وجرّدَه من كلّ اعتبارات الأرض وربط قلبَه بالسماء، فصار يشعرُ وكأنه يتعامل في هذا الأمر مباشرةً مع الله ﷻ، يُحسّ أن عين الله ﷻ تنظر إليه، لقد قدّم رضا الله ﷻ على رضا نفسه.

ثم قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ ﴾ [سورة المائدة: 9].

إنّ الجزاء من جنس العمل، وهي سُنة الله ﷻ في هذا الكون، فلا يمكن أن يُسَوّى بين المؤمنين الذين استجابوا لله وللرسول ﷺ وعملوا الصالحات ونَهَضوا بالتكاليف التي خُوطبوا بها، وعملوا بما واثقهم الله به، وأوفوا بالعقود الّتي عاقدهم عليها[1]، وبين أولئك الذين تنكبوا عن أوامر الله ورسوله، فكان من عدل الله ﷻ وفضله أن عَوَّض المؤمنين عما فاتهم من عرَض الحياة الدنيا وشهواتها. إنه الخطاب الإلهي الذي يُعلّق قلوبَ العباد وألبابَهم بهذا الفضل وبذلك العدل الرباني، كما يُطلعهم عن مصير الكافرين المكذّبين، حتى تطمئنَ قلوبُهم وترضى أنفسُهم ويشفى غيضُهم، وبخاصة بالنسبة للذين أُمروا أن يتقيدوا بالعدل مع من عاداهم وآذاهم.

"ومن ثم فإن دور هذه الأمة هو أن تكون الوصيةَ على البشرية؛ تقيمُ العدل في الأرض، غير متأثرة بمودة أو شنآن، وغير ناظرة في إقامة العدل إلى ما أصابها أو يصيبها من الناس، فهذه هي تكاليف القوامة والوصاية والهيمنة.. وغير متأثرة كذلك بانحرافات الآخرين وأهوائهم وشهواتهم، فلا تنحرف فيه

---

[1] – ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء8، ص225.

شعرة عن منهجها وشريعتها وطريقها القويم، لاسترضاء أحد أو لتأليف قلب، وغير ناظرة إلاّ إلى الله وتقواه".[1]

الفرع الثالث: ذم الإعراض عن الحق والتحذير من اتباع الأهواء:

أولاً: قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿48﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿49﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿50﴾ ﴾ [سورة القصص: **48 – 50**].

هذه الآيات الكريمات وردت جواباً عن الشُبهة التي ألقاها المشركون حين قالوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿47﴾ ﴾، فيخبر تعالى عنهم أنه لو عذّبهم قبل قيام الحُجّة عليهم، لاحتجوا بعدم إرسال الرسل إليهم؛ فلما جاءهم الحقّ – وهو ما في القرآن من الهدى[2] – قالوا على سبيل العناد والتعنت والكفر: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾، أي: من قلْبِ العصا حيّةً، وفَلقِ البحر، وغيرهما من الآيات الكثيرة. كما قالوا: ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾[سورة هود: **12**]، وما أشبه ذلك من الآيات الباهرة، والحُجج القاهرة، التي أجراها الله على يدي موسى – عليه السلام –، حجةً وبراهين له على فرعون وملئه، وعلى بني إسرائيل، ومع هذا كلّه لم تنجَع هذه الدلائل في إقناع فرعون ومن معه، بل كفروا بموسى – عليه السلام –[3]. فيكشف القرآن مزاعم المشركين، ويُبيّن أن اليهود قد كفروا بما أُوتي موسى رغم الآيات والمعجزات التي رأوها بأمّ أعينهم، واتهموه وأخاه بالسحر. – وهو دَيدنُ المعاندين والمكذّبين للرسل عبر الأزمنة والعصور – ويتحداهم الله

---

[1] – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص829.

[2] – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء20، ص137.

[3] – ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء06، ص241.

تعالى على لسان رسوله ﷺ بأن يأتوا بكتاب آخر من عند الله أصلح لهداية البشر من التوراة والقرآن، وأكثر نفعا وهداية، لكي أتبعه مع غيري، إن كنتم صادقين فيما تقولون أو تدّعون، وتدافعون به الحق، وتعارضون به من الباطل، وفي هذا تعريض بعجزهم عن مقارعة القرآن أو الإتيان بمثله[1]. ثم يخبر الله نبيّه ﷺ: إن لم يستجيبوا لدعوته بعد قيام الحجّة عليهم بهذا التّحدّي، فليعلم أنّ استمرارهم على الكفر بعد ذلك ما هو إلّا إتباعٌ للهوى من غير دليل، ولا شُبهة لهم في دينهم، فهم أصحاب هَوى،[2] وليس هناك أشدّ ضلالا عن طريق الهدى والرشاد ممن سار مع هواه، وانقاد لشهواته بغير حُجّة مأخوذة من كتاب الله، ولم يَقُم له دليلٌ صائبٌ عن الله، وهذا دليلٌ على بطلان أو فساد التقليد في العقائد، وأنه لا بدّ من الحُجّة والاستدلال، فإن الله لا يُوفّق للحق والرشاد الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان، وتكذيب الرسل، واتّباع الأهواء.

ويُشير الله تعالى إلى أن الآية العظمى للنبيّ ﷺ هي الآيات النفسية العلمية، لا الكونية الآفاقية التي كانت لإخوانه من الأنبياء – عليهم السلام – جرياً على سُنة الارتقاء، فإن النوع الإنساني كان قد ارتقى واستعد إلى معرفة الحقّ من الباطل بالبرهان، والتمييز بين الخير والشرّ بالدليل والحجّة، وكان لا بد له في هذه المرحلة من مُعلّمٍ ومُرشدٍ، كما في المراحل الأخرى، فأرسل الله إليهم رسولا من أنفسهم يُرشدهم إلى طُرق النظر والاستدلال، وأن لا يأخذوا شيئاً إلا بدليل وبرهان، يصِلون به إلى العلم، ويُحذرُهم من التقليد البحت والتسليم الأعمى، فكان دليله ﷺ على صدق نبوّته ورسالته، ذلك الكتاب الذي حمل بين دفتيه النور والهدى للناس أجمعين.[3]

ثانياً: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿18﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿19﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿20﴾ ﴾ [سورة الجاثية: **18 – 20**].

---

[1] – ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، الجزء20، ص120.

[2] – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء20، ص139.

[3] – ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، الجزء07، ص525.

يخاطب المولى تبارك وتعالى نبيّه ﷺ فيقول له: قد جعلناك على شريعة، أي: على طريقة ومنهاج من الأمر، من أمر الدِين، فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحُجج، ولا تتبع ما لا حجّة عليه من أهواء الجهال، ودينهم المبنيّ على هوى وبدعة، وهم رُؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك.[1] إنهم لا ينفعونك — شيئاً – عند الله، فيحصّلوا لك الخير أو يدفعوا عنك الشر إن اتبعتهم على أهوائهم.

قال الطاهر بن عاشور: "والأهواء: جمعُ هَوى، وهو المحبّة والميل، والمعنى: أنّ دينهم أعمالٌ أحبُّوها لم يأمر الله بها ولا اقتضتها البراهين".[2]

وإنّ هذا الخطاب الموجه للرسول ﷺ يتضمن تنويهاً بهذه الشريعة وإشارةً إلى أنها أفضلُ من إيتاء بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة والبيّنات من الأمر[3]، فنبوءة محمد ﷺ وكتابُه وحُكمُه وبيّناتُه أفضلُ وأهدى مماّ أوتيه بنو إسرائيل.[4]وهذا يستلزم أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم السابقة. ثم قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿20﴾ ﴾، "وبصائر: جمع بصيرة وهي إدراك العقل الأمور على حقائقها".[5] فهذا القرآن المشتمل على شرائع الله الخالدة إلى يوم القيامة هو دلائل وبراهين للناس جميعا فيما يحتاجون إليه من أحكام، وهاد إلى الجنة مَن عمل به، ورحمة من الله وعذابه في الدنيا والآخرة لقوم من شأنهم الإيقان وعدم الشكّ بصحته وتعظيم ما فيه، وإنما خصّ الموقنين بذلك، لأنهم المنتفعون به.[6]

---

(1) – ينظر: الزمخشري، الكشاف، الجزء04، ص289.

(2) – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء25، ص348.

(3) – قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿16﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ [الجاثية: 16-17].

(4) – ينظر: الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، الجزء25، ص347.

(5) – الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، الجزء25، ص350.

(6) – ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، الجزء25، ص169.

يقول سيد قطب: "ووصف القرآن بأنه بصائر للناس يُعمّق معنى الهداية فيه والإنارة، فهو بذاته بصائر كاشفة كما أن البصائر تكشف لأصحابها عن الأمور، وهو بذاته هُدى، وهو بذاته رحمة..، ولكن هذا كلّه يتوقف على اليقين، يتوقف على الثقة التي لا يخامرها شكّ، ولا يخالطها قلق، ولا تتسرب إليها ريبة..".[1]

إن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على قلب نبيّه ﷺ براهين ودلائل ومعالم للناس في الحدود والأحكام، بمنزلة البصائر في القلوب، كما جعل في سائر الآيات روحا وحياة، وهو هدى من الضلالة، ورشد وطريق يؤدي إلى الجنة، ورحمة من العذاب في الآخرة لمن آمن واتقى .

وبهذا البلاغ الإلهي الذي نزل ليخاطب النفس البشرية، والذي يُراوح في أسلوبه المعجز بين العقل والعاطفة، حتى يصل إلى الغاية المنشودة وهي الهداية والسعادة.

ثالثاً: قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝59 أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝60 أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝61 أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝62 أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝63 أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝64 قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝65 بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ۝66 وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِذَا كُنَّا تُرَابٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝67 لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝68 قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3229.

﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (70)﴾ [سورة النمل: 59 – 70].

تفتتح هذه الآيات بالحمد والسلام على عباد الله الذين اصطفاهم من النبيّين والمرسلين، ثم تأخذنا في جولة في مشاهد الكون وأسرار النفس، وأطواء الغيب، والتذكير بأشراط الساعة وأحوال يوم القيامة، وأهوال المحشر، التي يفزع لها مَن في السماوات والأرض إلاّ ما شاء الله ﷻ.

إنّه أسلوب القرآن الكريم في عرضه لمشاهد الكون الفسيح وأسرار النفس البشرية، بحيث يطرق القلوب والعقول معاً، فتُلاحظ تلك الاستفهامات المتتالية التي يطرحها، وهذه الأسئلة المتلاحقة التي يتوجه بها إلى الأذهان والعقول في كلّ مرّة يقرع قلوب أولئك الجاحدين لآيات الله ﷻ، وعلى إثر هذه الإيقاعات الوجدانية القوية التي تهزّ القلوب هزّا، يشعر بها كلّ من طرقت سمعه من المكذّبين والمنكرين، لتدعوهم إلى النظر في عاقبة من سبقهم من الأمم الذين كذّبوا رسلهم عليهم السلام. [1]

لقد جمع هذا النص القرآني بين خطاب تقريري يعرض حقائق الكون، وروعته، ودقة قوانينه، ونظمه، واتساق مجرّاته، وبين قوة العبارة، التي تجذب قلوب المخاطبين. فهذه الآيات تحدثت عن السماوات والأرض، مُبيّنةً قدرة الخالق، وذكرت حقائق برهنت عليها عقلاً، لكن المثير هو الكيفية التي سُردت بها هذه الحقائق العلمية، والتي عادةً ما تأتي في أسلوب جافٍ تقريري، لكن النصّ جاء بشكلٍ عذبٍ سائغٍ متصلٍ يشعرُ مستمعُه بالمتعة، ويخاطبه بالحُجة والبرهان في الوقت نفسه، فالخطاب القرآني قد جمع بين: بلاغتي الإمتاع والإقناع.[2]

---

[1]– ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2655.

[2]– ينظر: علمي، عبد الله، سمات الخطاب القرآني، دراسة في الأسلوب، مجلة دراسات أدبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 2018م، المجلد 10، العدد03، ص (121-134).

الفرع الرابع: تفريغ العقل من المقررات المسبقة القائمة على مجرد التقليد أو الظن

1. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾ [سورة البقرة: **170**].

2. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [سورة الإسراء: **36**].

3. قال تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ ﴾ [سورة الكهف: **15**].

4. قال تعالى: ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ ﴾ [سورة النور: **13**].

5. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾ [سورة الزخرف: **23**].

6. قال تعالى: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣ ﴾ [سورة النجم: **23**].

7. قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨ ﴾ [سورة النجم: **28**].

ينكرُ القرآن الكريم في هذه الآيات البيّنات على المقلّدين، كما ينعي على الذين يتبعون الظّن، ثم يأمرهم بالتثبت من كلّ شيء قبل تصديقه والكلام به، لأن الأمر عظيمٌ، فلا ينبغي التساهل في مثل هذه الأمور لأن تبعاتها خطيرة. خاصة إذا تعلق الأمر بأعراض الناس، أو كان في الشهادات أو الحدود، وهو منهج قرآنيٌّ استُخدم في تربية النفس وتدريبها على التفكير السليم.[1]

---

[1] – ينظر: المهابة، محمد ميارة، مفهوم الوحي وأثره في العقل والقلب، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، المجلد: 11، العدد: 73، أغسطس 2016م، ص676.

يوجه القرآن الكريم العقل – أول ما يُوجهه – إلى النظر في حكمة الله تعالى وحسن تدبيره لهذا الكون، وبالتالي تتجلى له قدرة الصانع والمدبر، فيشعر بالخشية أمام عظمة الخالق جلّ وعلا، لأنه قد مُزِجت هذه الحقائق بإثارات وجدانية جعلت القلب يهتز لها.

إنّ الغاية من هذا التأمل ليس مقصودا لذاته، أو يُراد به إنشاء فلسفة يَسيحُ فيها الفلاسفة بأفكارهم ثم لا ينتهون إلى شيء. وإنما الغاية منه إصلاح القلب البشري والوصول به إلى معرفة ربّه سبحانه.

ومن يتأمل في الخطاب القرآني الكريم يرى – بعين بصيرته – مَلِكا له الملك كلّه، مقاليد الأمور بيده، مُستوٍ على عرشه، لا تخفى عليه خافيةٌ، مُطلعٌ على أسرار عبيده، يُدبّر الأمور كلّها دقيقها وجليلها، يمجّد نفسَه ويمدحها، وينصح عبادَه ويدلّهُم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويتحبّب ويتودد إليهم، ويرغِبهم ويرهِبهم. ويذكّرهم بما أعدَّه لهم من نعيم إن هم أطاعوه، وما أعدّه لهم من عقاب إن هم عصَوه، ويضرب لهم الأمثال، وينوّع لهم في الأدلة والبراهين لعلّهم يُؤمنون.

وإذا شهد العباد أنّ لهم ربا عظيما كريما رحيما جوادا جميلا، فكيف لا يحبونه ويتنافسون في القرب منه، ويبذلون أنفسَ ما يملكون لتحصيل رضاه والقرب منه، وكيف لا تلهجُ الألسنة بذكره وتشتاق الأنفس للقائه؟[1]

الفرع الخامس: حجاج النبيّ ﷺ للمشركين من خلال سورة الأنعام:

من أكثر المواضع في القرآن الكريم التي تجلى فيها أسلوب الحجاج، نجد سورة الأنعام، وهي سورة مكيّة، من السبع الطوال، وعدد آياتها خمس وستون ومائة، وهي سادس سورة في ترتيب المصحف الشريف، وأهم مواضيعها: التوحيد، وإثبات أصول الاعتقاد عن طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والحجاج، وإثبات الوحيّ والرسالة، والردّ على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والحسية، وقد نزلت هذه السورة جملةً واحدةً[2].

---

[1] – ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء03، ص116، بتصرف.

[2] – ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء07، ص124 بتصرف.

وقد تزامن نزول هذه السورة الكريمة مع صعوبة المرحلة التي صار يعيشها النبي ﷺ وأصحابُه في مكة، فقد اشتد الصراع فيها بين الحقّ والباطل، وبالغَ المشركون في غيّهم وتكذيبهم لدعوة الرسول ﷺ. فكان القرآن الكريم يكشفُ عيوبَ المشركين ويفنّدُ ادعاءاتهم بالحُجّة والبرهان، ويجيبُ على تساؤلاتهم، وقد برز هذا البيان الرباني- على وجه الخصوص - من خلال هذه السورة الكريمة، وهي أطول سورة نزلت في حجاج المشركين، لإثبات عقيدة التوحيد[1]. قال القرطبيّ: "وفي البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "إذا سرّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة الأنعام:**140**]" ثم قال – رحمه الله تعالى – قال العلماء: "هذه السورة أصلٌ في محاجّة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذّب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة وإن تصرّف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلّمون أُصولَ الدّين، لأن فيها آيات بيّنات تردّ على القَدرية..."[2].

ولقد سلك النبيّ ﷺ – في بداية دعوته – أفضل السبل لبيان فساد عبادة الأصنام التي كان العربُ يعبدونها ويقدّسُونها، حتى أصبحت عالقةً بطقوسهم وتقاليدِهم، وامتدت قداستُها إلى حياة الناس وأعرافهم، فكانت كالحقائق المطلقة أو البديهيات المسلّمة التي تأبى النفوس أيّ شيء يعارضُها أو يناقشُها في هذا الأمر، لأنها كانت تستمد قناعتها من وجدانهم وعواطفهم. وهذا ما عبّر به القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة ص:**5-7**].

---

[1]- ينظر: لمهابة محفوظ، مفهوم الحجاج في القرآن، ص12.

[2]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء06، ص383.

فلم تكن القضية التي دعا إليها النبيّ ﷺ أمراً يقبل النقاش أو الردّ، وإنما هو شيءٌ دفع بهم إلى التعجّب والذُعر، حيث أنهم – على حدّ زعمهم – لم يسمعوا بذلك في دين قريش أو دين النصرانية – على أحد الأقوال – ليقرروا بعد ذلك أنه مجردُ تخرُّص لا أساس له من الصحة[1].

فمن شدّة رُسوخ الشرك في حياة العرب حتى أصبح نظامَ مجتمعٍ ومنهجَ حياةٍ لا يقبلُ بديلاً عنه، فجاءت رسالةُ التوحيد لتتحدى هذا الوضع المتجذّر في نفوسهم، وقد تجلى ذلك في تحرك النبيّ ﷺ– المبلّغ عن ربّه عزّ وجلّ – من موقع العقل والفكر الذي يرتبط بالحقائق الظاهرة في الأنفس والآفاق، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣ ﴾ [سورة الذاريات: **20-23**].

وأما المشركون فكانوا ينطلقون من موقع العادات والأعراف العالقة بعواطفهم ووجدانهم، وقد كشفَ القرآن الكريم عن ردّة فعلهم في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨ ﴾ [سورة يونس:**78**]. وقوله جلّ وعلا: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ ﴾ [سورة المائدة:**104**].

إنّ الذي يقرأ سورة "الأنعام " ويمعن النظر فيها، يجدها قد عرضت الأدلة الدامغة على وحدانية الله عز وجل من خلال الكون، والإنسان، والنبات، والحيوان.[2] وقد تميّزت هذه السورة بكثرة التقريرات، لاستنقاذ العقل العربي ممّا تردّى فيه[3].

---

[1]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء07، ص55.

[2]– ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1016.

[3]– ينظر: الغزالي محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، الطبعة 01، 1413هـ-1992م، ص91.

يظهر هذا عند أول آية فيها، قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ ﴾[سورة الأنعام: **01**].

فقد قررت هذه الآية الكريمة أمرا عظيما لا يقدر عليه أحدٌ سوى الله تعالى، ويستحيل أن يشاركه فيه غيره؛ ألا هو قضية الخلق والتدبير. ثم يليها تقرير ثان ينصّ على علم الله المطلق، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾[سورة الأنعام: **03**].

فيُلاحظ كيف انتهج القرآن الكريم أفضل السُبل للتأثير في نفوس المشركين من خلال استخدام أسلوب الحجاج العقلي في مواجهة أساليب الانفعال النابعة من الوجدان والتي تتحرك وفق ما تمليه العواطف أو الأهواء. ففي حين كان اعتماد المشركين في صدّ رسالة الإسلام على خلق أجواء الانفعال المقرونة بالاتهامات الباطلة تارة، وبالسباب والشتم تارة أخرى، وممارسة أنواع الاضطهاد والتعذيب في حقّ المستضعفين من المؤمنين. في مقابل ذلك يظهر أسلوبٌ قرآنيٌّ يتحرك في هدوء سالكا طريقه لفتح قلوب المشركين، وتطهير أفكارهم – تدريجيا – من كلّ مظاهر الشرك ودوافعه؛ إنه أسلوب القرآن في حواره مع خصومه، لينقلهم إلى صفوف المؤمنين، أسلوبٌ يضع لكلّ موقف ما يناسبه، فأحيانا تدعو الحاجة إلى استخدام الصدمات الفكرية التي تدفع الإنسان إلى التأمل ومراجعة أفكاره، بل ومحاكمة عقيدته، وقد يحتاج الوضع إلى إبراز نقاط الضعف التي تتلبس بها عقيدة المشركين، مما يتطلب الانتقاص من تلك الآلهة – المزعومة – وبالتالي حمل المشركين على الإقرار ببطلانها، والرجوع إلى عقيدة التوحيد.

إنه الأسلوب الذي يبدأ – في حجاجه – بتعرية موقف الخصوم من كلّ ما قد تلبست به أنفسُهم وأذهانُهم، من خلال ما يُلقيه القرآن عليهم من استفهامات – إنكارية – يُطالبهم الدليل على ثبوت ما يؤمنون به، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ ﴾ [سورة الأنعام: **148**].

إنها القناعة التي يدعو لها الإسلام، القائمة على البرهان الواضح والحجة القوية، وهذا في مقابل عقيدة الشرك المنبثقة عن التقليد الأعمى والهوى المذموم.

إنّ خطاب القرآن بأسلوبه الفذّ المؤثر في القلوب والعقول، يجعل النّاس ينخلعون عن تقاليدهم الموروثة خلعا، ويؤوبون إلى فاطر السماوات والأرض ومن فيهن.

يقول محمد الغزالي: "ولا تحسبنّ هذا الأسلوب يؤثر في المشركين وحدهم، كلاّ ...إنّ أهل الكتاب يرون فيه جديدا من المعرفة الحيّة، لا يرونها في كتبهم مما يترك في سرائرهم أعظم الآثار"[1].

إنّ الذي يقرأ آيات الله — الدالة على حقيقة البعث والمعاد – ويمعن النظر فيها، يظهر له بوضوح ذلك الأسلوب القرآني المقنع القائم على الحجة الملزمة والدليل العقلي البيّن الذي لا يخالطه شك، فيقول الله تعالى: ﴿ وَمَامِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۡۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿38﴾ ﴾[سورة الأنعام:38]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيُّها القوم لا تحسبنّ الله غافلا عما تعملون ... وكيف يغفل عن أعمالكم.. وهو غير غافل عن عمل شيء دبّ على الأرض.. ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، ...ثم إنه تعالى ذكره مُميتها ثم مُنشرها ومُجازيها يوم القيامة جزاءَ أعمالها، يقول: فالربّ الذي لم يضيّع أعمال البهائم والدّواب في الأرض والطير في الهواء... أحرى ألاّ يُضيّع أعمالكم، ولا يفرّط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها أيّها الناس حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها..."[2].

---

[1]– الغزالي محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص92.

[2]– الطبري، جامع البيان في تأويل آيّ القرآن، الجزء11، ص344.

ويقول الآلوسي [1]: "[هذا][2] كلام مُستأنفٌ مَسوقٌ... لبيان كمال قدرته عزّ وجلّ وحُسن تدبيره وحكمته وشُمول عِلمه سبحانه، فهو كالدليل على أنه تعالى قادرٌ على الإنزال، وإنما لم ينزل محافظة على الحِكم الباهرة".[3]

ويمضي النبيّ الكريم ﷺ في طريقه القويم وبخطى ثابتة يدعو إلى الله على بصيرة، وبتأييد من ربّه عزّ وجلّ، يقول تعالى ذكره مخاطبا ومرشدا نبيّه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56) ﴾ [سورة الأنعام:56]. يقول الطاهر بن عاشور: "استئنافٌ ابتدائيٌّ عادَ به الكلام إلى إبطال الشرك بالتبَري من عبادة أصنامكم، فإنّه بعد أن أبطل إلهية الأصنام بطريق الاستدلال من قوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) ﴾، وقوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) ﴾ [سورة الأنعام:40]، وقوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46) ﴾ [سورة الأنعام:46]، جاء في هذه الآية بطريقة أخرى لإبطال عبادة الأصنام، وهي أنّ الله نهى رسوله ﷺ عن عبادتها، وعن اتباع أهواء عبدتها"[4] قال: "وأُجري

---

[1]- هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي – الكبير –، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ وعزل، فانقطع للعلم. من كتبه: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، "غرائب الاغتراب"، و"حاشية على شرح القطر " في النحو. توفي ببغداد سنة 1270هـ/1854م. ينظر: الزركلي، الأعلام، الجزء7، ص176.

[2]- ما بين المعكوفتين [] من إنشاء الباحث، وهذا حتى ينتظم المعنى.

[3]- الآلوسي، روح المعاني، الجزء4، ص135.

[4]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء07، ص261.

على الأصنام اسم الموصول [الذين] الموضوع للعقلاء لأنّهم عاملوهم معاملة العقلاء، فأتى لهم بما يحكي اعتقادهم، أو لأنهم عبدوا الجنّ وبعض البشر فغلّب العقلاء من معبوداتهم".[1]

والذي يبدو – والعلم عند الله تعالى – أنّ التفسير الأول أظهر؛ ذلك أنّ مشركي العرب كانوا قد عبدوا الأصنام وأنزلوها منزلة العقلاء.

وأما قوله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ ﴾ [سورة الأنعام:**56**]، ومثله في سورة البقرة: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾[سورة البقرة:**120**]. فقد جاء في التحرير والتنوير قوله: "وإنّما قال: "لا أتبع أهواءكم" دون لا أتبعكم للإشارة إلى أنهم في دينهم تابعون للهوى نابذون لدليل العقل، وفي هذا تجهيل لهم في إقامة دينهم على غير أصل متين".[2]

---

[1]– الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، الجزء7، ص262.

[2]– الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، الجزء 07، ص262.

المبحث الثاني: أثر التوازن بين العقل والعاطفة في المخاطَبين

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثر التوازن بين العقل والعاطفة في تكوين الإنسان الصالح

المطلب الثاني: أثر التوازن بين العقل والعاطفة في بناء المجتمع الراشد

المطلب الأول: أثر التوازن بين العقل والعاطفة في تكوين الإنسان الصالح

الفرع الأول: الإنسان عبارة عن كيان مترابط ومتآلف

إن الهدف الذي يسعى إليه القرآن الكريم – والذي من أجله أُنزل – هو تربية الإنسان تربيةً إسلاميةً سليمةً، بحيث يقدّم له العلاج من كلّ الأسقام التي قد تعترضه، فلم يغفل القرآن وهو يخاطب هذا الكائن البشري أيّ جانب من جوانب تكوينه: جسمه وعقله وروحه، إنه خطابٌ للفطرة البشرية التي خلقها الله عليها. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿30﴾ ﴾ [سورة الروم: **30**].

فكيان الإنسان المتكوّن من جسم وعقل وروح ليس منفصلَ الأجزاء، بل هو كيانٌ واحدٌ مترابطُ الأجزاء. وحياتُه المادية لا تنفصل عن حياته العقلية وحياته الروحية، ومشاعرُه الروحية لا تنفصل عن واقعه المادي، وتفكيرُه العقلي مرتبطٌ بالجميع؛ فالروح والعقل والجسم كلّها واحدٌ ممتزجٌ مترابطٌ اسمه الإنسان. وقد يغلُب أحدُ جوانب هذا الكيان فيظهر للعيان، بينما تتوارى بقيةُ الجوانب أو تنحصر، ولكنها لا تختفي بالكلية.[1]

وإذا كان العقل هو الأداة الرئيسية في البحث وكشف الحقائق من خلال تدبر آيات الذكر الحكيم والنظر في ذلك الكون البديع؛ فإن العاطفة هي القوة النفسية الدافعة إلى التطبيق العملي، عن طريق تحريك مشاعر الإنسان حتى يقوم بسلوك مُعيَّن.

و"إذا كانت النزعةُ العقليةُ هي التي تجعل الإنسان يُسلّم ويقتنع، فإنّ الاتجاه الوجداني هو الذي يحث الإنسان على الاستجابة والتنفيذ بقوةٍ واندفاع. وهذا ما جعل القرآن الكريم يخاطب هذه القوة الوجدانية ويحرك ما فيها من مشاعر اللذّة والألم والخوف والرجاء واليأس والأمل والاستعداد والكسل والترغيب والترهيب والوعد والوعيد"[2].

---

[1] – ينظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، الطبعة14، 1414هـ – 1993م، الجزء01، ص21، وما بعدها.

[2] – المهابة، محمد ميارة، مفهوم الوحي وأثره في العقل والقلب، ص697.

فالقرآن الكريم إلى جانب تركيزه على المحاكمات العقلية عن طريق الحوار والجدل والحجاج، وربْطِ الأسباب بمسبباتها، فقد ركّز أيضاً على الأعمال القلبية من ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وشفقة ورحمة ورأفة، وتحبيب وتودد.

فخاطب القرآن الكريم العقلَ، لأنه مصدرُ التفقه والتدبر، وخاطب القلبَ، لأنه منبعُ العواطف والمشاعر التي تصدُر عن الفطرة البشرية السويّة قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿37﴾ ﴾ [سورة ق: 37]. قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا القرونَ التي أهلكناها من قبل قريش ﴿لَذِكْرَىٰ ﴾ [الزمر: 21] يتذكر بها ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [سورة ق: 37] يعني: لمن كان له عقلٌ من هذه الأمة، فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم، خوفا من أن يُحُلَّ بهم مثل الذي حلَّ بهم من العذاب"[1].

إن الوقت الذي يكون فيه الإنسان في عبادة من العبادات، ليس شعوراً قلبياً خالصاً بعيداً عن غيره من مكونات النفس البشرية، وإنما هو حركةُ جسمٍ وحركةُ عقلٍ وانطلاقةُ روحٍ.

إنّ عبادة الصلاة – مثلاً – التي تظهر فيها هذه الحقيقة، قد شارك في إقامتها جميع طاقات الإنسان، الجسمية والعقلية والروحية وفي آن واحد.

فساعة التفكر والتدبر في آيات الله لا تنقطع عن الشعور بالله وعظمته وقربه... بل حتى حظّ الجسد في المطعم والمشرب لم يفصله الإسلام عن الروح، فهي في صلةٍ دائمةٍ مع الروح، وحتى وإن كانت مُتعةَ جنسٍ – حلال –. يقول الرسول ﷺ: "وفي بُضْع أحدِكم صدقةٌ، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر".[2]

---

[1] – الطبري، جامع البيان، الجزء21، ص462.

[2]– الحديث أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه"، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم: 1006، الجزء02، ص697.

هكذا يخاطب القرآن النفس البشرية، يخاطب هذا الكيان المترابط المتآلف من جسم وعقل وروح، لا يهدر منها طاقة واحدة من هذه الطاقات الثلاث. وهو يرمي من وراء هذا المزج إلى خلق الإنسان الصالح الذي سيكون خليفة الله في الأرض. ذلك أن استغلال هذه الطاقات الثلاث هو الذي يُحدث التوازن داخل النفس البشرية وفي واقع الحياة على حدّ سواء.[1]

إنّ الذي يحافظ على هذا التوازن، ويوظف جميع طاقاته في حياته، هو ذلك الإنسان الذي يتعبد الله تعالى بروحه ليستنير فؤادُه ويخشع قلبُه، وهو ذلك المتأمل والمتدبر بعقله، المتعرّف على أسرار الكون وقوانينه، وهو أيضا العاملُ بقوة بدنه لبناء وطنه وتنميته وتشييده؛ فبهذه الطاقات التي أمدّه الله يستطيع أن يُحقق الغاية من وجوده على هذه البسيطة.

فالتوازن هو سمةٌ من سمات الإنسان الصالح والناجح، توازنٌ بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح. توازنٌ بين ماديات الإنسان ومعنوياته. توازنٌ بين ضروراته وأشواقه. توازنٌ بين الإيمان بالواقع والإيمان بالغيب الذي نُدركه بحواسنا.. توازنٌ في كل شيء. يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [سورة البقرة: **143**]. وسطا في كلّ شيء، متوازنين في كلّ ما تقومون به من أعمال.[2]

إنّ كلّ ما يصيب الإنسان في حياته من سوء، أو قلق أو خوف أو اضطراب، هو نتيجة فقدان التوازن في النفس. فحين تطغى على الإنسان شهوةٌ من الشهوات: شهوة المال أو شهوة الجنس أو شهوة القوة والسلطان..، فإن ذلك يُنبئ عن اختلالٍ في داخل النفس البشرية يُفضي به إلى الشقاء وعدم السعادة، وإن بدا في أول الأمر أنه مُستمتعٌ بها. فكلّ شهوة زائدة عن الحدّ – الذي أباحه الله له – تجرف صاحبَها إلى ما لا يُحمد عقباه. فحين يسعى الإنسان إلى متاع عاطفي زائد عن الحدّ يسبح في أوهام سلبية لا تعود عليه بالنفع، أو يجنح بطاقته العقلية – على حساب مشاعره وأحاسيسه – فإنه يعيش مثل الألة التي تعمل دون أن تحس ما يعيشُه الناس من حولها من أفراح أو أحزان. إن الحياة

---

[1] – ينظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ص24.

[2] – ينظر: قطب، محمد، المرجع نفسه، ص27.

السعيدة هي التي قررها الإسلام القائمة على التوازن بين جميع مكونات الإنسان الروحية والعقلية والجسمية، إنها التوقيع على أوتار النفس كلّها، مجتمعةً مترابطةً في آن واحد. فلا يصلح أن يظلم الإنسان نفسه، فيكبت بعض طاقاته ليُظهر بعضها الآخر. يكبت طاقة الروح ليبرز طاقة الجسم أو طاقة العقل، يكبت أحاسيسه ليظهر جوانبه المادية، ويبني نفسه بواسطة الإنتاج المادي. إنها صورة الإنسان السلبي مع نفسه الذي يُطلق العنان لشهواته، لأنه يفتقد إلى القوة الضابطة التي تعقله عن الطغيان، والتي يضبط بها نوازع شهوته.[1]

"الإنسان – كما يريده الله – قوةٌ فاعلةٌ موجّهةٌ مريدةٌ، ومن ثمّ فهو قوة موجبة في واقع الحياة، قوة دافعة إلى الأمام، قوة تسيطر على القِوى المادية، وتستغلها في عمارة الأرض: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾[سورة الجاثية: **13**]. قوة يغيّر الله واقع البشر عن طريقها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[سورة الرعد: **11**]. قوة تنشئ واقعها حسب المنهج الذي تؤمن به، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم بنفسها نظامها: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[سورة آل عمران: **111**]. قوة إيجابية.. ولكن بغير طغيان"[2].

الخطاب القرآني يساهم في تحقيق النمو المتزن لكلّ استعدادات الإنسان، الجسمية والعقلية والنفسية، حتى يصل به إلى مرتبة الرشد، لأنه يحوي بين دفتيه منهجاً متكاملاً في التربية، لا يتركُ جزئيةً من جزئيات الإنسان إلاّ واهتم بها، وهذا خلافا للمناهج التربوية القديمة زمن أفلاطون وأرسطو ومن جاء بعدهما، أو حتى التي قررها أصحابها بعد عصر النهضة، فقد أثبتت عجزها في تكوين الإنسان المتكامل والسويّ، لأنها راعت أحد جوانب الإنسان على حدة، ولم تعالجه معالجة شاملة.[3]

---

[1] – ينظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ص29

[2] – محمد قطب، المرجع نفسه، ص30.

[3] – ينظر: عميرة، عبد الرحمن، منهج القرآن في تربية الرجال، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة01، 1401هـ – 1981م، ص20.

الإنسان قد ينتكس عن فطرته، فيصبح سلبيّا، فيُطلق لنفسه عنان الشهوات، لأنه فقد القوة الموجبة التي تعقله عن اتباع نزواته وشهواته. وقد يُصبح سلبيا مع مجتمعه، فيتنكر للعادات والأعراف، ويتمرد على النظم والتقاليد. فحين يكون التركيز على الجانب المادي وحده، أو الجانب الروحي، أو حين يكون التركيز على القوة الضابطة وحدها حينها يحصل الخلل، ويحيد المرء عن فطرته. لكن الإسلام يريد الإنسان صاحب القوة الإيجابية الفاعلة السويّة، التي توظف جميع الأوتار في النفس البشرية دون أن يطغى وتر على غيره.

الإسلام يتعامل مع الإنسان بواقعه الذي هو عليه، وفي حدود القدرات التي خُلق بها، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [سورة البقرة: **286**]. وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن: **16**]. كما أنه لا يُهمل مطالبَه الجِبلية وضروراتِه الغريزية، ويُراعي دائماً هذه وتلك. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿14﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **14**]. وهو سبحانه يعلم ضعفه وصعوبة بعض التكاليف – في ظروف معينة – قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿28﴾ ﴾ [النساء: **28**]. قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿14﴾ ﴾ [سورة الملك: **14**]. فهو الخبير جل جلاله بكلّ شيء، فيراعي فطرة عباده، ولا يُكلّفُهم ما يعجزون عن أدائه. وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج: **78**]. فالله تعالى يجعل التكاليف في حدود الطاقة البشرية الممكنة، ومع ذلك لا يدع الإنسان يركُن لفطرته الضعيفة، فيستسلمُ لهواه ويرضى بالركون، بل يدفعه إلى مجاهدة نفسه ومجالدة التكاليف، وعلى قدر المشقة يكون المغنم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿120﴾ ﴾، [سورة التوبة: **120**].

ولقد تجلى أثر القرآن الكريم في بناء الإنسان السويّ والمتزن من خلال دعوته إلى النظر والتفكر، والاجتهاد والاستنباط، وتحرير العقول من عوائق التفكير، وشوائب العادات والتقاليد، والمضي به إلى اكتشاف المجهول، وفهم السنن الكونية، عن طريق توظيف حواسه، وتشجيعه على التجربة، وتزويده

بالخبرات والمهارات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾.[1]

وفي الوقت الذي يدعو فيه القرآن الإنسان إلى تفعيل ملكاته الذهنية والفكرية، نجده يحثّ على كبح جماح العاطفة من خلال ذم اتباع الأهواء بغير علم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ١١٩ ﴾ [سورة الأنعام: **119**]، كما توعد الذين عطلوا أجهزة الفهم والفقه التي منحهم إياها الله ﷻ، ومثلهم بالبهائم التي لا تفقه شيئا، فقال جل جلاله: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾ [سورة الأعراف: **179**].[2]

الفرع الثاني: العبادة بين الإيمان والعمل الصالح

إن المتتبع لآيات الذكر الحكيم وهي تعرض وعد الله تبارك وتعالى عباده بالسعادة في الحياة الدنيا، وبالنعيم المقيم يوم القيامة، وبالمغفرة لهم والصفح عنهم، إذا ما التزموا ما أمرهم الله تعالى به وسلكوا صراط الله المستقيم، فإنه يجد هذا الخطاب الإلهي لا يخرج عن حقيقتين اثنتين:

الأولى: العقل هو أعظم مسلك موصل إلى معرفة الله تعالى والإيمان به.[3]،

الثانية: العاطفة هي مصدر الالتزام بالعمل الصالح. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾ [سورة الكهف: **107**]. ثم إن الله تعالى قد أعاد هذا الوعد وكرره في مواطن كثيرة و بأساليب متعددة، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ

---

[1] – ينظر: المهابة محمد ميارة، مفهوم الوحي وأثره في العقل والقلب، ص676 بتصرف.

[2] – ينظر: المهابة محمد ميارة، المرجع نفسه، ص 677، بتصرف.

[3] – ذلك أن جميع الآيات التي وردت لأجل إثبات مسائل العقيدة وترسيخ الإيمان بالله تعالى، إنما جاءت مدعمة بالدلائل والبراهين والأقيسة المنطقية، كمسائل توحيد الألوهية والربوبية، وإثبات البعث، وصدق النبوة، إلى غير ذلك من مسائل الاعتقاد التي لا يصح الإيمان ببعضها وإنكار البعض الآخر.

مَنَ اَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿30﴾ ﴾[سورة الكهف: **30**]. وقال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ اَوۡ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ اَجۡرَهُم بِاَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿97﴾ ﴾[سورة النحل: **97**]. وقال عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ اَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا الۡاَنۡهَٰرُ ﴾ [سورة البقرة: **25**]. وقال تعالى: ﴿ وَاَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ اُجُورَهُمۡ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴿57﴾ ﴾ [سورة آل عمران: **57**].

فمن هذه الآيات البينات – وغيرها – يتبين بوضوح "أن الإيمان والعمل الصالح في الخطاب القرآني قرينان لا ينفكُ الواحدُ عن الآخر، وأن الذين جمعوا في حياتهم الدنيا بين هاتين الصفتين"[1] هم صفوة الخلق، من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكتاب الله تعالى حافل بهذه الحقيقة التي لا تغيب عن القارئ المتدبر في آياته.

يقول البوطي: "فأما المقصود بالإيمان فهو أن يحتضن العقلُ جازماً جميع حقائق الإيمان بالله. وأما العمل الصالح فهو السلوك الذي ينبثق عن حقائق الإيمان واستيلائها على العقل، فهو يشمل أركان الإسلام ومُتمماته، وسائرَ الأعمال التي تعود على الناس فرادى وجماعات بالخير والفائدة، طبق ميزان الشرع وهديه"[2].

وعليه يمكن القول بأن العقل هو مصدر الإيمان بالله تعالى، – ولا تعارض بين العقل والنقل – إذ من الأسباب الموصلة إلى الإيمان بالله أن يُسبق بإعمال العقل والفكر والتأمل في آيات الله في الأنفس والآفاق، الدّالة على عظيم قدرته سبحانه وتعالى، ثم لابد أن يتبع هذه المعرفة ميلٌ ورغبةٌ تُحرّك وجدان الإنسان وتدفعه نحو الإيمان بالله وهو ما يُسمى بالقوة الدافعة، أو ما اصطلح بتسميتها بالعاطفة.

---

[1] – البوطي، محمد سعيد رمضان، الحب في القرآن، ص114.

[2] – البوطي، المرجع نفسه، ص114.

يقول ابن تيمية: "والعبادةُ تجمع معرفتَه ومحبتَه والعبودية له، وبهذا بعث الله الرسلَ ... والعبادات التي أمر بها الرسل، مقصدُها إصلاح النفس لتستعدَ للعلم.."[1].

فمن خلال هذا النصّ الذي أورده ابن تيمية يتبيّن أن العبادة يشترط لها المعرفة وهذه سبيلها العقل، والرغبة في أدائها، وهذه منبعها العاطفة.

فطريق الأعمال الصالحة التي أمر المولى عزّ وجل عباده بإتيانها والعمل على تحقيقها، لا يتأتى ذلك إلاّ بالرغبة في نيل رضوان الله تعالى، والتي عبّر عنها رمضان البوطي "**بالحبّ**". فهو يرى أنّ مجرّد الإيمان العقلي لا يقود صاحبه إلى الأعمال الصالحة، ذلك أنّ الإيمان بالشيء أيّا كان، هو مجرد انفعال حتميّ، لا يُمكن إنكاره أو الفرار منه، إذا ما قامت الأدلة على صحته، وأما النهوض بالأعمال التي يستدعيها ذلك الإيمان، فخاضعٌ للاختيار، منوطٌ بالرغبة.[2]

يقول الله تعالى في كتابه الكريم واصفاً دور القلب في تقوية الإيمان وزيادته: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [سورة الحجرات: **07**]. وبدهيّ أنّ كلمتي: (حبّب وزيّن) هما من أفعال القلوب.

كما أن المتأمل في سيرة الرسول ﷺ يجده في كثير من الأحيان ما يُقرن الإيمان العقلي بالمحبة القلبية، فعن أنس – رضي الله عنه –، عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».[3]

---

[1] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء09، ص136.

[2] – ينظر: البوطي، الحب في القرآن، ص116، بتصرف.

[3] – الحديث أخرجه الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: 13، الجزء01، ص12.

هذا وقد اتفق جمهور العلماء من أهل السنة أنّ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي[1]، وأن العبد مطالبٌ بفعل ما من شأنه أن يزيد من إيمانه.

ومعلوم أنّ العقل إذا وصل في إدراك قضية ما إلى مرتبة التصديق والإقرار، فقد وصل إلى حدٍّ لا يمكن أن يتعداها؛ ذلك أن التصديق نهايةٌ عقليةٌ قصوى لا تَقبلُ التشكيكَ أو التجاوز[2].

ومن أمثلة ذلك أنّ فرعون وأضرابه بالرغم من رُؤيتهم الآيات والدلائل التي جاء بها موسى – عليه السلام – على صِدق دعوته لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، لأنه حال بينهم وبين الإيمان بالله تعالى حبُّ التملك واستعباد الناس، والأمر نفسه بالنسبة لمشركي قريش، فرغم معرفتهم برسول الله ﷺ وعلمهم بصدقه وعدالته فقد عارضوا النبيّ ﷺ وكذّبوا رسالته، واختاروا اتباع أهواءهم وما كان عليه آباؤهم على الإيمان بالله تعالى.

وبالتالي يمكن القول إن مجال زيادة الإيمان هو القلب؛ "ففي القلب سُلَّمٌ من العواطف لا تكادُ تتناهى درجاتُه، وفيه وَقود هائلٌ من الأشواق العارمة لا يقوى على وصفه أيُّ قلم أو بيانٍ. ففي هذه البوتقة ينضجُ الإيمان ويترعرع، وفيه تتوالد معجزاتُ الإيمان التي طالما سمعنا بها قديما وأجدبت منها حياتنا حديثا".[3]

فالروح الإنسانية هي التي تتمتع بمقومات الإدراك والعلم، وهي أيضا التي تمدّ الكيان الإنساني بالحبّ أو الكراهية.

الفرع الثالث: الإنسان من التفكر في آيات الله تعالى إلى التأثر بعظيم قدرته ﷻ:

---

[1] – ينظر: ابن أبي زمنين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الإلبيري، أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1415هـ، ص215.

[2] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص124.

[3] – البوطي، المرجع نفسه، ص124.

لقد أودع الله ﷻ – فاطر السماوات والأرض – هذا الكون الفسيح من الدلائل والبراهين ما يجعل الإنسان يجولُ بعقله متدبرا ومتفكرا في أسرار هذا الخلق البديع، وجعل هذه الآيات الكونية نُورا يهتدي بها المؤمنون، وبُرهانا يستدل به العالمون، ومنهاجا يسير به المتقون.

قال السيوطي: "أكثرُ معجزاتِ هذه الأمة عقليةٌ لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم؛ ولأن هذه الشريعة لما كانت باقيةً على صفحات الدهر إلى قيام الساعة، خُصَّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر"[1].

والكون هو آيةُ الله العظمى – في هذه الحياة –، ودليلُ قدرته الفائقة التي أبهرت العقولَ، لذلك يدعو القرآن الناس إلى النظر والتفكر في هذا الكون ليطّلعوا على قدرة الله المبدعة؛ فالسماوات والأرض والجبال، والبحار، وتعاقب اللّيل والنهار... آياتٌ كلٌّ منها مُبهرٌ ومُعجزٌ، ولكنها بسبب طول العادة والإلف يمرُّ بها الناس دونَ وعيٍّ ودون تأملٍ. لذلك اعتمد القرآن الكريم على هذه الآيات نفسِها لتربية الروح، من خلال بثّ الحياة فيها، حتى يستشعر الإنسان قدرةَ الله تعالى، في أسلوبٍ فريدٍ يأخذُ بمجامع النفس، ليوقظَها من سُباتها وإلفها وعادتها، ولتتفتَح النفس، وتستنشق الحياة، وعندئذ يحدُثُ الأثر العميق في الكيان البشري. وإن التفتح النفسي ليهُزّ الكيان الإنسانيّ كلَّه، ليوقظه وينشِطه ويجدِد حياته، فكلّ فكرةٍ تمرُّ به، وكلّ إحساسٍ يخطر له، وكلّ تجربة يمرُّ بها، تُطلق شحنةً من النشاط، وطاقةً من الإشعاع.[2]

"إن أسلوب القرآن الكريم الساحر، وجَوَّه المشرق، وروحَه الصافية، لتنقُل الإنسان نقلاً من إلفه وعادته، وتهزُّه ليستيقظ؛ تَلمَس أعصابَه المكشوفة، فتُعطيه الشحنة كاملةً، ينقُلها إلى مركز الحسّ بكامل وقعِها وكامل تدفقِها.. ومن ثم يعيش الأشياءَ كأنها تَحدُث لأول مرّةٍ، ويستمتعُ بسحر هذه الجِدَّة

---

[1] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء04، ص03.

[2] – ينظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ص 46.

ومتاعها العجيب، والإنسان يعيش في القرآن مع الكون في لقاءٍ دائمٍ جميلٍ حبيبٍ، لقاء يلذُّ النفس ويمتعُ الحسّ ويُطلق الروح.. نشيطةً طليقةً تُسبّح الله"[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿164﴾﴾ [سورة البقرة: **164**].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿95﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿96﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿97﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿98﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿99﴾﴾ [سورة الأنعام: **95 – 99**].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿21﴾﴾ [سورة الروم: **21**].

ففي هذه الآية الكريمة — من سورة الروم – يبيّن الله تعالى ما جعله الله من أواصر المحبة والرحمة والمودّة بين الرجل وزوجه، وهذا حتى يتفكروا في آيات الله وحكمته في خلقه سبحانه وتعالى. فكلّ هذه الآيات تُوجِّه النفس لهذه الحقيقة العظيمة في خلق الإنسان والكون.

إنّ كلّ تلك التوجيهات التي تهزّ القلب، وتجعله يتفاعل وينفعل، تهدف إلى عقد الصلة بين العبد وربه ﷻ؛ إذا تقرر هذا فسيتبيّن دور القرآن الكريم في إيقاظ مشاعر الإنسان، كي يستشعر عظمة الله تعالى وقدرتَه ويدَه المبدعة، ومن ثم تتجه نفسُه إلى الله ﷻ وهي تُسبّح بحمده، وتلجأ إلى حماه.

---

[1] – محمد قطب، المرجع نفسه، ص47.

إن الخشوع لله جلّ وعلا والتقوى هما ثمرةُ هذه التأملات الهائلة التي يدعو القرآن النفس البشرية إلى النظر في آيات الكون، وآيات الأنفس، وقدرتِه الفائقةِ، ومُلكِه الواسعِ، وعلمِه الشاملِ، فما يملك العبد وهو ينظر إلى هذه الآيات المحيطة به من كلّ جانب إلاّ أن يستشعر تقوى الله ﷻ في أعماق أحاسيسه، فيعبده ويخشاه.

لقد غمر القرآن الكريم جوهرَ الكيان الإنساني – عقلاً وروحاً ووجداناً – فأحدث فيه تغييرا جذريا وانقلابا شاملا، نقله من الضدّ إلى الضدّ؛ من الشرك إلى التوحيد، ومن المحسوس إلى المعقول، ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن جَور الجاهلية إلى عدالة الإسلام، كلّ ذلك بفضل أسلوبه الذي خاطب عقل الإنسان ووجدانه.[1]

يقول محمد عبد الله دراز: "إذا كان القرآن – بعيدا عن أيّ عامل خارجيّ – قد أثَّر بصفة دائمة على عقول جدُّ مختلفة، فلا بد أن يكون ذلك راجعاً إلى ما له من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطري في التفكير والشعور، وباستجابته لما تتطلع إليه نفُوسهم في شؤون العقيدة والسلوك، وبوصفه الحلولَ الناجعةَ للمشكلات الكبرى التي تُقلق بالَهم. وبمعنى آخر: لابُد أن ينطوي على ما يُشبع حاجتَهم إلى الحقّ والخير والجمال بما يجمعُ من صفات العمل الدينيّ والأخلاقيّ والأدبيّ في آن واحد"[2].

إن كلام عبد الله دراز – رحمه الله – يعني: أن الخطاب القرآني بما اشتمل عليه من أساليب ينسجم مع الفطرة الإنسانية بكلّ جوانبها العقلية والعاطفية.

الفرع الرابع: تلبية حاجات الإنسان الفطرية من خلال استشعار نعمة الجمال

من العواطف التي صوَّرَ القرآنُ الكريم أثرَها في نفوس المؤمنين عاطفةَ الرغبةِ في إشباع الجمال وتذَوُّقِه واستشعارِ نعمتِه؛ فمن ذلك هذا المشهد الماتع الرائع لظاهرة **"الأنعام"** وهي من المخلوقات التي أوجدها الله سبحانه لتقوم بمقصدين:

---

[1] – ينظر: المهابة، محمد ميّارة، مفهوم الوحي وأثره في العقل والقلب، ص 652 – 671 بتصرف.

[2] – دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن –، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: محمد بدوي، دار القلم، الكويت، (د، ط)، 1404هـ – 1984م، ص70.

"**الأول**: الانتفاع بها في شتى المجالات.

والثاني: التمتع بما فيها من جمال، قال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿5﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿6﴾ ﴾ [سورة النحل: **5 – 6**]"[1].

ففي هذين المقصدين اللّذين أشارت إليهما الآيتان الكريمتان يُلاحظ كيف لَبَّى الشارعُ الحكيم ضرورتين هامتين لحياة الإنسان:

الأولى: تدخل في نطاق الجانب الذهني والعقلي، وهي ما يحتاجه من منافع مادية تساعده في البقاء على هذه البسيطة.

والثانية: وجدانية يُمتِّع بها نفسَه ويَبتهج لها قلبُه، وهي المعبّر عنها بالجمال.

وللجمال مكانةٌ عالية في الدّين، سواء كان جمالَ الخِلقة الكونية والبشرية، الذي يُفرز جمال الشعور والعاطفة، أو جمال الوحيّ وجمال القيّم القرآنية، الذي يتمخض عنهما حسنُ الفهم وصحة التعبد.

ولقد كثرت نصوص القرآن الكريم التي تصفُ هذا الكون الفسيح وتُعبِّر عن أسرار الجمال فيه، والتي هي آيات ودلائل عن بديع صنع الله تعالى، وما ضمنها من قوانين كونية لا تتغير ولا تتبدل.

المطلب الثاني: دور التوازن بين العقل والعاطفة في بناء المجتمع الراشد

الفرع الأول: بناء المجتمع في ظلّ الحقيقة الإسلامية:

---

[1] – المهابة، ميارة، مفهوم الوحي وأثره في العقل والقلب، ص700.

إنّ النهوض بالمجتمع المسلم وإعادة بعثه من جديد كما كان عليه أسلافنا – رحمهم الله تعالى – لا يمكن أن يتجسد إلاّ بتحقق ثلاثة عناصر رئيسية، هي: العبودية، والمصلحة، والجزاء، وهي منبعُ الحقيقة الإسلامية التي دعا إليها القرآن الكريم.[1]

أولاً: العبودية: وهي أعلاها رُتبةً، وأعظمها أهميةً وأثراً، ذلك أن الإسلام بمنظوره الشامل، من عقيدة وتشريع وأخلاقٍ، ليس إلاّ ثوباً يرتديه المسلم ليُعلن عبوديتَه التامة لربه جلّ وعلا.[2]وهذه هي الغاية من خلق الله ﷻ للإنسان. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ ﴾ [سورة الذاريات: **56**]. أي: ليخضعُوا لي ويستكينُوا لي، غير مستكبرين[3] عن طاعتي، ويتقبلوا النظام الذي ارتضيته لهم لحياتهم.

والعبادة ليست مقصورة في أداء الشعائر المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحجّ، وإنما يتعدى مفهومها إلى ما هو أعمّ من ذلك؛ لأن الإسلام دينٌ شاملٌ يتضمن العبادات والمعاملات وكلّ نُظم الحياة.

إنّ الذي يحصر الإسلام في هذه العبادات، قد غاب عن علمه معرفة ذاته، والحكمة من وجوده، ومعنى عبوديته لله جلّ وعلا. لقد نَسي أنه مملوك لله ﷻ في لحظات صلاته، وفي أيام صيامه وحجّه، وهو كذلك عبد له ﷻ في كلّ معاملاته وسكناته. وقد غابت عن ذهنه الحقيقة التي قررها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿162﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿163﴾ ﴾ [سورة الأنعام: **162 – 163**].

---

[1] – ينظر: البوطي، محمد، من الفكر والقلب، ص134.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص136.

[3] – ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، الجزء1، ص657.

إنّ الذي يهتدي إلى هذه الحقيقة التي قررها المولى تبارك وتعالى في كتابه الكريم يكون قد أدرك جوهر النّظام الإسلامي، وتنبه للعلاقة القائمة بينه وبين هذا النظام، والتي تكمن في العبودية المطلقة لله جلّ جلاله. وهذا الأمر لا يتحقق إلاّ بواسطة تفعيل مداركه الذهنية والفكرية التي أودعها الله فيه[1].

ثانياً: المصلحة: وتأتي في الدرجة الثانية بعد العبودية، ولكنها ترتبط بها. فبعد أن يتيقن الإنسان أنه عبدٌ لله ﷻ يسلكُ سبيلَه الذي حدده له وأوجبه عليه، تحقيقا لمقتضى عبوديته له، لابد أن يعلم أن الله لم يكلّفه إلاّ بما فيه صلاحه في دنياه وآخرته، ولم يشرّع له من الدّين إلاّ ما فيه الخير، وهذا تفضلا منه وإحسانا.

ولذلك نجد من علماء الإسلام من عرّف الدّين على أنه: "وَضعٌ إلهيّ سائقٌ لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"[2]. فالربط بين عنصر المصلحة وعنصر العبودية – في الإسلام – يعصِم الإنسان من أن يسلكَ في تفسير المصلحة مسلكا يحيدُ فيه عن الضوابط الشرعية، ويحمله في الوقت نفسه ألاّ يخرج عن أحكام الكتاب والسنة، لا يتجاوزهما إلى رأيّ بشري أو هوى نفسي.

هذا الارتباط بين العبودية والمصلحة هو الذي يجعل المرء يستجيب طواعيةً إلى مختلف التكاليف الشرعية، مُوقنا أن فيها مصلحته وسعادته – عاجلا أو آجلا –، حتى وإن لم يبدو له شيء من ذلك عند تأملها أو ممارستها.[3]

وإنّ عدم ظهور هذا الارتباط عند بعض الناس هو سببُ وقوعهم في الخطأ؛ حيث فهموا المصلحة والمفسدة لا كما قررتها الشريعةُ، وإنما حسبما أدركته عقولهُم القاصرة، ومن خلال تجاربهم الشخصية، الأمر الذي جعلهم يُحكّمون نصوص الشريعة بموازينهم الفكرية المجرّدة، بحجّة أن الإنسان أدرى بما فيه

---

[1] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص138.

[2] – دراز، محمد عبد الله، الدّين – بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان – دار القلم، الكويت، (د، ط)، (د، ت)، ص133.

[3] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص138.

خيره وصلاحه، وقد جهلوا أنّ المجتمع ليس إلاّ أفرادا، وكلّ واحد منهم، إنما يفسّر المصلحة بما يتناسب وأحواله الشخصية، وما يكون مصلحةً لشخص قد يكون مفسدةً لغيره. ويستحيل أن نجد عقلا بشريا يجتمعُ حوله الناس جميعاً على اختلاف نِحلهم ونزعاتهم وطبائعهم وظروفهم، ثم يقترح عليهم نظاما – على مقاسهم – يُحقق لهم المصلحة التي يسعد بها الأفراد والجماعات.

ولو تذكّروا أنهم عبيدٌ لله ﷻ مملوكون لخالقهم عزّ وجلّ، لعلِموا أنهم مخطئون في تصَوُرهم ذلك، وأن الحقّ فيما قرره الله تعالى في كتابه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [سورة البقرة: **216**].

إذاً فالمخرج من الضلال الذي يقع فيه كثيرٌ من الناس هو أن يُدرك الإنسان صلة العبودية التي بينه وبين خالقه ﷻ أولاً، ثمّ يفهم صلة المصلحة التي بينه وبين شريعته ثانياً.

ثالثاً: الجزاء: وهذا العنصر يأتي في مركزه المناسب له؛ أيّ أنه يكون ضمانا للعنصرين السّابقين، فلولا الجزاء لما كان مجرد الإيمان بالله حاملا على عبادته ﷻ سلوكا وانقيادا، ولما كان مجرد الإقرار بمصالح العباد التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية حاملا لهم على الالتزام بها، وعدم الميل إلى شيء من الشهوات والأهواء.

غير أنّ ما تضمنه القرآن الكريم، من أخبار الغيب، كالحشر والحساب والجزاء والعقاب والثواب، يفرض على العبد أن يلتزم بمقتضيات كلّ من العنصرين السابقين، رغبا ورهبا.[1]

ومعلوم أنّ مجرّد إدراك الإنسان أنه عبد لله ﷻ، فهذا يحمله على الاستجابة لحُكمه والانقياد لسلطانه، دون حاجة إلى محفزات العقاب والثواب، ولكنها مرتبة الخاصة من المؤمنين – من النبيّين والمرسلين والصالحين من عباد الله ﷻ – وهم الذين ذابت شهواتهم في ضرام الحبّ الإلهي الذي سيطر على مجامع قلوبهم.

---

[1] – ينظر: محمد البوطي، من الفكر والقلب، ص140.

أما العامة من الناس، فلا يقودهم إلى الانقياد بالأحكام الشرعية إلاّ عنصري الخوف والرجاء، بالرغم من إدراكهم وعلمهم أنّ أحكامه ﷻ ليس فيها إلاّ صلاحهم وسعادتهم.[1]

وهكذا بتحقق العناصر الثلاثة يتجلى لنا الأثر الذي يتركه التوازن بين العقل والعاطفة في المخاطبين، إذ لم يفصل بينهما الشرع في أي حالة من الأحوال، فلا يمكن أن نصل إلى الغاية المنشودة بغير المنهج الذي اختاره لنا الله ﷻ خالقنا وخالق كلّ شيء. وبالتالي فإن الدّين من منظوره الشامل – عقيدة، وعبادة، وتشريع سولكي واجتماعي – يرجعُ بالفائدة والمصلحة على المسلم، من حيث إنّه كائن ذو جسم وعقل وروح.

"فالإسلام إذا، إنما هو شرعٌ أقامه الله لذوي العقول السليمة، لتحقيق حاجاتهم الإنسانية كلّها في معاشهم ومعادهم، وهو بذلك يصافِح الجسم قبل أن يلاقي الروح، بل لا يتعرّف إلى الروح ومطالبها إلاّ بشهادة الجسم وإقراره، سواء فيما يتعلق من ذلك بالمعاش الدّنيوي أو بالمعاد الأخروي"[2].

إنّ الشريعة الإسلامية جاءت لحفظ حياة العباد، وعقولهم وأنسابهم وأموالهم، من حيث إنهم أفراد، ومن حيث إنهم أعضاء في المجتمع هم بحاجة إلى مقومات السعادة والفلاح.

وإنّ سبب صلاح وفلاح الناس لا يرجع إلى أرواحهم فقط، بل إلى كينونتهم البشرية نفسها، بكلّ ما تحمله من صفات وطباع وغرائز، ولذلك جاء الإسلام ليعالج جميع وظائف الإنسان المختلفة، ويلبي جميع حاجاته المتنوعة.

الفرع الثاني: دور التوازن بين العقل والعاطفة في الانقياد لأحكام الدّين

---

[1] – ينظر: محمد البوطي، المرجع نفسه، ص140.

[2] – البوطي، محمد، المرجع نفسه، ص117.

أولاً: المحبة القلبية مفتاح الاستجابة للتكاليف الشرعية

سبق وأن أورد الباحث في المطلب السابق[1] أن صلاح العبادة يتحقق بمعرفة الله ﷻ أولاً، ثم محبته والتي تقود إلى إفراده ﷻ بالعبادة؛ فمجرد الإيمان العقلي لا يقود صاحبَه إلى العمل الصالح حتى توجد الرغبة في ذلك الشيء، يعني لابد من التقاء القناعة العقلية بالمحرك الدافع الذي يسمى بالعاطفة أو المحبة القلبية، والأمر نفسه بالنسبة للتكاليف الشرعية.

إنّ أيّ سلوكٍ أو عملٍ يُقدِم عليه المرء لا يكفيه مجرد اليقين العقلي، بل يحتاج دائما إلى محبة قلبية دافعة؛ فمن ذلك – مثلاً – أنّ من يجودون بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى يكون الدافع لهم للقيام بهذا السلوك العزيز، المحبّة التي غمرت قلوبهم، وبهذه الصفة يتفاضل المسلمون في البذل والتضحية والفداء.[2]

فمن الأمثلة التي تُظهر صدق هذا الطرح وصحة نتائجه، هذا المثال الحيّ الذي يُبين عن الفرق بين التشريع السماوي – الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3] – وبين التشريعات الأرضية التي هي من وضع الإنسان.

لقد أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية سنة **1920**م على إصدار قانونٍ يقضي بمنع صناعةِ ونقلِ وبيعِ المشروبات الكحولية، وهذا حتى تُقلّل من تعاطي شُرب الخمور، بعدما أدركت ما في هذه المادة الخبيثة من أضرار جسيمة ومتعددة على المستويين الأخلاقيّ والاجتماعيّ، وآمنت بذلك إيماناً عقلانياً لا يشُوبُه شكٌّ. لكن لم يمض وقتٌ طويل على تشريع ذلك القانون حتى لقي هذا القرار معارضةً شديدةً من جهات مختلفة، تُطالب بإلغائه، بل وبدأت رؤُوس أولئك المشرّعين أنفسهم تتصدع من ألم

---

[1] – ينظر: المبحث الثاني، المطلب الأول، الفرع الثاني: العبادة بين الإيمان والعمل الصالح، ص313.

[2] – ينظر: البوطي، محمد، من الفكر والقلب، ص125.

[3] – سورة فصلت: الآية42.

حِرمان تعاطي هذا المشروب الخبيث، فنكصوا على أعقابهم، وبادروا بإلغاء ذلك القانون، وهرعوا إلى تعاطي الخمور، وعادوا إلى سابق عهدهم كأن لم يطرأ عليهم شيء.[1]

أما المسلمون الذين كانوا يُمثلون المجتمع المدني زمن الرسول ﷺ، وقبل أربعة عشر قرناً جاء الخطاب القرآني يقضي بتحريم الخمر، فما كادوا يسمعون أمر ربهم ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢ ﴾ [سورة المائدة: **90 – 92**]. حتى أُريقت الدِّنان[2]، وحُطمت الأقداح، وتعالت الأصوات: انتهينا يا ربّ، انتهينا[3].

ففي زمن قصير تحولت الخمر التي كانت ضروريةً في حياة العربي – مثلها مثل الشمس والماء والهواء – لا يستطيع الانفكاك عنها إلى رجسٍ مُستقذرٍ، وفي ساعةٍ واحدةٍ أبطل الله ﷻ عادةً دامت قروناً من الزمن، كأن لم تكن لها جذورٌ راسخةٌ. فما سرُّ هذا الانقياد العجيب؟ وما الفرق بين المجتمع الأمريكي الذي أيقن عن تجربة ودراية وعلم بأضرار وخطورة الكحول، وبين المجتمع المدني الذي تربى بتعاليم القرآن الكريم، فاستجاب لنداء الحقّ دونما تردد؟

أما المثال الأول فتوقف عند حدود اليقين الفكري الأعزل، وأما النموذج الثاني – المسلم – فقد انتقل من القناعة العقلية إلى الرغبة في الامتثال لأمر الله ﷻ، وذلك بسبب شيءٍ عظيم وقر في قُلوبهم بعد أن استقر في عقولهم.[4]فعندما يلتقي الإيمان بالله ﷻ بالعمل الصالح يُفرز تلك الاستجابة العجيبة.

---

[1] – موقع: اليوم السابع، مقال: يوم منع الكحول في الولايات المتحدة، السبت 16 يناير 2021م، اطلع عليه في: 2024/05/12م، على الساعة: 20:00. **https://www.youm7.com**

[2] – الدِنان: جمع الدَنُ، وهو وعَاءٌ ضخمٌ للخمر وَنَحْوهَا. ينظر: مجمع اللّغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط، الجزء 01، ص299.

[3] – ينظر: الطبري، جامع البيان، الجزء03، ص682.

[4] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص126.

ولن تزول الآفات المختلفة التي تُراود النفس البشرية، إلاّ إذا ازدادت نسبةُ التعبد والتبتل في حياة المسلمين، حتى ينتقل أثرهما إلى القلب والنفس فيُحدِثُ فيهما الرجَّةَ التي تدفع الإنسان إلى فعل الطاعات وترك المنهيات. ولذلك فإن القلب إذا كساه الرانُ، فلا يستطيع الاعتقادُ وحدَه أن يُصلح ما أفسدته الشهوات والأهواء.

يرى محمد سعيد رمضان البوطي أنّ سبب انتكاسة المسلمين اليوم وعدم تمكنهم من النهوض من كبوتهم هو أنهم مُسلمون بالفكر والعقل، لا بالحبّ والقلب، إنهم يمارسون إسلاماً عقلانياً مجرداً وبعيداً عن جواذب القلب ومؤثّراته.[1]

وللتدليل على صحة دعواه، يُقدّم البوطي مثالاً على عدم نجاعة هذا المنهج، يقول: قد تجتمع بجماعة من المسلمين ممن تصدَّروا للدعوة والتعريف بالإسلام، يجلسون داخلَ قاعةٍ مُغلَقةٍ يُناقشون أحوال المسلمين اليوم، ويتجاذبون أطراف الحديث عن الإسلام ويتبادلون الأفكار حول كيفية الدعوة إليه والنهوض به، ويطول بهم الحديث في حماس ونشاط، وبينما هم كذلك إذ يُنادى للصلاة من مكان قريب، وهُم لا يزالُون مُنهمكين في حديثهم، وينتهي صوت الأذان، وتُقام الصلاة وتنقضي، وهم مُشتغلون بالحديث عن الإسلام وهمومِ المسلمين، وعن كيفية النهوض به من جديد، حتى إذا أوشك وقتُ الصلاة أن يخرج اقترح أحدُهم استراحةً لأداء الصلاة.[2]

يقول: وما إن يفرغوا من صلاتهم، حتى يُذكِّر أحدُهم الجماعةَ ما قد فاتهم طرحُه من نقاط، وقد خطَر ذلك على باله وهو قائم يُصلي، ويستمر الكلامُ عن مشكلات الإسلام وما تعلّق به، وقد نَسُوا أنّ ثمَتَ أذكاراً ورواتبَ ونوافلَ تُؤدى دُبُر الصلوات، وغاب عن أذهانهم أنّ هذا الأمر الذي اجتمعوا له وخاضوا فيه إنما هو وسيلةٌ إلى الغاية العظمى التي خُلقنا لأجلها.

يقول: لقد صرنا نرى اليوم كثيراً من الناس – ممن يُحسبُون على الدعوة الإسلامية – يُقلّلون من أَهمية التعبد، والتبتل لله ﷻ، ويقولون: إنها بضاعةُ العامة الذين ليس لديهم ما يملأ فراغ وقتهم غير القيام

---

[1] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص129.

[2] – ينظر: البوطي، المرجع نفسه، ص129.

بالنوافل وقراءة الأدعية والأذكار، ويجتهدون في إقناع الناس أنّ الإسلام ليس إلاّ هذا المظهر الحركي الذي ينطبعُ شكلُه في البحوث الفكرية، والمناقشات النظرية، والتنظيمات الشكلية، ويظلون يدافعون عن هذا المنهج وينافحون عنه.[1]

إنّ هذه الظاهرة التي انتقدها محمد رمضان البوطي نابعةٌ من عُمقِ رجلٍ كرّسَ حياتَه في سبيل الدّعوة إلى الله تعالى، بل وأفدى هذه القضية النبيلة بروحه ودمه.

وإنّ الباحث لا يُنقص من جُهود هؤلاء الذين أفنوا أوقاتهم وأعمارهم في الدعوة إلى الإسلام والبحث عن السُبل الناجعة من أجل النهوض به؛ ولكنها دعوةٌ إلى الاعتصام بمنهج القرآن الكريم، من خلال إقامة التوازن بين الحوارات الفكرية وبين الجوانب التعبدية التي يلتجأ بها العباد إلى ربهم عن طريق الابتهالات الوجدانية[2] التي تُرقق القلوب وتُدمع العيون.

فذلك المنهج الذي انتقده محمد البوطي بإمكانه إنتاج ثروة فكرية غزيرة، أو إنشاء مكتبة إسلامية عظيمة، ولكنه هل يستطيع أن يُثمر الحياة الإسلامية المنشودة التي كان عليها الرعيل الأول من المسلمين؟

وكيف يمكن للمسلمين أن ينهضوا من سُباتهم هذا، وهُم مُكبلين بقيودٍ من الشهوات والأهواء، وقُلوبهم لَتخفق بحبّ الدنيا ونعيمها؟

لقد وضع لنا الحقّ جلّ جلاله البلسمَ الشافي لهذا الدّاء العُضال الذي يحول بين العبد وربه، فقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿45﴾ ﴾ [سورة البقرة: **45**]. وقال عزّ وجلّ مخاطباً نبيّه ﷺ واصفاً له الدواء المناسب لمن حزبَه أمرٌ أو عَكَّرت صَفْوه بعضُ المشاعر البشرية: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِۖ ﴿39﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿40﴾ ﴾[سورة ق: **39-40**]. وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿24﴾ وَٱذۡكُرِ

---

[1] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص130.

[2] – هي كلّ ما ثبت عن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان؛ من أذكار وأدعية ونوافل تُقرّب العبد من ربّه ﷻ.

﴿ إِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝25 وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝26 ﴾ [سورة الإنسان: **24 – 25 – 26**].

إنها ليست دعوةً للرهبانية، وإنما هي دعوةٌ للموازنة بين الجانبين العقلي والعاطفي، وألاّ يطغى جانبٌ على آخر؛ ففي الوقت الذي شغلَ الخطابُ القرآنيُّ مساحةً واسعةً وهو يخاطبُ أصحاب العقول وأولي الألباب والنُهى يدعوهم إلى التأمل والتفكر، والبحث عن المعرفة، مستخدما أنواعاً من الأدلة والبراهين، ومُوظفا العديد من الأساليب التي تخاطب العقل، نجده في المقابل يدعو كذلك إلى العناية بترقيق القلوب، وتحريك المشاعر الوجدانية، وذلك بمختلف الأساليب التي تخاطب العواطف، وتدعو إلى الحبّ والتودد والتعاطف، والابتعاد عن الهوى، وعن الأسباب الموقعة في الشهوات، ونبذ التقليد والتعصب القبلي.

يقول محمد سعيد رمضان البوطي: "نظراً إلى القانون الفطري في حياة الناس، والمتمثل في هيمنة العاطفة – غالباً – على العقل، فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يُقاد الإنسان إلى وظائفه الإنسانية التي أقامه الله ﷻ عليها، كالزواج وتربية النشء وتناول الغذاء وحماية الممتلكات.. بنوع من الحبّ لها، بحيث يتغلب على ما في تحمل تلك الوظائف من الكراهية والأتعاب، فتنسجمُ الرغبة عندئذٍ مع الوظيفة والواجب...".[1]

إنّ هذه الحقيقة التي أشار إليها البوطي تختص بالأمور الجِبلية التي فَطر الله الناس عليها، كالأكل والشراب والنكاح كما وضح الشيخ، لكن قد يُلحق بها – والعلم عند الله – التكاليف الشرعية التي خُوطب بها المكلّفون، ذلك أن القيام بها على الوجه الذي أراده الله ﷻ يستوجب نوعاً من الحبّ والرغبة في ذلك الأمر؛ وهذا ما سيتناوله الباحث بشيءٍ من البسط في العنصر الآتي.

---

[1] – البوطي، من الفكر والقلب، ص108.

ثانياً: ملائمة التكاليف الشرعية للمكلّف ومظاهر الرحمة فيها

إنّ الله تعالى حين شرع التكاليف الشرعية على عباده قد راعَ تكوين الإنسان الجسدي والنفسي والعقلي، كما راعَ تغيّر الزمان وتقلب الأحوال، كلُّ ذلك رحمةً بهذا المخلوق الضعيف، وتحقيقاً لمصلحته، ورفعاً للحرج عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[سورة الحج: 78].

وقد قال العلماء: إنّ من مقاصد الشريعة الإسلامية التيسير ودفع الحرج[1]، وأصَّلوا لذلك قاعدة فقهية، تنصُّ على أنّ: "المشقة تجلبُ التيسير"[2]، أي: أن الأحكام الشرعية تكون في حدود قُدرة المكلَّفين، لا تتجاوز طاقتَهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[سورة البقرة: 185].

وبالرغم من أن الأحكام الشرعية فيها نوعُ مشقةٍ على المكلّف، كمشقة البرد في الوضوء والغُسل، ومشقة الصوم في شدّة الحرّ وطول النهار، ومشقة السفر بالنسبة للحاج، ومشقة ألم الحدود، وغير ذلك. غير أن هذه المشاق هي تحت قدرة المكلّفين.

أما المشاق التي تتجاوز طاقة الإنسان وتؤدي إلى هلاكه، أو إتلاف إحدى ضرورياته، فهي مرفوعة عنه، ولم يُكلّف بها، بل هي مُوجبة للرخصة.

1- سمات التكاليف الشرعية، وصور الرحمة فيها[3]:

- **ارتباطها بالغايات:** ما يتميّز به أيُّ تكليف ليس صورته، وإنما الغاية منه، والمقصد الذي يسعى لتحقيقه، فكثيراً ما يكون قبول الأعمال مرتبطاً بغاياتها، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

---

[1] - ينظر: الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الطبعة: 01، 1421هـ- 2001م، ص28.

[2] - ينظر: السُبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، (ت: 771هـ)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، الطبعة: 01، 1411هـ- 1991م، الجزء 01، ص49.

[3] - ينظر: الصباحي، يحيي مقبل، ملائمة التكاليف الشرعية للمكلّف وأوجه الرحمة فيها، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية، كليّة التربية، ص499.

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة: 27]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [سورة العنكبوت: 45]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: 183]. وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: **153**].

فالتكليف الذي لا يُحقق غايته ولا يُلبي مقصدَه، ليس لصورته أو مظهره قيمة في نظر الشارع.

- **السهولة واليُسر**: اليُسر مقصدٌ شرعي من مقاصد الإسلام الكبرى –كما سبق ذكره – قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[سورة البقرة: 185]. فقوله تعالى: {يُرِيدُ} أي: يُحبُّ؛ فالإرادةُ هنا شرعيةٌ؛ والمعنى: يحبُّ لكم اليُسر؛ وليست الإرادة الكونية؛ لأن الله سبحانه وتعالى لو أراد بنا اليسرَ كوناً ما تعسّرت الأمورُ على أَحدٍ أبداً؛ فتعيّن أن يكون المراد بالإرادة هنا الشرعية[1]. وقال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿28﴾ ﴾ [سورة النساء: 28].

- **مُرونة التكاليف**: اقتضت حكمةُ الله ﷻ أن تكون شريعتُه صالحةً لكلّ زمان ومكان، ومُلائمةً لكلّ الناس على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم وقُدُرات فهمهم؛ فتتنزلُ عليهم الأحكام مُفصلةً تفصيلاً كلٌّ بما يتناسبُ وأحواله وظروفه، وراعت أحوال الناس وأعرافهم. فجاءت أحكام العبادات مراعيةً قُدرات المكلفين وظروفهم الزمانية والمكانية، ونفس الأمر بالنسبة لأحكام المعاملات، فمن أجل تحقيق مصلحة الأفراد ورحمةً بالمجتمع تركت الشريعةُ صُور البيوع على أصلها وحِلِها، إلاّ ما استثنى الشارعُ، وهو قليل.[2]

---

[1] – ينظر: العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 01، 1423هـ، الجزء02، ص335.

[2] – ينظر: الصباحي، يحيي مقبل، ملائمة التكاليف الشرعية للمكلّف وأوجه الرحمة فيها، ص501.

فقد قامت التكاليف على مراعاة حاجة المكلّف وقُدراته، وفرض الله ﷻ أحكامه لتستجيب لها البشريةُ بعيداً عن العنت والمشقة.

- **سهولة الفهم والإدراك:** قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [سورة القمر: 22]. قال الشاطبيُّ: " ومنها: أن تكون التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسعُ الأميَّ تعقلّها، ليسعه الدخول تحت حكمها. أما الاعتقادية –بأن تكون من القرب للفهم، والسهولة على العقل، بحيث يشترك فيها الجمهور من كان منهم ثاقبَ الفهم أو بليداً–، فإنها لو كانت مما لا يُدركه إلاّ الخواص، لم تكن الشريعة عامةً، ولم تكن أُميّةً، وقد ثبت كونها كذلك"[1].

فلو كان الدّينُ عبارة عن رموز لا يفهمه إلاّ نخبةٌ من الناس لخرج عن الرحمة التي أُرسل بها النبيُّ ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: 107].

- **التخفيف على الناس:** من ذلك ما رواه جابر بن عبد الله — رضي الله عنه –: أن معاذ بن جبل رضي الله عنه، كان يُصلي مع النبيّ ﷺ، ثم يأتي قومَه فيُصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوَّز رجلٌ فصلَّى صلاةً خفيفةً، فبلغ ذلك مُعاذا، فقال: إنّه مُنافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا قومٌ نعملُ بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذا صلَّى بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجَوزتُ، فزعم أني منافقٌ، فقال النبيُّ ﷺ: " يا معاذ، أفَتانٌ أنت – ثلاثاً – اقرأ: والشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها "[2].

- **قطعُ الأعذار الموجبة لترك الأعمال:** شرع الله تعالى الأحكام سهلةً ميسرةً، كي لا يكون لأحد حُجّة في ترك عمل كُلّفَ به.

---

[1] – الشاطبيّ، الموافقات، الجزء02، ص141.

[2] – الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا، رقم: 6106، الجزء 08، ص26.

قال الشاطبيّ: "فأما الأول، فإن الله وضع هذه الشريعةَ المباركة حنيفيةً سمحةً سهلةً، حفظ فيها على الخلق قلُوبَهم، وحَبَبها لهم بذلك، فلو عمِلوا على خلاف السماح والسهولة، لدخل عليهم فيما كُلّفوا به ما لا تخلص به أعمالُهم...".[1]

يُريد بذلك أن الشريعة خاليةٌ مما يجلب الملل إلى النفس، لأنه قد يُفضي بالإنسان إلى ترك العبادة.

وقال في موضع آخر: "وأما الثاني، فإن المكلّف مطلوبٌ بأعمال ووظائف شرعية لابد له منها، ولا مَحيص له عنها، يقوم فيها بحقّ ربه تعالى، فإذا أوغل في عملٍ شاقٍ فربما قطعه عن غيره، ولا سيما حقوق الغير التي تتعلق به، فتكون عبادتُه أو عملُه الداخل فيه قاطعاً عما كلّفه الله به، فيُقَصِّرُ فيه، فيكون بذلك ملوماً غير معذور؛ إذ المراد منه القيام بجميعها على وجهٍ لا يُخل بواحدة منها، ولا بحال من أحواله فيها"[2].

- **الاستطاعة:** كذلك ومن أبرز سمات الرحمة بالمكلَّفين أنّ الله تعالى قَرَن القيام بالتكاليف الشرعية بالقدرة والاستطاعة. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: **16**]. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[سورة البقرة: 286]. وقال تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [سورة الطلاق: 07].

فالاستطاعة هي مناطُ التكليف بالأحكام الشرعية بعد العقل والعلم؛ فالعاقل العالم بالحكم الشرعي لا يجب عليه حتى يكون قادراً مستطيعاً على أدائه. قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[سورة آل عمران: 97]. وقول النبيّ ﷺ من حديث عائشة – رضي الله عنها –: «يا أيُّها الناس، خُذوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملُّوا، وإنّ أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ»[3].

---

[1] – الشاطبيّ، المصدر السابق، الجزء02، ص233.

[2] – الشاطبيّ، الموافقات، الجزء02، ص247.

[3] – الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللّباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، رقم: 5861، الجزء07، ص155.

فالإسلام قد راعَ قُدرات المكلّف، لذلك لا يمكن أن تتجاوز التكاليف حدودَ الطاقة البشرية؛ فتأتي الأحكامُ مناسبةً لطبيعة المكلّف، وحالاته المتغيرة، فهي تختلف – مثلاً – بين واجد الماء وفاقده، وبين الصحيح والسقيم، وبين الآمن والخائف. كما أن بعض أفعال المكلّفين من عبادات أو معاملات قد تعتريها الأحكام الخمسة: من وجوب وحرمة، وكراهة وندب، وإباحة.[1]

ولقد بُنيت الشريعة على مصالح العباد، وأُسست التكاليفُ الشرعية لروح المسؤولية لدى المكلّف، حتى لا تكون حياتُه عبثاً. قال ابن القيّم: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلّها، ورحمةٌ كلّها، ومصالحٌ كلّها، وحكمةٌ كلّها؛ فكلّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدلُ الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظلُّه في أرضه، وحكمته الدّالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ"[2].

لذلك فكثيرٌ من النصوص الشرعية قد وردت مُعللةً، وتؤكدُ على المقصد من التكليف، قبل أن تُركّز على صورته أو مظهره.

فالله ﷻ لم يُشرّع أمراً ليس من وراءه حكمة، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل أحكامَه معللةً، ومبنيةً على حكم ومقاصد، كما أنه سبحانه لم يجعل "شرعَه بعيداً عما فطره في عقول البشر من اكتشاف العلاقات بين الأشياء وأسبابها، أو التشابه بين الأمور ونظائرها، لتقوم الحجةُ على العقل بالنّص، وليتمكن العقل من إدراك حكمة النّص، والمقايسة عليه بعد بذل الجهد ضمن ما شرعه الله"[3].

وهذه الحِكم والمقاصد تُؤثرُ في حياة المكلّف وتعاملاته مع الناس، فتَحَقُّق هذه المقاصد مُرتبطٌ بأداء التكاليف على الوجه الذي أمر به الشارع الحكيم، بحيث تظهر ثمارها على مستوى الأفراد

---

[1] – ينظر: الصباحي، يحيي مقبل، ملائمة التكاليف الشرعية للمكلّف وأوجه الرحمة فيها، ص510.

[2] – ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، الجزء03، ص11.

[3] – عادل الشويخ، تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، الطبعة 01، 1420هـ – 2000م، ص07.

والجماعات، وكلّما قصَّرت في أدائها سادت الفوضى وتطرق الخلل، قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [سورة طه: **124**].[1]

- **قُربُ العبد من ربّه ﷻ**: إنّ أعظم ما يجنيه المكلّف وهو يمتثلُ أوامر ربّه ﷻ ويستجيبُ لأحكامه، هو دوام الصِلة بالله سبحانه؛ فقربُ العبد من ربّه جلّ في عُلاه نعمةٌ ومنةٌ عظيمةٌ لا يظفر بها إلاّ من وفقه الله لذلك ورضي عنه.

- **تفاوت درجات التكاليف**: ومن صور رحمة الله ﷻ بعباده أنه لم يجعل التكاليف الشرعية من أوامر ونواهي على درجة واحدة، كما أنها ليست في الأهمية متساويةً.

قال الشاطبيّ وهو يعالج موضوع البدع في كتابه "الاعتصام": "إنّ المعاصي منها صغائر ومنها كبائر، ويُعرف ذلك بكونها واقعة في الضروريات أو الحاجيات أو التكميليات، فإذا كانت في الضروريات فهي أعظم، وإن وقعت في التحسينات فهي أدنى رتبة بلا إشكال، وإن وقعت في الحاجيات فمتوسطة بين الرتبتين"[2].

ونتيجة لهذا التفاوت يُمكن استخلاص وجوه الرحمة في ذلك، والتي من أبرزها:

✓ **ترتُب الأجر على حسن العمل، لا على كثرته ولا مشقته**: قال تعالى: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾[سورة الملك: 02]. وقال تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ

---

[1] – ينظر: الصباحي، يحيي مقبل، ملائمة التكاليف الشرعية للمكلّف وأوجه الرحمة فيها، ص517.

[2] – الشاطبيّ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الغرناطي، الاعتصام، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الطبعة 01، 1412هـ- 1992م، الجزء02، ص517.

﴾ [سورة الأعراف: 157]. وعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبيّ ﷺ قال: "إني بُعثتُ بِحنيفيةٍ سمحةٍ".[1]

قال ابن القيّم مُعلّقاً على هذا الحديث: "جَمعَ بين كونها حنيفية وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل"[2].

فباستقراء النصوص الشرعية يتبيّن أنّ الله تعالى لم يقصد من التكاليف المشقة أو العنت، وبسبب هذا التفاوت بين التكاليف وأحوال المكلّفين شُرعت الرُخصُ رحمةً بالمكلّف، إذ لو قصدَ الشارعُ التكليف بالمشقة لما كانت الرُخص.

✓ **ترتيب الأولويات في القيام بالتكاليف:** وذلك بوضع كلّ عملٍ في المرتبة التي يستحقها، وفي الوقت الذي حُدّد له، يدلّ على ذلك ما رواه البخاري من حديث عبد الله ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما بعث النبيُّ ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «إنّك تَقدُمُ على قومٍ من أهل الكتاب، فليكنْ أولَ ما تدعُوهم إلى أن يُوحِّدُوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرَض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلَّوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاةً في أموالهم، تُؤخذ من غنيِّهم فتردُ على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخُذ منهم، وتَوَقَّ كرائِمَ أموال الناس»[3].

---

[1] – الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث عائشة – رضي الله عنها – برقم: 24855 بإسناد حسن، وله شاهد من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه البخاري مُعلّقاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدّين يُسر، وقد وصله هو في الأدب المفرد برقم: 287. ينظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان – الأردن، الطبعة 01، 1405هـ، الجزء 02، ص41 وما بعدها.

[2] – ابن القيّم الجوزية، إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، الجزء 01، ص158.

[3] – أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبيّ ﷺ أُمتَه إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم: 7371، الجزء 09، ص114.

قال ابن حجر: "بدأ ﷺ بالأهم فالأهم، وذلك من التلّطف في الخطاب، لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرّة لم يأمن من النُفرة"[1].

✓ **التوازن في أداء التكاليف حسب درجاتها ووقت أدائها وحال المكلّف:** إنّ التوازن هو أساسُ التعبد، وطريقُ الفلاح في الدنيا والآخرة؛ فالشارع الحكيم قد فاضل بين التكاليف بما ينسجم وأحوال المكلفين ومصالحهم، فوازن بين حاجات الإنسان الجسدية والمعنوية، وبين القيّم المادية والروحية.

وقد أكد النبيّ ﷺ هذا المعنى في قوله: "إنّ الدين يُسرٌ، ولن يُشادَ الدّين أحدٌ إلاّ غلبهُ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا"[2].

إن التكاليف الشرعية هي عبارة عن منظومة من القيّم، متكاملة متناسقة لا يمكن أن تتصادم أو يُناقض بعضها بعضاً، أو تُوجب المشقة على المكلّف، لأنها شُرعت لأجل مصالح العباد، وصيانة حقوقهم، ولتضمن لهم السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.[3]

الفرع الثالث: دور التوازن العقلي العاطفي في تجسيد التكافل الاجتماعي

لقد خاطب الإسلامُ الإنسانَ من خلال نظرةٍ تكامليةٍ شاملةٍ؛ فلم يُهمل أيّة جزئية من جزئيات تكوينه الجسدي ولا النفسي عقلية كانت أم وجدانية.

والحديث عن التكافل الاجتماعي يجب أن يُعالج أيضاً كجزءٍ من هذا الكلّ؛ فالأحكام الشرعية في الإسلام وهي تُعالج مَناحي الحياة المختلفة – اجتماعية كانت أو اقتصادية – لم تخرج عن إطار

---

(1) – العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء 03، ص359.

(2) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدّين يُسر، الجزء01، ص 1.

(3) – ينظر: الصباحي، يحيي مقبل، ملائمة التكاليف الشرعية للمكلّف وأوجه الرحمة فيها، ص522.

النسيج الإسلامي الشامل، ولم تنفصل عن جانب من الجوانب الأخرى. معنى هذا أن جميع التشريعات التي جاء بها الإسلام تقوم على عقيدة سليمة، وتكاليف شرعية وسلوكيات أخلاقية فاضلة.

وهذه العلاقة المرتبطة بين الجزء والكلّ هي التي تُظهر البون الشاسع بين شريعة الإسلام والنظم الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي وضعها البشر، حيث عالجت قضايا الإنسان من زوايا متفرقة، وبطريقة مُجزَّءةٍ، الأمر الذي قد يحمل الإنسان على العناية بجانب وإهمال الجوانب الأخرى[1].

والتكافل الاجتماعي هو أحدُ الأسس المتينة التي يعتمد عليها المجتمع البشري؛ فهو لا يقوم على أساس النُظم التشريعية فحسب – مع ما في هذه النظم والقواعد التشريعية من شمُولية وسُمو – وإنما قد تستوجبُ بعضُ الحالات الارتقاء أكثر حتى فوق هذه القواعد والنّظم؛ وهذا الأمر قد تجلى في فعل الأنصار مع إخوانهم من المهاجرين عندما قدِموا المدينة، فقاسمُوهم أموالهم وبيوتهم، بل هناك من عرض أن يطَلّق إحدى زوجاته حتى يتزوجها أخوه من المهاجرين. فقد روى البخاري عن أنس – رضي الله عنه – أنّه قال: «قدِم علينا عبدُ الرحمن بن عوف، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الرّبيع، وكان كثيرَ المال، فقال سعدُ: قد علِمتِ الأنصارُ أنّي من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلّقها، حتّى إذا حلَّت تزوّجتها، فقال عبد الرّحمن: بارك الله لك في أهلك، فلم يرجع يومئذٍ حتّى أفضل شيئاً من سمنٍ وأقِط، فلم يلبث إلّا يسيرا حتّى جاء رسول الله

[1]– ينظر: عويس، عبد الحليم، الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، القاهرة، الطبعة01، 1431هـ – 2010م، ص27.

ﷺ وعليه وَضَرٌ[1]من صفرة، فقال له رسول الله ﷺ: مَهْيَمْ [2] قال: تزوّجتُ امرأةً من الأنصار، فقال: ما سُقت فيها قال: وزنُ نواةٍ من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: أولِمْ ولو بشاة».[3]

إنّ هذا النوع من الإيثار – أو التكافل الاجتماعي – لم يفرضه الشرع، لكن تركه للمستوى الأخلاقي الذي تُمثله معاني الرحمة والأخوة الإسلامية. فالأنصار حين تصرفوا هذا التصرف مع إخوانهم المهاجرين لم ينطلقُوا من مُنطلقِ واجبٍ شرعيٍّ – بمفهومه الاصطلاحي –، تفرضه عليهم قواعد وأحكام شرعيه، وإنما تصرفوا بدافعٍ عظيمٍ من الحبّ، ودرجة كبيرة من الإيثار مجردةً من كلّ مشاعر البُخل وأثرة النفس. [4]

قال تعالى وهو يصف هذه الحالة التي مثلها هذا النموذج الرائع والفريد ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ ﴾[سورة الحشر: **09**].

إنّ الإسلام يتعامل مع الجوانب الاجتماعية، وهو يعتمد على أُسُسٍ عَقَدِية وفِكرية ونفسية وأخلاقية لا يَقصي شيئاً من هذه الأُسس، إنه يسير وفق معتقدات إيمانية كُليّة؛ فهو لا يستجيب للوائح قانُونية، ولا خدماتٍ مصلحيةٍ عامةٍ يشترك في نفعها جميعُ أفراد المجتمع بطريقة جدلية تبادلية تنتهي هذه العلاقة بانقضاء المصلحة، أو حتى بالتحايل على هذه القوانين.

---

[1]– ذكر الحافظ ابن حجر أن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – لما قدِم المدينةَ طلب من الأنصار أن يدلُّوه على السوق، فاشترى وباع وربح، فاقتنى شيئاً من سمنٍ وأقِط، ثم لقيّه الرسول ﷺ وعليه وَضَرٌ من صفرة، أي أثر طيب أصفر صُنع من الزعفران...إلخ. ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء9، ص233.

[2]– مَهْيَمْ: كلمة استفهام يمانية الأصل، معناها ما هذا، أو ما الخبر، وقيل: إنّ إبراهيم – عليه السلام – أول من قال هذه الكلمة. ينظر: ابن حجر، المصدر نفسه، الجزء01، ص191 والجزء6، ص394.

[3] – الحديث أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إيخاء النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، رقم: 3781، الجزء5، ص31.

[4] – ينظر: عويس، عبد الحليم، الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام، مرجع سابق، ص28.

إنّ القوانين الوضعية – خاصة المجتمعات التي انتهجت النظام الاشتراكي – ترى أن التكافل الاجتماعي هو مجرّد تنظيم يُؤطرُ العلاقة بين أفراد المجتمع، ويمنع من أن تطغى طائفة على الأخرى، كما تتيحُ للجميع قدراً مُشتركا من الفُرص والحُقوق، وتُلزمهم بقدرٍ عالٍ من الواجبات. [1]

هذه النظرة – المادية – تحصر التكافل الاجتماعيَّ في زاوية القوانين والمصالح البحتة، تُجرّده من مشاعر الأخوة والمحبة. وهذا ما سببته النزعة المادية التي وَأَدَت الروح الإنسانية، وثارت على القيم الدينية، وأصبح الناس اليوم في تسارع رهيب، لتحقيق مزيد من الترف والرفاهية والاستهلاك. [2]

الفرع الرابع: حاجة المجتمع إلى التوازن العقلي والعاطفي في إصلاح شؤونه:

إن المجتمع الإسلامي هو وحدة متكاملة لا يمكن أن تتجزأ أو تتناثر، وعليه فمعالجة مشكلاته المختلفة لا ينبغي أن يخرج عن هذه القاعدة العظيمة، فأيّ سلوك يُقدم عليه المرء سواء في جوانبه العقدية والفكرية، أو من ناحية قيامه بالواجبات والتكاليف الشرعية، أو حتى فيما تعلق بنوازعه القلبية ورغباته العاطفية، لابد أن يبرُز أثره في كيان الإنسان كلّه، وهو ما تقتضيه الفطرة البشرية.[3]

من أجل ذلك، كان لزاما على كلّ من تقلّد وظيفةً من وظائف الإصلاح الاجتماعي – بلسانه أو بقلمه – ألاّ يحيدَ عن هذا المبدأ وعن هذه القاعدة؛ فلا يمكن أن نتصور أيّ مبادرة إصلاحية اجتماعية ناجحة وقد حصرها أصحابها في جانب العقيدة وحدها، أو الفقه والتشريع وحده، أو جانب السلوك والأخلاق والقيّم الوجدانية.

ذلك أنه في الوقت الذي يشتغل فيه أصحاب المشروع العقدي – السليم – في إعداد وتقديم هذه القيّم للمجتمع، تكون فئةٌ أخرى قد سارعت إلى طرح برنامجها السلوكي – اللاأخلاقي – وبث قيّمٍ في المجتمع لا تتفق وتعاليمنا الدينية؛ فيصبح المجتمع حلبة صراع بين مختلف التيارات الفكرية الصحيحة منها والسقيمة.

---

[1] – ينظر: عويس، عبد الحليم، الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام، ص29.

[2] – ينظر: عويس، عبد الحليم، المرجع نفسه، ص30، وما بعدها.

[3] – ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، من الفكر والقلب، ص11 وما بعدها.

"إنّ هذه الظاهرة الرّهيبة، ليس لها من دواء إلاّ أن يعلم المصلحون والكتّاب والمفكرون، أنّ الإصلاح الاجتماعي لا يمكن أن يقوم على تغذية جانب واحد من الجوانب الاجتماعية دون سواه. ومهما توزعت الاختصاصات والقدرات، فينبغي أن يكون ثمّة قدرٌ مشتركٌ كاف من الثقافة الاجتماعية المثلى تتمثل بوضوح ونضج في أذهان كلّ من يتصدّون للحركة الإصلاحية في المجتمع"[1].

إن هذا المنهج المقترح ليس إلاّ استجابة لحاجات الفطرة الإنسانية التي تتطلب الموازنة بين العقل والعاطفة؛ فالإنسان له عقل يفتقر إلى يقين علميّ راسخ يسدّ فراغه، وله عواطف ورغبات تحتاج إلى مُعين يمدّها بالغذاء كي تنمو وتسمو. وهو تربطه ببني جنسه علاقات متنوعة ومستمرة، فهو بحاجة إلى قوانين ونظم تُؤطر له هذه العلاقات وتُنظمها، ليضمن بقاءَها وحسن تسييرها. ولن يجد الإنسان ما يُلبي حاجاتِه الفطرية والجبلية في غير الإسلام؛ فترسيخ العقيدة الدينية، والالتزام بالتكاليف الشرعية، وبعث الأشواق الوجدانية، لا يمكن فصله عن كيانه المتكامل الذي يمثل الفطرة الإنسانية.

ولقد كان من تدبير الله وحكمته أن وضع أمام الإنسان صفحةَ هذا الكون للنظر والتأمل، ولتحقيق ذلك وهبه عقلا يطّلع به على حقائق هذا الكون ويكتشف به دقائقه وأعاجيبه. وهذه الميزة لا يختلف فيها المؤمن عن الملحد، فهي فرصة متكافئة وضعها الله بين أيدي عباده المؤمنين والكافرين على حدّ سواء.

لكن الفرق بين الفئتين يكمن في أثر ذلك الاطلاع والاكتشاف، فالمؤمن يقف على دلائل عظمة الخالق جلّ وعلا، ليزداد إيماناً على إيمانه. وأما الملحد الجاحد، فهو في أحسن أحواله يقف عند حدّ العلم، أن لهذا الكون خالقا، ثم يمضي دون أن يلتفت إلى ما وراء هذه الحقيقة، أو عن سبب وجوده في هذا الكون.

إذا كان الله ﷻ لما أوجد المخلوقات جعل لكلّ منها وظيفةً، فجعل للشمس وظيفتها وللقمر وظيفته وللمياه وظيفتها، ولأنواع البهائم والحيوانات وظائفها، وللنباتات وظائفها. فهل يُعقل أن يترك أشرفَ مخلوق على هذه البسيطة من بين كلّ هذه الكائنات – بعد أن زوده بأعظم جهاز وهو العقل – من دون وظيفة؟

---

[1] – البوطي، محمد سعيد رمضان، من الفكر والقلب، ص11.

إن الإنسان يدرك بفطرته السوية أن ثمة وظيفةً له، بل ولابد أن تكون أخطر الوظائف وأهمها. وما عليه إلاّ أن يُصغي لخطاب الله تعالى في الأرض من خلال صوت الرسل والأنبياء ليتبين له المنهج الرباني المتكامل الذي إن سار عليه واتبعه، فإنه لن يضل ويشقى.

وإنّ من أسس العقيدة الإسلامية في جوانبها المتعددة، وفي سائر مسائلها الكلية والجزئية، أن تقوم على أساس من اليقين العقلي الصّحيح.[1]وفي هذا السياق يتوجه الخطاب القرآني إلى الإنسان قائلا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿36﴾ ﴾ [سورة الإسراء: **36**].

فإذا كانت هذه هي ميزة وأهمية العقل في الإسلام، فإننا لا نستطيع أن نتنكر للعاطفة وما تقوم به من دور فعال؛ ذلك أن العقل هو الذي يبرمج ويقنن ويخطط، وأما العاطفة فهي التي تدفع إلى الإنجاز والفعل والتطبيق.

"والحقيقة أن الدّين ... يقوم في صميمه على آثار العاطفة وتحريك الوجدان، وهذا لا يكون إلاّ إذا خفق القلب خفقات الحبّ والشوق بما يحمل إليه العقل من أسرار هذا الوجود، وما في هذه الأسرار من روعة الحكمة وعظمة القدرة وسلطان العلم"[2].

ولقد تنبه علماء النفس الاجتماعي إلى دور العاطفة في توجيه المجتمعات وتحريك عواطفهم، ولذلك يُشاهد السياسيون والخطباء يتوجهون في خطاباتهم إلى الشعور أكثر مما يخاطبون العقل؛ ذلك أن الجماهير تُلبي نداء العاطفة قبل أن تستجيب لنداء العقل.

---

[1] – ينظر: البوطي، من الفكر والقلب، ص80.

[2] – عبد الكريم الخطيب، منهج البحث في العقيدة والشريعة، مقال من مجلة التضامن الإسلامي، السعودية، الجزء06، ذو الحجة 1977م.

إن هذا الطرح قد يصدق على الدراسات الإنسانية والاجتماعية، ولكن هذا الحكم لا ينطبق على الخطاب القرآني الذي يتميّز بأنه حجاجي إقناعي يُراعي كلّ ملكات النفس الروحية والعقلية والوجدانية.

فأثناء قراءة القرآن الكريم، أو الاستماع إليه يُلاحظ أنّ آياته الكريمة تتحدث عن جوانب كثيرة في النفس البشرية، بحيث يشعر الإنسان أحيانا أنه أمام صورة من صور العقل أو أمام العقل ذاته، وأحيانا يشعر أنه أمام العاطفة والأحاسيس والمشاعر الوجدانية، وأحيانا ثالثة يجدُ نفسه أمام جانب يجمع بين الجانبين: العقلي والعاطفي، ويزيد عليهما عُمقا وبُعدا آخر[1].

تظهر طبيعة السمو في الخطاب القرآني وهو يتوجه إلى العقل والقلب، وما يحدثه في النفوس من عواطف الفرح والحزن، والهدوء والاضطراب، والتفاؤل والتشاؤم، وما ينشأ عن ذلك من أنماط السلوك: إيمانا وكفرا، واستجابة وعنادا، وقبولا واستكبارا.

لقد استحوذ الخطاب القرآني على مجامع القلوب، وهيمن على مداخل النفوس، وحوّل الناس من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، وهذا بفضل أساليبه العجيبة والفريدة التي استطاعت أن تخاطب ملكات الإنسان الحسية والعقلية والعاطفية على حدّ سواء.

إذا كان العقل هو المسؤول على النظر والتدبر والبحث، والاستقراء والاستنباط، والحوار والجدل، والتعليل والحكم، واكتشاف أسرار الكون؛ "فإن القلب هو الذي به يعقل، وهو الذي يفقه، وهو الذي يحب ويكره، ويخاف ويخشى، وهو المسؤول عن سلوك الإنسان، بل هو موطن العواطف، وهو مصدر الخير والشر، والإخلاص والرياء، والوعي والبصيرة"[2].

ويظهر دور القلب وأهميته من خلال تركيز الخطاب القرآني عليه، لأنه موطن تنزل الوحي، وهو سبيل الهداية والفقه، وإدراك حقائق الإيمان يلتقي مع العقل في تناسق بديع: "هذا اللقاء بين العقل

---

[1] – ينظر: محمد علي الجوزو، مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، ص186.

[2] – المهابة ميارة، مفهوم الوحي وأثره في العقل والقلب، ص707.

والقلب في الارتباط بالمعرفة أولا، وبالحواس التي تساعد على المعرفة، والتمييز بين الإنسان والحيوان على أساسهما، وتشبيه الكفار الذين لا يستفيدون من هذا بالحيوانات. هذا اللقاء يجعلنا نتصور وحدة الهدف والغاية بينهما، بل وحدة الدور الذي يؤديانه، فإما أن يكونا شيئاً واحداً في الحقيقة والواقع، وإما أن يكونا متلازمين كليا في العمل حتى أن أحدهما لا ينفك عن الآخر"[1].

ولئن كان القلب والعقل يلتقيان في بعض الوظائف، ويؤديان نفس الأدوار، خاصة فيما تعلق بقضايا الإيمان، فإن القلب ينفرد بالجوانب العاطفية والوجدانية، بينما يقوم العقل بوظيفة التفكر والتدبر والفهم.

---

[1] – الجوزو محمد علي، مرجع سابق، ص208.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبرحمته وفضله ومنّه وفقنا ياربِّ للخيرات، وصلّي يارب وسلّم على نبيّك الذي اجتبيت وعلى رسولك الذي اصطفيت، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وبعد:

فيطيب لي في خاتمة هذه الدراسة أن أضع أطروحتي المتواضعة بين يدي أساتذتي الفضلاء – أعضاء لجنة المناقشة – لأتلقى منهم نقدها وتوجيه النظر إلى ما غفلت عنه، وهذه نتائج وثمرات بحث تذوقت حلو أكله وصعوبات مسائله، أعرضها ضمن هذه النقاط:

1. لقد حاول الباحث تقديم تصور إجمالي حول أساليب الخطاب في القرآن الكريم، والتي تراوحت بين المنهج العقلي، والمنهج العاطفي.
2. أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة هو ذلك الخطاب القرآني الذي يوفر البيئة المتوازنة التي تراعي الفطرة البشرية ومكوناتها العقلية والعاطفية ، وهذا من خلال أساليبه المتنوعة والمتعددة التي تناشد العقول، وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار، وتُحرك الوجدان وتستثير العواطف والأحاسيس.
3. اعتمد الباحث في سبيل إظهار أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني على ثلاثة أساليب عقلية، وهي: أسلوب الحجاج، وأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب الحوار في الخطاب القرآني، بينما قام بدراسة أسلوبين من الأساليب التي تخاطب العاطفة، وهما: الموعظة الحسنة وأساليبها في الخطاب القرآني، وأسلوب القدوة الحسنة في القرآن الكريم، وهذا بعدما قدّم لهذين المسلكين بمبحث أبان فيه عن تأثير القرآن الكريم في نفوس المخاطبين.
4. ومما وقف عليه الباحث في هذه الدراسة، أن ثمّت أساليب قد يراد منها أكثر من غرض، فقد نجد الترغيب أو الترهيب ضمن أسلوب الحوار مثلاً، كما أن من أغراض المثل في القرآن الترغيب في شيء أو الترهيب من شيء، لكن الباحث في دراسته هذه يصنف هذا الأسلوب أو غيره بحسب ما يغلب عليه، إما عقلي أو عاطفي.
5. إن هذه الأساليب التي تمثل في مجموعها الخطاب القرآني، هي دليل قاطع وبرهان ساطع على عالمية هذا الدّين.

6. أبانت هذه الدراسة عن التوافق والانسجام في خطاب القرآن للإنسان، حيث يقوم بإقناع العقل وإمتاع العاطفة؛ فقد يجتمع الاتجاهان في سياق واحد، كما قد يغلّب خطاب على آخر، وهذا بحسب نوعية المخاطَب، وهذه السمة هي أهم أسباب قوة التأثير والإقناع في الخطاب القرآني.

7. لقد تبوأ العقل مكانة عالية في الخطاب القرآني، يظهر ذلك من خلال المساحة الكبيرة التي شغلها الحديث عن العقل ومرادفاته ووظائفه، وفي كثرة المواضع التي تدعو إلى التفكر في آيات الله ﷻ.

8. العاطفة هي جزء من الحياة الوجدانية لدى الإنسان، وعنصر أساسي في تكوين شخصيته، فبالرغم من أن العاطفة ليست بناءً معرفيا بذاتها، إلاّ أنها المسؤولة على نقل وقيادة الانفعالات التي توصل إلى المعرفة.

9. الإنسان ليس عقلا مجردا، ولا كائنا جامدا يخضع لقانون أو إرادة قاسرة، كما إنه ليس عاطفة فحسب، بل حياته متعلقة بنعمة العقل الذي يجعلة يدرك الخير والشر والصحيح والسقيم، وأساس تعاملاته يقوم على هذا الميزان العدل بين العاطفة والعقل، وإعطاء كلّ خطاب ما يناسبه.

10. نزل القرآن الكريم في أسلوب متوازن يخاطب الفكر والقلب والروح معاً، ويُيسّر الفهم ويساعد على إدراك الحقائق والاهتداء إلى معرفة الخالق ﷻ.

11. منهج التوازن هو الذي سار عليه الخطاب القرآني ودعا إليه؛ يخاطب البديهة الإنسانية، ويناجي العقول البشرية، ويفتح أمامها مجال البحث والتحري، ويدعوها إلى التدبر والتفكر، كما أنه يناجي العاطفة ويهزّ المشاعر ويستهوي العواطف، ويثير فيها دوافع الرغبة والرهبة.

12. الخطاب القرآني يتميز عن غيره من خطابات البشر، بأن له سلطانا عجيبا على القلوب، ليس للخطاب البشري، حتى إنه ليؤثر أحيانا في أناس أعاجم لا يفقهون من العربية حرفا.

13. لقد حمل القرآن الكريم بين دفتيه أرقى الأساليب الحجاجية المقنعة، وأبلغ الصور البيانية المؤثرة.

14. الموازنة واختيار الأفضل والأرجح مسألة فطرية وبدهية، يُدركها كلّ من لديه عقل راجح، وعليه فالمحافظة على التوازن بين العقل والعاطفة يثمر الحياة السعيدة، أما إن غلّب جانب على جانب آخر، حينها يصيب الإنسان الخلل ويقع في الاضطراب.

15. إن الإغراق في خطاب العاطفة يولّد خطابا مندفعا، فاقدا للوعي بتبعات الأفعال والسلوكيات ومآلاتها، كما أن الإغراق في خطاب العقل يولّد وعيا جافا مغرقا بالتكاليف والأعباء، منفرا للنفوس، فالمسلم في هذه الحياة لابد أن يسير بجناحي العقل والعاطفة، يوازن بينهما، وقد يغلّب أحد الجانبين على الآخر كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك.

16. تظهر أهمية الموازنة بين العقل والعاطفة في الأثر الذي ينجم عن هذا السلوك، بحيث يجنبه التصرفات الارتجالية التي لا تقوم على الحكمة والبصيرة.

17. يعدّ التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني إجراء سلوكيا وفكريا، يضبط حياة الناس في المجتمع، ويجنّبهم الوقوع فيما لا يحمد عقباه، ويقدم لهم منهجا أصيلا يميّزون به بين الحق والباطل.

التوصيات:

- يُوصي الباحث بمواصلة البحث في مناهج القرآن الكريم، خاصة منهج القرآن الكريم من حيث موضوعاته.
- كما يُوصي الباحث باستكمال البحث في أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب النبوي.
- ضرورة العناية بموضوع الموازنة بين العقل والعاطفة في المناهج التربوية والتعليمية، واستقاء هذا المنهج من كتاب الله ﷻ وسنة نبيّه ﷺ.

وآخر دعوانا إن الحمد لله ربّ العالمين.

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المفردات الغريبة
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية:

الترقيم	الآية أو شطرها	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	17	البقرة	114
1-	﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ۖ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾	20	البقرة	120
2-	﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾	25	البقرة	331
3-	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	26	البقرة	115
4-	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾	34	البقرة	212
5-	﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾	35	البقرة	212-216
6-	﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ﴾	38-39	البقرة	213
7-	﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾	40-44	البقرة	298
8-	﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾	45	البقرة	344

9-	﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿65﴾ ﴾	65	البقرة	299
10-	﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً ﴾	66	البقرة	194
11-	﴿ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ ﴾	76	البقرة	86
12-	﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾	112	البقرة	53
13-	﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ ﴾	119	البقرة	191
14-	﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	120	البقرة	323
15-	﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿123﴾ ﴾	123	البقرة	257
16-	﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿124﴾ ﴾	124	البقرة	143
17-	﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾	130	البقرة	253
18-	﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا ﴾	139	البقرة	86
19-	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ ﴾	143	البقرة	327

-20	﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ﴾	150	البقرة	86
-21	﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾	158	البقرة	-85 346
-22	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ ﴾	159	البقرة	199
-23	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	164	البقرة	- 42 334
-24	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾	165	البقرة	-219 -221 222
-25	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ﴾	170	البقرة	-317 330
-26	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾	171	البقرة	-114 116
-27	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾	178	البقرة	303
-28	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ۖ ﴾	180	البقرة	303
-29	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	183	البقرة	-66 -303 347

-30	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ... ﴾	189	البقرة	67- 85
-31	﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿190﴾ ﴾	190	البقرة	211
-32	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿195﴾ ﴾	195	البقرة	214
-33	﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿205﴾ ﴾	205	البقرة	211
-34	﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ ﴾	213	البقرة	190
-35	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾	214	البقرة	115
-36	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ ﴾	216	البقرة	54- 303 339
-37	﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾	219	البقرة	72
-38	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾	220	البقرة	67
-39	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	222	البقرة	210- 214
-40	﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	231	البقرة	191

41-	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن﴾	232	البقرة	193
42-	﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿238﴾﴾	238	البقرة	66
43-	﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿242﴾﴾	242	البقرة	72
44-	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾	258	البقرة	77- 86- 96
45-	﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾	259	البقرة	161
46-	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾	260	البقرة	94- 162
47-	﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿269﴾﴾	269	البقرة	35
48-	﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	272	البقرة	255
49-	﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	275	البقرة	189- 194
50-	﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿276﴾﴾	276	البقرة	211

-51	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾	282	البقرة	295
-52	﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾	284	البقرة	154
-53	﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا ﴾	286	البقرة	-329 349
-54	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ ﴾	14	آل عمران	-49 -220 329
-55	﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾	20	آل عمران	86
-56	﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾	31	آل عمران	-54 -213 219
-57	﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾	32	آل عمران	-211 213
-58	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ ﴾	33	آل عمران	253
-59	﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ ﴾	57	آل عمران	-211 331
-60	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ﴾	59	آل عمران	-130 134

87	آل عمران	61	﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	61-
87	آل عمران	65	﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	62-
87-93	آل عمران	66	﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	63-
87	آل عمران	73	﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾	64-
210-214	آل عمران	76	﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	65-
66-349	آل عمران	97	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾	66-
328	آل عمران	111	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	67-
121	آل عمران	112	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا ﴾	68-
54	آل عمران	118	﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ ﴾	69-
210	آل عمران	134	﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿134﴾ ﴾	70-
291	آل عمران	137	﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾	71-
210	آل عمران	146	﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿146﴾ ﴾	72-
210	آل عمران	148	﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿148﴾ ﴾	73-

-74	﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ﴾	151	آل عمران	39
-75	﴿ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ ... ﴾	156	آل عمران	39
-76	﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ ﴾	159	آل عمران	-201 -216 241
-77	﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	170	آل عمران	54
-78	﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ﴾	171	آل عمران	54
-79	﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	191	آل عمران	174
-80	﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ ﴾	27	النساء	48
-81	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾	28	النساء	-329 347
-82	﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ ﴾	34	النساء	193

-83	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	36	النساء	-202 211
-84	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ ﴾	41	النساء	175
-85	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا﴾	47	النساء	-203 299
-86	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ ﴾	56	النساء	-66 205
-87	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	58	النساء	297
-88	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ﴾	63	النساء	-191 193
-89	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾	64	النساء	297
-90	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن﴾	66	النساء	193
-91	﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾	69	النساء	-199 297
-92	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾	75	النساء	202

-93	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	77	النساء	246
-94	﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾	100	النساء	260
-95	﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾	102	النساء	48
-96	﴿ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) ﴾	107	النساء	211
-97	﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا (125) ﴾	125	النساء	-216 253
-98	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ..... فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾	135	النساء	50
-99	﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾	148	النساء	211
-100	﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	165	النساء	-74 -87 190
-101	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ﴾	2-1	المائدة	306

102-	﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ﴾	7- 8	المائدة	242- 310
103-	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ﴾	9	المائدة	311
104-	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27)﴾	27	المائدة	346
105-	﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)﴾	31	المائدة	54
106-	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾	41	المائدة	215
107-	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42)﴾	42	المائدة	210
108-	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ...﴾	48	المائدة	307
109-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾	54	المائدة	214- 219
110-	﴿لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)﴾	64	المائدة	211
111-	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾	67	المائدة	215
112-	﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾	72	المائدة	147

-113	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ ﴾	82	المائدة	181
-114	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ ﴾	92 -90	المائدة	342
-115	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾	104	المائدة	320
-116	﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي ﴾	116	المائدة	216
-117	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ ﴾	1	الأنعام	320
-118	﴿ وَهُوَ ٱللَّهُۖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾	3	الأنعام	320
-119	﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	46-14	الأنعام	101
-120	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾	38	الأنعام	322-323
-121	﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ ﴾	48	الأنعام	190
-122	﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾	56	الأنعام	322

123-	﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾	71	الأنعام	50
124-	﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ـَٔالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ ﴾	74	الأنعام	280
125-	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	75	الأنعام	98
126-	﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِ ﴾	80	الأنعام	87
127-	﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ ﴾	83	الأنعام	87- 98- 254
128-	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾	90	الأنعام	231- 237
129-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾	99-95	الأنعام	334- 335
130-	﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥ ﴾	115	الأنعام	29
131-	﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ ﴾	119	الأنعام	330
132-	﴿ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ﴾	140	الأنعام	319

133-	﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾	141	الأنعام	211
134-	﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾	148	الأنعام	321
135-	﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾	149	الأنعام	79- 88- 91-
136-	﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	162- 163	الأنعام	338
137-	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشُرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾	57	الأعراف	137
138-	﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾	58	الأعراف	137
139-	﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ﴾	61- 62	الأعراف	247
140-	﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾	79	الأعراف	49
141-	﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾	85	الأعراف	147- 148

142-	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ... ﴾	96	الأعراف	190
143-	﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿116﴾ ﴾	116	الأعراف	52
144-	﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾	143	الأعراف	194
145-	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى ﴾	150- 151	الأعراف	226
146-	﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿154﴾ ﴾	154	الأعراف	54
147-	﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾	157	الأعراف	351
148-	﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ... ﴾	163	الأعراف	120
149-	﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ ﴾	164	الأعراف	193
150-	﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾	176	الأعراف	120

151-	﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ ﴾	179	الأعراف	43- 135- 330
152-	﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	185	الأعراف	281
153-	﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾	189	الأعراف	223
154-	﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ ﴾	191	الأعراف	104
155-	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾	02	الأنفال	53
156-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨ ﴾	58	الأنفال	211
157-	﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	19	التوبة	85
158-	﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾	24	التوبة	221
159-	﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَاۚ هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾	51	التوبة	250
160-	﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾	108	التوبة	210
161-	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا ﴾	120	التوبة	329

162-	﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾ ﴾	128	التوبة	201- 241
163-	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا ﴾	57	يونس	195
164-	﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ ﴾	62	يونس	218
165-	﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	65	يونس	53
166-	﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾	71	يونس	250
167-	﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾	78	يونس	320
168-	﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿1﴾ ﴾	01	هود	64
169-	﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾	12	هود	312
170-	﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا ﴾	28 -27	هود	247
171-	﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ ﴾	31	هود	247
172-	﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿32﴾ ﴾	32	هود	247

173-	﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ ﴾	36	هود	248
174-	﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ ﴾	38	هود	248
175-	﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾	40	هود	248
176-	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب ﴾	42	هود	225
177-	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ﴾	45	هود	226
178-	﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾	46	هود	193
179-	﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ ﴾	48	هود	216
180-	﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ... ﴾	55 -54	هود	250
181-	﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ ﴾	69	هود	257
182-	﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾	74	هود	151
183-	﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾	75	هود	253

-184	﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾	90	هود	206
-185	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ ﴾	-102 108	هود	57
-186	﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾	120	هود	193
-187	﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ ﴾	6	يوسف	153
-188	﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾	8	يوسف	53
-189	﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾	108	يوسف	240
-190	﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾	06	الرعد	113
-191	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	11	الرعد	328
-192	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾	28	الرعد	175
-193	﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾	35	الرعد	116
-194	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾	04	إبراهيم	-80 84

-195	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ ﴾	17 -9	إبراهيم	287
-196	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ ﴾	25 -24	إبراهيم	190
-197	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ﴾	33 -32	إبراهيم	212
-198	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾	39	إبراهيم	256
-199	﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿45﴾ ﴾	45	إبراهيم	122
-200	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿29﴾ ﴾	29	الحجر	212
-201	﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿94﴾ ﴾	94	الحجر	243
-202	﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا ﴾	6 -5	النحل	336
-203	﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿23﴾ ﴾	23	النحل	211
-204	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾	68	النحل	265
-205	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	90	النحل	-191 193
-206	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	97	النحل	-330 331

207-	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ... ﴾	112	النحل	125
208-	﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ﴾	120	النحل	252- 287
209-	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ... ﴾	123	النحل	256
210-	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾	125	النحل	58- 194- 300
211-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	128	النحل	260
212-	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	24 -23	الإسراء	201
213-	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾	36	الإسراء	40- 93- 357
214-	﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾	42	الإسراء	102
215-	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم ﴾	70	الإسراء	72- 212
216-	﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿90﴾ ﴾	90	الإسراء	244

217-	﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ ﴾	107- 109	الإسراء	175
218-	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ... ﴾	1-4	الكهف	1
219-	﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾	06	الكهف	53- 244
220-	﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ ﴾	09	الكهف	119- 259
221-	﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ ﴾	13	الكهف	261
222-	﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ ﴾	15	الكهف	317
223-	﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم ... ﴾	16	الكهف	260
224-	﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ ... ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ ﴾	19- 20	الكهف	260

225-	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ﴾	30	الكهف	330
226-	﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ ﴾	32- 41	الكهف	120- 262- 144
227-	﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾	54	الكهف	147- 151
228-	﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ وَيُجَٰدِلُ ... ﴾	56	الكهف	190
229-	﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ﴾	65-82	الكهف	264- 266
230-	﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ﴾	83- 98	الكهف	269
231-	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلٗا ﴾	107	الكهف	330
232-	﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿41﴾ ﴾	41	مريم	253
233-	﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ... ﴾	42- 45	مريم	224
234-	﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿47﴾ ﴾	41-47	مريم	157- 224- 159

235-	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾	58	مريم	174
236-	﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ... ﴾	66- 68	مريم	163
237-	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ﴾	96	مريم	218
238-	﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦ ﴾	16	طه	51
239-	﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ... ﴾	49- 52	طه	94
240-	﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤ ﴾	54	طه	37
241-	﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥ ﴾	55	طه	155
242-	﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ ﴾	92- 93- 94	طه	227
243-	﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا ... ﴾	123- 124	طه	214- 350
244-	﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨ ﴾	128	طه	37

245-	﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ ﴾	22	الأنبياء	81- 101 103
246-	﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿41﴾ ﴾	41	الأنبياء	244
247-	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾	51	الأنبياء	254
248-	﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿69﴾ ﴾	69	الأنبياء	254
249-	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿107﴾ ﴾	107	الأنبياء	216- 348
250-	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿3﴾ ﴾	03	الحج	93
251-	﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	9	الحج	47- 52
252-	﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿29﴾ ﴾	29	الحج	66
253-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ ﴾	38	الحج	211- 260

-254	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ ... ﴾	46	الحج	-39 44
-255	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ﴾	73	الحج	-104 -120 130
-256	﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ... ﴾	78	الحج	-251 -329 346
-257	﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ... ﴾	71	المؤمنون	305
-258	﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿81﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا ... ﴾	89 -81	المؤمنون	164
-259	﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ... ﴾	92-91	المؤمنون	103
-260	﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ ... ﴾	13	النور	317
-261	﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ... ﴾	18 -17	النور	195
-262	﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿34﴾ ﴾	34	النور	133
-263	﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا ﴾	35	النور	138

264-	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾	39	النور	120
265-	﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢ ﴾	02	الفرقان	30
266-	﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ ﴾	40	الفرقان	120
267-	﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ... ﴾	44 -43	الفرقان	135- 136
268-	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ ﴾	56	الفرقان	191
269-	﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ ﴾	116	الشعراء	248
270-	﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ ﴾	136	الشعراء	193
271-	﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾	214	الشعراء	158- 243
272-	﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ... ﴾	70 -59	النمل	315- 316
273-	﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ ﴾	07	القصص	265
274-	﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾	20	القصص	283
275-	﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ ﴾	27	القصص	85
276-	﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ ﴾	30	القصص	216

277-	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾	38	القصص	96
278-	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ...﴾	48- 50	القصص	312
279-	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾	56	القصص	249- 255
280-	﴿لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)﴾	76	القصص	211
281-	﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	2- 3	العنكبوت	257
282-	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا﴾	14	العنكبوت	247
283-	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾	27	العنكبوت	251
284-	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ...﴾	41	العنكبوت	120
285-	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43)﴾	43	العنكبوت	43- 113- 125
286-	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾	45	العنكبوت	347
287-	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	46	العنكبوت	151

288-	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ ﴾	21	الروم	223- 335
289-	﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾	28	الروم	120
290-	﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ ﴾	30	الروم	325
291-	﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾	58	الروم	121- 130
292-	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ... ﴿10﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ... ﴾	11-10	لقمان	104
293-	﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ... ﴾	13	لقمان	193- 195
294-	﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَۖ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿14﴾ ﴾	14	لقمان	202- 228
295-	﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾	24	السجدة	238
296-	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ... ﴾	01	الأحزاب	215
297-	﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾	06	الأحزاب	217

-298	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ﴾	21	الأحزاب	-231 -234 239
-299	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) ﴾	45	الأحزاب	241
-300	﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾	50	الأحزاب	67
-301	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ ﴾	27 -23	سبأ	-72 165
-302	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ ﴾	46	سبأ	193
-303	﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾	08	فاطر	-53 244
-304	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا ﴾	29	فاطر	198
-305	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ ﴾	83 -78	يس	-163 81
-306	﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) ﴾	84	الصافات	253
-307	﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) ﴾	96 -95	الصافات	99

308-	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ ﴾	102	الصافات	225- 257
309-	﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ ﴾	103- 111	الصافات	258
310-	﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ ﴾	7-5	ص	319
311-	﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾	26	ص	216
312-	﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	28	ص	206
313-	﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾	03	الزمر	100
314-	﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ ﴾	23	الزمر	170- 174
315-	﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾	27	الزمر	128
316-	﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا ﴾	29	الزمر	119
317-	﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾	36	الزمر	255
318-	﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥ ﴾	45	الزمر	54

319-	﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾	19	غافر	154
320-	﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾	28- 33	غافر	283
321-	﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾	47	غافر	88
322-	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ ﴾	51	غافر	290
323-	﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ﴾	58	غافر	206
324-	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾	26	فصلت	179
325-	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ ﴾	39	فصلت	129
326-	﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾	41- 42	فصلت	303
327-	﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴾	15	الشورى	88
328-	﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ ﴾	16	الشورى	88

329-	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿52﴾ ﴾	52	الشورى	235
330-	﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾	23	الزخرف	157- 237- 317
331-	﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ ﴾	51- 56	الزخرف	114- 135
332-	﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿59﴾ ﴾	59	الزخرف	115
333-	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾	13	الجاثية	328
334-	﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ ﴾	18- 20	الجاثية	314
335-	﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ﴾	21	الجاثية	206
336-	﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ... ﴾	24-26	الجاثية	164
337-	﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ ﴾	25	الجاثية	88
338-	﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾	29- 31	الأحقاف	185

339-	﴿وَالذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَاكُلُونَ كَمَا تَاكُلُ ٱلاَنْعَـٰمُ وَالنَّارُ مَثْوًى ﴾	12	محمد	136
340-	﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾	15	محمد	112
341-	﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلاَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾	7	الحجرات	55- 219- 332
342-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿9﴾ ﴾	9	الحجرات	210
343-	﴿ اَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾	11 -6	ق	282
344-	﴿ اِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ اَوَ اَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾	37	ق	39- 44- 326
345-	﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ﴾	40 -39	ق	344
346-	﴿ وَفِى ٱلاَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿20﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿21﴾ ﴾	23-20	الذاريات	320
347-	﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَ ﴿55﴾ ﴾	55	الذاريات	192
348-	﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالاِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ ﴾	56	الذاريات	213- 337
349-	﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿11﴾ ٱلذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾	24-11	الطور	302

350-	﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿32﴾ ﴾	32	الطور	37
351-	﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿35﴾ ﴾	35- 43	الطور	72- 180 106
352-	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿4﴾ ﴾	03-04	النجم	51
353-	﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿21﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿22﴾ ﴾	21	النجم	65
354-	﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾	23	النجم	50- 317
355-	﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى ﴾	28	النجم	317
356-	﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿37﴾ ﴾	37	النجم	253
357-	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿9﴾ ﴾	09	القمر	247
358-	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿17﴾ ﴾	17	القمر	67- 92
359-	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿17﴾ ﴾	22	القمر	348
360-	﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿46﴾ ﴾	46	القمر	301
361-	﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿7﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿8﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾	07-09	الرحمن	28- 132

362-	﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿57﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿58﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿59﴾ ﴾	74-57	الواقعة	156
363-	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿11﴾ ﴾	11	الحديد	67
364-	﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾	20	الحديد	137
365-	﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿24﴾ ﴾	24	الحديد	91
366-	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	25	الحديد	29- 131
367-	﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾	27	الحديد	39- 182
368-	﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿1﴾ ﴾	01	المجادلة	144
369-	﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ... ﴾	03	المجادلة	194

370-	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ ﴾	09	الحشر	354
371-	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ ﴾	20-19	الحشر	205
372-	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا ﴾	21	الحشر	185
373-	﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾	03	الممتحنة	249
374-	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾	04	الممتحنة	237-254
375-	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾	06	الممتحنة	237
376-	﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾	08	الممتحنة	210
377-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ... ﴾	3 -2	الصف	235
378-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾	4	الصف	210-214
379-	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ ﴾	5	الجمعة	120
380-	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾	16	التغابن	329-349

381-	﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾	07	الطلاق	349
382-	﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾	10	التحريم	122
383-	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾	11	التحريم	133
384-	﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	02	الملك	351
385-	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿14﴾ ﴾	14	الملك	-141 -188 329
386-	﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	24-13	الملك	-154 155
387-	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾	4	القلم	-216 -240 235
388-	﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿18﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿19﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿20﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿21﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ... ﴾	33-17	القلم	149
389-	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿5﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾	10 -5	نوح	248

390-	﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ ﴾	23-22	نوح	248
391-	﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا ﴾	2-1	الجن	61- 184
392-	﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ... ﴾	25-18	المدثر	177
393-	﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ ﴾	08	الإنسان	48
394-	﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾	26-24	الإنسان	344- 345
395-	﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ ﴾	07	الانفطار	29
396-	﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ ﴾	02-01	المطففين	29
397-	﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ... ﴾	42-24	عبس	72- 281
398-	﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ﴾	14	البروج	206
399-	﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ ﴾	38	القيامة	30
400-	﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ ﴾	3	الأعلى	30
401-	﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ ﴾	05	الفجر	36

402-	﴿ اَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝6 اِرَمَ ذَاتِ اِلۡعِمَادِ ۝7 اِلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي اِلۡبِلَـٰدِ ... ﴾	14-6	الفجر	149
403-	﴿ وَتُحِبُّونَ اَلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝20 ﴾	20	الفجر	49-220
404-	﴿ قَدۡ اَفۡلَحَ مَن زَكّٰىهَا ۝9 وَقَدۡ خَابَ مَن دَسّٰىهَا ۝10 ﴾	10 -9	الشمس	214
405-	﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارۡغَبۡ ۝8 ﴾	8	الشرح	218
406-	﴿ اِقۡرَأۡ بِاسۡمِ رَبِّكَ اَلَّذِي خَلَقَ ۝1 خَلَقَ اَلۡاِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝2 اِقۡرَأۡ وَرَبُّكَ اَلۡاَكۡرَمُ ۝3 اَلَّذِي عَلَّمَ بِالۡقَلَمِ ۝4 عَلَّمَ اَلۡاِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾	05-01	العلق	146
407-	﴿ يَوۡمَ يَكُونُ اَلنَّاسُ كَالۡفَرَاشِ اَلۡمَبۡثُوثِ ... ﴾	5 -4	القارعة	136
408-	﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ اِذَا حَسَدَ ۝5 ﴾	05	الفلق	53

فهرس الأحاديث النبوية والآثار:

رقم:	الحديث أو شطره	الصفحة
.1	إبتنى مسجدا بفناء داره وبرز	178
.2	إذا أحبّ الله عبدا نادى جبريل: إنّ الله يحبّ فلانا فأحبّه	218
.3	أرأيت لو وضعها في حرام	326
.4	اضطرب رسول الله ﷺ خاتما من ذهب	122
.5	أعوذ بالله من الحور بعد الكور	142
.6	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	234
.7	اقرأ عليّ ...إني أشتهي أن أسمعه من غيري	175
.8	ألا إنّي أبرأ إلى كلّ خلّ من خلّه	217
.9	ألا وإنّ في الجسد مضغة	44
.10	إنّ الدين يسر	352
.11	إنّ الله جميل يحبّ الجمال	211
.12	إنّ أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله	56
.13	إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرّحمن	256-255
.14	إنّ من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشّهداء يوم القيامة	218
.15	إنّي بعثت بحنيفية سمحة	351
.16	إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم	76
.17	إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل، فيها ذكر الجنّة والنّار	301
.18	أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة	191
.19	أولم ولو بشاة	354
.20	تلك الملائكة دنت لصوتك	183
.21	تهادوا تحابوا	208
.22	ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان	217
.23	جاء رجل إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله إنّك لأحبّ إليّ من نفسي	200
.24	حسبنا الله ونعم الوكيل	254
.25	خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفّا قطّ	242
.26	عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كلّه خير	263 -257
.27	عرضت عليّ الأمم فجعل يمرّ النبيّ معه الرجل	249
.28	عضوا عليها بالنواجذ	191
.29	فإنّ خلق نبيّ الله ﷺ كان القرآن	240
.30	فحجّ آدم موسى	77
.31	فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة	265
.32	كاد قلبي أن يطير	180
.33	لا والّذي نفسي بيده، حتّى أكون أحبّ إليك من نفسك	217
.34	لا يجزي ولد والدا، إلّا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه	228
.35	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين	217
.36	لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه	332
.37	لأجعلنك عظة	189
.38	ليس ذاك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله	220
.39	ليليني منكم أولو الأحلام والنّهى	38
.40	من أحبّ أن يمثل له الرّجال قياما فليتبوّأ مقعده من النّار	112

.41	من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه	219
.42	من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه	249
.43	من سنّ في الإسلام سنّة حسنة، فله أجرها	233
.44	هم قوم تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها	218
.45	وضع عن أمّتي الخطأ والنّسيان وما استكرهوا عليه	266
.46	وفي بضع أحدكم صدقة	326
.47	وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه	213
.48	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرّة	106
.49	يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون	349
.50	يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا، وحرزا للأميين	241
.51	يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك	250
.52	يا معاذ أفتان أنت	348

فهرس الأعلام:

الترقيم	العلم المترجم له	الصفحة
1-	ابن إسحاق	181
2-	ابن تيمية تقي الدين أبو العباس	26
3-	ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس	50
4-	ابن خلدون	22
5-	ابن سينا	79
6-	ابن فارس أحمد بن زكريا	40
7-	ابن قتيبة الدينوري	114
8-	ابن قيّم الجوزية	26
9-	ابن كثير	36
10-	ابن يسار إبراهيم النظام	123
11-	أبو حامد الغزالي	48

12-	أبو حيان الأندلسيّ	116
13-	أبو عبد الله القرطبي	144
14-	أبو عثمان الجاحظ	116
15-	أبو عبيدة معمر بن المثنى	113
16-	أبو الوليد الباجي	79
17-	الألوسي شهاب الدين	36
18-	الباقلاني أبو بكر	21
19-	الجنيد أبو القاسم	208
20-	الحارث المحاسبي	33
21-	ابن حجر العسقلاني	77
22-	الحكيم الترمذي	117
23-	الخطابي أبو سليمان	171
24-	الخليل ابن أحمد	32
25-	الرازي فخر الدين	131
26-	الراغب الأصبهاني	112
27-	الريسوني	27
28-	الزركشيّ بدر الدين	80
29-	الزمخشريّ	122
30-	السعدي عبد الرحمن	43
31-	سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان	205

35	السيوطي جلال الدين	32-
41	الشاطبي أبو إسحاق	33-
158	الشعراوي محمد متولي	34-
42	الطاهر ابن عاشور	35-
29	الطبري محمد ابن جرير	36-
27	العزّ بن عبد السلام	37-
114	الفراء أبو زكريا	38-
113	الفيروز آبادي	39-
76	القرطبيّ أبو العباس	40-
124	الماوردي أبو الحسن	41-
182	النجاشي أصحمة	42-
96	نمرود ابن كنعان	43-
97	الواحدي أبو الحسن	44-
148	بلقيس بنت شراحيل	45-
21	ابن هانئ الأندلسي	46-
82	طه عبد الرحمن	47-
60	عبد الله دراز	48-
62	سيد قطب	49-
88	محمد فؤاد عبد الباقي	50-
21	المرزوقي أحمد بن علي	51-

52-	مجاهد بن جبر	40
53-	محمد رشيد رضا	221
54-	محمد سعيد رمضان البوطي	207
55-	محمد عبده	122
56-	يوسف القرضاوي	192

فهرس الأبيات الشعرية:

الترقيم:	البيت الشعري	الصفحة
01	كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده إلاّ الأباطيل، يعني شبها	115
02	قَدْ غَيَّبُوا حِلْماً وعِلْماً ورَحْمَةً عَشِيَّةَ عَلُّوهُ الثَرَى لاَ يُوَسَّدُ	38
03	ما سُمِّي القلبُ إلاّ من تقلُّبه... والرأيُّ يصرفُ بالإنسان أطواراً	38
04	إنّي لها بعيرها المذلّل ... ... إن أذعرت ركابها لم أذعر	228

فهرس المفردات الغريبة:

الترقيم:	الكلمة الغريبة	الصفحة
1-	الاستكفاف	284
2-	البعث	121

3-	الفَرَقُ	171
4-	المشنوئين	310
5-	الوجيب	171
6-	برز	178
7-	جناةٌ	177
8-	ختنه	177
9-	الدِنان	342
10-	عَذْقٌ	177
11-	مكتل	264
12-	مَهيَم	354
13-	وامقة	124
14-	وَضَر	354
15-	يتقصّف	178

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (مصحف ورش للنشر الحاسوبي – رواية ورش عن الإمام نافع).

كتب التفسير:

1. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1415هـ – 1995م.

2. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

3. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

4. **التحرير والتنوير، المسمى: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"**، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد(ت:1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، (د، ط)، 1984م.

5. **التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي**، أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، (ت: 741هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة01، 1416هـ.

6. **تفسير ابن عرفة**، ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي (ت: 803هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 01، 2008م.

7. **التفسير البسيط**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة 01، 1430هـ.

8. **التفسير التربوي للقرآن الكريم**، أنور الباز، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، الطبعة: 01، 1428هـ – 2007م.

9. **تفسير الفاتحة والبقرة**، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 01، 1423هـ.

10. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)، **1990**م.

11. **تفسير القرآن العظيم، الدمشقي**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت:774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة02، 1420هـ، 1999م.

12. **تفسير القرآن العظيم**، الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، (ت: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة03، 1419هـ.

13. **تفسير القرآن العظيم**، السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد، تحقيق: موسى علي موسى وأشرف محمد بن عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات، الطبعة 01، 1430هـ – 2009م.

14. **تفسير القرآن**، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد(ت:489هـ)، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة01، 1418هـ-1997م.

15. **التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن(ت:606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة03، 1420هـ.

16. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة الزحيلي، دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة01، 1411هـ – 1991م.

17. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إعداد: نُخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: مصطفى مسلم، كلّية الدّراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، 1431هـ – 2010م.

18. **تفسير بن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)**، ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، (ت: 1359هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة01، 1416هـ – 1995م.

19. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللّويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة01، 1420هـ-2000م.

20. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت:310هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة01، 1422هـ-2001م.

21. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة02، 1384هـ-1964م.

22. **تفسير الشعراوي، الخواطر**، محمد متولي الشعراوي (**ت: 1418هـ**)، مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، 1997م.

23. **الدّر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، دار الفكر، بيروت،

24. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة1، 1415هـ.

25. **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة 1، 1422هـ.

26. **زهرة التفاسير**، أبو زهرة، محمد بن أحمد، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت).

27. **في ظلال القرآن**، سيّد قطب، دار الشروق، الطبعة32، 1423هـ-2003م.

28. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري**، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة 03، 1407هـ.

29. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت:741هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1415هـ.

30. **لطائف الإشارات**، القشيري، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك (ت:465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة03، (د، ت).

31. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة 04، 1417هـ- 1997م.

32. **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمرو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة03، 1420هـ.

33. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، 1399هـ – 1979م.

كتب علوم القرآن:

34. **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:**911**هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: **1394**هـ-**1974**م.

35. **البرهان في علوم القرآن**، ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر (ت:794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركائه، الطبعة01، 1376هـ-1957م.

36. **تأويل مشكل القرآن**، الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت: 276هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

37. **إعجاز القرآن**، الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيّب(ت:403هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة 05، 1997م.

38. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

39. **بيان إعجاز القرآن**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت:388هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة03، 1976م.

40. **دراسات في علوم القرآن**، إسماعيل، محمد بكر، دار المنار، الطبعة2، 1419هـ-1999م.

41. **الصحيح المسند من أسباب النزول**، مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة04، 1408هـ – 1987م.

42. **فتح البيان في مقاصد القرآن**، القنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان(ت:1307هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1412هـ-1992م.

43. **كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم**، عبد الرحمن بن نجم، أبو الفرج ابن الحنبلي، تحقيق: زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة02، 1401هـ.

44. **مباحث في علوم القرآن**، مناع ابن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة03، 1421هـ-2000م.

45. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة:1381هـ.

46. **مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن –**، دراز، محمد عبد الله، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: محمد بدوي، دار القلم، الكويت، (د، ط)، 1404هـ – 1984م.

47. **معاني القرآن**، الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد(ت:207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة01، (د.ت).

48. **المعجزة الكبرى القرآن**، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (ت:1394هـ)، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).

49. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزرقاني، محمد عبد العظيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة03، (د.ت).

كتب السنة النبوية وعلوم الحديث:

50. **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، المزّي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: 02، 1403هـ- 1983م.

51. **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت: 762هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة01، 1414هـ.

52. **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان – الأردن، الطبعة 01، 1405هـ.

53. **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق: محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة 01، 1998م.

54. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت:256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة01، 1422هـ.

55. **دلائل النبوة، الأصبهاني**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت:430هـ)، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البرّ عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة2، 1406هـ – 1986م.

56. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.

57. **الروض الداني (المعجم الصغير)**، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمار، عمان، الطبعة **01، 1405**هـ- **1985**م.

58. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ط)، 1415هـ-1995م.

59. **سنن ابن ماجة**، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: 01، 1430 هـ- 2009م.

60. **سنن أبي داود**، السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة01، 1430هـ - 2009م.

61. **سيرة ابن إسحاق**، ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي (ت: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة1، 1398هـ – 1978م.

62. **السيرة النبوية لابن هشام**، الحميري المعافري، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت:213هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (د، ط)، (د، ت).

63. **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، مؤسسة الريان، الطبعة06، 1424هـ - 2003م.

64. **شرح رياض الصالحين**، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة 1426هـ.

65. **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة 04، 1418هـ – 1997م.

66. **صحيح الترغيب والترهيب**، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة:01، 1421هـ – 2000م.

67. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، الألباني، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، المكتب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).

68. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

69. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، (ت: 852هـ) رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379هـ.

70. **كتاب السيرة النبوية**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1395هـ – 1976م.

71. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: 241هـ)، مسند الكُوفيين، حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه –، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة01، 1421هـ-2001م.

72. **مسند الإمام الشافعي**، الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي (ت: 204هـ)، رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولي، وأبو سعيد علم الدين (ت: 745هـ)، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: 01، 1425هـ -2004م.

73. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د، ط)، (د، ت).

74. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت:656هـ)، تحقيق: محي الدين ديب ميستو، وأحمد محمد السيد، وآخران، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة01، 1417هـ-1996م.

كتب العقيدة:

75. **الاعتصام**، الشاطبيّ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الغرناطي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الطبعة **01، 1412**هـ- **1992**م.

76. **التعرف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق (ت: 380هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

77. **الردّ على المنطقيين**، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

78. **الصواعق المرسلة في الردّ على الجهمية والمعطلة**، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت:751هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1408هـ.

79. **صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام**، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: علي سامي النشار، وسعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية، (د ط)، (دت).

80. **كتاب الجدل، ابن سينا، الشفا**، تصدير ومراجعة: إبراهيم مدكور، تحقيق: أبو العلا عفيفي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1375هـ-1956م.

81. **منهج الاستدلال عل مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، حسن عثمان علي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة04، 1418هـ.

كتب اللغة والمعاجم والغريب:

82. **أساس البلاغة**، الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد(ت:**538**هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة**01**، **1419**هـ، **1998**م.

83. **الأشباه والنظائر**، السُبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، (ت: **771**هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: 01، 1411هـ- 1991م.

84. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، القفطي، جمال الدين، أبو الحسين علي بن يوسف(ت:646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة01، 1406هـ-1982م.

85. **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 1422 – 2001م.

86. **التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد بن علي(ت:816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1403هـ.

87. **تهذيب اللّغة**، الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري(ت:370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 01، 2001م.

88. **جمهرة اللّغة**، الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة01، 1987م.

89. **حروف المعاني والصفات**، الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي (ت:337هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة01، 1984م.

90. **الحيوان**، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، (ت: 255هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة2، 1424هـ.

91. **ديوان حسان بن ثابت**، الأنصاري، حسان بن ثابت، تحقيق: عَبداَ مهَنَّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة02، 1414هـ-1994م.

92. **ديوان كعب بن زهير**، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ط)، 1417هـ-1997م.

93. **شرح ديوان الحماسة**، المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت:421هـ)، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة01، 1411هـ- 1991م.

94. **شعر الأحوص الأنصاري**، الأحوص بن محمد، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، قدَّم له: شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة:02، 1411هـ-1990م.

95. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، الحميري اليمني، نشوان بن سعيد، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة01، 1420هـ – 1999م.

96. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة04، 1407هـ-1987م.

97. **الفصول المفيدة في الواو المزيدة**، العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي (ت: 761هـ)، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، الطبعة 01، 1410هـ – 1990م.

98. **القاموس المحيط والقابوس الوسيط**، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت:817هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة06، 1419هـ.

99. **كتاب العين**، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن (ت:170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).

100. **الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية**، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

101. **لسان العرب**، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم(ت:711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة03، 1414هـ.

102. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

103. **مجمع الأمثال**، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 518هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

104. **مختار الصحاح**، الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت:666هـ)، تحقيق: يوسف محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة03، 1420هـ.

105. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي(ت:770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

106. **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت:626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة01، 1414هـ-1993م.

107. **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مجمع اللّغة العربية، جمهورية مصر العربية، الإدارة العامة للبحوث وإحياء التراث، (د.ط)، 1409هـ-1989م.

108. **المعجم الفلسفي**، مجمع اللّغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية، (د.ط)، 1403هـ-1983م.

109. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، عبد الباقي، محمد فؤاد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1364هـ.

110. **معجم متن اللّغة**، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، 1377هـ-1958م.

111. **معجم مقاييس اللّغة**، أحمد ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا(ت:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)،1399 هـ- 1979م.

112. **المفردات في غريب القرآن**، الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة01، 1412هـ.

113. **المنتخب من غريب كلام العرب**، الأزدي، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي، الملقب بـ «كراع النمل»، (ت: 309هـ)، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة:01، 1409هـ-1989م.

114. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، 1399هـ – 1979م.

115.

كتب الفقه والأصول:

116. **إعلام الموقعين عن ربّ العالمين**، ابن قيّم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ت:751هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة السعودية، الطبعة01، 1423هـ.

117. **إعلام الموقعين عن ربّ العالمين**، ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1411هـ-1991م.

118. **تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية**، عادل الشويخ، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، الطبعة 01، 1420هـ – 2000م.

119. **درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح**، الصرصري، أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، تحقيق: أيمن محمود شحادة: الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة1، 1426هـ.

120. **شرح الكوكب المنير (بمختصر التحرير)**، الفتوحي، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، الطبعة01، 1372هـ.

121. **شرح مختصر أصول الفقه، المقدسي**، تقي الدين أبو بكر بن زايد الجراعي، تحقيق: عبد العزيز محمد عيسى، وآخرون، لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الشامية، الكويت، الطبعة01، 1433هـ-2012م.

122. **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ط)، 1414هـ-1991م.

123. **قواعد فقه الموازنات عند سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام**، سعيد الشوية، دراسة مقاصدية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة01، 1438هـ-2018م.

124. **مجموع الفتاوى، الحراني**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (د ط)، 1416هـ-1995م.

125. **محاضرات في مقاصد الشريعة**، أحمد الرّيسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة03، 1435هـ-2014م.

126. **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (د، ط)، 1425هـ-2004م.

127. **الموافقات**، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة01، 1417هـ-1997م.

كتب الرقائق والآداب:

128. **إحياء علوم الدين**، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

129. **إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان**، ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت:751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت).

130. **الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق**، الباهلي الإشبيلي، أبو الحسن سلام ابن عبد الله(ت:544هـ)، اعتناء: إحسان دنّون الثامري، دار صادر، بيروت، الطبعة1، 1432هـ، 2011م.

131. **ذم الهوى**، الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، (د.ط)، (د.ت).

132. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

133. **المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري**، القرضاوي، يوسف، منشورات بحوث السنة والسيرة، (د.ط)، (د.ت).

كتب التراجم والتاريخ:

134. **أُسد الغابة**، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، (ت: 630هـ)، دار الفكر، بيروت، 1409هـ – 1989م.

135. **الإصابة في تمييز الصحابة**، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن أحمد بن حجر، (ت: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1415هـ.

136. **الأعلام**، خير الدين بن محمود(ت:1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة15، 2002م.

137. **إنباء الغمر بأبناء العمر**، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، (ت:852هـ)، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ-1969م.

138. **البداية والنهاية**، ابن كثير، إسماعيل ابن عمر، (ت: 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة01، 1418هـ – 1997م.

139. **تاريخ بغداد**، أبو بكر، أحمد بن علي، الخطيب البغدادي(463هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة01، 1422هـ-2002م.

140. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تحقيق: عمرو بن غرامة العموري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، 1415هـ- 1995م.

141. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، الطبعة01، 1387هـ-1967م.

142. **ذيل طبقات الحفاظ**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت).

143. **ذيل طبقات الحنابلة**، السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد(ت:795هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة01، 1425هـ-2005م.

144. **سُلم الوصول إلى طبقات الفحول**، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت: 1067هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إريسكا، إستانبول، تركيا، 2010م.

145. **سيّر أعلام النبلاء**، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة03، 1405هـ-1985م.

146. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد بن سالم مخلوف(1360هـ)، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة01، 1424هـ-2003م.

147. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (771هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة02، 1413هـ.

148. **طبقات الفقهاء الشافعية**، ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت:643هـ)، تحقيق: محيّ الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة01، 1992م.

149. **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي(ت:230)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1410هـ-1990م.

150. **طبقات علماء الحديث**، الصالحي الدمشقي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، (ت:744هـ)، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة02، 1417هـ-1996م

151. **طبقات المفسرين العشرين**، السيوطي، جلال الدين(ت:911هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة01، 1396هـ.

152. **طبقات المفسرين**، الداوودي، محمد بن علي بن أحمد (ت:945هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

153. **طبقات النحويين واللّغويين**، الزبيدي، أبو بكر محمد ابن الحسن الإشبيلي(ت:379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة: 02، (د. ت).

154. **طبقات علماء الحديث**، الصالحي الدمشقي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، (ت:744هـ)، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة02، 1417هـ-1996م

155. **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

156. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.

كتب عامة:

157. **الأثر النفسي للقرآن الكريم، دراسة وتحليل**، العسال، خليفة حسين، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، (د.ط)، (د.ت).

158. **أدب الخطاب في القرآن الكريم**، إبداح، عبد الرحمن سعود، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، **2016**م.

159. **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، سعود بن عبد العزيز، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة**01**، **1419**هـ.

160. **استخراج الجدال من القرآن الكريم**، ابن الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة 02، 1401هـ.

161. **أُسس الفلسفة**، توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، 1979م.

162. **أسلوب الحوار في القرآن الكريم، الموضوعات والنماذج والخصائص**، أوهنا إدريس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة 01، 1426هـ – 2005م.

163. **الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة08، 1991م.

164. **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، النحلاوي، عبد الرحمن، دار الفكر، دمشق، الطبعة26، 1429هـ – 2008م.

165. **أصول الدعوة**، زيدان عبد الكريم، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة09، 1423هـ – 2002م.

166. **أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة**، ابن أبي زمنين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الإلبيري، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1415هـ.

167. **الأمثال العربية**، دراسة تاريخية تحليلية، قطامش، عبد المجيد، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة01، 1408هـ-1988م.

168. **أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع**، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، الطبعة: 02، 1412هـ – 1992م.

169. **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1424هـ- 2003م.

170. **الأمثال القرآنية**، محمد بكر إسماعيل، دراسة تحليلية، مطبعة الأمانة، مصر، الطبعة01، 1406هـ-1986م.

171. **الأمثال في القرآن الكريم**، ابن قيّم الجوزية (ت:751هـ)، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1981م.

172. **الأمثال في القرآن الكريم**، الفياض، محمد جابر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة01، 1433هـ-2012م.

173. **الأمثال من الكتاب والسنة**، الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن، (توفي نحو 330هـ)، تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

174. **أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم**، طاحون، أحمد بن محمد، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، إدارة مراقبة الكتب وطبعات المصاحف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1411هـ-1990م.

175. **الأمثال**، أبو عبيد القاسم بن سلام، (ت:224هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطاش، دار المأمون، دمشق، الطبعة01، 1400هـ-1980م.

176. **التربية بالموعظة الحسنة**، عصام حسن عيد علي حجازي، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ.

177. **التربية بضرب الأمثال**، النحلاوي، عبد الرحمن، دار الفكر، دمشق، الطبعة01، 1419هـ-1998م.

178. **التصوير الفني في القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة 17، 1425هـ – 2004م.

179. **الجدل في القرآن الكريم فعالية في بناء العقلية الإسلامية**، التومي، محمد، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

180. **الحبّ في القرآن الكريم**، الهاشمي، غازي بن محمد بن طلال، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة10، 1436هـ – 2015م.

181. **الحب في القرآن ودور الحب في حياة الإنسان**، البوطي، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، الطبعة04، 1432هـ-2011م.

182. **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، صولة، عبد الله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة01، 2001م.

183. **الحضارة الإسلامية: أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم**، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، الطبعة01، 1418هـ – 1998م.

184. **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، رمادي للنشر، الدمّام، الطبعة01، 1414هـ-1994م.

185. **الحوار في القرآن، قواعده – أساليبه – معطياته**، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، الطبعة 05، 1417هـ-1996م.

186. **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، مكتبة وهبة، الطبعة 1، 1413هـ-1992م.

187. **خصائص القرآن الكريم**، الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة 10، 1440هـ - 2000م.

188. **الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية**، عبيدات، عبد الكريم نوفان، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة1، 1420هـ-2000م.

189. **الدّين – بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان –** دراز، محمد عبد الله، دار القلم، الكويت، (د، ط)، (د، ت).

190. **ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح**، يوسف محمد خير رمضان، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنّة والتاريخ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة 2، 1415هـ – 1994م.

191. **رحمة للعالمين**، المنصور فوري، محمد سليمان، ترجمه من الأردية إلى العربية: سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: 01، (د، ت).

192. **سنة الله في الأخذ بالأسباب**، الصلابي، علي بن محمد، دار ابن كثير، دمشق، سورية، الطبعة 01، 1437هـ – 2016م.

193. **الطريق إلى القرآن**، السكران إبراهيم بن عبد الله، العصرية للنشر والتوزيع، الطبعة01، 2018م – 1439هـ.

194. **العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية**، محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة01، 1422هـ-2001م.

195. **العقل وفهم القرآن**، المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد، تحقيق: أبو بكر محمود عبد الهادي، المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ط)، 1437هـ-2016م.

196. **علم النفس الإسلامي**، معروف زريق، دار المعرفة، دمشق، الطبعة01، 1408هـ-1989م.

197. **فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام**، الخميس، عثمان بن محمد، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة01، 1431هـ – 2010م.

198. **فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية**، السّوسوة، عبد المجيد محمد، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة01، 1425هـ-2004م.

199. **فنون الحوار والإقناع**، ديماس، محمد راشد، دار ابن حزم، الطبعة01، 1420هـ-1999م.

200. **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

201. **في أصول الحوار**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة05، 1419هـ-1998م.

202. **القدوة**، الرويشد، أسماء بنت راشد، دار الوطن للنشر، (د، ط)، (د، ت).

203. **القرآن الكريم وحوار العقل**، حسن الباش، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجماهرية العظمى، (د ط)، (د ت).

204. **قصص القرآن الكريم**، فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة 03، 1430هـ – 2010م.

205. **اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي**، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، (د ط)، (د ت.

206. **المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن**، البرواري، آماد كاظم، إصدار مؤسسة السبيل، (د.ط)، (د.ت).

207. **معالم في منهج الدعوة**، ابن حميد، صالح بن عبد الله، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة01، 1420هـ-1999م.

208. **مقدمة ابن خلدون**، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت:807هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدّرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة01، 1425هـ-2004م.

209. **ملائمة التكاليف الشرعية لأوجه المكلف وأوجه الرحمة فيها**، الصباحي، يحي مقبل، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية، كليّة التربية، (د. ط)، (د. ت).

210. **من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني**، الزوبعي، طالب محمد إسماعيل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة01، 1996م.

211. **من الفكر والقلب**، البوطي، محمد سعيد رمضان، فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب، دار الفقيه للنشر والتوزيع، الطبعة02، 1997م.

212. **من بلاغة القرآن**، البدوي، أحمد عبد الله البيلي، نهضة مصر، القاهرة، (د، ط)، 2005م.

213. **مناهج الجدل في القرآن**، زاهر عواض الألمعي، الطبعة 03، 1404هـ.

214. **مناهج الدعوة وأساليبها**، جريشة، علي، دار الوفاء، الطبعة01، 1407هـ-1986م.

215. **المنهاج في ترتيب الحجاج**، الباجي، أبو الوليد، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، المغرب، الطبعة02، 1987م.

216. **منهج التربية الإسلامية**، قطب، محمد، دار الشروق، الطبعة14، 1414هـ – 1993م.

217. **منهج القرآن في تربية الرجال**، عميرة، عبد الرحمن، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة01، 1401هـ – 1981م.

218. **منهج تربوي فريد في القرآن**، البوطي، محمد سعيد رمضان، دار الفارابي للمعارف، 1992م.

219. **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن**، دراز، محمد عبد الله، دار الثقافة، الدوحة، قطر، (د.ط)، 1405هـ-1985م.

220. **نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب**، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة01، 1437هـ – 2016م.

221. **نظرية المعنى في النقد العربي**، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

222. **النهضة الإسلامية في سيّر أعلامها المعاصرين**، محمد رجب البيومي، دار القلم، دمشق، الطبعة01، 1415هـ-1995م.

223. **الوحي المحمدي**، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة01، 1426هـ-2005م.

224. **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**، عبد العزيز بن ناصر الجليّل، الرسالة الثانية: (قل إنما أعظكم بواحدة)، دار طيبة، الرياض.

الرسائل الجامعية والبحوث العلمية:

225. **أساليب الحجاج في القرآن الكريم**، آمنة عوض الكريم محمد، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، كلية أصول الدّين، جامعة أم درمان الإسلامية، **1433**هـ-**2012**م.

226. **إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم، خطاب بعض الأنبياء أُنموذجاً**، عائشة هديم، رسالة ماجستير. جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، **2007/2006**م.

227. **الإسلام والحضارة ودور الشباب الإسلامي**، أبحاث ووقائع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة03، الرياض.

228. **أسلوب الحوار في القرآن الكريم، خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية**، الجيوسي، عبد الله، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد02، 1427هـ- 2006م.

229. **الأسلوب العاطفي والوجداني في الخطاب القرآني**، الربيعي، عزام فرحان، مجلة الباحث، العدد الثالث والثلاثون، 2019.

230. **الأسوة الحسنة في القرآن الكريم وتطبيقها في السيرة النبوية**، عماد الدين الرشيد، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد الأول، 2010م.

231. **الجدل في القرآن الكريم، خصائصه ودلالاته**، لعساكر، يوسف عمر، رسالة ماجستير، تخصص: دراسات لغوية نظرية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر (يوسف بن خدة)، (د.ت).

232. **الحجاج في خطابات النبيّ إبراهيم – عليه السلام –**، سعدية لكحل، رسالة ماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزّو، الجزائر، 2012م.

233. **حوار الآباء مع أبنائهم في القرآن الكريم**، رمضان، وليد ربيع، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 26، الجزء الثاني، 2020م.

234. **الحوار في القرآن الكريم**، عباد عبد الرحمن، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الخامس، نَيسان (أبريل)، 2005م.

235. **الحوار في القرآن الكريم**، ضمرة، معن محمود عثمان، ماجستير، قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005م.

236. **الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة**، العامري، حامد بن أحمد بن علي، رسالة دكتوراه في الدعوة والاحتساب، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/1423هـ.

237. **دور المثل في استثارة العمليات العقلية لدى المتعلم**، حمزاوي يزيد، دراسة تحليلية كيفية للأمثال القرآنية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 02، المجلد 7، العدد 1.

238. **سمات الخطاب القرآني، دراسة في الأسلوب**، علمي، عبد الله، مجلة دراسات أدبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 2018م، المجلد 10، العدد03.

239. **القدوة الحسنة في القرآن الكريم: المفهوم والمقومات والمنهج**، البويسفي محمد، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، العدد 01 جوان 2019م.

240. **المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة**، أبابطين أحمد بن محمد، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1409هـ.

241. **معالم التربية الوجدانية في القرآن الكريم والسنة النبوية**، أبو مصطفى، علاء الدين موسى إبراهيم، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزّة، 1430هـ – 2009م.

242. **مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية**، ميارة، لمهابة محفوظ، مجلة مجمع اللّغة العربية، دمشق، المجلد (81)، (د.ت).

243. **مفهوم الوحي وأثره في العقل والقلب**، المهابة، محمد ميّارة الشنقيطي، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، المجلد: 11، العدد: 73، أغسطس 2016م.

244. **المنهاج القرآني في تقويم العاطفة تجاه الأهل والعشيرة**، مال الله عبد الرحمن مال الله الجابر، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 1438هـ-2017م.

245. **منهج البحث في العقيدة والشريعة**، عبد الكريم الخطيب، مقال من مجلة التضامن الإسلامي، السعودية، الجزء06، ذو الحجة 1977م.

246. **منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة**، مجاهد محمود أحمد ناصر، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، (د.ط)، 1424هـ-2003م.

المواقع الإلكترونية:

247. **أساليب الدعوة إلى الله تعالى**، ناصر بن سعيد السيف، موقع صيد الفوائد، www.saaid.net اطلع عليه بتاريخ: 2021/06/19. http://saaid.org/Doat/naseralsaif/68.htm.

248. **حياة السائرين إلى الله بين الشكر والصبر**، عبد الله فرج الله، خواطر تربوية، 31 يناير 2015م، موقع بصائر، اطلع عليه يوم: 2023/08/28م. **https://bessayir.com/**

249. **الخطاب الديني بين العقل والعاطفة**، الغزالي، صخر، مقال منشور في موقع مدونات الجزيرة، بتاريخ 2016/08/22م. **https://www.aljazeera.net/author/bnyaansakhar**.

250. **دروس وعبر من سيرة خير البشر**، فهد أحمد البحري، **https://www.noor-book.com**.

251. **دروس وعبر من قصة الخضر**، الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد، 29 رمضان 1423هـ، اطلع عليه يوم: 2023/09/10. **https://almunajjid.com**

252. **ذو القرنين وفقهه في سنة الأخذ بالأسباب**، حوبة عبد الغني، شبكة الألوكة الشرعية، تاريخ الإضافة: 2017/08/28م- 1438/12/05هـ، اطلع عليه يوم: 2023/06/17م **https://www.alukah.net/sharia**

253. **فتية الكهف**، ملتقى الخطباء، العواضي، عبد الله بن عبده نعمان، تاريخ النشر: 2022/10/10م، اطلع عليه يوم: 2023/09/02. **https://khutabaa.com/ar/khut**eb

254. **قصة أصحاب الكهف**، موقع منظمة الدعوة الإسلامية، تاريخ النشر: 05 أغسطس 2022م، اطلع عليه بتاريخ: 2023/09/03. https://www.iicdr.com/ar/

255. **قصة صاحب الجنتين**، موقع زاد الواعظين، العدد الثالث رجب 1440هـ، اطلع عليه يوم: 2023/09/06. https://www.elwaez.com

256. **كتاب دروس للشيخ أبي إسحاق الحويني**، موقع الشبكة الإسلامية، المكتبة الشاملة، تاريخ النشر بالشاملة: ١٦ رجب ١٤٣٢. **http://www.islamweb.net**.

257. **ما بين مطرقة العقل وسندان العاطفة**، جوابرة، ريم مشهور، مدونات الجزيرة نت، 2018/01/05م، اطلع عليه يوم 2024/10/09، على الساعة: 20.00. **https://www.aljazeera.net/blogs/2018/1/5** .

258. **موقع الجزيرة الإعلامية**، اطلع عليه يوم:**2021/10/02** على الساعة: **11.00** .http://www.aljazeera.net/

259. **موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي، السيرة الذاتية**، 2017/12/12م، وموقع الجزيرة نت: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/12/20/ .

260. **يوم منع الكحول في الولايات المتحدة**، موقع: اليوم السابع، مقال: السبت 16 يناير 2021م، اطلع عليه في: 2024/05/12م، 20:00. **https://www.youm7.com**.

فهرس الموضوعات:

مقدمة: 1
..... 15
الفصل التمهيدي: التعريف بالعقل والعاطفة ومكانتهما وسمات الخطاب القرآني 15
المبحث الأول: مفهوم أسلوب الموازنة ومواردها في القرآن الكريم 16
المطلب الأول: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا. 17
الفرع الأول: تعريف الأسلوب لغة: 17
الفرع الثاني: تعريف الأسلوب اصطلاحا 18
أولاً: الأسلوب العلمي 20
ثانياً: الأسلوب الأدبي: 20
المطلب الثاني: مفهوم الموازنة في اللّغة والاصطلاح 22
الفرع الأول: تعريف الموازنة لغة 22
الفرع الثاني: تعريف الموازنة اصطلاحا 23
المطلب الثالث: موارد الموازنة في القرآن الكريم 26
الفرع الأول: الوزن والميزان: 26
الفرع الثاني: العدل والاعتدال: 27
الفرع الثالث: التقدير: 28
الفرع الرابع: التسوية 28
..... 29
المبحث الثاني: مفهوم العقل ومكانته في القرآن الكريم 29
المطلب الأول: تعريف العقل لغة واصطلاحا 30
الفرع الأول: تعريف العقل لغة 30
الفرع الثاني: تعريف العقل اصطلاحا. 31
المطلب الثاني: مرادفات العقل في القرآن الكريم 33
الفرع الأول: اللُبُّ: 33
الفرع الثاني: الحِجرُ: 34
الفرع الثالث: النُّهى: 35
الفرع الرابع: الحِلْمُ: 36
الفرع الخامس: القَلْبُ: 37
الفرع السادس: الفُؤادُ: 39

المطلب الثالث: مكانة العقل في القرآن ومحلّ وجوده في الإنسان **40**
الفرع الأول: مكانة العقل في القرآن الكريم **40**
الفرع الثاني: مكان وجود العقل: **42**
..... **45**
المبحث الثالث: مفهوم العاطفة ومكانتها من الخطاب العقلي **45**
المطلب الأول: تعريف العاطفة لغة واصطلاحا **46**
الفرع الأول: تعريف العاطفة لغة **46**
الفرع الثاني: تعريف العاطفة اصطلاحا **47**
أولاً: الميل **47**
ثانيا: العشق **48**
ثالثا: الهَوى **49**
المطلب الثاني: موارد العاطفة في القرآن الكريم **51**
أولاً: الخوف: **52**
ثانياً: الحزن: **52**
ثالثاً: الحسد والغيرة: **53**
رابعاً: الحب: **53**
خامساً: الكره: **54**
سادساً: البغض: **54**
سابعاً: الفرح: **54**
ثامناً: الغضب: **54**
تاسعاً: الندم: **54**
عاشراً: الاستبشار: **54**
أحد عشر: الإشمئزاز: **54**
المطلب الثالث: مكانة العاطفة وعلاقتها بالخطاب العقلي **55**
الفرع الأول: مكانة العاطفة **55**
الفرع الثاني: علاقة العاطفة بالخطاب العقلي **57**
..... **59**
المبحث الرابع: السمات العامة للخطاب القرآني **59**
المطلب الأول: مفهوم أسلوب الخطاب القرآني **60**
المطلب الثاني: خصائص الأسلوب القرآني **61**
الفرع الأول: الخصائص اللّفظية: **62**
أولا: مسحة القرآن اللّفظية: **62**

ثانيا: قصد القرآن في اللّفظ مع وفائه بالمعنى: 64
ثالثا: روعة اللّفظ القرآني: 65
رابعا: براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام: 66
الفرع الثاني: الخصائص المعنوية: 67
أولاً: إرضاؤه العامة والخاصة 67
ثانياً: إقناع العقل وإمتاع العاطفة 68
ثالثا: جودة سبك القرآن وإحكام سرده: 69
رابعا: جمع القرآن بين الإجمال والبيان: 69
..... 71
الفصل الأول: الأساليب العقلية وتجلياتها في الخطاب القرآني 71
المبحث الأول: أسلوب الحجاج في الخطاب القرآني 73
المطلب الأول: مفهوم الحجاج في اللّغة والاصطلاح 75
الفرع الأول: تعريف الحجاج لغة 75
الفرع الثاني: تعريف الحجاج اصطلاحا 78
المطلب الثاني: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم وأهم خصائصه: 84
الفرع الأول: مفهوم الحجاج في الاستعمال القرآني: 84
أولاً: مشتقات الحجاج في القرآن الكريم 86
ثانياً. توصيف الجدول: 89
ثالثاً. بيان دلالة الحجاج والمحاجّة في الخطاب القرآني 91
الفرع الثاني: خصائص الحجاج في الخطاب القرآني 92
أولاً. مخاطبة النّاس حسب مداركهم: 92
ثانياً. متانة وإحكام حججه: 93
ثالثاً. مخاطبة العقل والعاطفة والحسّ: 93
رابعاً. الحجاج بعلم: 94
خامساً. فتح باب الحوار والمناقشة: 94
المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في الحجاج القرآني 95
الفرع الأول: حجاج إبراهيم عليه السلام 96
أولاً: حجاج إبراهيم – عليه السلام – للملك الظالم 96
ثانياً: حِجاج إبراهيم – عليه السلام – لقومه 98
الفرع الثاني: حجاج القرآن الكريم للمشركين ونفي الشركاء مع الله ﷻ 101
أولاً: دليل انتظام الكون وعدم فساده يدل على وحدانية الله ﷻ 102
ثانياً: عدم منازعة الله ﷻ في ملكه دليلٌ على انتفاء الشركاء مع الله 103

المبحث الثاني: أسلوب ضرب الأمثال في الخطاب القرآني **109**
المطلب الأول: مفهوم الأمثال لغة واصطلاحا **112**
الفرع الأول: تعريف المثل لغة **112**
الفرع الثاني: تعريف المثل اصطلاحاً **114**
أولاً. مفهوم المثل عند المفسرين **114**
ثانياً. مفهوم المثل عند البلاغيين: **118**
المطلب الثاني: مفهوم الأمثال القرآنية وبيان أهميتها **120**
الفرع الأول: مفهوم المثل القرآني: **120**
الفرع الثاني: المراد بضرب المثل في القرآن الكريم **122**
الفرع الثالث: أهمية ضرب الأمثال في القرآن الكريم: **125**
المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في المثل القرآني **129**
الفرع الأول: علاقة ضرب الأمثال بالاستدلال العقلي في القرآن الكريم: **129**
الفرع الثاني: شواهد من الأمثال القرآنية على الاستدلال العقلي في الخطاب القرآني **136**
..... **144**
المبحث الثالث: أسلوب الحوار والجدال في الخطاب القرآني **144**
المطلب الأول: مفهوم الحوار وورود في القرآن الكريم **146**
الفرع الأول: مفهوم الحوار في اللّغة والاصطلاح **146**
أولاً: التعريف اللّغوي للحوار: **146**
ثانياً: التعريف الاصطلاحي للحوار: **147**
الفرع الثاني: ورود الحوار في القرآن الكريم **148**
المطلب الثاني: مضامين الحوار القرآني وعلاقته بالجدل **151**
الفرع الأول: مضامين الحوار القرآني **151**
الفرع الثاني: علاقة الحوار بالجدال **155**
أولاً: تعريف الجدل لغة واصطلاحاً: **155**
ثانياً: ورود الجدل في القرآن الكريم **156**
المطلب الثالث: تجليات الخطاب العقلي في الحوار القرآني: **159**
..... **176**
الفصل الثاني: الأساليب العاطفية وتجلياتها في الخطاب القرآني **176**
..... **180**
المبحث الأول: تأثير القرآن الكريم في المخاطبين **180**
المطلب الأول: تأثير القرآن الكريم في نفوس المؤمنين **181**
المطلب الثاني: تأثير القرآن في المشركين وفي أهل الكتاب **183**

الفرع الأول: تأثير القرآن الكريم في المشركين 183
الفرع الثاني: تأثير القرآن الكريم في أهل الكتاب: 188
المطلب الثالث: تأثير القرآن الكريم في الملائكة وفي عالم الجن والجماد 190
الفرع الأول: تأثيره في الملائكة الكرام 190
الفرع الثاني: تأثير القرآن في عالم الجن وفي عالم الجماد 192
أولاً: تأثيره في عالم الجن: 192
ثانياً: تأثير القرآن الكريم في عالم الجماد 193
المبحث الثاني: الموعظة الحسنة وأساليبها في الخطاب القرآني 195
المطلب الأول: مفهوم الموعظة الحسنة، أهميتها ومواردها في القرآن الكريم 196
الفرع الأول: مفهوم الموعظة الحسنة لغة واصطلاحا 196
أولاً. الموعظة لغة: 196
ثانياً. الموعظة اصطلاحاً 197
الفرع الثاني: أهمية الموعظة الحسنة في الخطاب القرآني 198
الفرع الثالث: ورود لفظة الموعظة ومعانيها في القرآن الكريم 201
أولاً. ورود لفظة الموعظة في القرآن الكريم: 201
ثانياً. معاني الموعظة في القرآن الكريم: 202
المطلب الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب وأهميته في الخطاب القرآني 205
الفرع الأول: مفهوم الترغيب والترهيب 205
أولا: مفهوم الترغيب لغة واصطلاحا 205
1. تعريف الترغيب لغة 205
2. مفهوم الترغيب اصطلاحا: 206
ثانيا: مفهوم الترهيب لغة واصطلاحا 206
1. تعريف الترهيب لغة 206
2. تعريف الترهيب اصطلاحا 207
الفرع الثاني: أهمية الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني 207
الفرع الثالث: تجليات أسلوب الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني 208
أولا: تجليات الترغيب في الخطاب القرآني: 208
1. الترغيب في طاعة الله ورسوله ﷺ 208
2. الترغيب في الخلق الحسن مع الناس والتلطف بهم 210
3. الترغيب في برّ الوالدين: 211
4. الترغيب في القتال لنصرة المستضعفين: 212
ثانيا: تجليات الترهيب في الخطاب القرآني 213

1. الترهيب من عدم الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ 213
2. توعد من كفر بما أنزل على مُحَمَّد ﷺ بالنار يوم القيامة..... 214
3. الترهيب والتحذير من نسيان حقوق الله تعالى: 215
المطلب الثالث: أسلوب التحبب والتودد ومظاهره في الخطاب القرآني 216
الفرع الأول: تعريف التحبب والتودد:..... 217
أولا: التحبّب لغة 217
ثانيا: التحبب اصطلاحا: 218
الفرع الثاني: مظاهر أسلوب التودد والتحبب في الخطاب القرآني..... 219
أولاً: الآيات التي ورد التصريح فيها بحبّ الله ﷻ لفئات مخصوصة وبأوصاف معينة 220
ثانياً: الآيات التي خاطب الله ﷻ فيها نبيّه ﷺ بأسلوب التودد والتلطف:..... 225
ثالثا: الآيات التي ورد فيها حبّ الإنسان لله ﷻ تصريحا أو ضمنا: 228
رابعا: الآيات التي وردت في حبّ الإنسان لبني جنسه أو لغيره من الأشياء: 230
خامسا: الأنبياء والرسل – عليهم السلام – ومواقف التحبب والتودد تجاه أبنائهم وأهليهم:..... 234
أ. دعوة إبراهيم – عليه السلام – لأبيه آزر: 234
ب. قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام:..... 235
ت- قصة نوح عليه السلام مع ابنه:..... 236
ث- قصة موسى مع أخيه هارون عليهما السلام:..... 237
ج- قصة لقمان الحكيم مع ابنه: 238
..... 240
المبحث الثالث: أسلوب القدوة الحسنة في الخطاب القرآني..... 240
المطلب الأول: مفهوم القدوة الحسنة، أهميتها ومواردها في القرآن الكريم..... 242
الفرع الأول: تعريف القدوة لغة واصطلاحا:..... 242
أولاً. القُدوة لغة:..... 242
ثانياً. تعريف القدوة اصطلاحا: 243
الفرع الثاني: أهمية القدوة الحسنة: 245
الفرع الثالث: موارد القدوة في القرآن الكريم:..... 247
أولاً. القدوة: 247
ثانياً. الإسوة: 248
ثالثاً. الإمام: 248
المطلب الثاني: أسلوب الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام..... 250
الفرع الأول: جوانب القدوة الحسنة في شخصية محمد ﷺ: 250
الدروس والعبر المستفادة من سيرة نبيّنا محمد ﷺ:..... 253

الفرع الثاني: صور الاقتداء بنوح عليه السلام في صبره على الأذى، وتلطفه مع قومه: 258
الدروس والعبر المستفادة من قصة نوح عليه السلام: 260
الفرع الثالث: صور الاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام 263
الدروس والعبر المستفادة من قصة إبراهيم ﷺ 268
المطلب الثالث: أسلوب الاقتداء بالأولياء والصالحين: 270
الفرع الأول: أسلوب الاقتداء من خلال أصحاب الكهف 270
الدروس والعبر المستفادة من قصة أهل الكهف: 272
الفرع الثاني: قصة الرجل الصالح مع صاحب الجنتين 274
جوانب القدوة الصالحة في شخص العبد المؤمن مع صاحب الجنتين: 274
الفرع الثالث: قصة العبد العالم صاحب موسى – عليه السلام – 277
جوانب القدوة في شخصية العبد الصالح العالم صاحب موسى ﷺ: 278
الفرع الرابع: ذو القرنين وفقهه في سنة الأخذ بالأسباب: 281
أولاً: اتباعه للأسباب وتمكنه من العلوم الدنيوية وتوظيفها في التعمير والإصلاح: 284
ثانيا: سياسة الناس بالعدل: 286
ثالثا: ذو القرنين مثال الرجل المؤمن العفيف المترفع عن زينة الحياة الدنيا: 287
..... 290
الفصل الثالث: تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني وأثره في المخاطبين 290
..... 293
المبحث الأول: تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني 293
..... 293
المطلب الأول: توافق العقل مع العاطفة في الخطاب القرآني 294
الفرع الأول: مظاهر التوازن بين العقل والعاطفة في مسائل العقيدة 294
أولاً: مناظرة إبراهيم – عليه السلام – لقومه حول وحدانية الله ﷻ 294
ثانياً: دلائل وجود الله ﷻ وإثبات عقيدة البعث والنشور: 295
ثالثاً: وقفة مع مؤمن آل فرعون 297
رَابعاً: حوار الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم 300
خامساً: الدعوة إلى الاعتبار بمآل الأمم الغابرة 305
الفرع الثاني: مظاهر التوازن بين العقل والعاطفة في الأحكام التشريعية 309
الفرع الثالث: التوازن الحميد في الدعوة إلى الله تعالى: 314
المطلب الثاني: تعارض العقل مع العاطفة في الخطاب القرآني 317
الفرع الأول: صعوبة بعض الأحكام والتكاليف الشرعية على الأنفس 317
الفرع الثاني: وجوب الحكم بالعدل وعدم التأثر بالعواطف: 321

الفرع الثالث: ذم الإعراض عن الحق والتحذير من اتباع الأهواء: 327
الفرع الرابع: تفريغ العقل من المقررات المسبقة القائمة على مجرد التقليد أو الظن 332
الفرع الخامس: حجاج النبيّ ﷺ للمشركين من خلال سورة الأنعام: 333
المبحث الثاني: أثر التوازن بين العقل والعاطفة في المخاطَبين..... 340
..... 340
المطلب الأول: أثر التوازن بين العقل والعاطفة في تكوين الإنسان الصالح 341
الفرع الأول: الإنسان عبارة عن كيان مترابط ومتآلف 341
الفرع الثاني: العبادة بين الإيمان والعمل الصالح 346
الفرع الثالث: الإنسان من التفكر في آيات الله تعالى إلى التأثر بعظيم قدرته ﷻ: 349
الفرع الرابع: تلبية حاجات الإنسان الفطرية من خلال استشعار نعمة الجمال 352
المطلب الثاني: دور التوازن بين العقل والعاطفة في بناء المجتمع الراشد 353
الفرع الأول: بناء المجتمع في ظلّ الحقيقة الإسلامية: 353
أولاً: العبودية: 354
ثانياً: المصلحة: 355
ثالثاً: الجزاء: 356
الفرع الثاني: دور التوازن بين العقل والعاطفة في الانقياد لأحكام الدّين 357
أولاً: المحبة القلبية مفتاح الاستجابة للتكاليف الشرعية 358
ثانياً: ملائمة التكاليف الشرعية للمكلّف ومظاهر الرحمة فيها 363
الفرع الثالث: دور التوازن العقلي العاطفي في تجسيد التكافل الاجتماعي 370
الفرع الرابع: حاجة المجتمع إلى التوازن العقلي والعاطفي في إصلاح شؤونه: 373
خاتمة: 379

261.

ملخص:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا بحث علميّ يبحث في جانب من جوانب البيان القرآني، وهو معرفة الأساليب التي خاطبت عقل الإنسان ووجدانه، وبناء على ذلك جاء البحث موسوما بـ: "**أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني وأثره على المخاطب**". حيث حاول الباحث الإجابة عن الإشكالية التالية: ماذا نعني بأسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني؟ وبتعبير آخر ماهي الأساليب التي خاطبت عقل الإنسان وعاطفته؟ وما هو أثر الموازنة بين العقل والعاطفة في المخاطبين؟

وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة وفهارس علمية؛ وهي على النحو الآتي:

المقدّمة: وقد ذكرت فيها إيضاحا موجزا عن موضوع البحث، مع بيان أهميته والأسباب الدافعة لاختياره، متبوعا بالدراسات السابقة ثم منهج البحث مرورا بذكر الصعوبات وصولا إلى عرض خطة البحث.

وبعد المقدّمة ذكرت **فصلا تمهيديا** ضمنته التعريف بمفردات الدراسة: فتطرقت إلى مفهوم الأسلوب والموازنة في اللّغة والاصطلاح، ومواردها في القرآن الكريم. ثم عالجت مصطلح العقل، فتناولت مفهومه في اللّغة والاصطلاح، وذكرت مرادفاته في القرآن الكريم، ثم تكلمت عن العاطفة ومكانتها معرّفا إيّاها في اللّغة والاصطلاح. وفي الأخير بيّنت مفهوم الخطاب القرآني، ثم ذكرت أهم خصائص الأسلوب القرآني اللّفظية والمعنوية. وبعد تجلية معاني هذه المصطلحات الرئيسة، شرعت في **الفصل الأول**: بدراسة أهم الأساليب العقلية الواردة في القرآن الكريم، وكان من أبرزها أسلوب الحجاج في الخطاب القرآني، وأسلوب الحوار، وأسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم. فتناولت ضمن مبحث الحجاج: مفهوم الحجاج في اللّغة والاصطلاح، وكذا دلالة هذا المصطلح في الاستعمال القرآني، وأهم خصائصه. وتجلياته في الخطاب القرآني. ثم تطرقت إلى مظاهر الحجاج في الخطاب القرآني، وذلك من

خلال عرض شواهد قرآنية، ثم انتقلت إلى الحديث عن أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم، فعرفت بالأمثال في اللّغة والاصطلاح، وذكرت أهميتها، ثم عرّجت إلى بيان أغراض الأمثال في القرآن الكريم، وخصائصها، ودورها في الاستدلال العقلي. ثم انتهيت إلى ذكر شواهد قرآنية تبين دور الأمثال القرآنية في الاستدلال العقلي في الخطاب القرآني. أما المبحث الثالث، فكان عن أسلوب الحوار في الخطاب القرآني، فعرفت بالحوار في اللّغة والاصطلاح، ثم مفهوم الحوار القرآني وعلاقته بمصطلحات أخرى مقاربة له، كما تكلمت عن مضامين الحوار القرآني وأنواعه. وقد ختمت هذا المبحث بذكر تجليات الحوار القرآني وعلاقته بالاستدلال العقلي. وأما **الفصل الثاني**: فقد تكفل بعرض أهم الأساليب العاطفية في الخطاب القرآني، فمهدت بمبحث تناولت فيه تأثير القرآن الكريم في المخاطبين؛ حيث ابتدأت الحديث عن تأثير القرآن في الناس، المشركين منهم والمؤمنين، كما تطرقت لتأثير القرآن في الملائكة الكرام، وفي عالم الجن. ثم تناولت أسلوب الموعظة الحسنة وأساليبها في القرآن الكريم؛ ومن أبرز أساليبها التي ورد ذكرها في هذه الدراسة: أسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب التودد والتحبب. ثم تناولت أسلوب القدوة الحسنة في الخطاب القرآني، وقد اشتمل على مطلبين: أسلوب الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام، وأسلوب الاقتداء بالأولياء والصالحين. وقد ذكرت ضمن هذا المبحث بعض جوانب القدوة الحسنة في شخصية نبيّنا محمد ﷺ، ثم ذكرت صورا للاقتداء بنبيّ الله نوح عليه السلام. ثم تناولت صور الاقتداء بنبي الله إبراهيم عليه السلام. أما عن أسلوب الاقتداء بالأولياء والصالحين، فقد تعرضت لأربعة نماذج بشرية خلّد الله ﷻ ذكرهم في كتابه الكريم، وهم: أصحاب الكهف، الرجل المؤمن مع صاحب الجنتين، العبد العالم مع سيّدنا موسى عليه، وقصة ذي القرنين.

ثم يأتي الفصل الثالث: ليعالج أولاً: تجليات التوازن بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني؛ من حيث مرافقة العقل للعاطفة في الخطاب القرآني في مسائل التوحيد، وفي الأحكام التشريعية، وفي الدعوة إلى الله تعالى. ثم تناولت تعارض العقل مع العاطفة في الخطاب القرآني، وقد أشرت إلى أن هذا تعارض ظاهري، وإلاّ فلا تعارض بين كلام الله ﷻ. فمثلت له بصعوبة بعض الأحكام والتكاليف الشرعية على الأنفس. ثم ختمت الفصل بمبحث تطرقت فيه إلى أثر التوازن بين العقل والعاطفة في المخاطبين، فتكلمت عن دور التوازن بين العقل والعاطفة في تكوين الإنسان الصالح، كما تناولت دور التوازن بين العقل والعاطفة في بناء المجتمع الراشد.

وأما **الخاتمة** فعرضت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج، فكان من أهمها:

– أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة هو ذلك الخطاب القرآني الذي يوفر البيئة المتوازنة التي تراعي الفطرة البشرية ومكوناتها العقلية والعاطفية ، وهذا من خلال أساليبه المتنوعة التي تناشد العقول، وتحرك الوجدان وتستثير العواطف.

– اعتمد الباحث في سبيل إظهار أسلوب الموازنة بين العقل والعاطفة في الخطاب القرآني على ثلاثة أساليب عقلية، وهي: أسلوب الحجاج، وأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب الحوار في الخطاب القرآني، وأسلوبين عاطفيين، وهما: الموعظة الحسنة وأساليبها في الخطاب القرآني، وأسلوب القدوة الحسنة في القرآن الكريم، وهذا بعدما قدّم لهذين المسلكين بمبحث أبان فيه عن تأثير القرآن الكريم في نفوس المخاطبين.

– نزل القرآن الكريم بأسلوب متوازن يخاطب الفكر والقلب والروح معا؛ ييسر الفهم ويساعد على إدراك الحقائق.

– التوازن بين العقل والعاطفة هو إجراء سلوكي، يضبط حياة الناس في المجتمع، ويجنبهم الوقوع فيما لا يحمد عقباه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

The message Summary in English:

This is a scientific research that investigates an aspect of the Qur'anic statement, namely the methods that addressed the human mind and conscience, and accordingly, the research is titled: "The method of balancing between reason and emotion in the Qur'anic discourse and its impact on the addressee". The researcher tried to answer the following question: What do we mean by the method of balancing reason and emotion in the Qur'anic discourse? In other words, what are the methods that address the human mind and emotion, and what is the impact of balancing reason and emotion on the addressees? This study is organized into an introduction, an introductory chapter, three chapters, a conclusion, and scientific indexes, as follows: Introduction: In it, I gave a brief explanation of the research topic, indicating its importance and the reasons for choosing it, followed by previous studies, then the research methodology, followed by mentioning the difficulties and ending with the presentation of the research plan. After the introduction, I mentioned an introductory chapter in which I introduced the vocabulary of the study: I dealt with the concept of style and balance in language and terminology, and its sources in the Holy Quran. Then I dealt with the term mind, its concept in language and terminology, and its synonyms in the Holy Quran, then I talked about emotion and its place in language and terminology. Finally, I explained the concept of Qur'anic discourse, and then mentioned the most important characteristics of the Qur'anic style, both verbal and figurative. After clarifying the meanings of these key terms, I began the first chapter: In the first chapter, I examined the most important mental methods used in the Qur'an, including the method of argumentation in the Qur'anic discourse, the method of dialog, and the method of parable in the Qur'an. In the first chapter, I dealt with Hajjaj: The concept of Hajjaj in language and terminology, as well as the meaning of this term in the Qur'anic usage, and its most important characteristics. Then I dealt with the manifestations of Hajjaj in the Quranic discourse. Then I dealt with the manifestations of Hajjaj in the Qur'anic discourse by presenting Qur'anic evidence, then I moved on to talk about the method of parables in the Holy Qur'an, defining parables in language and terminology, mentioning their importance, then I went on to describe the purposes of parables in the Holy Qur'an, their characteristics, and their role in rational reasoning. Then I concluded by citing Qur'anic evidence that shows the role of Qur'anic parables in rational reasoning in Qur'anic discourse. In the third section, I defined dialogue in the Qur'anic discourse, defined dialogue in language and terminology, then the concept of Qur'anic dialogue and its relationship with other terms close to it, as well as the contents and types of Qur'anic dialogue. I concluded this section by mentioning the manifestations of Qur'anic dialog and its relationship with rational reasoning. As for the second chapter: I began with a discussion of the impact of the Qur'an on the audience, beginning with the impact of the Qur'an on people, both polytheists and believers, as well as the impact of the Qur'an on the honorable angels and the world of the jinn. Then I dealt with the method of good exhortation and its methods in the Holy Qur'an; among the most prominent methods mentioned in this study: The most prominent methods mentioned in this study are the method of exhortation and intimidation, and the method of courtship and endearment. Then I dealt with the method of good example in the Qur'anic discourse, which included two requirements: The method of following the example of the prophets, peace be upon them, and the method of following the example of the saints and righteous. In this section, I mentioned some aspects of good role models in the personality of our Prophet Muhammad, peace be upon him, and then I mentioned images of following the example of God's Prophet Noah, peace be upon him. Then I dealt with the example of the Prophet Ibrahim, peace be upon him. As for the method of imitating the saints and righteous, we dealt with four human models that Allah has immortalized in His Holy Book, namely: The companions of the cave, the believing man with the owner of the two

gardens, the slave scientist with Moses, and the story of Dhul Qarnayn. Then comes the third chapter: The third chapter deals first with the manifestations of the balance between reason and emotion in the Qur'anic discourse, in terms of the accompaniment of reason and emotion in the Qur'anic discourse in matters of monotheism, legislative rulings, and the call to God Almighty. Then I dealt with the conflict between reason and emotion in the Qur'anic discourse. I pointed out that this is an apparent conflict, otherwise there is no conflict between the words of God. I exemplified the difficulty of some rulings and legal mandates for the soul. I then concluded the chapter with a discussion on the impact of the balance between reason and emotion on the addressees. I talked about the role of the balance between reason and emotion in the formation of a righteous person, and the role of the balance between reason and emotion in building a rational society. As for the conclusion, I presented my main findings, the most important of which were: - The revelation of the Holy Qur'an in a balanced manner that addresses the mind, heart, and soul together; it facilitates understanding and helps in realizing the truths. - The balance between reason and emotion is a behavioral measure that regulates people's lives in society and prevents them from falling into unintended consequences. - These various methods have great benefits; they lead people to meditate and contemplate the Kingdom of God, and to consider the scenes of death and life.